

Bibliotheca Alexandrina



0024450

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الخامس

الطبعة الثانية

١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م

الناشر

مكتبة الخانجي بالقاهرة دار الرفاعي بالرياض

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصوري

مكتبة الخالجي

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

مطبعة المسكني

المؤسسة السعودية بمصر

٦٨ شارع عباسية - القاهرة . ت : ٨٩٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

التوابع النعت

أنشد فيه :

وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الثلاثاء ، وهو من أبيات إيضاح أى
على الفارسي :

٣٣٢ (رَبَّاءُ شَمَاءَ لَا يَأْوِي لِقُلَّتِهَا إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْأَوْبُ وَالسَّبَلُ^(١))

على أن الموصوف قد يحذف فى الأغلب مع قرينة دالة عليه ، كما فى البيت . والتقدير : هو رجلٌ رَبَّاءٌ هَضْبَةٌ شَمَاءٌ . فحذف الموصوف وأقيم الوصف مقامه فى الموضعين ، فإنَّ رَبَّاءٌ فعَّالٌ ، وهو وصف مبالغة من قولهم : هو رَبَّاءٌ لأصحابه بالهمز ، رِبَاءٌ يربأ ، من باب منع ، إذا صار ربيئةً لهم ، أى ديدباناً . فى (الصحاح) : المربأة : المرقبة ، وكذلك المربأ والمربأ . وربأت القوم رِبَاءً وارتبأتهم ، أى رقبتهم ، وذلك إذا كنتَ لهم طليعة فوق شَرَفٍ ، أى موضع مرتفع . يقال رِبَاءٌ لَنَا فلان وارتبأ ، إذا اعتانَ . وربأتُ المربأة وارتبأتها ، أى علوتها . والرَّيَّةُ والرَّيَّةُ : الطليعة . انتهى .

(١) أمالى ابن الشجرى ٣٣:٢ وابن يعيش ٥٨:٣ وديوان الهذليين ٣٧:٢ واللسان (أوب) .

وهو فاعيل وفعيلة . فالرِّبَاءُ وصف مبالغته ، والوصف لا بد له من موصوف . ومن المعلوم أن الذي يرقب الأعداء لأصحابه إنما هو الرجل في الغالب ^(١) . وقيل إنه من ربأت الجبل ، إذا صعدته وعلوته ، فيكون رباء شَمَاء كقولهم : « طَلَّاعٌ أَنْجِدٌ » . وهو مضاف إلى شَمَاء ، والشَمَاءُ مجرورٌ بالفتحة ، وهو مؤنث أشم ، من الشَّمَم ، وهو الارتفاع . أراد هضبة شَمَاء ، فحذف الموصوف ، بدليل « القُلَّةُ » وهي رأس الجبل . والهضبة : الجبل المنبسط على وجه الأرض . ومن المعلوم أيضاً أن التي لا يأوى إلى قلتها إلا السَّحاب والمطر لاتكون إلا هضبة . وإضافة رِبَاءٍ إلى شَمَاء لفظية . وقال السُّكَّرِيُّ (في شرح أشعار هذيل) : إنَّ رِبَاءً من ربأت الجبل ، إذا صعدته وعلوته ، فيكون مثل قولهم : طَلَّاعٌ أَنْجِدٌ ، لمن هو رَكَّابٌ للصَّعَاب من الأمور . وقال ابن يعيش (في شرح المفصل) : الشاهد في قوله رِبَاءٌ شَمَاء ، والمراد رجل رِبَاءٍ ربوة شَمَاء أو رابية شَمَاء . وهو فَعَّالٌ من قولك : ربوت الرابية ، إذا علوتها . وضَعَفَ العين للتكثير ، والهمزة في آخره بدلٌ من واوٍ هي لامٌ الكلمة ، كهمزة كِسَاء . ولم ينوّه لآته مضاف إلى شَمَاء . وشَمَاءٌ فَعْلَاءٌ من الشَّمَم ، يقال جبل أشمٌ ورابية شَمَاء ، أى مرتفعة .

٢٨٥

أقول : ليس في هذا كثيرٌ فائدة ، وهو مع تكلفه يدفعه قوله : لا يأوى لقلتها إلا السحاب إلخ . فتأمله .

وحكى الأندلسي (في شرح المفصل) عن الخوارزمي : قلة رِبَاءٍ وهضبة شَمَاء ؛ لأنَّ الرِّبَاءَ هي العالية ، واشتقاقها من الربِّ لعلوّه على المربوب .
أقول : لا وجه لما ذهب إليه الخوارزمي ، فإنَّ رباء من وصف الرِّبَاء لا القُلَّة كما يأتي ، وهو فَعَّالٌ لافعلَاء .

(١) تعليل لكون « ربيعة » وصفا للرجل .

وقال أبو البقاء (في شرح الإيضاح لأبي علي) : أَثَّ رِبَاءٌ لما أراد به
الريئة ، وهو الحافظ لأصحابه في الأمكنة العالية .
أقول : هذا خطأ ، فإنَّ رِبَاءً فَعَّالٌ لافعلاء .

ورواه بعضهم : « زَنَاءٌ شَمَاءٌ » بالزاي المعجمة والنون ، من زَنَأَ في الجبل
يَزْنُو زَنْئاً وَزَنْوَةً ، بمعنى صعد . وهو مهموز .

وقال بعضهم : إِنَّ شَمَاءَ اسم هضبة ، وهو منقولٌ من الصفة إلى
العلمية ، مثل حَسَنَ ، فلا شاهد فيه .

أقول : كون شماء اسم هَضْبَةٍ ذكره أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيُّ (في معجم
ماستعجم) ، قال : شماء على لفظ تَأْنِيثِ أَشْمَ : هضبةٌ ببلاد بني يشكر .
قال الحارث بن حِزْزَةَ في معلقته :

بعد عهدٍ لنا بِرُقَّةٍ شَمَاءَءَ فَادَى ديارِها الحَلْصَاءُ

لكن الظاهر هنا أنَّ المراد بِشَمَاءَ اسم جنس ، بدليل وصفه بقوله :
لَايَأْوِي لِقَلَّتْهَا إلخ .

فإن قلت : أجعل الجملة حالاً من شماء لتعريفها .

قلت : صاحب البيت هذلي ، وشَمَاءُ الهضبة المعروفة في بلاد بني
يشكر ، مع أنَّ مقام المدح يقتضي أنه يرأى كُلَّ جَبَلٍ موصوفٍ بهذا
الوصف ، وليس في جعلها علماً كثيراً مدح .

وقوله : (لَايَأْوِي لِقَلَّتْهَا إلخ) هو من أوى إلى منزله يأوي من باب ضرب
أَوِيًّا ، بمعنى أقام . والمراد لا يصل إلى قَلَّتْهَا . وروى السكري : « لَايَدْنُو لِقَلَّتْهَا » .
وضمير قَلَّتْهَا لِشَمَاءَ . وقُلَّةُ الجبل : رأسه . وروى : « لِقُتَّتْهَا » بالنون .
والقُنَّةُ هي القُلَّةُ .

وقوله : (إِلَّا السَّحَابُ) هو استثناء مفرغ ، أى لا يقرب إلى قُلَّتْهَا شَيْءٌ إِلَّا السَّحَابُ . وكرّر إلّا في قوله « وَإِلَّا الْأُوبُ » للتوكيد . والأوب ، قال السكري : هو النّحل حين تؤوب : ترجع . ويؤيده أنّه روى : « وَإِلَّا الثُّوبُ » بضم النون ، وهو النحل ، وهو جمع نائب لأنّها ترعى وتؤوب إلى مكانها ، أى ترجع ؛ وقيل : هو الريح ، ذكره الصاغاني (في العُباب) . وقال الخوارزمي : هو المطرُ لأنّه بخار ارتفع من الأرض ثمّ آب إليها أى رجع ، ولذلك سُمّي رجعا ، فسمّوه أوبا ورجعا تفاقولا ليرجع ويؤوب . وقيل لأنّ الله تعالى يرّجعه وقتاً فوقتاً . وإليه ذهب صاحب (الكشاف) عند قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾^(١) وأنشد هذا البيت على أنّ المطر تسمّى رجعا^(٢) كما في الآية ، وأوبا كما في البيت ، تسمية بمصدرين رجع وآب . وذلك أنّ العرب كانت تزعم أنّ السحاب يحمل الماء من البحر ثم يرجعه إليه^(٣) . قال صاحب (الكشف) : جعل صاحب الكشاف الأوب والسبيل بمعنى المطر ، والأولى ما قيل أنّ الأوب النحل ، لأنّها تؤوب إلى محالّها بعد ما خرجت للنجعة . والسبيل . بفتحيتين : المطر المنسيل ، أى النازل .

٢٨٦

قال ابن خلف (في شرح أبيات الكتاب) : السحاب اسم عام للغيم والماء ينسحب في الأفق ، أى ينجرّ ، نازلاً ماؤه وغير نازل . والسبيل : المطر النازل ، فهو إذن أخصّ من السحاب ، ولذلك جاء قوله تعالى : ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾^(٤) ، لمّا كان الودق الماء النازل نفسه .

(١) الآية ١١ من سورة الطارق .

(٢) كذا وردت « تسمى » في النسختين بجعل المطر مؤنثا . والذي في الكشاف : « سمي المطر رجعا كما سمي أوبا » .

(٣) في ش : « من بحار ثم يرجعه اليه » . وفي الكشاف : « من بحار الأرض ثم يرجعه الى الأرض » .

(٤) من الآية ٤٣ من النور و ٤٨ من الروم .

وهذا البيت آخر قصيدة عدّتها عشرون بيتاً للمتنخل الهذلي ، تقدمت صاحب الشاهد ترجمته في الشاهد السادس والسبعين بعد المائتين ^(١) ، رثى بها ابنه أثيلة بضم الهمزة وفتح المثلثة . وهذان البيتان قبله :

(أقول لما أتاني الناعيان به لايبعد الرمح ذو النصلين والرجل أبيت الشاهد رُمح لنا كان لم يُقْلَلْ ننوء به تُوفى به الحرب والعزاء والجلل رثاء شماء لا يدنو لقلتها البيت)

قوله : « الناعيان به » في الصحاح : الناعي الذي يأتي بخبر الموت .

قال الأصمعي : كانت العرب إذا مات فيهم ميت له قدر ركب ركب فرساً وجعل يسير في الناس ويقول : نعاء فلاناً ، أى انعه وأظهر خبر وفاته . وهى مبنية على الكسر مثل نزال . وقوله : « به » أى بنعيه ، حذف المصدر لدلالة التاعيات عليه . والمصدر جاء على نعى بفتح فسكون ، ونعى على وزن فعيل ، وتُعيان ، بضم النون . والضمير راجع إلى أثيلة المقتول ، وهو ابن المتنخل . وذلك أنه كان خرج مع ابن عم له يقال ربيعة بن الجحدر غازيين ، فأغاراً على طوائف من فهم بن عمرو ^(٣) بن قيس عيلان ، فقتل أثيلة وأُقلت ربيعة ، فقال المتنخل هذه القصيدة في رثاء ابنه . وقوله : « لايبعد الرمح » الرمح فاعل يبعد ، يقال بعد بعداً من باب فرح فرحاً ، إذا هلك . وعادة العرب أن تقول عند ذكر الميت : لايبعد فلان ! إما استعظاماً لموته ، وإما رجاء بقاء ذكره . وبأنى شرح

(١) في الجزء الرابع ص ١٥٠ .

(٢) ش : « توفى به الحرب » بالقاف . وسيأتى في الشرح التنبيه على الروايتين . واقتصر السكري في الشرح ٣ : ١٢٨٥ على رواية الفاء « توفى » .

(٣) كذا في ش مع أثر تصحيح . وفي ط : « فقيم بن عمرو » تحريف . وليس لعمرو بن قيس عيلان إلا ولدان : فهم ، والحارث . انظر حمزة ابن حزم ٢٤٣ .

هذا مبسوطاً إن شاء الله بعد أبيات . والنَّصْل : حديدة الرمح الذى يُطْعَن به ، وهو السَّنان ، ويقال لحديدة السَّهم والسيف والسكين أيضاً . والحديدة التى يُركز بها الرُّمح فى الأرض من الطَّرَف الأسفل يقال لها الرُّجُج ، بضم الزاى المعجمة وتشديد الجيم . وسَمَّى الرُّجُج نصلاً بالتغليب فقال : النَّصْلين ، وإنما غُلِبَ على الزج لأنَّ العمل للنصل ، وإذا كان للرمح رُجٌّ كان أمكن للطَّعن به . وأراد به رمح المقتول .

وقوله : «والرجل» أراد الرجل الكامل ^(١) فى الشجاعة والفعل ، وهو ابنه ، وقيل أراد بالرمح ابنه ، شبهه بالرمح الذى له نصلٌ وزجٌّ ، ويؤيده قوله رمح لنا ، أى هو رمح لنا . وضمير كان راجعٌ إليه ، وجملة لم يفلل خبرها ، أى لم يُكسر ولم يُثلم ، من الفلّ بفتح الفاء ، وهو واحد الفلول ، وهى كسور فى الشيء .

وقوله : «ننوء به» أى نهض به . يقال ناء بكذا أى نهض به مثقلاً . وقوله «توفى به الحرب» أى تعلّى به وتقهّر . وهو بالفاء ، وروى بالقاف أيضاً من الوقاية . والعزّاء بفتح العين وتشديد الزاء المعجمة : السنة الشديدة . والجُلل بضم الجيم وفتح اللام : جمع جُلّى ، وهو الأمر الجليل العظيم ، مثل كبرى وكُبر ، وصُغرى وصُغَر .

وفى هذه القصيدة أبياتٌ من الشواهد ، فينبغى أن نورد بقيّتها مشروحة إجمالاً . وهذا مطلع القصيدة :

٢٨٧

(ما بال عينك أمسّت دمعها تحضيلُ كما وهى سربُ الأخرابِ منبرلُ ^(٢))

(١) ش : « وقوله الرجل : الرجل الكامل » .

(٢) ط : « الأخراب » صوابه فى ش وشرح السكرى . وقد رواه السكرى : « الأخرات » بالناء فى آخره ، جمع خرت ، وهو الثقب ، ثم قال : « ويرى : الأخراب » .

هذا خطابٌ مع نفسه . وَخَضِيل : ندى . وَوَهَى السقاء ، إذا تَحَرَّقَ وانشَقَّ .
والأخواب : جمع نُخْرِيَّة^(١) بالضم ، وهى عروة المَزَادَةِ وكلُّ ثَقْبٍ مستدير . وَسَرَبٌ
بفتح فكسر : السائل ، يقال سَرَبَتِ المَزَادَةُ من باب فرح ، إذا سالت . ومنبزلٌ :
منشَقٌّ . وقد أخذ ذو الرمة مَطْلَعَ قصيدته من هذا فقال :
مابأل عينك منها الماء ينسكبُ كأنه من كُلى مَفْرِئَةٍ سَرَبُ
والكُلى : جمع كُلية بالضم ، وهى جُليدة مستديرة تحت عروة المَزَادَةِ
تُخَرَّرُ مع الأديم .

(لاتفتأ اللَّيْلُ مَعَ دمعٍ بأربعةٍ كأنَّ إنسانها بالصاب مكتحل^(٢))
لاتفتأ : لاتزال ، يقال جاءنا وعيناؤه بأربعة ، أى بأربعة مدامع أو
مَسَائِل^(٣) ، أى تسيل من نواحيها من المأقِن والمُحَاطِين . والصاب : شجر له
لبنٌ مرٌّ إذا أصاب لبنة العين حَلَبَها .
(تَبَكَى على رجلٍ لم تُبَلِّ جدَّته حَلَى عَلَيْكَ فجاءاً بينها خللٌ)
لم تُبَلِّ جدَّته : لم تستمتع بشبابه ، من الإبلاء . وروى : « لم تُبَلِّ جدَّته »
من اللَّيْلِ وجِدَّته فاعل . وفجاءاً أى طرَقاً . بينها خللٌ ، أى فرجة أى كان
يسدُّها .

ومعنى حَلَى تركها . يريد أنَّه لم يمتنع منه ، كما قال ابن أحرر :
لَيْسَتْ أُنَى حَتَّى تَمْلَيْتُ برهةً وَلَيْتُ أَعْمَامِي وَلَيْتُ خَالِيَا
(فقد عجبْتُ وما بالدَّهر من عجبٍ أُنَى قُتِلْتُ وَأَنْتَ الْحَازِمُ الْبَطْلُ)

(١) ط : « والأخواب جمع حزبة » ، صوابه فى ش والسكرى .

(٢) عند السكرى : « من سح بأربعة » . وفى ط : « كأن أسنانها » ، صوابه فى ش والسكرى .

وإنسان العين : ناظرها ، وهو المثال الذى يرى فى السواد .

(٣) ش : « مسائل » ، بالهمز ، والقياس التسهيل .

أى كيف قُتِلَتْ مع كونك شجاعاً حازماً . يقول : لاتعجب من
الدَّهر ، فإن البَطْل يُقْتَل فيه ، والضَّعيف ينجو فيه ، وفيه أمورٌ مختلفة .
(وَيُلْمُهُ رجلاً تَأبَى به غَبْنًا إذا تَجَرَّدَ لَانْحَالٍ ولا بَخْلٍ)

هذا البيت من شواهد أدب الكاتب لابن قتيبة . قوله : « وَيُلْمُهُ رجلاً »
هذا مدحٌ خرج بلفظ الذم ، يروى بكسر اللام وضمها . ورجلاً تمييز
للضمير . وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في باب التمييز ^(١) . وتأبى
مضارع أبى ، بمعنى تكره ، والجملة صفة رجلاً . والعَبْن بفتح الباء : الخديعة
في الرأى ، وفعله من باب فَرَحَ . وبسكونها : الخديعة في الشراء والبيع ،
وفعله ^(٢) من باب ضرب . يقول : تأبى أنت أن تقبل به نقصانا . ومعنى
التجرّد ههنا التشمّر للأمر والتأهّب له . وأصل ذلك أَنَّ الإنسان يتجرّد من
ثيابه . يقول : إذا حاول فعل أمرٍ أو الدُّخول في حرب . فصار مثلاً لكل من
جدّ في الشيء وإن لم يتجرّد من ثيابه . يقول : إذا أتيتَه قام معك وتجرّد وجدّ .
وقوله : « لَانْحَالٍ ولا بَخْلٍ » فيه وجهان : أحدهما الخال الاختيال والتكبر ، فخال
مبتدأ محذوف الخبر ، أى لافيه تكبرٌ ولا بخل ، أو هو خبر بتقدير مضاف لمبتدأ
محذوف ، أى لاهو ذو خال . وثانيهما : الخال المتكبر ، وذكر المصدر وأريد
الوصف مبالغة ، أو هو وصف وأصله تحوّل ، فانقلبت الواو المكسورة
ألفاً كقولهم ، رجل مالٌ ويومٌ راح ، وأصلهما مَوَلٌ ورواح . ويؤيده أنّه روى :
« ولا بَخْلٍ » بكسر الخاء . فخال خبر مبتدأ محذوف ، أى لاهو خال ،

٢٨٨

(١) الجزء الثالث ص ٢٧٣ ، ٢٧٩ .

(٢) ط : « وقوله » ، صوابه في ش .

ولا ذو بخل ، فيقدر في بخل مضاف لأنه مصدر . وإن أطلق على الوصف مبالغة فلا تقدير .

(السالك الثغرة اليقظان كالثغرة)

مَشَى الهلوك عليها الخيل الفضل^(١)

أى هو السالك . ويجوز نصبه على المدح : أى أعنى السالك ؛ والثغرة بالضم والثغر بمعنى واحد ، وهو موضع يخاف دخول العدو منه . وكالثغرة حافظها . والهلوك من النساء : التى تتهالك فى مشيتها ، أى تتبختر وتتكسر ، وقيل هى الفاجرة التى تتوآقع على الرجال . والخيل ، بفتح الخاء المعجمة ، قال السكرى : هو ثوب يخاط أحد شقيّه ويترك الآخر . والفضل هو الخيل ليس تحته إزار . وقال ابن الشجرى : الخيل : القميص الذى ليس له كُمان ، وقيل : ولا دخايرص له . ويقال امرأة فضل بضمّتين ، إذا كان عليها قميص ورداء وليس عليها إزار ولا سراويل . و (فى العباب) : المفضل والفضل بضمّتين . وفى هذا عن الفراء^(٢) كالخيل تلبسها المرأة فى بيتها ، والمرأة فضل بضمّتين إذا لبسته . قال الأعشى :

ومستجيب تحال الصنج يسمعه إذا ترجع فيه القينة الفضل

المُستجيب : العود شبه صوته بصوت الصنج ، فكأن الصنج دَعاه . يقول : هو الذى من شأنه سلوك موضع الخفاة ، يمشى متمكنا غير فروق ولا هيوب ، كمشى المرأة المتبخترة الفضل^(٣) .

(١) ش : « سالكهما » ، وصوابه فى ط وشرح السكرى .

(٢) كذا فى النسختين .

(٣) ط : « والفضل » ، والوار مقحمة .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : الوجه نصب الثُّغرة بالسالك ، كقولك الضارب الرجل ، ويجوز خفضها على التشبيه بالحسن الوجه . واليقظان صفة الثُّغرة نصبتها أو خفضتها ، وارتفع به كالفها ، وجاز ذلك لعود الضمير على الموصوف . وقوله : مشى الهلوك ، منصوب بتقدير : تمشى مشى الهلوك . وإن شئت نصبته بالسالك ؛ لأن السالك يقطع الأرض بالمشى . انتهى .

وقال العينى : لا يجوز نصبه بالسالك ، لأنه موصوف باليقظان ، ولا تعمل الصفة بعد وصفها .

أقول : هذا سهو منه ، فإنه قال : اليقظان صفة الثغرة كما نقلنا . والفضل نعت للهلوك على الموضع ، لأنها فاعلة للمصدر الذى أضيف إليها . والتقدير : تمشى كما تمشى الهلوك الفضل . وبه أنشد ابن الناظم (فى شرح الألفية) . وزعم جماعة أنه مرفوع على المجاورة للمرفوع الذى هو الخيل . وهذا شيء لم يقل به أحد من المحققين . وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى بأوسع من هذا فى آخر هذا الباب .

وعلى تفسير الفراء والسكرى للفضل يكون صفة للخيل .

وقد تكلم أبو على (فى الإيضاح الشعرى) على المصراع الأول بغير ما ذكرنا تمريناً للطالب ، أحببنا ذكره هنا ، قال : إن نصبت كالفها لم يجوز أن تجعلها حالا من السالك وأنت قد وصفته باليقظان ، لأنك حينئذ تفصل بين الصلة والموصول ، ولكن يجوز أن تنصبه حالاً عما فى يقظان ، كأنه يتيقظ فى حال حفظه إياها . ويجوز إذا نصبت كالفها أيضاً أن تجعله بدلاً من اليقظان . فإن قلت : أفيجوز إذا نصبت كالفها أن أجعل الكالىء حالاً من الموصول الذى هو السالك على أن لا أجعل اليقظان صفة للألف واللام ،

ولكن أجعلهُ صفةً للثغرة ، فلا يلزم حينئذ إذا جعلته حالاً أن أكون قد فصلتُ بين الصلة الموصول .

(فالجواب) أن وصف الثغرة باليقظان ليس بالسَّهل ، لأنَّ اليقظان من صفة الرجل دون الثغرة ، وهو مع ذلك مذكّر ، والثغرة مؤنث .

فإن قلت : فهل يجوز أن أحمل على الاتساع فأقول: ثغرة يقظان ، وأنا أريد يتيقظ فيها لشدة خوف السالك لها ، كما أقول: ليل نائم أريد أنه نائم فيه ، وأحمل التذكير على المعنى ، لأنَّ الثغرة والثغر والموضع واحدٌ في المعنى ؟ (فالجواب) : أنك إن حملته على هذا لم يمتنع أن يكون كاللها حالاً من اللام التي في السالك المنتصب . وإن جعلت اليقظان على هذا الذي ذكرته من الاتساع جاز أيضاً في الكالي أن تجعله حالاً مما في السالك ، مما يعود إلى اللام . ألا ترى أنك إذا جعلت اليقظان وصفاً للثغرة ولم تجعله صفةً للام لم تتم الصلة ، وإذا لم تتم ولم يكن في الكلام شيء يؤذن بتامها من صفة لها أو عطيف عليها أو تأكيد يتبعها ، لم يمتنع أن تجعل كاللها حالاً من الضمير كما وصفنا . فإن رفعت كاللها ورفعت السالك ، جاز أن يكون السالك ابتداءً مثل الضارب هنداً حافظها . فإن نصبت السالك ورفعت كاللها كان ارتفاع كاللها باليقظان ، كأنه قال : السالك الثغرة المتيقظ كاللها ، كأنه ثغر مخوف ، يحتاج حافظه أن يكون متيقظاً حذراً لا يغفل ولا يدع التحرر من شدة الخوف فيها . ويجوز أن ترفع اليقظان وتنصب السالك وكاللها ، فيكون اليقظان بدلاً من الذكر العائد إلى الألف واللام في السالك ، فيكون كاللها حالاً من السالك . انتهى كلام أبي على .

وبعد خمسة أبيات قال :

(فاذهب فأنت فتى في الناس أحرزه

من حتفه ظلم دُعج ولا جبل)

هذا الاستفهام معناه النفى ، ولذلك عطف عليه قوله: ولا جبل . وهذا المعنى استشهد العلماء بهذا البيت ، منهم الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَمَالَنَا أَنْ لَا نَفَاتِلَ ﴾^(١) ، وقال : هذا البيت مما حمل على معنى هو مخالف لصاحبه فى اللفظ ، أى ليس يُحرز الفتى من يومه ظُلمٌ دُعِجٌ ولا جبل . قال : ومثله قول الشاعر^(٢) :

* ألا هل أخو عيش لذيدٍ بدائم^(٣) *

أى ما أخو عيش . ومثله فى قراءة عبد الله : ﴿ كيف يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةٌ ﴾^(٤) ، أى ليس للمشركين .

وقال الكسائى : سمعت العرب تقول : أين كنت لتنجو منى ؟ أى ماكنت لتنجو منى^(٥) . وذكر له نظائر كثيرة .

ولهذا أيضا أورده ابن هشام (فى مغنى اللبيب) فى الواو العاطفة . وأحرزه بمعنى جعله فى حِرز يمنع من الوصول إليه . ومن حتفه متعلق به . والحتف: الهلاك . والظُّلمُ بضمة ففتحة : جمع ظلماء ، وهى الليالى السُّود . والدُّعج: جمع دعجاء ، وهى الشديدة السُّود . والعرب تسمى الليلة الأولى من ليالى المَحاقِ الثلاثة فى آخر الشهر : دعجاء، وهى ليلة ثمانية وعشرين؛ والثانية: السرار بالكسر؛

(١) الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٢) هو الفرزدق ، ديوانه ٨٦٣ .

(٣) صدره فى الديوان ومعانى الفراء ١ : ١٦٤ ؛

» يقول إذا اقلوبى عليها وأقردت »

والثالثة : الفلثة ^(١) بالفاء ، وهى ليلة الثلاثين . والجَبَل بالجيم
والموحدة ، وروى : « الحِيل » بكسر المهملة ، جمع حيلة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الثلاثئة :
٣٣٣ (وَذُبِّيَانِيَّةٌ أَوْصَتْ بَنِيهَا بِأَنْ كَذَبَ الْقَرَاظُفُ وَالْقُرُوفُ)
على أَنَّ الكذب مستَهْجَنٌ عندهم ، بحيث إذا قصدوا الإغراء بشيء
قالوا : كذب عليك ^(٢) . أى عليكم بهما فاغتموهما .

٢٩٠

وقد بيّنه الشارح المحقق فى باب اسم الفعل ، بأوضح من هذا ، ونريد
هناك ما قيل فيه ، إن شاء الله .

قال الزمخشري (فى الفائق) عن أبى عليّ : هذه كلمة جرت مجرى
المثل فى كلامهم ، ولذلك لم تُصَرَّف ، ولزمت طريقة واحدة فى كونها فعلاً
ماضياً معلقاً بالمخاطب ليس إلّا ، وهى فى معنى الأمر ، كقولهم فى الدعاء :
رحمك الله .

والمراد بالكذب الترغيب والبعث ، من قول العرب : كَذَبَتْهُ نَفْسُهُ ، إذا
منته الأمانى وخيَّلت إليه الآمال مما لا يكاد يكون ^(٣) . وذلك ما يرغب الرجل
فى الأمور ، ويبعثه على التعرُّض لها . انتهى .

ومضر تنصب بكذب ، وأهل اليمن ترفع به . قال ابن السكيت :
يرفعون المُعَرِّى به ، ومن نصب فعلى الأمر والإغراء .

(١) ط : « الفلثة » بالباء ، صوابه فى ش . وانظر تعليل تسميتها بالفلثة فى اللسان (فلت) .

(٢) أمالى ابن السجرى : ٢٦٠ والسمط ٤٨٤ واللسان (كذب ، قرطف ، قرف) .

(٣) فى الفائق ٢ : ٤٠٢ : « وخيَّلت إليه من الآمال مالا يكاد يكون » .

وأورد صاحب (الكشاف) هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ (١) على أَنَّ وَصَّى يَجْرَى مَجْرَى أَمَرَ بمعنى وَتَصَرَّفَا .
و(القراطف) : جمع قَرَطَفٍ كجعفر ، وهو القطيفة ، أى كساء مُحْمَل .
و(القُروف) : جمع قَرْف بفتح فسكون ، وهو وعاءٌ من جلد يدبغ بالقرفة بالكسر ، وهى قُشور الرِّمَّان ، ويُجْعَل فيه الخَلْع يطبخ بتوابل فيفَرِّغ فيه .
والخَلْع بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام : لحم يُطبخ بالتوابل ثم يجعل فى القَرْف ، ويُتْرَوَد به فى الأسفار . والواو واو رُبِّ . يقول : رب امرأة ذبيانية أمرت بنىها أن يستكثروا من نهب هذين الشيعة إن ظفروا بعدوهم وغنموا ، وذلك لحاجتهم وقلة ما لهم . كذا فى (أبيات المعانى لابن قتيبة) (٢) وفى (نوادر ابن الأعرابى) .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لمعقّر البارقيّ ، مدح بها بنى ثُمير وذكر مافعلوا بنى ذبيان بشعب جبلة ، وهو يومٌ كانت فيه وقعة بين بنى ذبيان و [بين] بنى عامر ، فظهرت بنو عامر على بنى ذبيان فى ذلك اليوم .
وثُمير : أبو قبيلة من قيس ، وهو ثُمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وكان معقّر حليفاً لهم ، وذكر مافعلوا بنى ذبيان .
أبيات الشاهد وبعد هذا البيت :

(تجهّزهم بما استطاعت وقالت بنى ، فكلّكم بطلٌ مُسيّف
فأخلفنا مودّتها فقاظت وما فى عينها حيلٌ تطوف)
وبنى منادى ، أى يابنى . والفاء فى « فكلّكم » فصيحة ، أى إن تغزوا فكلّكم إلخ .

(١) العنكبوت ٨ .

(٢) انظر المعانى الكبير ٣٨١ ، ٨٠٤ .

قال ابن قتيبة وابن الأعرابي : المسيف الذى ذهب ماله ووقع فى إبله السَّوَّاف . يقال أساف الرجل ، أى هلك ماله . والسَّوَّاف بالفتح وقيل بالضم : مرض المال وهلاكه . يقال : وقع فى المال سَوَّافٌ ، أى موت . تعنى أنَّ أولادها فقراء . تحرَّضهم على الغنيمة .

وقوله : « فأخلفنا مودَّتْها » الخ أى أخلفنا هواها ، وخيَّنا مأمولها . وقاظت : أى أقامت فى القِيْظ ، وهو الصَّيْف . والحَذِل بفتح الحاء المهملة وكسر الذال المعجمة : الموق الذى فيه بئر وحُمْرة . والمَأْقَى : لغة فى الموق ، وهو طرف العين ناحية الأنف . ونَطُوفٌ أى سائل . يقال نطف الماء ينطُف بالضم والكسر ، إذا سال .

ومعقَّر بضم الميم وفتح العين وتشديد القاف المكسورة ، وهو معقَّر بن معقَر بن أوس بن حمار ، على لفظ واحد الحمير ، ابن الحارث بن حِمار ^(١) بن شِجْنَةَ بن مازن بن ثعلبة بن كنانة بن بارق ، وهو لقبٌ ، واسمه سعد .

قال صاحب (العباب) : وبارق: أبو قبيلة من اليمن ؛ واسم بارق سعد بن عدى بن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء الأزدى . قيل : بارقٌ ٢٩١ فى الأصل جبلٌ باليمن نزل به بنو عدى بن حارثة فسُمُّوا به .

وكان قوم معقَّر قد حالفوا بنى نَمِر بن عامر فى الجاهليَّة ، لدمِ أصابوه منهم ، وشهدوا يوم جبلة ، وكان ^(٢) معقَّر قد كُفَّ بصره ؛ وكان قبل ذلك

(١) فى المُوْتَلَف ٩٢ : « معقَر بن الحارث بن أوس بن حمار » . وفى الأغالى ١٠ : ٤٤ : « معقَر بن

أوس بن حمار » . وفى ١٠ : ٤٥ : « واسمه سفيان بن أوس . يعنى أنَّ « معقرا » لقب له سُمى به لقوله :

لها ناهض فى الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

(٢) وكان ، ساقطة من ش .

من فرسان قومه وشعرائهم ، المشهورين يوم جَبَلَة ، وكان قبل الإسلام بتسع وخمسين ^(١) سنة ، قبل المولد الشريف النبوى بتسع عشرة سنة . كذا فى الأغاني للأصبهاني .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الثلاثمائة ^(٢) :
 ٣٣٤ (وليل يقول الناس من ظلماته سواءً صحيحات العيون وغورها
 كأن لنا منه بيوتاً حصينةً مسوحاً أعالها، وساجاً كسورها)
 على أن مسوحاً وساجاً نعتان لقوله : بيوتاً . وصحَّ النعت بهما مع أن
 كلاً منهما ^(٣) اسمُ جوهري ، أى جسمٌ ، لتأويلهما بالمشتق . فالأول يؤوّل
 بسُوداً ، والثاني بكثيفاً .

قال ابن مالك : رفع الأعالى والكسور بمسوح وساج ، لإقامتهما مقام
 سود .

وقال السيرافي : ذهب بمسوح إلى سُود ، وبساج إلى كثيف . انتهى .
 وأورد ابن جنى هذا البيت (فى إعراب الحماسة) مع نظائر له ثم قال :
 وهذا يدلُّك مِنْ مذهبها ^(٤) على أنَّها إذا نقلت شيئاً من موضعه إلى موضع
 آخر مكنته فى الثانى . ألا ترى أنَّ هذه الأشياء كلها أسماءٌ فى أصولها ، ولما

(١) ش : «خمسة وسبعين» ، ولا يستقيم . وفى معجم البلدان : (سبع وخمسين سنة وقبل مولد
 النبى ﷺ سبع عشرة سنة) . وفى العقد ٥ : ١٤١ : « وكان يوم شعب جيلة قبل الإسلام بأربعين سنة ،
 وهو عام ولد النبى ﷺ » .

(٢) حماسة ابن الشجرى ٢٠٤ وزهر الآداب ٧٥١ .

(٣) ط : «وصح النعت بها مع أن كلا منها» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٤) يعنى مذهب العرب .

نقلتها إلى أن وصفت بها مكنتها وثبتت أقدامها فيه ، حتى رفعت بها الظاهر ، وحتى أثنتها تأنيث الصفة ، وأجرتها على ما قبلها جريان الصفات على موصوفاتها . وعكس ذلك ما أخرج من الصفة إلى الاسم فممكن فيه ، نحو صاحب ووالد . ألا تراهم حموا كلامهم أن يقولوا فيه : مررت بإنسان صاحب ، حتى صار صاحب بمنزلة جار و غلام . انتهى باختصار .

(و) (المسوح) : جمع مسح بالكسر ، وهو اليلاس بكسر الموحدة وفتحها ، وهو فارسي معرب أورده الجواليقي (في المعريات) . وهو يُنْسَج من الشعر الأسود .

قال صاحب (الصحيح) : وأهل المدينة يسمون المسح بلاسا . ومن دعائهم : أَرَانِيكَ اللَّهُ عَلَى الْبُلْس ^(١) ! وهى غرائر كبار من مسوح ، يجعل فيها التبن فيشهر عليها من ينكل به ويُنادى عليه .

(والساج) بالجيم : ضرب من الشجر لا ينبت إلا بالهند والزنج ، يجلب خشبه ، وهو أسود . وإليه يشير تفسير الشارح له بالكثيف . والساج أيضا : الطيلسان الأخضر ، وهو ألوان متقاربة يطلق كل منها على الآخر . وهذا المعنى فسّر الساج ههنا .

قال غلام ثعلب (في كتاب اليوم والليلة) : يقال إن أشعر ما قيل في صاحب الشاهد في الظلمة قول مضرّس . وأنشد هذين البيتين . ثم قال : يريد الطيلسان .

وكذلك قال الشريف ضياء الدين هبة الله على بن محمد بن حمزة الحسيني (في الحماسة) التي صنّفها كحماسة أبي تمام ، وزاد عليه أبواباً كثيرة ، وأورد

(١) في اللسان : « البلس » بفتححتين . والصواب أن يكون بضمين جمعاً ليلاس .

فيها أشعاراً جيدة ، وقد أجاد في الاختيار والنقد عندما أورد هذا الشعر فيها .
وعلى هذا يؤول الأول بسودا كثيفة ، والثاني بأسود لطيف .

وإلى هذا أشار الحُصْرِيُّ (في زهر الآداب) بعد ما أورد البيتين بقوله :
أراد أن أعلاه أشدُّ ظلاماً من جوانبه . وهذا معلومٌ حسّاً ، فإن الإنسان إذا
كان قائماً في الظلام لا يكاد يرى شيئاً ، وإذا لَطِىءَ بالأرض فرمًا رأى شيئاً . ٢٩٢

و(الكسور) : جمع كَسَرَ بكسر الكاف ، وهو أسفل شُقَّة البيت التي
تلى الأرض من حيث يُكسر جانباه ، من يمينك ويسارك . وفي جميع نسخ
الشرح : « ستورها ^(١) » بدل كسورها ، والظاهر أنه تحريف من الكتاب .
و(البيوت) : جمع بيت ، قال ابن الأنباري (في شرح المفضليات) : البيت
عند العرب هو ما يكون من صُوف أو شَعَر ، والخيمة لاتكون إلا من شجر .
وضمير أعاليها وكسورها راجعٌ للبيوت . شبه الليل بالبيوت الحصينة ،
للتحصين بهول الظلام ، فإنه لايقدر أحدٌ أن يهجم على أحد .

وقوله : (وليل يقول الناس) إلخ ، من للتعليل ، (سواء) خبر مقدم ،
و(صحيحات) مبتدأ مؤخر ، والجملة مقول القول . أى العيون الصحيحة
والعيون العور سواء في عدم رؤية شيء لتكاثف الظلام . وروى : (بصيرات
العيون) . والواو في ليل هي واو رَبِّ ، وجوابها : تجاوزته في بيتٍ بعدهما ، وهو :
أبيات الشاهد (تجاوزته في ليلةٍ مدلهمةٍ يُنادى صداها ناقتى يستجيرها)

كأنه أراد بليلة قطعة منها . والمدلهمة : الشديدة السواد . وروى :

(١) ط : «سطورها» ، صوابه في ش .

* تجاوزته في همة مشمعة *

أى سريعة . والصدى من طيور الليل ، وهو ذكر البوم ، وإنما
استجار بناقته لتفاهم هول الليل ، فأراد أن يصحبها ليأمن . والأصل يستجير
بها ، فحذف ووصل . قال الشريف [صاحب الحماسة] : من أحسن
ماوصف به سواد الليل هذه الأبيات . وقبلها بيتان ^(١) في وصف اليوم وهما :
(ويوم من الشعري كأن ظبائه كواعب مقصور عليها ستورها
نصبت له وجهى وكلفت حميه أفانين خرجوج بطيء فتورها)

أى رب يوم من أيام طلوع الشعري ، وهو الكوكب الذى يطلع بعد
الجوزاء ، وطلوعه في شدة الحر . والكواعب : جمع كاعب ، وهى الجارية التى
يبدو ثديها للنهود . وقصرت الستر : أرخيته . شبه الظباء الكانسة من شدة
الحر بعدارى أرخى عليهن الستر لئلا يراهن أحد .

ونصبت له ، أى لذلك اليوم . ونصب الشيء : أقامه ، وهو جواب
رب . وكلف يتعدى لمفعولين أولهما : حميه ، أى حمى ذلك اليوم ، وهو
مصدر حميت الشمس والنار مثلاً ، إذا اشتد حرهما . وثانيهما : أفانين ،
وهو جمع أفنون بالضم ، وهو الجرى المختلط من جرى الفرس والناقة . كذا في
القاموس . والخرجوج ، بضم الحاء المهملة وجيمين أولاهما مضمومة ، وهى
الناقة السمينية ، وقيل الشديدة ، وقيل الضامرة الوقادة القلب . ويطيء بالجر
صفة سبيبة لخرجوج ، وفتورها فاعل بطيء ، والضمير لخرجوج . والفتور :
مصدر فتر من باب دخل ، إذا ضعف وتعب .

(١) ط : « وقيل بيتان » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

صاحب الشاهد وهذه الأبيات لمضر بن ربيعة ، وهو بكسر الراء وسكون الموحدة ، الأسد . وهو شاعر جاهلي . وهو بضم الميم وكسر الراء المشددة في اللغة : الأسد الذي يَمْضَغ لحم فريسته ولا يبتلعه . وقد مضرس فريسته تضريسا ، إذا فعل بها ذلك . وقال أبو عمرو : المضرس الذي قد جرب الأمور ، وقيل مشتق من المضرس ، أي قد نبئت ^(١) له ضيرس الحُلم .

مضر بن ربيعة وهذا نسبته من (المؤتلف والمختلف للآمدي) : مضرس بن ربيعة ، بكسر الراء وسكون الموحدة وتشديد الباء المكسور ما قبلها ، ابن لقيط بفتح اللام ، ابن خالد بن نضلة ، بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ، ابن الأشتر بن جحوان بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة ، ابن فقّس بن طريف بن عمرو بن قعين ، بضم القاف ، ابن الحارث بن ثعلبة بن دودان ، بضم الدال ، ابن أسد بن حزيمة . وهو شاعر محسن متمكن ، وهو القائل :

فلا تُهلكنَّ النفسَ لوماً وحسرة على الشئِ سَدَّاهُ لغيرك قادره ^(٢)
ولا تياسنَّ من صالحٍ أن تناله وإن كان بؤسا بين أيدي ثباده
وما فات فاتركه إذا عزَّ واصطبر على الدهر إن دارت عليك دوائره ^(٣)
فإنك لاتعطى امرأ حظَّ غيره ولا تعرف الشقَّ الذي الغيثُ ماطره ^(٤)
وربيعة : منسوب إلى الربيع . وأربع الرجل ، إذا وُلد له ولد وهو شابٌ .

(١) ط : «نبئت» ، صوابه في ش .

(٢) ط : «أسداه» ، وأثبت ما في ش والمؤتلف ١٩١ . وفي اللسان : « وإذا نسج إنسان كلاما أو أمرا بين قوم قيل : سدى بينهم » .

(٣) ط : والمؤتلف : «عن الدهر» ، صوابه في ش . وفي الكتاب العزيز : « واصطبر عليها » .

(٤) ويروى : « قاطره » كما في حواشي المؤتلف . وإلى هنا ينتهي نص المؤتلف .

وولده ريعي . وأصاف فهو مُصَيِّفٌ ، إذا ولد له بعد ما كبر . وولده صَيِّفٌ . قال
الراجز (١):

إِنَّ بَنَى صَبِيَّةً صَيْفِيُونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رَيْعِيُونَ
وذكر الأمدى شاعراً آخر اسمه مضرّس ، وهو مضرّس بن قرطه (٢) بن *
الحارث المزني ، شاعر محسن مُقِلٌّ ، وهو القائل :
وَأَقْسَمُ لَوْلَا أَنْ تَقُولَ عَشِيرَتِي صَبَاً بِسُلَيْمِي وَهُوَ أَشْمَطُ رَاجِفُ
لَخَفَّتْ إِلَيْهَا مِنْ [بَعِيدٍ] مَطِيَّتِي وَلَوْ ضَاعَ مِنْ مَالِي تَلِيدٌ وَطَارِفُ (٣)
ذَكَرْتُ سُلَيْمِي ذِكْرَةً فَكَأْتَمَا أَصَابَ بِهَا إِنْسَانٌ عَيْنِي طَارِفُ
أَلَا إِتْمَا الْعَيْنَانِ لِلْقَلْبِ رَائِدُ فَمَا تَأْلَفَ الْعَيْنَانِ فَالْقَلْبُ آلَفُ
وليس في الصحابة من اسمه مضرّس إلا مضرّس بن سفيان بن خفاجة .
كذا في الإصابة (٤)

* * *

وأنشد بعده :

(ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني)

وتماه :

* فمضيتُ ثُمَّتْ قَلْتُ لَا يَعْنِينِي *

وقد تقدم شرحه مستوفى في الشاهد الخامس والخمسين (٥).

* * *

(١) هو سعد بن مالك . انظر نوادر أبي زيد ٨٧ والمختص ٢ : ٤٩ .

(٢) وكذا في الموثلف بالطاء المهمة . وانظر سبط اللآلي ٨٩٣ .

(٣) في النسختين : «لحقت» صوابها من الموثلف . وكلمة : «بعيد» ساقطة من النسختين ، وثابتها من الموثلف .

(٤) الحق أن في الصحابة مضرّسا آخر . هو مضرّس بن عمرو ، الثعلبي ذكره ابن حجر برقم ٨٠٠٣ .

(٥) الخزائن ١ : ٣٥٧ .

وأنشد بعده :

(جاءؤوا بمدق هل رأيت الذئب قط)

وهذا أيضاً تقدم شرحه مفصلاً في الشاهد السادس والتسعين (١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الثلاثمائة ، وهو من

شواهد من (٢):

٣٣٥ (وَنَظَرَنَ مِنْ حَلِيلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ مَرَضَى مُخَالِطِهَا السَّقَامُ صِحَاحُ)

على أَنَّ مَخَالِطَهَا بِالْجَرِّ صِفَةٌ لِأَعْيُنٍ . قال سيبويه : سمعنا العرب تنشد هذا البيت جرّاً . ومرادُه الرُّدُّ على يونسَ في زعمه أَنَّ الوصف إذا كان للاستقبال يجب رفعُه على الابتداء ، ولا يجوز إتياعه لما قبله . فلو كان كما زعم لرفع الوصف ، فدلَّ روايةُ الجرِّ على جواز ما زعمه (٣).

ونصَّ سيبويه : وبعضهم يجعله نصبا إذا كان واقعا ، ويجعله على كلِّ

حال رفعا إذا كان غير واقع . هذا قول يونس .

٢٩٤

وكلام سيبويه هنا فيه غموضٌ ، وقد لخصه الشارح المحقق وبين المذاهب الثلاثة بالطفيف عبارة وأظهر بيان ، فله دُرُّه ، ما أحسن استنباطه وأجود تقريره .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لابن ميادة ، وقبلة :

قرين الشاهد (وَارْتَشَنَ حِينَ أَرْدَنَ أَنْ يَرْمِيَنَّا نَبْلًا بَلَا رِيشٍ وَلَا بَقْدَاجِ)

وقوله : وارتشن ، أى اتخذن ريشاً لسهامهن . وهذا على طريق المثل ، جعل أعينهن إذا نظرن بمنزلة السهام التى يُرمى بها . ونبلاً إمّا منصوب بارتشن بمعنى

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٢٧

(٣) أى لا على وجوه .

رشن ، وإمّا منصوب بإضمّار رشن ، كأنه قال : ارتشن فرشن نبلاً .
تقديره : اتخّذن ريشاً فرشن به نبلا . والقداح : جمع قِدَح بكسر القاف
وسكون الدال ، وهو عود السهم قبل أن يُوضع فيه النّصل والرّيش . وروى :
« نبلاً مقدّزة بغير قداح »

والمقدّزة : السهام التي لها قُدّة ، بضم القاف وتشديد الدال
المعجمة ، وهى ريش السهم . يريد أنّ السهام التي أصلحناها ورّمين بها ليست
بسهام من خشب ، وإمّا هى أعينهنّ إذا نظرن بها إلى إنسان . وتخلّل
الستور، بفتح الخاء المعجمة : الفرّج التي فيها .

وأورده الزجاج فى معانى القرآن عند قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ
خَلِيلًا ﴾ ^(١) قال : والتخلّل : كلّ فرجة تقع فى شيء ، فإنّ معناه نظرن من
الفرج التي تقع فى الستور . انتهى .

وروى : « من خلل الخدور » جمع خدر بالكسر ، وهو السّتر . وجارية
مخدّرة ، إذا أُلِزمت ^(٢) السّتر . أشار إلى أنّهنّ مصونات لا ينظرن إلّا من وراء
حجاب . والعيون المرضى : التي فى طرفها فتور ، وجعل ذلك الفتور والضّعف
الذى فى نظرها بمنزلة السّقام فيها وهى صحاح فى أنفسها لاعلة فيها . وإمّا
يفتر النظر من رطوبة الجسم والنّعمة والرّفّة . وصف نساءً يُصبن القلوب
بفتور أعينهنّ وحسنهنّ ، فجعل نظرهنّ كالسهم ، ووصف عيونهنّ بالمرض لفتور
جفونهنّ ، ثمّ بيّن أنّ فتورها من غير علّة . فقوله : ونظرن ، معطوف على قوله :
وارتشن ، ومن والباء متعلّقان به ، وذكر ^(٣) لأجل وصفها المذكور، وإلّا فالنظر

(١) الآية ١٢٥ من النساء .

(٢) ط : « لزمت » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) يعنى ذكر « العين » .

لا يكون إلا بالعين . ومريض : جمع مريض ، وصف الجميع بالجمع ، أو جمع مريضة . والسقام فاعل مخالط . والصحاح بالكسر : جمع صحيحة ، وهو وصف ثالث .

وابن ميادة شاعر إسلامي ، تقدّمت ترجمته في الشاهد التاسع عشر من أوائل الكتاب (١).

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الثلاثمائة ، وهو من شواهد س (٢) .

٣٣٦ (حَمَيْنَ العَرَاقِبَ العَصَا وَتَرَكْنَهُ بِهِ نَفْسٌ عَلِيٍّ مَخَالِطُهُ بُهْرٌ)
على أَنَّ مَخَالِطَهُ بِالرَّفْعِ صِفَةٌ لِنَفْسٍ ، وبهر فاعله ، والإضافة لفظية والتنوين مقدّر لنية الانفصال ، كالبيت السابق .

قال سيبويه : وإن أُلغيت التنوين (٣) وأنت تريد معناه جرى مثله منونا . ويدل على ذلك أَنَّكَ تقول: مررت برجل ملازمك ، فتجرّ ويكون صفة للنكرة بمنزلة (٤) إذا كان منونا . وتقول : مررت برجلٍ مَخَالِطٍ بدته أو جسده داء ، فإن أُلغيت التنوين (٥) جرى مجرى الأول إذا أردت ذلك المعنى ، ولكنك تُلغى التنوين (٦) تخفيفا . فإن قلت: مررت برجلٍ مَخَالِطٍ داء، وأردت معنى الأول جرى على الأول ، كأَنَّكَ قلت: مررت برجلٍ مَخَالِطٍ إياه داء. فهذا تمثيلٌ وإن كان يقبحُ في الكلام . فإذا كان يجري عليه إذا التبسَ بغيره ، فهو

(١) الخزائن ١ : ١٦٠ .

(٢) في كتابه ١ : ٢٢٧ . وانظر ديوان الأخطل ١٩٨ .

(٣) في سيبويه ١ : ٢٢٧ : «وإن أُلقيت التنوين» بالقاف .

(٤) ط : «بمنزلة» ، صوابه من ش و سيبويه .

(٥) في سيبويه : فال أُلقيت التنوين» بالقاف .

(٦) في سيبويه : «تلقى التنوين» بالقاف .

٢٩٥

إذا التبسَ به ^(١) أخرى أن يجرى عليه . انتهى .

وفي البيت ردٌّ على يونسَ في زعمه أنَّ الصفة إذا كانت للحال وجب نصبها على الحال ؛ فإنَّ الرواية برفع مخالطه على الإنباع ، مع أنه للحال لا للاستقبال . قال سيبويه : وأنشد غيره ، أي غير ابن ميادة من العرب ، بيتاً آخر ، فأجروه هذا المجرى ، وهو قوله :

* حمين العراقيب العصا وتركته *

والعمل الذي لم يقع والواقع الثابت في هذا الباب سواء ، وهو القياسُ وقولُ العرب . انتهى .

وظهر من هذا أنَّ قول الشارح المحقق : وأنشد غيره ، داخلٌ تحت مقول قول سيبويه ، وإن كان ظاهرُ العبارة يُوهم أنَّ المنشد غير سيبويه . وقوله أيضاً : « وليونس أن يحمل رفعه على الابتداء » هو تخريج الأعلم (في شرح أبيات الكتاب) . قال : « ويجوز أن يكون رفعهما على الابتداء والخبر » .

وقول ابن خلف : ولم ينصب مخالطه على الحال لأنَّ المخالطةَ فاعلها البهر ، ساقط ، وما المانع من كونه حينئذ حالاً سببيةً ، والعراقيب والعصا مفعولان لحمين ، وتركته معطوف على حمين بمعنى فارقه . وجملة (به نفس عال) ملحٌ حالٌ من الهاء . و(البُهر) بالضم : تتابع النَّفس من التعب . يعني أنَّه سِرٌّ شديداً فُتِنَ الحادى ، فحمين عراقيبهنَّ من ضربه بالعصا ، فأخذهُ البُهر لشدة عذوه خلفهنَّ . وقوله : « حمين العراقيب » جواب إذا في بيت قبله ، وهو :

(إذا أنزَر الحادى الكميشُ وقَوِّمَتْ

سوالفها الرُّكبانُ والحَلَقُ الصُّفُرُ)

(١) في السختين : « ألبس به » ، وأثبت ما في سيبويه .

وَأَنْزَرُ بِمَعْنَى لَبَسَ الْإِزَارَ . وَالْحَادَى : سَائِقُ الْإِبِلِ . وَالْكَمِيشُ : السَّرِيعُ
الْمَاضِي . وَقَدْ كَمِشَ بِالضَّمِّ كِمَاشَةً ، فَهُوَ كِمِشٌ وَكَمِيشٌ . وَقَوِّمَتْ : عَدَلَتْ .
وَالسَّوَالِفُ : جَمْعُ سَالِفَةٍ ، وَهِيَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ : الْهَادِيَةُ ، أَيْ مَا تَقْدَمُ مِنَ
الْعُنُقِ ، وَهُوَ مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ ، وَالرُّكْبَانُ فَاعِلٌ مُؤَخَّرٌ . وَالْحَلْقُ مَعْطُوفٌ عَلَى
الرُّكْبَانِ ، وَهُوَ جَمْعُ حَلَقَةٍ بِالتَّحْرِيكِ أَيْضاً ، وَأَرَادَ الْبُرَّةَ ، وَهِيَ حَلَقَةٌ مِنْ نَحَاسٍ
تُجْعَلُ فِي أَنْفِ الْإِبِلِ ، لِتَذْلِيلِهَا . وَالصُّفْرُ : التُّحَاسُ بِضَمِّ الصَّادِ وَكسرها .
وَصَفَّ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ سُرْعَةَ الْإِبِلِ .

صاحب الشاهد

وَهُمَا مِنْ قَصِيدَةٍ لِلْأَخْطَلِ ، وَهُوَ شَاعِرٌ نَصْرَانِيٌّ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ
وَمَا دِيحِيهِمْ . وَقَدْ تَقَدَّمَ تَرْجَمَتُهُ فِي الشَّاهِدِ الثَّامِنِ وَالسَّبْعِينَ (٢) .

وَأُنْشِدُ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ :
٣٣٧ (قُولُوا لِهَذَا الْمَرْءِ ذُو جَاءَ سَاعِيًا هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرِفِيَّ الْفَرَّائِضُ (٢))
عَلَى أَنَّ « ذُو » الطَّائِيَّةُ إِنَّمَا وَقَعَتْ وَصْفًا وَإِنْ كَانَتْ عَلَى حَرْفَيْنِ ،
لِمَشَابَهَتِهَا لَذُو الْمَوْضُوعَةِ لِلْوَصْفِ بِأَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ .

صاحب الشاهد

وَهَذَا الْبَيْتُ أَوَّلُ أَبِيائِثٍ ثَلَاثَةِ لَقَوَائِلِ الطَّائِي ، أَوْرَدَهَا أَبُو تَمَامٍ فِي الْحِمَاسَةِ .
(وَالسَّاعِي) : الْوَالِي عَلَى صَدَقَةِ الزَّكَاةِ . يُقَالُ سَعَى الرَّجُلُ عَلَى الصَّدَقَةِ
يَسْعَى سَعِيًا : عَمِلَ فِي أَخْذِهَا مِنْ أَرْيَابِهَا (وَهَلُمَّ) : أَقْبَلَ وَتَعَالَى . وَ (الْمَشْرِفِيُّ)
بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالرَّاءِ هُوَ السَّيْفُ ، نُسِبَ إِلَى الْمَشَارِفِ ، وَهِيَ قَرَى كَانَتْ السِّيُوفُ

(١) الْخِرَازَةُ ١ : ٤٥٩ .

(٢) انْظُرِ الْإِنْصَافَ ٣٨٣ وَالْأَشْمُونِي ١ : ١٥٧ وَالْحِمَاسَةَ بِشَرْحِ الْمَرْزُوقِيِّ ٦٤٠ .

تُصَنِّعُ فِيهَا . و (الفرائض) : جمع فريضة ، وهى الأسنان التى تصلح أن تؤخذ فى الصَّدَقَات . قال صاحب الصحاح : الفريضة ما فُرض فى السائمة من الصَّدَقَةِ ، يقال أَفْرَضَتِ الماشيةُ ، أى وجبت فيها الفريضة ، وذلك إذا بلغت نصاباً . يقول : أبغنا هذا الرجل الذى جاء لأخذ الصدقات : تعال (١) فإن لك عندنا السيِّفَ بدلاً من الفرائض .

٢٩٦ قال التَّبْرِيزى : وهذا مأخوذ من المثل السائر : « تُحْذُ من جِذْعٍ مَاءً عَطَاكَ » . وجذعٌ : رجل مُصَدِّقٌ ، فطلب منه فوق حَقِّهِ ، فقتله جذعٌ . (وإنَّ لنا حَمَضاً من الموت منقَعاً وإِنَّكَ مُخْتَلٌ فهل أنت حامضٌ) أى وقولا له : إنَّ لنا حَمَضاً ، بفتح المهملة ، وهو من النَّبَات ماله ملحوظ ومرارة . والخُلَّةُ ، بضم المعجمة : ما كان حلواً من النبات . تقول العرب : « الخلة تُخْبِزُ الإبل ، والحمضُ (٢) فاكهتها » ، ويقال لحمها . ومنه قولهم للرجل إذا جاء متهدداً : « أنت مختلٌ فتحمض » . المختلُّ : الذى يرمى الخلة . قال التَّبْرِيزى : وما فى البيت مثل ؛ يقول : قد ملئت العافية والسَّلامَةَ ، هلم إلى الشَّرِّ . والخُلَّةُ مثل ضربه للحياة ، والحمض مثل ضربه للموت . يقول : إن ضاق صدرك من الحياة فأتنى مصدقاً فإننى أقتلك . والمنقَعُ بزنة اسم المفعول : الثابت . يقال « انقع له الشرُّ حتى يسأم » ، أى أدِمَّهُ . (أظنُّكَ دونَ المالِ ذو جئتَ تبتغى ستَلْقَاكَ بيضٌ للنُّفوسِ قوايضُ)

المال : الماشية ، ودون متعلق بأظنك لا بجئت ولا بتبتغى ، لأنَّ معمول

(١) ش : « يقال » ، تحريف ما فى ط . وفى شرح الحماسة : « أقبل وتعال » .

(٢) ط : « والحمضة » ، صوابها فى ش .

الصلة لايتقدّم على الموصول ، وذو هو المفعول الثانى للظن ^(١) بمعنى الذى .
والبيض : السيوف . أراد التهكم ، وقد خلط به التوعّد والاستهانة ، ولذلك
قال : أظنك . وتبتغى جملة حالية ، ومفعوله محذوف ، والمعنى أحسبك الذى
جاء دون المال تبتغى صدقاته ، سترى ما أهينك لك من سيوف تنتزع
الأرواح .

وقول الطائى بفتح القاف وتشديد الواو : شاعرٌ إسلاميٌّ فى آخر الدولة
الأموية ، وقد أدرك الدولة العباسية .

وقال هذه الأبيات فى مصدّق جاء يطلب منهم إبل الصدقة . وسببها هو
خبر الأبيات
مارواه أبو ريش (فى شرح الحماسة) قال : كان من خبر هذه الأبيات أن
معدان بن عبيد بن عدى بن عبد الله ، حدّث أنه تزوّج امرأةً من بنى بدر
بن فزارة ، قال : وكان شبابٌ من بنى بدر يزوروننا ، فأدرك الثمار فاجتمعوا على
نبيذ لهم مع شباب منا ، فأسرع فيهم الشراب ، فوقع بينهم كلام ، فوثب
غلامٌ منا فضرب شاباً من بنى بدر فشجّه فمات منها ^(٢) ، فقلت للبدرين :
لكم دية صاحبكم . فأبوا إلا أن يُدفع الطائى إليهم ، وأبيت أن أفعل ، فأتوا
صاحب المدينة فى ذلك ، وكنا قد منعنا الصدقة حين وقعت الفتنة ، فكتب
أميةٌ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان عاملٌ صدقة الحليفين : طييء
وأسد ، إلى مروان الحمار آخر ملوك بنى أمية ، يخبره بمنعنا الصدقة وقتلنا
الرجل ، فكتب إليه : أن سير إليهم جيشاً . وكتب إلى : أن مكّن البدرين من
صاحبهم ، وأدّ الصدقة ، وإلا فقد أمرت رسولى أن يأتينى بك ، وإن أبيت
أتانى برأسك ، ثم والله لأبيلن الخيل فى عرصاتك ! فأمرت بضرب عنق

(١) ش : « لظن » .

(٢) وكذا عند التبريزى . والمراد : من الشجّة .

الرسول . فقال الرسول : إن الرسول لا يقتل ، وإنى لأسير فيكم يامعشر
طيء استحياء ! فقلت : قد صدقت ، وخلصت سبيله ، وقلت له : قل
لمروان : آليت ثبيل الخيل في عرصاتي وبينك رمل عالج^(١) ، وعديد
طيء حولى ، والجبلان خلف ظهري ، فاجهد جهذك ، فلا أبقي الله عليك
إن أبقيت . وكتبت إليه :

ألا مَنْ مبلغ مروان عني على ماكان من نأي المزار
ألم تر للخلافة كيف ضاعت إذا كانت بأبناء السري
إذا كانت بذى حُمق تراه إذا ماناب أمر ، كالحمار
وكتب إليه غالب بن الحر الطائي :

لقد قلت للركبان من آل هاشم ومن عبد شمس والقبائل تسمع
قفوا أيها الركبان حتى تبينوا ويأتيكم الأمر الذي ليس يدفع
وحتى تروا أين الإمام وتشعبوا عصا الملك إذ أمسى وبالملك مضيع
أرى ضيعةً للمال أن لا يضمه إمام ولا في أهله المال يودع

فكتب إلى عبد الواحد بن منيع السعدي من سعد بن بكر ، وإلى
أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان : أن سير بأهل الشام وأهل المدينة وأهل
البوادي وقيس وغيرهم ، إلى معدان حتى تأخذوا منه الصدقة وتقيدوا البدرين
من صاحبهم ، وأوطئوا الخيل بلاد طي واثنوني بمعدان ! فسار أمية في ثلاثين
ألفاً من أهل المدينة والشام والوادي ، من قيس وأسد ، وبعث إلى كل

(١) ط : « عاجل » ، صوابه في ش وشرح التبريزي للحماسة في مقطوعة أدهم بن أبي الزراء

صاحب دَخل ودِمنة^(١) يطلبها في طييء ، وقَدَّم على مقدَّمته رجلاً يقال له الحريز بن يزيد بن حَمَل ، من الضُّباب ، وثارت قيسٌ تطلب الثَّار من طييء . قال معدان : وكنت في اثني عشر ألفاً ، فلما انتهيت إلى عسكر أمية إذا جبال الحديد وعسكرٌ لا يرى طرفاه ، فرفع طييءُ النار على أجباً فاجتمعوا ، فبحروا الجُزر وعملوا من جلودها دَرَقاً ، وطَعَمُوا من لحومها ، فقلت : يا بني تحيرى ويامعشر طييء ، هو والله يؤمكم لبقاء الدَّهر أو الهلاك ، فإذا وَقَعَ النَّبْلُ عندكم فقبَّح الله أجزعَ الفريقين ! فصاففناهم فرموا بالنَّبل ، ثمَّ شددنا عليهم شدَّة رجل واحد ، فما كان إلَّا سيفُ أوسيفان حتَّى قُتل الحريزُ وسيرحانُ مولى قيس ، واستحرَّ القتلُ في قيس لأتَّهم حامواً عن الحريز ، وكان يلي المعادن^(٢) ، فقتل من قيس ثلثائة ، وانهزموا أقبحَ هزيمةٍ وأسوأها ، فأُنيثُ بأُميَّة أسيراً فخلَّيت سبيله ، وأُتيت بجاريةٍ له فألحقها به إلى المدينة ، وناديت أن لا يتبعوا مُدبراً ولا يُجهزوا على جريح ، وإنَّ الكتابَ الذي كتبه مروان لفي أيدينا مانحسَن أن نقرأه ، وجَدناهُ في متاعه ، حتَّى قرأه بعضُ فتباني فإذا فيه : اقتل واسب . وبالله لو كنتُ علمتُ ما في الكتاب ماأفلت منهم صبي ! فكتب صاحبُ المدينة إلى مروان يخبره بما صنعتُ طييء من قتل الحريز وسيرحان ، وأسَر أمية وقتل ابنه ، ومالقيت قيس ، ومن أجاب دعوته . فوجَّه مروان من عنده ابن رباح العَسَّافى^(٣) في عشرة آلاف ، فكتب ابنُ هبيرة إلى مروان بقتل ابن ضُبارة وفُصول قحطبة متوجَّهاً من الرى . فقال : ماتصنع

(١) الدمنة : الحقد الذى يذمن الصدر ويفسده .

(٢) المعادن : المواضع التى يستخرج منها جواهر الأرض ، والمشهور فى ذلك معادن القبلية من

نواحي الفرع بالمدينة .

(٣) فى شرح التريزى : ا ابن رباح « بالياء التحتية المنشاة .

بشغل عشرة آلاف في قتال أعراب طييء ١ فصرفهم إلى ابن هبيرة .
قال معدان : وكتبْتُ إلى قحطبة وبعثْتُ رسولاً فوافقه بهمدان (١)
والجيشُ بنهاوند ، فكتب إلى يسدّد رأيي ويصوبُ أمرى ، ويُخبر أنه لو قدم
الكوفة بعث إلى جندا .

ثم كان من أمر قحطبة ماكان ، وقام أبو العباس السّفّاح فقَدِمت إليه
في مائتي رجل من طييء ، فأمر لي بعشرين ألف درهم ونِجْلعة ، وأمر
لأصحابي بثلاثمائة ثلاثمائة ، وخصّ قوماً نحواً من ثلاثين رجلاً بخمسمائة درهم
لكلّ رجل ، ولعشرةٍ منهم بألفٍ لكلّ رجل ، فوالله ما رزأنا مروان ولاجنده
ولا عمّالَه شاةً ولاعيراً ، وإنّا لأوّل من نَقَم عليه ونَصَرَ آل محمد ، حتى انتهى
إلينا صاحبنا قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان ، ولجأ إلى يومئذ فراراً من
الحرب عبد العزيز بن أبي ذهل الجعفرى ، وكنا أخواله ، فقال عبد العزيز يمدح
معدان في قطعة :

وإنّ امرأ معدان في الحرب نخاله إذا ما احتنى من دونه لمنيع (٢)
وقيل أشعار كثيرة في تلك الوقعة ، أورد بعضها أبو تمام في
الحماسة (٣).

» » »

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الثلاثئة ، وهو من
أبيات سيبويه (٤) :

(١) ط : « بهمدان » ، صوابه في ش ، وهو بالذال المعجمة اسم لبلدة المعروفة لا للقبيلة .
(٢) ط : « ما اجتني » ، وأثبت ما في ش مع أثر نصحيح . وفي التهذيب : « احتنى » .
(٣) يشير إلى الأرجوزة البائية التي أولها :
قد صبحت معن بجمع ذى جب قيسا وعبدالههم بالمنتخب
(٤) في كتابه ١ : ٢٢٢ .

٣٣٨ (ولا تجعلني ضيفاً مقرباً وآخر معزولاً عن البيت جانباً)

على أنه يجوز القطع إلى الرفع في خبر نواسخ المبتدأ ، فإنَّ جَعَلَ هنا بمعنى صَيَّر ، من نواسخ المبتدأ والخبر ، ينصبهما على المفعولية ، وضيفُ المفعول الأول وهو في الأصل مبتدأ وهي مثنى مضاف إلى ياء المتكلم ، وضيفٌ مقربٌ وآخر ، بتقدير وضيفٌ آخر ، كانا في الأصل منصوبين على أنَّهما مفعولٌ ثانٍ لَجَعَلَ ، وفُوقَ بينهما بالعطف لأجل وصف كلٍّ منهما بصفة تغاير صفة الآخر ، فقطعاً من المفعولية إلى المبتدأ ، فيكون الخبر محذوفاً ، أى منهما ضيفٌ مقربٌ ، ومنهما ضيفٌ آخر إلخ . أو هما خبران محذوفان ، أى أحدهما ضيفٌ مقربٌ وثانيهما ضيفٌ آخر إلخ . وجملة المبتدأ والخبر في محل نصب على أنَّها المفعول الثاني لجعل .

قال سيبويه بعد إنشاده هذا البيت: والنصبُ جيّدٌ كما قال الجعديّ:

وكانت قشيراً شامتاً بصديقها وآخرَ مزرباً عليه وزارياً

قال الأخفش: يعنى النصب في ضيف على البدل . ورفع جانب بتقدير: هو

جانب .

أقول: صوابه النصب على أنه مفعولٌ ثانٍ لا على البدل ، وشامتاً في البيت

نصبٌ على أنه خبر كان . ولم يجعل الكلام تبعيضاً ، ولو رفع شامتاً لكان التقدير منهم شامتٌ ، والجملة حينئذٍ خبرٌ كان .

هجاً قشيراً، وهي قبيلةٌ من بنى عامر، وكان بينه وبينها مهاجاة، فجعل

منهم من يشمت بصديقه إذا نكب . وجعل بعضهم يرزاً بعضاً ^(١) ، للؤمهم واستطالة قويهم على ضعيفهم . وبنى مرزياً على تخفيف الهمزة ، ولو بناه على الأصل لقال مرزوعاً ^(٢) . وجانب بمعنى المجانب والمتنحى .

والبيت للعجبر السلولى خاطب به امرأته . يقول لها : سوى بين صاحب الشاهد ضيفي في التقريب والإكرام ، ولا تكرمي بعضاً وتهينى بعضاً .

والعجبر ، بضم العين المهملة وفتح الجيم ، كنيته أبو الفرزدق : وقال العجبر الساولى الآمدى (في المؤلف والمختلف) : هو مولى لبنى هلال . ويقال هو العجبر ابن عبد الله بن عبدة ، بفتح العين وكسر الموحدة ، ابن كعب . وأنهى نسبه إلى مرة بن صعصعة . قال : وهم سلول ^(٣) . انتهى .

وفي الأغاني ^(٤) : العجبر بن عبد الله بن عبدة بن كعب ، ويقال ابن عبدة بضم العين ، واسمه عمير ، من بنى سلول بن مرة بن صعصعة ، أخى عامر بن صعصعة . وأُم بنى مرة سلول بنت ذهل بن شيان بن ثعلبة ، غلبت عليهم ومها يعرفون . ويكنى العجبر أبا الفرزدق ، وأبا الفيل . شاعر من شعراء الدولة الأموية ، مُقِلٌ إسلامي . انتهى .

(١) ط : « يبرى بعضاً » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « مرزاً » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

وهذا كله لا يتسق إلا مع رواية الشنتمري لآخر البيت : « مرزياً وآخر رازياً » والذي في نسخ سيبويه وكذا الديوان ١٧٨ : « مرزياً عليه وزارياً » ، من الزراية .

(٣) المؤلف ١٦٦ . وفي جمهرة ابن حزم ٢٧١ : « بنو مرة بن سلول — وهم أهمهم — ابن صعصعة بن معاوية » . ثم قال : « سلول هذه بنت ذهل بن شيان بن ثعلبة » . فبنو مرة هؤلاء هم بنو سلول .

(٤) الأغاني ١١ : ١٤٦ .

٢٩٩

قال ابن السَّيِّد (في شرح أبيات الجمل) : عُجَيْر : اسمٌ منقول .
ويَحْتَمِلُ أن يكون مصغراً عَجْرَ من قولهم : عجر عنقه إذا لواها ، ويَحْتَمِلُ أن
يكون مصغراً مرَّحماً ، من أعجر ، وهو النَّاقِءُ السَّرَّة . وأما سَلُولُ فاسمٌ
مرتجل غير منقول . انتهى .
وله خبرٌ مع بنت عمِّه ، يأتي إن شاء الله تعالى في باب الجوازِم (١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الثلاثئة ، وهو من
أبيات سيبويه (٢) :

٣٣٩ (فأصبحَ في حيثُ التقينا شَرِيدَهُم

طَلِيقٌ ومكتوفُ اليدين ومُزَعَفُ)

لما تقدَّم في البيت الذي قبله ، من أنه يجوز القطع إلى الرفع في خبر
النواسخ ، فإنَّ أصبحَ هنا من أخوات كان ، وشريدَهُم اسمها ، وطلِيق ومابعده
كان في الأصل منصوباً على أنَّه خبر أصبح ، ففُطِعَ عن الخبرية وُرفِعَ على أنَّه
مبتدأ وخبره محذوف ، أى منهم طليق ومنهم مكتوف إنلخ ، أو خبر لمبتدأ
محذوف ، أى بعض الشريد طليق إنلخ . والجملة في محلِّ نصب على أنَّها خبر
أصبح ، ويجوز أيضاً النصب كما قال سيبويه ؛ فيقال طليقا ومكتوفا ومزعفا .
فإن قلت : أيجوز أن يكون طليق مقطوعاً عن الحالية ويكون خبر
أصبح قوله : في حيثُ التقينا ؟

قلت : لا يجوز معنىً ، فإنَّ المقصود تقسيم الشَّريد وتبيين أنواعه بما
ذكر ، لا أنه ذكر في موضع الالتقاء .

(والشريد) واحدٌ يُؤدَّى معنى الجمع ؛ لأنه واقعٌ على كلِّ من شَرَدته

(١) في الشاهد السابع والتسعين بعد الستمائة ، وهو :

وما ذاك أن كان ابن عمى ولا أخى ولكن متى ما أملك الضر أنفع

(٢) في كتابه ١ : ٢٢٢ . وانظر ديوان الفرزدق ٢٩٩ .

الحرب ، فهو يعمُّ ما ذكر . قال الأخفش : يريد : أصبحوا منهم قتيلاً ومنهم مكتوف ، لا أنَّ الشَّريدَ وحده اجتمع فيه مذكره . وقال ابن خلف : لا يصحُّ أن يكون في حيث التقينا خبر أصبح ، لأنَّ ظرف الزمان لا يصحُّ أن يكون خبراً عن الجئة . وهذا سهو ؛ لأنَّ حيث للمكان ، لا للزمان . و(الشريد) : الطريد . و(الطليق) : الأسير الذي أطلق عنه إيساره . والإسار ، بالكسر : القيد ، ومنه سمِّي الأسير ، لأنهم كانوا يشدُّونه بالقيد ، ثم سمِّي كلُّ أُخيدٍ أسيراً وإن لم يشدَّ به . و(المكتوف) من كتفت الرجل ، إذا شددت يديه إلى خلف بالكتاف . قال ابن دريد : الكتاف بالكسر : حبْلٌ يشدُّ به وظيفُ البعير إلى كتفيه . و(المرعف) بالزاي المعجمة والعين : اسمٌ مفعولٍ من أزغفته . قال الأصمعي : أزغفته وازدغفته ، إذا أقعصته . يقال ضربه فأقعصه أى قتله مكانه . وقال الخارزنجي : أزغت عليه ، إذا أجهزت عليه وتمت قتله . وقال الأعمش : رواه حملة الكتاب « مُزِعِف » بكسر العين ، ومعناه : ذو زُعَافٍ ، أى ذو صرْعٍ وقتل ، وليس بجارٍ على الفعل . وقال ابن خلف : ورواه غيرهم بفتح العين ، من أزغفه الموت إذا قاربه ، وهو مأخوذ من قولهم : موت زُعَافٍ وذُعَاف ، أى مُعَجَّلٌ . انتهى .

وإلى هذا ذهب الشارح المحقق . قال الصَّاعاني (في العباب) : زغفه يزغفه زَعُفاً من باب منع ، أى قتله مكانه . وسمُّ زعافٍ وذُعَافٍ بضم المعجمتين ، أى قاتل .

وهذا البيت من قصيدة طويلة ، عدتها مائة وخمسة وعشرون بيتاً ، صاحب الشاهد للفرزدق ، وقد تقدمت ترجمته في الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب (١) .
وهي قصيدة افتخارية هجا في آخرها . ومنها وهو قبل البيت :

(١) الجزء الأول ص ٢١٧ .

(وأضياف ليل قد نقلنا قراهمُ إلينا فأتلفنا المنايا وأتلفوا
قريناهم الماثورة البيضَ قبلها يثجُّ العروق الأزائى المثقفُ
فأصبح في حيث التقينا شريدهم البيت)

٣٠٠ قوله : وأضياف ليل ، الواو واو رب ، والأضياف هنا كناية عن الأعداء
الهاجمين عليهم ليلاً . قال الصغاني في مادة تلف ، وقد أورد هذا البيت :
هؤلاء غزى غزوهم . يقول : فجعلناهم تلفاً للمنايا ، وجعلونا كذلك ، أى
وقعنا بهم فقتلناهم ، أى صادفنا المنايا متلفة وصادفوها كذلك ، كما تقول :
أتينا فلاناً فأبخلناه وأجبناه ، أى صادفناه كذلك . انتهى .

فالهمزة في أتلفنا للوجدان . وغزى في كلامه : جمع غازٍ مثل قاطن
وقطين ، وحاج وحجيج . أو هو بضم الغين وتشديد الزاى المفتوحة : جمع
غازٍ أيضاً ، كسابق وسبق .

وقوله : « قريناهم الماثورة » إلخ يقال قرئت الضيف قرى ، أى أحسنت
إليه . وهذا من قبيل الاستعارة التهكمية . قال صاحب الصحاح : الماثور :
السيف الذى يقال إنه من عمل الجن . قال الأصمعى : وليس من الأثر
الذى هو الفرند . والبيض : السيف أى البيض الماثورة . ونجعت الماء والدّم
بالجيم ، إذا سيلته ، فالعروق مفعول بتقدير مضاف ، أى دم العروق . والأزائى
فاعل . قال صاحب الصحاح : ذو يزن ملك من ملوك حمير تنسب إليه
الرماح اليزنية ، يقال رمح يزنى وأزنى ويزائى وأزائى . والمثقف : المعدل .
والتثقيف : التعديل . وقوله : « قبلها » ، أى قبل الماثورة البيض . يقول :
طاعناهم بالرماح قبل أن جالدهم بالسيف .

وفي هذه القصيدة شاهد آخر يأتي شرحه إن شاء الله تعالى في باب العطف (١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد الثلاثئة :
 ٣٤٠ (كَأَنَّ حُمُولَهُمْ لَمَّا اسْتَقَلَّتْ ثَلَاثَةٌ أَكَلِبٍ مُتَطَارِدَانِ)
 على أن بعضهم أجاز وصف البعض دون بعض ، محتجاً بهذا البيت .
 لم أر هذا البيت إلا في (كتاب المعاية للأخفش) ، وهو على طريقة
 أبيات المعاني . ونصّه : قال بعضهم : إنَّ هذا شعر وُضع على الخطأ ليعلم
 الذي يسأل عنه كيف فهم من يسأله . وقال بعضهم : لا ولكنه وصف
 اثنين منها وأخبر عنهما بتطارده ، وأجاز مررت برجلين صالح ، وصف أحد
 الرجلين وكف عن الآخر ، ومررت بثلاثة رجال صالحين . ولا يقول هذا كل
 أحد . وقد يحتمله القياس . انتهى كلامه .
 ويجوز أن يقرأ (متطاردان) باسم الفاعل ، وأن يقرأ (يتطاردان)
 بالمضارع . وعلى كل منهما هو وصف ثلاثة لكن بالغاء واحد منها . ويشبه
 هذا قول جرير :
 صَارَتْ حَنِيفَةً أَثْلَاثًا فُتِلُّهُمْ مِنَ الْعَبِيدِ وَثُلْتُ مِنْ مَوَالِيهَا
 قال ابن السيد (في شرح كامل المبرد) : هذا مما عيب عليه ، لأنّه لم يذكر
 الثالث .

قال الآمدي : لَمَّا قال جرير هذا البيت قيل لرجل من بني حنيفة :
 من أي الأثلاث أنت ؟ قال : من الثلث الملقى . انتهى .
 وأراد جرير بالثلث المتروك أشرافهم وترك الثالث عمداً ، لأنّه في مقام

الدم لا يثبت لهم أشرافاً صراحة . و(الحمول) بضم الحاء المهملة والميم ، هي الإبل التي عليها الهواذج ، كذا (في العباب) . و(استقلّت) : ارتفعت . واستقلّ القوم : ارتحلوا ومضوا . و(التطارد) ، و (المطاردة): أن يحمل بعضهم على بعض في الحرب . و (أكلب) : جمع كلب ، جمع قلة .

وفي هذا البيت مبالغة من الهجو ، فإنّ الإبل التي يعدونها عندهم كثيرة عدتها ثلاثة لاغير ، وإنّها صغيرة في الجثة جداً ، حتّى إنّها مع ماعليها في مقدار جرم الكلاب ، وإنها ليس عليها مايشقلها ^(١) من الأثاث والمتاع ، ولذلك تطاردت لطفة ماعليها ، وإنّ بعضها هزيل جداً لا يقدر على الطراد . هذا ماسنح لى ^(٢) ، والله أعلم .

٣١

* * *

وأنشد بعده :

(ويأوى إلى نسوة عطّل وشعثاً مراضيع مثل السعالى)
على أنّ الأعرّف مجيء نعت النكرة المقطوع بالواو .

وتقدّم عن الشارح في الشاهد الثالث والخمسين بعد المائة ^(٣) أنّ شعنا منصوب على الترحّم . قال سيبويه : كأنّه حيث قال نسوة عطّل صيرن عنده من علم أنّهن شعث ، ولكنه ذكر ذلك تشنيعاً هنّ وتشويها . قال الخليل رحمه الله : كأنّه قال : وأذكرهنّ شعنا ، إلّا أنّ هذا فعل لا يستعمل إظهاره . وإن شئت جررت على الصفة . وزعم يونس أنّ ذلك أكثر ، كقولك : مررت يزيد أنخيك وصاحبك . انتهى

(١) ش : « ليس عليها مما يقلها » .

(٢) ش : « سنح الى » .

(٣) الخزّانة ٢ : ٤٢٦ .

وفاعل يأوى ضمير الصياد ، أى يأتى مأواه ومنزله إلى نسوة بعد أن ذهب إلى الصيد ، فيجدهن فى أسوأ الحال . وعُطِلَ : جمع عاطل ، أى لاشيء عندها . والشعث : جمع شعثاء ، وهى المتغيّرة من الجوع ونحوه .
وتقدّم شرحه هناك مفصلاً فليرجع إليه .

* * *

وأُشِدَّ بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الثلاثائة ، وهو من شواهد س^(١) :

٣٤١ (لا يُبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيْبُونَ مَعَايِدَ الْأَزْرِ)

على أنّه يجوز قطع نعت المعرفة بالواو ، كما يجوز قطع نعت النكرة بها .
فقولها : والطيبون ، نعتٌ مقطوع بالواو من قومي للمدح والتعظيم ، بجعله خبر مبتدأ محذوف ، أى هم الطيبون . وإثما حكم بالقطع مع أنّه مرفوع كالمنعوت وهو قومي ، لقطع النازلين قبله ، لما ذكرنا أيضاً ، بجعله منصوباً بفعل محذوف تقديره أعنى أو أمدح ونحوهما . والعرب إذا رجعت عن شيء لم تعد إليه .
وقال ابن السكيت (فى أبيات المعاني) : قال ابن الأعرابي : النازلين تابع لقومي على المعنى ، لأنّ معناه النصب ، كأنه قال : لا يُبْعَدُ اللَّهُ قومي .

قال سيبويه (فى باب ما ينتصب على التعظيم والمدح) : وإن شئت جعلته صفةً فجرى على الأول ، وإن شئت قطعتاه فابتدأته ، وذلك قول الله عز وجل :

(١) فى كتابه ١ : ١٠٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٨٨ . وانظر الجمل ٨٢ واحتسب ٢ : ١٩٨ وأمال ابن الشجرى ١ : ٢٤٤ والإنصاف ٤٦٨ ، ٧٤٣ والعينى ٣ : ٦٠٢ / ٤ : ٧٢ والتصریح ٢ : ١١٦ ، ٢٠٤ والجمع ٢ : ١١٩ والأشتموى ٣ : ٦٨ ، ٢١٤ .

(لَكِنَّ الرَّاَسَخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ^(١)) . فلو كان كلُّه رفعا كان جيِّداً . فأما المؤتون فمحمول على الابتداء . وقال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ ^(٢) ﴾ إلى قوله : ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ^(٣) ﴾ . فلو رَفَعَ الصَّابِرِينَ عَلَى أَوَّلِ الْكَلَامِ كَانَ جَيِّداً ، ولو ابتداءً فرفعه على الابتداء كان جيِّداً كما ابتدأت : والمؤتون الزكاة . ونظيرُ هذا من الشَّعر قولُ الْخِرْقِ :

« لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ » (البيتين)

فرفعُ الطَّيِّبِينَ كرفعِ الْمُؤْتِينَ . ومثْلُ هذا في الابتداء قول ابن سَحاظ الْعُكْلِيِّ ^(٤) :

وَكُلُّ قَوْمٍ أَطَاعُوا أَمْرَ مُرْشِدِهِمْ إِلَّا نَمِيراً ، أَطَاعَتْ أَمْرَ غَاوِيهَا ^(٥)
الظَّاعِنِينَ وَلَمَّا يُظْعِنُوا أَحَداً وَالْقَائِلُونَ لَمَنْ دَارَ نَخْلِيهَا

٣٢٢

وزعم يونس أنَّ من العرب من يقول : النازلون بكلِّ معترك والطَّيِّبِينَ ، ومن العرب من يقول : الظَّاعِنُونَ والقَائِلِينَ ، فنصبه كنصب الطَّيِّبِينَ ، إِلَّا أَنَّ هذا شتمٌ لهم وذمٌّ كما أنَّ الطَّيِّبِينَ مدحٌ لهم وتعظيم . وإن شئتَ أُجريت هذا كلُّه على الاسمِ الأوَّلِ ، وإن شئتَ ابتدأته جميعاً فكان مرفوعاً على

(١) النساء ١٦٢ .

(٢) البقرة ١٧٧ .

(٣) واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس .

(٤) في سيبويه : « ابن خياط العكلى » . ونظر الإنصاف ٤٧٠ .

(٥) ط : « إِلَّا نَمِيراً » ، صوابه في سيبويه والإنصاف .

الابتداء . كل هذا جائز في ذين البيتين ومأشبههما. انتهى كلام سيويه.

وقال الزجاج : اختلف الناس في إعراب المقيمين فقال بعضهم : هو نسقٌ على ما ، المعنى : يؤمنون بما أنزل إليك وبالمُقيمين الصلاة ، أى يؤمنون بالنبيين المقيمين الصلاة . وقال بعضهم : نسقٌ على الهاء والميم ، المعنى : لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك . وهذا عند النحويين ردىء ، لا ينسق بالظاهر على المضمّر إلا في شعر . وذهب بعضهم إلى أن هذا وهمٌ من الكاتب . وقال بعضهم : في كتاب الله أشياء ستصلحها العرب بألسنتها . وهذا القول عند أهل اللغة بعيدٌ جداً لأنّ الذين جمعوا القرآن أصحابُ رسول ﷺ ، وهم أهل اللغة وهم القدوة ؛ وهم الذين أخذوه عن رسول الله ﷺ وجمّعوه . وهذا ساقط عنم لا يعلم بعدهم ، وساقطٌ عنم يعلم ، لأنهم يقتدى بهم ، فهذا مما لا ينبغي أن ينسب إليهم . والقرآن محكمٌ لالحن فيه حتّى ^(١) يتكلّم العرب بأجود منه في الإعراب . ولسيويه والخليل وجميع النحويين في هذا بابٌ يسمونه باب المدح ، قد بينوا صحّة هذا وجودته .

قال النحويون : إذا قلت مررت بزيد الكريم وأنت تريد أن تخلص زيدا من غيره فالخلف هو الكلام ، حتّى تعرف زيدا الكريم من زيد غير الكريم . وإذا أردت المدح والثناء فإن شئت نصبت وإن شئت رفعت . وجاءنى قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد ، على معنى. أذكر المطعمين وهم المغيثون . وعلى هذا الآية ؛ لأنّه لما قال : بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك علم أنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، فقال : والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة

(١) د . ب . ج . هـ . صوابه في ش مع أثر تصحيح .

على معنى : أذكر المقيمين ، وهم الموتون . وأنشدوا بيت خِرْنَق بنت هِفَان :
لايَعْدَن قَوْمِي الَّذِينَ هُم ، الْبَيْتَيْنِ ، على معنى أذكر النازلين وهم الطيبون ،
رفعه ونصبه على المدح . وبعضهم يرفع النازلين وينصب الطيبين ، وكله واحد
جائز حسن . انتهى .

وقال ابن جنى (فى المحتسب) : القطع لكونه بتقدير الجملة أبلغ من
الإتباع لكونه مفرداً . قال فى سورة فاطر : قرأ الضحَّاك : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَطَرَ
السَّمَوَاتِ ﴾ (١) . وهذا على الثناء على الله سبحانه وذكر النعمة التى استحق
بها الحمد . وأفرد ذلك فى الجملة التى هى جَعَلَ بما فيها من الضمير ، فكان
أذهب فى معنى الثناء ، لأنه جملة بعد جملة . وكلما زاد الإسهاب فى الثناء أو
الذم كان أبلغ (٢) . ألا ترى إلى قول خِرْنَق :

« لايَعْدَن قَوْمِي الَّذِينَ هُم » (البيتين)

ويروى النازلون والطيبون ، والنازلين والطيبون ، والنازلون والطيبين . والرفع
على هم والنصب على أعنى ، فلما اختلفت الجمل كان الكلام أفانين
وضروباً ، فكان أبلغ منه إذا أُلِزِمَ شَرْجاً واحداً (٣) . فقولك : أثني على الله
أعطانا فأعنى ، أبلغ من قولك : أثني على الله المعطينا والمغنين ؛ لأن معك هنا
جملة واحدة ، وهناك ثلاث جمل . ويدلُّك على صحة هذا المعنى قراءة الحسن :

٣٠٣

(١) الآية الأولى من سورة فاطر . وهى قراءة الضحَّاك والزهري كما فى تفسير أبى حيان ٧ :
٢٩٧ . وفى هامش ش : « الحمد لله فاطر » ، وهى قراءة الجمهور .

(٢) فى المحتسب : « كان أبلغ فيهما » .

(٣) ط واحسب : « شرحا » بالخاء المهملة ، صوابه بالجميم كما فى ش . يقال هما شرح واحد
وعلى شرح واحد ، أى ضرب واحد .

﴿جَاعِلٌ﴾^(١) الملائكة بالرفع. فهذا على قولك: هو جاعل الملائكة . ويشهد به أيضاً قراءة خُليد بن نُشيط^(٢): «جَعَلَ الملائكة» . قال أبو عبيدة : إذا طال الكلام خرجوا من الرفع إلى النصب ومن النصب إلى الرفع . يريد مانحن عليه ، لتختلف ضروبه وتباين تراكيبه . هذا كلامه .

وقد أورده سيبويه (فى باب الصفة المشبهة) أيضاً ، على أن معاقَد منصوبٌ بقوله : الطَّيِّبُونَ على التشبيه بالمفعول به ، وليس مفعولاً به ، لأنَّ عامله غير متعَدٍّ ، ولا تمييزاً كما زعم الكوفيون ، لأنَّه معرفة .
فإن قيل : يكون تمييزاً من باب حسن الوجه المنوى به الانفصال ، فيكون تَكْيرة .

أجيب بأنَّه ليس منه فى شىء ، إنما إضافته من باب إضافة المصادر أو الأمكنة إلى ما بعدها ، كقيام زيد ومقام عمرو ، فإنَّ إضافتهما معنوية .

وقولها : (لا يبعَدُن) معناه لا يهلكن ، وهو دعاء جاء بلفظ النهى . ويبَعَدُن فعل مستقبل مبنى مع نون التوكيد الخفيفة ، وموضعه جزم بلا الدعائية وقومى فاعله ، يقال : بَعَدَ من باب فرح إذا هلك . وإما الذى هو ضد القرب فهو بُعَدَ يبعِدُ بضم العين فيهما ، ومصدره البُعْدُ ، وقد يستعمل فى الهلاك أيضاً لتداخل معنييهما ، كقوله تعالى : ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾^(٣).

قال اللخمي (فى شرح أبيات الجمل) : واسم الفاعل منهما جميعاً بعيدٌ ، استويا فيه كما استويا فى المصدر، تقول: بُعِدَ وَبَعِدَ بُعْدًا وَبَعْدًا . وقال ابن السِّيد (فى شرح أبيات الجمل): فإن قيل : كيف دعت لقومها بأن لا يهلكوا وهم قد

(١) وقراءة الجمهور « جاعل » بالجر ، كما فى تفسير أبى حيان ٧ : ٢٩٧ .

(٢) نشيط ، بضم النون فى ش والمختسب .

(٣) الآية ٩٥ من سورة هود .

هلكوا ؟ فالجواب أنَّ العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة في الدعاء للميت ، ولهم في ذلك غرضان : أحدهما أنَّهم يريدون به استعظام موت الرجل الجليل ، وكأنهم لا يصدِّقون بموته . وقد بيَّن هذا المعنى زهير بن أبي سلمى بقوله :

يقولون : حصنٌ ، ثم تأبى نفوسُهُم وكيف بحصنٍ والجبال جنوحُ
ولم تَلْفِظِ الموتى القبورُ ولم تُزَلْ نجومُ السماء والأديمُ صحيحُ

يريد أنهم يقولون : مات حصن ، ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ويقولون : كيف يجوز أن يموت والجبال لم تنسف ، والنجوم لم تنكدر ، والقبور لم تُخرج موتاها ، وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث ١٩

والغرض الثاني أنهم يريدون الدعاء به بأن يبقى ذكره ولا يذهب ، لأنَّ بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته . ألا ترى إلى قول الشاعر (١) :

فأثْنُوا علينا لأبأ لأبيكمُ بأفعالنا إنَّ الشاء هو الخُلْدُ
وقال آخر يرثي يزيد بن مَرْزُوقٍ الشيباني (٢) :

فإنَّ تكُ أفنَّته الليالي فأوشكت فإنَّ له ذكراً سيفنى الليالي
وقال المتنبي وأحسن :

ذكر الفتى عُمره الثاني ، وحاجته مافاتهُ ، وفُضُولُ العيش أشغالُ
وقد بيَّن مالك بن الرِّيب المازني (٣) مافى هذا من المُحال ، من قصيدة تقدّمت :

يَقُولُونَ لا تَبْعُدْ وَهَمٌ يَدْفِنُونَنِي وأين مكان البُعْدِ إلا مَكَانِيَا

(١) هو الحادرة ، كما في البيان ٣ : ٣٢٠ . وانظر حواشي البيان .

(٢) ط : « بن يزيد » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : « المرزق » ، صوابه في ش . وانظر الخزانة ٢ : ٢١٠ .

وقال الفرّار السُّلمى : ٣٠٤
ما كان يَنْفَعْنى مقالُ نساءهم وقُتِلْتُ دونَ رجالهم لا تَبْعِدْ

وقولها : (سَمُّ العداة) الخ ، السم معروف ، وسينه مثلثة . و(العداة) :
الأعداء جمع عاد ، كقضاة جمع قاض ، حكى أبو زيد : أَشْمَتَ الله عَادِيكَ
أى عدوك . ولا يكون العداة جمع عدوّ ؛ لأنَّ عدوّ فعول ، وفِعُول لا يجمع على
فُعْلة إنما يجمع عليه فاعل المعتل اللام . والأعداء : جمع عدوّ ، أُجروا فَعُولاً
مجرى فعيل ، كشریف وأُشْراف . وقد جمعوا أَعْدَاءً على أعادى . و (الآفة) :
العلة . و (الجُزْر) بضم فسكون : جمع جزور ، والأصل بضمّتين ، كرسول
ورسل ، فسكن الثانى تخفيفاً . والجزور هى الناقة التى تُنحر . فإن كانت من
الغنم فهى جَزْرَةٌ بفتحّتين . وصفّتهم أولاً بالشّجاعة والنّجدة ، وأنّهم يقتلون
أعداءهم كما يقتلهم السّم . وثانياً بالكرم ونحر الإبل للأضياف ، فكأَنّهم آفةٌ
للإبل تصيبها فتهلكها . قال ابن السّيد : فإن قيل : كيف قالت الذين هم ،
وإنما يليق هذا بمن هو موجود ، وإنما كان ينبغى أن تقول كانوا ، كما قال
الآخر :

كانوا على الأعداء نارَ محرّق ولقومهم حرّماً من الأحرام (١)
فالجواب عنه من وجهين : أحدهما أنّ العرب كانت تضمّن (٢) كان ، اتكالاً
على فهم السامع ، كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ
سُلَيْمَانَ (٣) ﴾ ، قال الكسائى : أراد ما كانت تتلو . وثانيهما أنها إذا دعت
ببقاء الذّكر بعد موتهم صاروا كالموجودين ، وكانوا موصوفين بما كانوا يفعلونه .
وقولها : (النازِلين) الخ ، قال ابن خلف : يجوز فى النازلين والطّيبين

(١) ط : « ناراً محرّقا » تحريف ، صوابه فى ش .

(٢) ش : « تضمّن » مع أثر تصحيح .

(٣) القرة ١٠٢ .

أربعة أوجه: رفعهما ، ونصبهما ، ورفع أحدهما مع نصب الآخر مقدّما ومؤخرا ، على القطع ، غير أنّك إن رفعتهما جاز أن يكونا نعتين لقومى ، فيكون الرفع لهما رافع قومى بعينه ، والكلام جملة واحدة ، وجاز أن يكونا مقطوعين في التقدير بإضممار مبتدأ ، فيكونا جملتين . والرافع والتّأصب المقتدران ^(١) لا يجوز أن يظهر واحدٌ منهما لفظا ، إنما يكون مُقدّراً أبداً منوياً ، وامتناعُ إظهاره إشعارٌ بالتّصاله بما قبله وتشبيهٌ به ، فلو ظهر أمكن أن يكون جملة قائمة بنفسها مستقلة ، وليس الغرض ذلك . ويجوز أن يكون الطيّون معطوفاً على سمّ العداة وآفة الجزر ، وأن يكون على الضمير في النازلين . ويجوز الرفع على إضممار مبتدأ كما ذكر في الكتاب . ولا يجوز أن يكون النازلون رفعاً صفة لمجموع قومى وسمّ العداة ، لاختلاف العاملين .

فإن قيل: هل الأقيس ^(٢) أن يكون نعتاً لقومى أو لسمّ العداة ؟ فالجواب : لقومى ، لأنه محض الاسم ، فهو أولى بالوصف من الصفة . انتهى وإنما كان سمّ صفة لتأويله بالقاتل .

ثم قوله : وفي نصب النازلين اختلاف ، فالزجاجي يذهب إلى أنه نصب على إضممار أعنى ، وعلى قياس قول سيبويه نصب على المدح — ساقط ؛ إذ لاختلاف معنى ، فإنّ هذا ونحوه منصوب على المدح سواء قدر أمدح أو أعنى أو نحوهما .

والباء في (بكل) ظرفية متعلّقة بالنازلين . و(المعترك) ، وكذلك المعرك كجعفر ، والمعركة : موضع القتال . وهذا مشتقٌّ من عَرَكَتِ الرِّحَا ^(٣) الحبّ ،

(١) ط : . المقدرين ، صوابهما في ش .

(٢) ش : (فإن قيل فالأقيس) .

(٣) الرحا ، نكتب بالألف وبالياء . وفي اللسان : « الرحا معروفة وتبينها رحوان . والياء أعلى » .

٣٥ إذا طَحَنَتْهُ . أرادوا أَنْ مَوْضِعَ الْقِتَالِ يَطْحَنُ كَمَا تَطْحَنُ الرَّحَا مَا يَحْصُلُ فِيهَا ،
ولذلك سَمَّوهُ رَحاً . قال عنترة :

* دارت على القوم رَحاً طَحُونُ *

وقد بَيَّنَّ ذلك زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ بقوله :
فَتَعَرَّكُكُمْ عَرَكُ الرَّحَا بِثِفَالِهَا وَتَلْقَحُ كِشَافاً ثُمَّ تَحْمِلُ فَتَقْطُمُ (١)
وقولها : (النازِلين بكلُّ مُعْتَرِك) يعنى أَنَّهُمْ يَنْزِلُونَ عَنِ الْخَيْلِ عِنْدَ ضَيْقِ
الْمُعْتَرِكِ فَيَقَاتِلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ ، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتُ يَتَدَاعَوْنَ : تَرَّالِ ! كَمَا قَالَ رُبَيْعَةُ
بَنُ مَقْرُومٍ الضَّبِّيِّ (٢) :

ولقد شهدتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكِلِ
فَدَعَوْا نَزَالِ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

وقال ابن السَّيِّد : النَزُولُ فِي الْحَرْبِ عَلَى ضَرِيرَيْنِ : أَحَدُهُمَا مَا ذَكَرَ ، وَالثَّانِي
فِي أَوَّلِ الْحَرْبِ ، وَهُوَ أَنْ يَنْزِلُوا عَنْ إِبِلِهِمْ وَيَرْكَبُوا خَيْلَهُمْ (٣) . قَالَ
الْأَخْمِيُّ : وَإِنَّمَا يَنْزِلُونَ عَنِ الْإِبِلِ إِلَى الْخَيْلِ فِي الْغَارَاتِ ، يَقُودُونَ خَيْلَهُمْ
لِيَرْيَحُوهَا ؛ وَيَرْكَبُونَ إِبِلَهُمْ ، فَإِذَا قَرَّبُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ وَأَغَارُوا نَزَلُوا عَنْ إِبِلِهِمْ إِلَى
خَيْلِهِمْ ، مَخَافَةَ أَنْ يُتَّبِعُوا فَيَدْرِكُوا . وَزَعَمَ ابْنُ سَيِّدِهِ فِي نَزْوِهِمْ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْإِبِلِ
إِلَى الْخَيْلِ . وَلَيْسَ كَذَلِكَ .

وَقَوْلُهَا : (النَازِلِينَ) إِنْ لَمْ يَشَارَ إِلَى أَنَّ حَالَهُمْ فِي الْقِتَالِ عَلَى الْخَيْلِ كَحَالِهِمْ

(١) كَذَا وَرَدَتْ الرِّوَايَةُ هُنَا ، وَلَمْ أَجِدْهَا فِي مَرْجِعِ آخِرٍ . وَفِي هَامِشِ ش : « تَرْضَع » مَقْرُونَةٌ
بِالرَّمْزِ « صَح » . وَيُرْوَى : « ثُمَّ تَنْتَجِع » .

(٢) مِنَ الْحِمَاسِيَةِ التَّاسِعَةِ بِشَرْحِ الْمَرْزُوقِيِّ ٦١ .

(٣) ش : « وَيَرْكَبُوا » فَقَطْ بِسُقُوطِ : « خَيْلِهِمْ » .

في القنال على الأقدام، وأنهم لا يَكْفُونُ عن النزول^(١)، إذ أحوال الناس في ذلك مختلفة، ولا ينزل في ذلك الموضع إلا أهل البأس والشدة. ولذلك قال مهلهل : لم يُطيقوا أن ينزلوا فنزلنا وأخو الحرب من أطاق النُّزولاً وقوها : (والطَّيِّبون) أرادت أنَّهم أَعَفَّاءُ في فروجهم ؛ لأنَّ العرب تكنى بالشيء عما يحويه أو يشتمل عليه ، كقوله : ناصح الجيب ، يريدون الفؤاد ، فكثروا عنه بالجيب الذي يقع عليه أو قريباً منه . تقول : لا يحلُّون أَرْهَمَ على مائس لهم . قال اللخمي : وقال ابن خلف : إذا وصفوا الرجل بطهارة الإزار وطيبه فهو إشارة وكناية عن عفة الفرج ، يراد أنَّه لا يعقد إزاره على فرج زانية . وكذلك طهارة الذيل . وإذا وُصِفَ بطهارة الكُمِّ أو الرُّدْنِ وهو الكُمُّ بعينه ، أرادوا أنَّه لا يسرق ولا يخون . وإذا وصفوه بطهارة الجيب أرادوا أنَّ قلبه لا ينطوى على غشٍّ ولا مكرٍّ . وقد يكونون عن عفة الفرج بطيب الحُجْرة ؛ كما قال النابغة :

« رفاق النعال طيب حُجْرَاتِهِمْ »

(والمعاقد) إما جمع مَعْقَدٍ بكسر القاف ، وهو موضع العَقْد ، وإما جمع مَعْقَدٍ بفتحها وهو مصدر ميمي . قال اللخمي : المعاقد الحُجْز . والحُجْزة بضم المهملة وسكون الجيم بعدها زاي معجمة ، وهي حيث يثنى طرف الإزار في لَوْث الإزار أي طِيَّه . وحكى ابن الأعرابي حُزَّة بضم المهملة وتشديد الزاء ، كما ينطق بها العامة . وقيل المعاقد للأزُر ، والحُجْز للسرَّاويلات . والحُجْزُ للعَجَم وملوك العرب كما قال النابغة ، والمعاقد للعرب لأنها لا تكاد تلبس إلا الأزُر ؛ وهو جمع إزار ، وسكن الزاء أيضاً تخفيفاً والأصل ضمها . والإزار عند العرب : ماستر النِّصْف الأسفل من الإنسان ، والرداء : ماستر النصف الأعلى منه .

(١) يَكْفُونُ : يجبنون . وفي ط : « يكفون » ، صوابه في ش .

ولبس السراويل عند العرب نادر . يروى أن أعرابيا مرّ بسرّاويل مُلقاةً
فطنّها قميصا ، فأدخل يديه فى ساقها وأدخل رأسه فلم يجد منفذاً ، فقال :
ما أظنّ هذا إلّا من قُمص الشّياطين ! ثمّ رماها .

٣٠٦

وهذان البيتان من قصيدة لخرنق بنت هفان ، رثت بها زوجها بشر بن
عمرو بن مرثد الضبّعى ، وابنها علقمة بن بشر ، وأخويه حسان وشرحبيل ،
ومن قُتِلَ معه من قومه ، وكان بشر غزا بنى أسد بن خزيمة هو وعمرو بن عبد
الله بن الأشلّ ، وكانا متساندين : بشر على بنى مالك وبنى عتاب بن ضبيعة ،
وعمر بن على بنى مالك وبنى رهم . ومعنى التساند والمساندة أن يخرج كلُّ
رجل على جدّته وانفراده ، ليس لهم أميرٌ يجمعهم . فأغار على بنى أسد
فتقدّمهم بنو أسد إلى عَقَبَة يقال لها قُلاب ، فقتل بشر بن عمرو وبنوه ، وفرّ
عمرو بن عبد الله بن الأشلّ فسمى ذلك اليوم يوم قلاب ^(١) . كذا قال ابن
السيد واللّخمى .

وبعد البيتين :

قومٌ إذا ركبوا سمعت لهم	لغطاً من التّأبّيه والزّجرِ
فى غير ما فُحش يُجاء به	بمَنّاح المُهرات والمُهرِ
إن يشربوا يهبوا وإن يذروا	يتواعظوا عن منطق الهُجرِ ^(٢)
والخالطين نحيّتهم بضارهم	وذوى الغنى منهم يذى الفقيرِ
هذا ثنائى مابقيت عليهم	فإذا هلكتُ أجنّى قبرى

(١) قلاب ، بالضم : جبل فى ديار بنى أسد . وانظر لهذا اليوم معجم البلدان .

(٢) ط : « وان يزدوا » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، والعينى ٣ : ٦٠٣ .

واستدلّ بعضهم بهذه الأبيات على أنّ ماتقدّم دعاءً لمن بقى من قومها ، أى لأبعد الله من قومي كبعد من مضى منهم .
ويردّ عليه قولها في القصيدة :

لأقوا غداة قلاب حتفهم سوق العتير يساق للعتير
واللّغظ بفتح المعجمة وسكونها : الأصوات المختلطة . والتأيه :
الدّعاء . يقال أيّئت بالرجل ، إذا دعوته ، وأيّئت بالفرس . وفي الحديث :
« أنّ ملك الموت سئل : كيف تقبض الأرواح ؟ فقال : أؤيّه بها كما أؤيّه بالخيّل
فتجىء إلىّ » .

وقولها : في غير مافحش لمخ ، مازائدة . قال ابن السكيت : تقول
يزجرونها بعفاف من ألسنتهم ، لا يذكرون الفحش في الزجر .

وقولها : إن يشربوا يهبوا ، ليس بمدح تامّ ، لأنّها جعلت العلة في كرمهم
شرب الخمر . وقد عيب على طرفه قوله :
فإذا ما شربوها وانتشروا وهبوا كلّ أمونٍ وطيرٍ
وعيب على حسنّ قوله :

ونشرها فتركنا ملوكاً وأسداً ما يُنهضنا اللقاء
وقد قال البحتري في هذا فأحسن :
تكرمت من قبل الكئوس عليهم فما اسطعن أن يُحدثن فيك تكراً
وأول من نطق بهذا امرؤ القيس في قوله :
سماحة ذا وبرّ ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

(١) قبله في ديوانه ١٩٣ :

وتعرف فيه من أبيه شمائلًا ومن خاله ومن يزيد ومن حُجِر

فاخبر أنه جوادٌ فى الحالين جميعاً : فى حال الصَّخو وفى حال السُّكر . وهذا هو المدح التام . ثم اتَّبعه زهير فقال :
أخو ثِقَّةٌ لا تُثْلِفُ الخمرُ مالهَ ولكنَّه قد يُهْلِكُ المالَ نائلُهُ
والهُجر بالضم : الكلام القبيح .

٣٠٧

وقولها : والخالطين نحيتم إنلخ ، التحيث بفتح النون وكسر المهملة : الخامل الساقط الذكر . والتُّضار بضم النون بعدها ضاد . معجمة : الخالص التَّسبب العزيز الشَّهير . يقول : إنهم خلطوا خاملهم برفيعهم ، وفقيرهم بغنيهم ، فاكسبوا منهم الغنى والخصال الحميدة ؛ فليس فيهم خامل ولا فقير . ومثله قول زهير :
على مُكثَرِيهم حقٌّ من يعتريهم وعند المُقِلِّين السَّماحةُ والبذلُ
وهذا البيت وقع فى شعر حاتم الطائى^(١) ، قال أبو عبيدة : والصواب أنه لخرنق .
والعروض فى هذا البيت على متفاعلين تامَّة ؛ وهى فى جميع الأبيات على فَعِلُنْ حَدَّاءَ ، ولا يجوز ذلك . والشَّعر من الضرب الرابع من الكامل .
وقولها : فإذا هلكت إنلخ ، أَجَنَّنِي : سَتَرَنِي . قال ابن السَّيِّد : كلامٌ لفائدة فيه على ظاهره ، والمعنى فإذا هلكت قام عُذْرِي فى تركى الثناء عليهم لهلاكى ، فهو مما وضع السبب فيه موضع المسبَّب^(٢) .
وقولها : لا قَوْأ غداة إنلخ ، الحتف : الهلاك . وسَوَقَ مفعول مطلق ، أى سيقو إلى الحتف سوقاً كسَوَقَ العتير ، وهو بفتح العين المهملة وكسر المثناة الفوقية : ما يُذْبَح للأصنام فى رَجَب فى الجاهلية ، تعظيماً لأصنامهم .
والعَتَر ، بفتح العين المهملة : ذبح العتيرة ، فهو مصدر .

(١) من مقطوعة فى ديوانه ١٦١ عدتها ستة أبيات أولها :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتى فحلّى فى بنى بدرٍ

(٢) ش : « فى موضع المسبَّب » .

وقلاب يضم القاف وتخفيف اللام وآخره باء موحدة ، قال أبو عبيد
البكرى (فى معجم ما استعجم) : هو جبل من محلة بنى أسد على ليلة . وفى
عقبة قلاب قتلت بنو أسد بشر بن عمرو ، زوج خرق ، وابنها منه علقمة بن
بشر فقالت (١) :

مُنْتُ لهم بوائلة المنايا بحرف قلاب للحن المسوق (٢)

ثم إن بنى ضبيعة أصابوا بنى أسد بهرشي وأدركوا بثأرهم ، فقال وائل
بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد :

أبى يوم هرشى أدرك الوتر فاشتفى بيوم قلاب والصروف تدور
انتهى . ومُنْتُ أصله مُنيت ، أى قُدِّرَت المنايا لهم ، فحذفت الياء .

وهو آخر بيت من أبيات ، وهى :

لا وأبيك آسى بعد بشر على حى يموت ولا صديق
وبعد الخير علقمة بن بشر إذا ما الموت كان لدى الحلو
ومال بنو ضبيعة بعد بشر كما مال الجذوع من الحريق
فكم بقلاب من أوصال خرق أخى ثقة وجمجمة فليق (٣)

(١) سقطت هذه الكلمة من ش ، كما سقط منها « زوج خرق » السابقة .

(٢) وكذا فى معجم ياقوت : « وائلة » بالياء المثلثة قال : « مأخوذ من الويل وهو ليف النخل ،
وهى قرية معروفة » وفى ش : « وائلة » بالياء ، تحريف ، وفى معجم ما استعجم : « بوالبة » ، ولم أجد لهذا
المكان ذكراً إلا فى هذا الموضع من معجم ما استعجم .

(٣) ط : « أوصاف خرق » ، صوابه فى ش ومعجم البلدان لياقوت ، حيث أنشد هذه الأبيات
مع زيادة ونقص .

وآسى : أحزن . ولا محذوفة ، أى وأبيك لأحزن بعد بشر . والحلوق : جمع حلق ، وهو مجرى الطعام . ومال بنو ضبيعة ، أى تساقطوا بعد بشر . والخرق بكسر المعجمة ، من الفتیان : الظريف فى سماحة ونجدة .

وخرق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وكسر النون بعدها خرق بنت بدر قاف، هى امرأة شاعرة جاهليّة . قال أبو عبيدة : هى خرق بنت بدر بن هِفان، من بنى سعد بن ضبيعة رهط الأعشى . كذا (فى العباب) للصاغاني . وفى كتاب (التصحيف للعسكري) و (شروح أبيات الكتاب والجمل) : خرق بنت هِفان القيسيّة ، من بنى قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل ، بحذف « بدر » . وقالوا : هى أخت طرفة بن العبد لأُمّه . وقال يعقوب بن السكيت (فى أبيات المعاني) : هى عمّة طرفة بن العبد . والله أعلم .

وقيس هو رهط الأعشى أيضاً ، وإليه ينسب فيقال أعشى قيس .

وخرق من الأسماء المنقولة ، لأنّ الخرق فى اللغة ولد الأرنب . والخرق أيضاً : مَصْنَعَةُ الماء، وهو نحو الصّهرج ، واننون أصليّة .

وأما هِفان بفتح الهاء وكسرهما وتشديد الفاء ، فهو اسم مرتجل غير منقول ، مشتق من الخفيف ، وهو سرعة السير .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد سيبويه (١) :

٣٤٢ (وما الدُّهرُ إلّا تارتان فمِنْهُما أُموتُ وأُخرى أَبْغى العَيْشَ أكَدْخُ)

(١) فى كتابه ١ : ٣٧٦ . وانظر ديوان ابن مقبل ٢٤ والمقتضب ٢ : ١٣٨ والكامل ٧٣٨ واحيوان ٣ : ٤٨ والمختضب ١ : ١١٢ والجمع ٢ : ١٢٠ وحماسة ابن الشجرى ١٨٣ .

على أن الموصوف محذوف ، أى منهما تارةً أموت . هكذا قدّر سيبويه وأورده فى باب حذف المستثنى ، نحو قولك ليس غير وليس إلا أنه ، كأنه قال : ليس إلا ذاك ، وليس غير ذاك . قال : وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول : مامنهما مات حتى رأيتَه فى حالٍ كذا ، وإنما يريد : مامنهما واحدٌ مات . انتهى .

وأورده الفراء أيضاً (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ومن آياته يُريكم ﴾^(١) ، قال : من أظهر^(٢) أن فهى فى موضع اسم مرفوع ، كما قال : ﴿ ومن آياته مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾^(٣) ، فإذا حذف أن جعلت مؤدّية^(٤) عن اسم متروك يكون الفعل صلة له ، كقول الشاعر :

وما الدهر إلا تارتان البيت

كأنه أراد : فمنهما ساعةً أموتُها وساعةً أعيشُها ، وكذلك : ومن آياته آيةٌ للبرق وآيةٌ لكذا . وإن شئت : يريكم من آياته البرق ، فلا تضر أن ولا غيره . انتهى .

وكذلك أنشدَه الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ ﴾^(٥) أى قومٌ يحرفون ، كهذا البيت . والمعنى منهما تارةً أموت فيها، فحذف تارةً وأقام الجملة التى هى صفتها نائبة عنها، فصار : أموت

(١) من الآية ٢٤ فى سورة الروم .

(٢) فى النسختين : « أضر » ، صوابه فى معانى الفراء ٢ : ٣٢٣ .

(٣) من الآية ٢٣ فى سورة الروم .

(٤) فى النسختين : « جعلت مورية » ، وصوابه وإكالة من معانى الفراء .

(٥) من الآية ٤٦ من النساء .

فيها ، فحذف حرف الجر فصار التقدير : أموتها ، ثم حذف الضمير فصار
أموت . ومثله في الحذف من هذا الضرب ، بل هو أطول منه :

تَرَوِّحِي يَاخَيْرَةَ الْفَسِيلِ تَرَوِّحِي أَجْدَرَ أَنْ تَقِيلِي ^(١)

أصله : ائتي مكاناً أجدر بأن تقيلي فيه ، فحذف الفعل الذي هو ائتي
للدلالة تَرَوِّحِي عليه ، فصار مكاناً أجدر بأن تقيلي فيه ، ثم حذف الموصوف
الذي هو مكاناً ، فصار تقديره أجدر بأن تقيلي فيه ، ثم حذف الباء أيضاً
تخفيفاً ، فصار أجدر أن تقيلي فيه . ففيه إذن خمسة أعمال ، وهي حذف
الفعل الناصب ، ثم حذف الموصوف ، ثم حذف الباء ، ثم حذف في ، ثم
حذف الهاء . وهنا عمل سادس ^(٢) وهو أن أصله ائتي مكاناً أجدر بأن تقيلي
فيه من غيره ، كما تقول : مررت برجل أحسن من فلان ، وأنت أكرم على
من غيرك . انتهى .

وهذا البيت من قصيدة تميم بن أبي بن مقبل ، وهو شاعر إسلامي صاحب الشاهد
تقدمت ترجمته في الشاهد الثاني والثلاثين من أوائل الكتاب ^(٣) . وقبله
يصف القحط :

(ألم تعلمي أن لا يذمُّ فُجاءُ قى دَخِيلِي إِذَا اغْبَرَّ الْعِضَاءُ الْمَجْلَحُ ٣٠٩
وَأَنْ لَا أَلُومُ النَّفْسَ فِيمَا أَصَابَنِي وَأَنْ لَا أَكَادُ بِالَّذِي كُنْتُ أَفْرَحُ

(١) لأحيحة بن الجلاح . وانظر المختص ١ : ٢١٢ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٣ والمعنى ٤ :

٣٦ والنصريح ٢ : ١٠٣ الأشموي ٣ : ٤٦ .

(٢) ش : « وهناك وجه سادس » ، صوابه في ط .

(٣) الجزء الأول ص ٢٣١ .

وما العيش إلا تارتان فمئهما
أموت وأخرى أبتغى العيش أكذخ^(١)
وكلتاها قد تحطّ لى فى صحيفه
فلا العيش أهوى لى ولا الموت أروح

أن فى المواضع الثلاثة مخففة من الثقيلة ، والفعل بعدها مرفوع ،
وفجأتى مفعول مقدم . والفجأة بضم الفاء والمد: مصدر فجأه الأمر كضربه ،
وفجئه كعلمه ، إذا أتاه بغته . ويقال أيضاً فجأه الأمر مفاجأة وفجاء . ودخيل
أى ضيفى ، فاعل مؤخر ، والدخيل: الضيف إذا حلّ بالقوم فأدخلوه .
يقول: إذا جاءنى بغتة ضيف فى أيام القحط فلا بدّ من إطعامه وإكرامه
ولأدعه يذمّننى . واغبرّ: صار بلون الغبرة . والعضاء بكسر العين المهملة بعدها
ضاد معجمة وآخره هاء : شجرٌ عظيم شائك تأكل الماشية ورقه . والمجلّح
بالجيم ، قال صاحب الصحاح : المأكول ، ومنه قول ابن مقبل :

« إذا اغبرّ العضاء المجلّح »

وهو الذى قد أكّل حتى لم يُترك منه شيء .

والكذخ : الكسب والسعى ، وجملة أكذخ حال مؤكدة لعاملها ،
وهو أبتغى . وتارة المحذوفة مبتدأ وجملة أموت صفتها ، والعائد إلى الموصوف
محذوف ، أى فيها . ومنهما خبر مقدم ، وأخرى صفة مبتدأ محذوف ، أى تارة
أخرى . وليس فى هذا شاهد . وجملة أبتغى العيش خبر المبتدأ والعائد محذوف

(١) فى الديوان : « فى صحيفتى » . وفيه أيضاً : « فللعيش أشهى لى وللموت أروح »

والصواب ما هنا ، وهو المقارب لما فى الحيوان وحماة البحري .

أيضاً ، أى فيها . يقول : لراحة فى الدنيا لأن وقتها قسمان : إما موت ، وهو مكروه عند النفس ، وإما حياة وكلها سعى فى المعيشة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الثلاثمائة :

٣٤٣ (وكلّمْتُها ثنتين كالماءِ منهما وأخرى على لَوْحٍ أحرَّ منَ الجَمْرِ^(١))

لما تقدّم قبله ، أعنى أن الموصوف محذوف إذا كان بعضاً من مجرور بمن ، سواء تقدّم المجرور كما مضى ، أو تأخر كما هنا ، ولهذا كرر الشاهد ، فإنّ التقدير: كلّمْتُها كلمتين ، منهما كلمة الماء ، وكلمة أخرى أحرّ من الجمر . وتقدّم المجرور أكثرى .

وهذا ثالث أبيات ثلاثة أوردها الجاحظ (فى كتاب البيان والتبيين) وهى :

(لَقِيْتُ ابْنَةَ السَّهْمِيِّ زَيْنَبَ عَنْ عُفْرِ وَنَحْنُ حَرَامٌ مُسَى عَاشِرَةَ الْعَشْرِ أَيْتِ الشَّاهِدِ وَإِنِ وَايَّاهَا لَحْتُمُ مَبِيتِنَا جَمِيعاً وَسِيرَانَا مُغِذٌّ وَذُو فَتْرٍ فَكَلَّمْتُهَا ثَنَيْنِ كَالثَّلْجِ مِنْهُمَا عَلَى اللَّوْحِ، وَالْأُخْرَى أَحْرُ مِنْ الْجَمْرِ)

السَّهْمِيُّ : نسبة إلى سهم ، بفتح السين المهملة: قبيلة من قريش ، وقبيلة فى باهلة أيضاً . وزينب بدل من ابنة ، وعُفْر بضم العين المهملة وسكون الفاء وبضم الفاء أيضاً ، قال الجاحظ: يقال مايلقانا إلا عن عُفْر ، أى بعد مدّة . وكذلك قال القالى (فى أماليه): قوله عن عفر أى بعد حين ، يقال ماألقيه إلا عن عُفْر ، أى بعد حين . وقال الزمخشري (فى مستقصى الأمثال): لقيته عن عفر ، أى بعد شهر ونحوه ، والأصل قلة الزيارة ، من تعفير الطّيبة ولذّها ، وهو

(١) البيان ١ : ٢٨٠ وأمالي القالى ١ : ٩٨ ودرّة الغواص ٧٢ .

أَنْ تَرْضَعَهُ ثُمَّ تَدَعَهُ ثُمَّ تَرْضَعَهُ ثُمَّ تَدَعَهُ، وَذَلِكَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَفْطِمَهُ. وَعَكْسُ
الْمَأْخُذِ ^(١) صَاحِبُ الصَّحَاحِ فَقَالَ: وَالتَّعْفِيرُ فِي الْفُطَامِ أَنْ تَمْسَحَ الْمَرْأَةُ ثَدْيَهَا
بشئٍ مِنْ التَّرَابِ تَنْفِيرًا لِلصَّبِيِّ. وَيُقَالُ هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: لَقِيتُ فُلَانًا مِنْ عُفْرِ
بِالضَّمِّ أَيْ بَعْدَ شَهْرٍ وَنَحْوِهِ، لِأَنَّهَا تَرْضَعُهُ بَعْدَ الْيَوْمِ وَالْيَوْمِينَ ^(٢)، تَبْلُو بِذَلِكَ
صَبْرَهُ. وَقَوْلُهُ: « وَنَحْنُ حَرَامٌ » قَالَ الْقَالِي: أَيْ مُحَرَّمُونَ. قَالَ صَاحِبُ
الصَّحَاحِ: وَرَجُلٌ حَرَامٌ بِالْفَتْحِ أَيْ مُحَرَّمٌ، وَالْجَمْعُ حُرْمٌ مِثْلُ قَذَالٍ وَقَذَلٍ. انْتَهَى.
وَإِنَّمَا لَمْ يَجْمَعْهُ هُنَا لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرٌ يَسْتَوِي فِيهِ الْجَمْعُ [وَالْتَنْيَةُ وَالْمُفْرَدُ ^(٣)].
وَجُمْلَةٌ وَنَحْنُ حَرَامٌ حَالٌّ مِنَ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ. وَقَوْلُهُ « مُسْنَى عَاشِرَةٌ » اِنْخُ مُسْنَى
بِضَمِّ الْمِيمِ وَسُكُونِ السِّينِ، وَكَسَرِ الْمِيمِ لَعَةً: اسْمٌ لِلْمَسَاءِ، كَالصُّبْحِ اسْمٌ
لِلصَّبَاحِ، وَلِهَذَا قَالَ الْجَاهِظُ: أَيْ وَقْتُ الْمَسَاءِ. وَهُوَ ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ لَقِيتُ. وَعَاشِرَةٌ
الْعَشْرُ هُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، يُرِيدُ أَنَّهُ لَقِيَهَا بِعَرَفَاتٍ عَشِيَّةَ عَرَفَةٍ، وَهِيَ
مُسْنَى عَاشِرَةُ الْعَشْرِ.

وَقَوْلُهُ: « لَحْمٌ مَبِيتُنَا » الْحَتْمُ، بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ: الْإِذَا. يُرِيدُ إِنْ مَبِيتَ النَّاسِ
بِالْمُزْدَلَفَةِ حَتْمٌ لَا يَتَجَاوَزُهَا أَحَدٌ. وَجَمِيعاً حَالٌ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَهُوَ ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ
مَعَ الْغَيْرِ. وَقَوْلُهُ: « وَسِرَانَا » اِنْخُ، سِيراً: مِثْنَى سِيرٍ، حَذَفَتْ نُونُهُ لِلْإِضَافَةِ، وَنَا
ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ مَعَ الْغَيْرِ. وَرَوَى: « مَسْرَانَا » بِالْإِفْرَادِ. قَالَ صَاحِبُ
الصَّحَاحِ: وَسَرِيتُ سُرَى وَمَسَرَّتْ وَأَسَرَّتْ بِمَعْنَى، إِذَا سَرَتْ لَيْلاً ^(٤). وَأَمَّا السَّيْرُ
فَلَا يَخْتَصُّ بِاللَّيْلِ. قَالَ صَاحِبُ الصَّحَاحِ: سَارَ يَسِيرُ سِيراً وَمَسِيرًا، يَكُونُ بِاللَّيْلِ
وَبِالنَّهَارِ، وَيَسْتَعْمَلُ لِأَمْرٍ وَتَعَدُّيًا. وَمُغْنِدٌ بِالْغَيْنِ وَالدَّالِّ الْمَعْجَمَتَيْنِ

(١) الحق أنه لم يعكسه ، وإنما جمع بين المأخذين ، كما يفهم من نهاية النص .

(٢) في الصحاح : « بين اليوم واليومين » .

(٣) هذه التكملة من هامش ش مقرونة بكلمة « صح » .

(٤) في النسختين : « سريت » ، صوابه من الصحاح .

اسم فاعل من أَغَدَّ في السير إِغْذاذاً ، أَي أُسْرِع فيه وَجَدَ . والفتر ، بفتح الفاء ، بمعنى الفترة والفتور ، أَي الانكسار والضعف . قال القالي : أَي سيرى أَنَا مسرعٌ ، وسيرُها ذو فتور وسكون ، لأنها يُرْفَقُ بها . ولم يرو القالي (في أماليه) إلا هذين البيتين عن أبي بكر بن دريد .

وقوله : (فكَلَّمْتها ثنتين) إِنْخ الصواب رواية الجاحظ ، وهي (كالثلج) بَدَل (كالماء) . والمِصْرَاع الثاني كذا :

* على اللَّوْح والأُخرى أَحْرٌ من الجَمْرِ *

وكذا رواه الزمخشري : (في المستقصى) . واللَّوْح بفتح اللام وآخره حاء مهملة : العطش . قال الجاحظ : لاح الرجل يلوح لَوْحاً ، والتاح يلتاح التياحاً ، إِذا عطش . انتهى .

وعلى بمعنى مع . يريد : إِنِّي كلمتها كلمتين ، كانت إحداهما كالثلج مع العطش زال بها ما أُجِد من الحرارة ، وكانت الكلمة الأُخرى أَحْرٌ من الجمر ، فالتهب قلبي من حرارتها .

قال الحريري (في درة الغواص) : أراد بالكلمة الأولى تحية القدم ، وبالأُخرى سلام الوداع .

وجعل الزَّمْخَشَرِيُّ أَحْرٌ من الجمر من الأمثال ، وأنشد له هذا البيت مع البيت الأول عن الجاحظ ، لكن روى المصراع الأول هكذا :

* فقالت لنا ثنتين كالثلج منهما *

وهذا أنسب بما قاله الحريري .

وقوله بثنيتين منصوب على المفعول المطلق ، أَي تكليمتين ، والأُخرى

صاحب الشاهد
مبتدأ بتقدير موصوف ، أى والكلمة الأخرى ؛ وأحرّ من الجمر خبر المبتدأ.
وهذه الأبيات نسبها الجاحظ والقالى والحريرى إلى أبى العميثل عبد الله
ابن خالد (١) والعميثل ، بفتح العين المهملة والميم وسكون المثناة التحتية وفتح
الطاء المثناة. والعميثل فى اللغة يأتى لمعانٍ منها الأسد الضخم، والسيد الكريم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الثلاثئة ، وهو من
شواهد س (٢):

٣١١ ٣٤٤ (لو قلت ما فى قومها لم تيشم يفضلها فى حسب وميسم)

على أن جملة يفضلها صفة لموصوف محذوف هو بعض الجحور بفى .
قال سيبويه : يريد ما فى قومها أحد يفضلها ، كما قالوا : لو أن زيدا ههنا ، وإنما
يريدون لكان كذا . انتهى .

وأنشده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ من الذين هادوا
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ (٣) عَلَى أَحَدٍ وَجْهَيْنِ ، وذلك من كلام العرب ، أن
يضمروا مَنْ فى مبتدأ الكلام بمنْ ، فيقولون : متا يقول ذاك ومتا لايقوله . وذلك
أنَّ مِنْ بعضٌ لما هى منه ، فلذلك أدّت عن المعنى المتروك . قال الله
تعالى : ﴿ وما متا إلا له مقام معلوم (٤) ﴾ ، وقال : ﴿ وإنْ مِنْكُمْ إِلَّا

(١) من شعراء الاعراب . توفى سنة ٢٤٠ ، انظر حواشى الحيوان ١ : ١٥٥ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٥ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٧٠ وابن يعيش ٣ : ٥٩ ، ٦١ والعينى ٤ :
٧١ والتصریح ٢ : ١١٨ والجمع ٢ : ١٢٠ والأشعرى ٣ : ٧١ .

(٣) الآية ٤٦ من النساء .

(٤) الآية ١٦٤ من الصفات .

وَأَرَدَهَا ^(١) . وَلَا يَجُوزُ إِضْمَارُ مَنْ فِي شَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ إِلَّا عَلَى هَذَا الَّذِي نَبَأْتُكَ بِهِ . وَقَدْ قَالَهَا الشَّاعِرُ فِي فِي ، وَلَسْتُ أَشْتَبِهَا ، قَالَ :
لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَأْتُمْ يَفْضُلُهَا فِي حَسْبٍ وَمِيسَمٍ
وَيُرْوَى أَيْضاً : « تَيْثَم » لُغَةٌ . وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ فِي فِي لِأَنَّكَ تَجِدُ مَعْنَى مَنْ أَنَّهُ بَعْضُ مَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ . أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ : فِينَا الصَّالِحُونَ وَفِينَا دُونَ ذَلِكَ ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ : مِنَّا . وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ فِي الدَّارِ يَقُولُ ذَاكَ ، وَأَنْتَ تَرِيدُ فِي الدَّارِ مَنْ يَقُولُ ، إِنَّمَا يَجُوزُ إِذَا أُضِيفَتْ فِي إِلَى جِنْسِ الْمَتْرُوكِ . انْتَهَى كَلَامُهُ .
وَأَرَادَ بَحْنَ الْمَضْمَرَةِ النَّكَرَةِ الْمَوْصُوفَةِ لَا الْمَوْصُولَةَ ، فَإِنَّهَا لَا تَحْذَفُ وَتَبْقَى صَلَتِهَا ، أَوْ أَنَّهَا هِيَ الْمُرَادَةُ عِنْدَهُ فَإِنَّهُ كَوَفٌّ ، وَالْكَوْفِيُّونَ يَجُوزُونَ حَذْفُ الْمَوْصُولِ .

وَقَدْ بَيَّنَّ الضَّابِطُ فِي حَذْفِ الْمَوْصُوفِ مَعَ الْمَجْرُورِ بِمَنْ وَفَى ، إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ ، وَوَافَقَهُ السِّيَرَاءِيُّ فَقَالَ : أَكْثَرُ مَا يَأْتِي الْحَذْفُ مَعَ مَنْ ، لِأَنَّ مَنْ تَدُلُّ عَلَى التَّبْعِيضِ . وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ مَعَ فِي ، وَلَيْسَ مِثْلُ مَنْ فِي الْكَثْرَةِ . انْتَهَى .

وَقَوْلُهُ : (لَمْ تَيْثَم) جَوَابُ لَوْ الشَّرْطِيَّةِ ، أَيْ لَمْ تَكْذِبْ فَتَأْتُمْ ، وَأَصْلُهُ تَأْتُمْ فَكَسَرَ التَّاءَ عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَكْسِرُ حُرُوفَ الْمُضَارَعَةِ إِلَّا الْيَاءَ لِلْكَرَاهَةِ ، وَهَمَّ بَنُو أَسَدٍ . قَالَ ابْنُ يَعِيشَ : وَذَلِكَ إِذَا كَانَ الْفِعْلُ عَلَى فَعِلَ نَحْوَ يَعْلَمُ وَيَسْلَمُ . انْتَهَى .
وَقَبْلَ كَسْرِ التَّاءِ قَلْبَتِ الْهَمْزَةُ أَلْفاً ، وَبَعْدَ كَسْرِ التَّاءِ قَلْبَتِ الْأَلْفُ يَاءً لِانْكَسَارِ مَا قَبْلَهَا . وَقَوْلُهُ : (مَا فِي قَوْمِهَا) خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مُحْذُوفٍ ، وَهُوَ الْمَوْصُوفُ بِقَوْلِهِ يَفْضُلُهَا . وَقَدَّرَهُ ابْنُ يَعِيشَ بِإِنْسَانٍ يَفْضُلُهَا ، وَالْجُمْلَةُ الْمُنْفِيَّةُ مَقُولُ الْقَوْلِ .

وقوله : (في حسب) متعلق بيفضلها . والحسب : ما يعده الإنسان من مفاخره ، وأراد به الشرف النسبي وهو شرف الآباء ، وأراد بالميسم الشرف الذاتي ، فإن الميسم الحسن والجمال ، من الوسم ، وهو الحسن .

صاحب الشاهد وهذا البيت من رجز لحكيم بن مَعِيَّة الرَّبْعِي ، من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهو راجز إسلامي كان في زمن العجاج وحُميد الأرقط . نسبه إليه سيبويه في موضع آخر من كتابه ^(١) . وبعده :

(عفيفة الجيب حرام المَحْرَم
من آل قيسي في النصاب الأكرم)

والنصاب وكذا المنصب : الأصل .
وكان يفضل الفرزدق على جرير ، فهجاه جرير لذلك .
ونسب ابن يعيش البيت الشاهد للأسود الجُماني . والله أعلم .
و (مَعِيَّة) بضم الميم وفتح العين وتشديد التحتية : مصغر معاوية .
والجُماني بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم : نسبة إلى جُمَان ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :

٣١٢ (أنا ابنُ جَلَا وطلّاعُ الشّنايا متى أضيعَ العِمَامَةَ تُعرِفُونِي ^(٣))
على أن الاسم الموصوف بالجملة لا يحدف بدون من أوفى، إلا في الشعر كما
هنا ، فإن أصله : أنا ابن رجل جلا . فجلا فعل ماض بمعنى كشف الأمور،

(١) كذا . ولم أجد هذا الموضع .

(٢) هم بنو جمان بن عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . الجمهرة ٢٢٠ .

(٣) الجزء الأول ص ٢٥٥ . وانظر أيضا المعاني الكبير ٥٣ . والكامل ١٢٨ . ٢١٥ . والجمل ٢١٢

والمقرب ٦١ وشرح شواهد المغني ١٥٧ ، ٢٥٤ .

أو بمعنى انكشف أمره . وفيه ضمير يعود على الموصوف المحذوف لضرورة الشعر . وهذا على أحد التخريجين المشهورين في هذا البيت . والتخريج الثاني لسبويه ، وهو أنَّ جلا مع ضميره المستتر جملة محكية جعلت علما ، ولا شاهد فيه على هذا . ولنا عليه كلام أسلفناه في الشاهد الثامن والثلاثين من أوائل الكتاب .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الثلاثمائة (١) :
 ٣٤٥ (مَالِكٌ عِنْدِي غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَرٌ وَغَيْرُ كَبْدَاءٍ شَدِيدَةٍ الْوَرُثُ
 « جَادَتْ بِكَفِّيَّ كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ »)
 على أنَّ جملة كان مع ضميره المستتر صفة لموصوف محذوف ضرورة ، أي بكفِّيَّ رجل أو إنسان كان . والأوَّلَى بكفِّيَّ رام ، للقرينة . قال ثعلب (في أماليه) : لم أسمع من في موضع الاسم إلَّا في ثلاثة مواضع : قوله :
 « جَادَتْ بِكَفِّيَّ كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ »

وقوله :

« أَلَا رَبِّ مِنْهُمْ مَنْ يَقُومُ بِمَالِكَا »

وقوله :

« أَلَا رَبِّ مِنْهُمْ دَارِعٌ وَهُوَ أَشْوَسُ »

انتهى . وإنما قال لم أسمع لأنَّ كان فعل ، وربَّ حرف ، ولايلهما إلَّا الأسماء . وهذا يستدلُّ على حرفية من التبعيضية ، لأنَّ ربَّ لا تنجر إلَّا النكرة .

(١) انظر المقتضب ٢ : ١٣٩ ومجالس ثعلب ٥١٣ والخصائص ٢ : ٣٦٧ وأمالي ابن الشجري

٢ : ١٤٩ والإنصاف ١١٤ وشرح شواهد المغني ١٥٧ .

وأقول : لولا وقوع هذا الموصوف مضافاً إليه هنا لجاز أن يكون من قبيل :

« وكَلَّمْتُهَا ثنتين كالماء منهما (١) »

وقال ابن جنى (في الخصائص) : روى أيضاً بفتح ميم مَنْ أَى بِكَفَى من هو أرمى البشر ، وكان على هذا زائدة . انتهى .
أقول : جعل مَنْ على هذه الرواية نُكْرَة موصوفة أولى من جعلها موصولة .

وقوله : (مالك عندي) إنْخ لك ظرف مستقرّ وغير فاعله ، وعندي متعلق بلك . (كبداء) أَى قوس كبداء ، وهى التى يملأ الكفّ مقبضُها . (جادت) أَى أَحَسَنْت . وهذه رواية ثعلب وابن جنى وغيرهما ، ووقع فى رواية ابن هشام (فى المغنى) : « ترمى » بدل « جادت » . ويروى فى بعض نسخ هذا الشرح « كانت » ، وهذا لايناسب المعنى .
وقوله : (بكفى) متعلق بمحذوف على أنّه حال ، وهو مثْنَى كف* ، وحذفت النون للإضافة .
وهذا الشاهد قلما خلا منه كتاب نحوى ؛ لكنّه لم يعرف له قائل . والله أعلم .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد سيبويه (٢) :

(١) انظر الشاهد ٣٤٣ ص ٥٩ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٧٥ . وانظر المقتضب ٢ : ١٣٨ وابن عيش ١ : ٦١ — ٣ : ٥٩ ، ٦٠ .
والعنى ٤ : ٦٧ والأشخوى ٣ : ٧١ وديوان النابغة ٧٩ .

٣٤٦ (كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَقِيْشٍ يُقَعِّعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ يَشْنُ)

على أَنَّ حذف الموصوف هنا بدون أن يكون بعضاً من مجرور بمن أوفى ، لضرورة الشعر ، والتقدير : كأنك جمل من جمال بني أقيش . وهذا مثال لقيام الظروف مقام الموصوف لضرورة الشعر ، والبيتان قبله لقيام الجملة مقامه كذلك .

٣١٣ وقد أورده ابن الناظم والمرادى (فى شرح الألفيّة) كما أورده الشارح المحقق . وفيه أَنَّ البيت من القسم الأوّل ، وهو أَنَّ الموصوف بالجملة أو الظرف إذا كان بعضاً من مجرور بمن أو فى يجوز حذفه كثيراً . ويانه أَنَّ الموصوف يقدر هنا قبل يُقَعِّع ، والجملة صفة له ، أى كأنك جمل يُقَعِّع ، وهو بعض من المجرور بمن ، ويكون قوله من جمال بني أقيش حالاً من ضمير يُقَعِّع الراجع إلى جمل المحذوف .

وقد أورده الزمخشري (فى المفضل) وصاحب (اللباب) فيما يجوز حذف الموصوف منه ، إلا أنهما جعلاه خبراً لكان كالشارح المحقق . وهما فى ذلك تابعان لسيبويه ، فإنّه قال (فى باب حذف المستثنى استخفافاً) ، قال : وذلك قولك ليس غير ، وليس إلا ، كآته قال : ليس إلا ذاك وليس غير ذاك ، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاءً بعلم المخاطب ما يعنى . وسمنا بعض العرب الموثوق بهم يقول : مامنهما مات حتى رأيت فى حال كذا ، وإنما يريد مامنهما واحد مات . ومثل ذلك قوله تعالى جدّه : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ^(١) ، ومثل ذلك من الشعر :

* كأنك من جمال بني أقيش *

أى كَأَنَّكَ جَمَلٌ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَقِيْشٍ . ومثل ذلك قوله أيضاً :
« لو قلت ما فى قومها لم تيثم »

البيت . انتهى

وليس فى كلامهم ما يُشعر كونه من قبيل الضرورة ، بل جعله الزمخشري وصاحب (اللباب) من قبيل ما إذا ظهر أمرُ الموصوف ظهوراً يُستغنى معه عن ذكره فحينئذ يجوز تركه وإقامة الصفة مقامه . ولم يذكر مذكره الشارح (١) المحقق من جواز حذفه كثيراً إذا كان بعضاً من مجرور بمن أوفى . وقوله (بنى أقيش) بضم الهمزة وفتح القاف وآخره شين معجمة . قال أبو عمرو: هو حىٌّ من عُكْلٍ ، وجماله ضعاف تنفر من كل شيء تراه . وقال ابن الكلبي: بنو أقيش: حىٌّ من الجن ، وإنما أراد: إنا لك نفورٌ وليس لك معقودٌ رأى . وقال الأصمعيُّ: جمال بنى أقيش حوشية ليست ينتفع بها ، فيضرب بنفارها المثل . ورأيت فى (جمهرة الأنساب) : أقيش بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب (٢) . وأنشد هذا البيت . وقيل بنو أقيش فخذ من أشجع ، وقيل حىٌّ من اليمن .

و(يقعقع) بالبناء للمفعول . والقعقعة : تحريك الشيء اليابس الصلب . و(الشَّنّ) بالفتح : القرية البالية ، وجمعها شنان ، وتقعقعُها يكون بوضع الحصى فيها وتحريكها فيُسمع منها صوت ، وهذا ممّا يزيدُها نفوراً . ووقع مثله فى شعر صخر بن حَبْناء ، يخاطب أخاه المغيرة :
تَجَبَّيْتُ الذَّنُوبَ عَلَى جَهْلًا لَقَدْ أُولَعَتْ وَجْهَكَ بِالتَّجَنَّى
كَأَنَّكَ إِذْ جَمَعْتَ الْمَالَ غَيْرٌ يَقْعَقَعُ خَلْفَ رَجْلَيْهِ بَشَنٌ

(١) ش : « مذكر الشارح » .

(٢) وقع فى جمهرة ابن حزم ٢١٦ : « أنيس » بالنون ، ويبدو أن ما هنا صوابه .

ومنه المثل : «فلان مايقعقع له بالشَّنان» ، يضرب لمن لايتضع لما ينزل به من حوادث الدهر ، ولا يروعه ما لا حقيقة له . وقال الزمخشري (في المستقصى): يضرب للرجل الشرس الصعب ، أى لا يهدد ولا ينزع . وقال الحجاج على منبر الكوفة : « إني والله يا أهل العراق مايقعقع لى بالشَّنان » .

وهذا البيت من قصيدة للنابعة الذبياني . قال ابن السرياني (في شرح أبيات سيويه) : سبب هذا الشعر أن بنى عبس قتلوا رجلاً من بنى أسد ، فقتلت بنو أسد رجلين من بنى عبس ، فأراد عُيينة بن حصن الفزاري أن يُعين بنى عبس عليهم وينقض الحلف الذى بين بنى ذبيان وبين بنى أسد ، فقال له النابعة: اتخذل بنى أسد وهم حلفاؤنا وناصرونا، وتعين بنى عبس عليهم . انتهى .

وهذه أبيات من القصيدة بعد ثمانية أبيات من أولها : أبيات الشاهد
(أتخذل ناصري وتعرَّ عبساً أيربوع بن غيظ للمعن^(١))
كأنك من جمال بنى أقيش يُقعقع خلف رجليه بشن
تكون نعامةً طوراً، وطوراً هوى الريح تنسج كل فن
إذا حاولت فى أسد فجوراً فأنى لست منك ولست منى
هم درعى التى استلأمت فيها إلى يوم النِّسار وهم مجنى
وهم ردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ إنى
شهدت لهم موطن صادقات أتيتهم بنصح الصِّدْرِ منى
بكل مجرب كالليث يسمو على أوصال ذيال رِفْن
ولو أئى أطعتك فى أمور قرعت ندامة من ذاك سِنى

(١) ش « بن قيط » ، تحريف .

وهذا آخر القصيدة . وقوله :

* أَنَحْذِلْ نَاصِرِي وَتُعَزِّ عِبْسَا *

هذا خطابٌ لعيينة بن حصن ، وأرادَ بناصره بنى أسد. وقوله :

* أَيُرْوِعُ بَنَ غِيْظٍ لِلْمِعَنِّ *

هذا خطاب آخر ليربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وهو من قوم النابغة . والمِعَنُّ بكسر الميم وفتح العين المهملة : المعارض في الأمور ^(١) ، وعنى به عيينة بن حصن ، يقال عَنْ يَعْنٍ ، وإثك لتعِنَّ في هذا الأمر أى تَعَرِّضُ فيه . واللام في للمعَنِّ متعلقة بمحذوف ، أى تعجب يايربوع من هذا المعارض .

وقوله : (كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالٍ) لَمِخْ هذا خطابٌ لعيينة أيضاً ، يقول : أنت سريع الغضب والتنفور ، تنفر مما لا ينبغي لعاقِل أن ينفر منه . وقيل معناه : إنك جبانٌ في الحرب لا تقدر على الطَّعَان والضراب ، بل تنفر عنها كما ينفر الجمَل عن صوت الشَّنِّ وقعته .

وقوله : « تكون نعامه » ، قال أبو عمرو : يقول : تتخيَّل مرة كذا ومرة كذا . وقوله : « هوىَّ الريح » يريد طوراً تهوى هوىَّ الريح . والفنَّ : اللون ، والجمع الفنون . وقال الأصمعيُّ : كَأَنَّهُ يَهْوِي هَوًى كُلِّ فَنٍّ ، أى كلَّ ضربٍ من الجرى .

وقوله : « إذا حاولت في أسيد فجوراً » ، استشهد به الزمخشري عند قوله تعالى : ﴿ وَرَبِّائِبِكُمُ اللَّائِقُ فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ ^(٢) .

(١) ص : (المقبوض في الأمور » ، صوابه في ش .

(٢) الآية ٢٣ من النساء .

وقوله : «درعى التى» إلخ اللأمة بالهمزة : الدرع . واستأمتها : تحصنت فيها . والمجنّ : الثرس . والنّسار ، بكسر النون : اسم ماء لبنى عامر من بنى تميم ، وفيه وقعة كانت لأسد وغطفان على تميم .

وقوله : «وردوا الجفار» البيتين ، فى البيت التضمين ، وهو عيبٌ ، وهو أن يتوقّف على البيت الثانى ، فإنّ خبر إنّ هو أوّل البيت الثانى . والجفار بكسر الجيم : اسم ماء لبنى تميم بنجد .

وقوله «بكل مجرب كالليث» إلخ أى بكل شجاع مجرب فى الحروب . ورفنّ بكسر الراء المهملة بعدها فاء ، قال أبو عمرو : هو السريع . والذّيال : الطويل الذنب . والأوصال : المفاصل ، أى على أوصال فرس يذيل فى مشيته سابغ الذّنب .

٣١٥

والنابغة الذبياني شاعرٌ جاهلى قد تقدّمت ترجمته فى الشاهد الرابع بعد المائة (١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الثلاثمائة (٢) :

٣٤٧ (والمؤمن العائذات الطير يمسحها

رُكبانُ مَكَّةَ بين الغيل والسند)

على أن العائذات كان فى الأصل نعتاً للطير ، فلما تقدم وكان صالحاً لمباشرة العامل أعرب بمقتضى العامل ، وصار المنعوت بدلا منه ، فالطير بدل من العائذات ، وهو منصوب إن كان العائذات منصوباً بالكسرة على أنّه مفعول به للمؤمن ، ومجرور إن كان العائذات مجروراً بإضافة المؤمن إليه . والأصل على الأول : والمؤمن الطير (٣) بنصب الأول بالفتحة والثانى بالكسرة . وعلى الثانى : والمؤمن

(١) الخزّانة ٢ : ١٣٥ .

(٢) ديوان النابغة ١٥ وابن يعش ٣ : ١١ .

(٣) كلمة « الطير » ساقطة من ش .

الطير العائذات ، مجرّهما بالكسر ، فلماً قدّم النعث أعرب بحسب العامل وصار المنعوت بدلاً منه .

هذا محصل كلام الشارح المحقق ، وهو في هذا تابع لأبي على (في الإيضاح الشعري) ، وهذه عبارته : مَنْ كانت الكسرة عنده جرّة ، على هذا الحسن الوجه جرّ الطير ، لأنّ العائذات مجرورة . ومن كانت الكسرة عنده في موضع نصب على قولك الضارب الرجل نصب الطير ، والطير في هذا الموضع بدل أو عطف ، وإلّا ما كان حذّه : والمؤمن الطير العائذات أو الطير العائذات ، فقدّم العائذات وأخر الطير . و (المؤمن) هو الله سبحانه ، وهو اسم فاعل من آمن كما قال : ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ ^(١) أى آمنهم من الخوف لكونهم في الحرّم . وحلّوهم فيه . انتهى .

ولم يرضَ الزمخشريّ هذا (في المفصل) في باب الإضافة : أنّ العائذات كان في الأصل الطير العائذات ، فحذف الموصوف وجعل العائذات اسماً لا صفة ، فلماً جعلت اسماً احتاجت إلى تبين ، فأجرى عليها بالتبيين . قال : وليس هذا من تقديم الصفة على الموصوف .

ولا يخفى أنّ هذا تكلف ، ولهذا أعرض عنه الشارح .
وزعم بعضهم أنّ الطير بدل بعض من العائذات ، لأنّ العائذات عام يقع على الطير والوحش وغيرهما .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة للناطقة الذبياني ، وهو أحسن شعره ، ولهذا ألحقوها بالقصائد المعلقة ، مدح بها النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وتبرأ فيها مما اتّهم به عند النعمان .

(١) الآية ٤ من سورة قريش .

وتقدّم أبياتٌ منها في باب الاستثناء، وفي خبر كان وفي غيرهما.

وهذه أبيات منها :

(فلا لعمرُ الذي قد زُرُّهُ حَجَجاً وماهريقُ على الأنصاب من جَسَدِ أبيات الشاهد
والمؤمن العائذاتِ الطير
ما إن أتيْتُ بشيءٍ أنت تكرهُه إذنُ فلا رَفَعْتُ سَوْطِي إلى يدي
إذنُ فعاقَبَنِي رَبِّي معاقبةً قَرَّتْ بها عينُ من يأتيك بالحسدِ
هذا لأبرأ من قولٍ قُدِفْتُ به طارت نوافذه حَرَى على كبدي)

قوله : «فلا لعمر الذي» إلخ لا الداخلة على القسم قبل نافية منفيها محذوف ، أى ليس الأمر كما زعموا ، وقيل زائدة زيدت توطئة لنفى جواب القسم ، وعمر مبتدأ محذوف الخبر وجوباً ، أى قسمي. وحججاً : جمع حجّة ، بكسر المهملة فيهما ، وبعدها جيم ، وهى السّنة . أقسمَ بالبيت الذى زاره فى سنين متعدّدة ، وهو البيت الحرام. وقوله : «وماهريق على الأنصاب» هريق بمعنى أريق ، والهاء بدل من الهمزة . والأنصاب : حجارةٌ كانت العرب فى الجاهليّة تنصبها وتذبح عندها . والجسد بفتح الجيم ، هو الدم . وماعطوف على الذى ، وكذا قوله : والمؤمن . وزعم من لم يطلع على البيت الأوّل أنّ الواو واو القسم . والعائذات : ماعاذَ بالبيت من الطير ، قال ثعلب : أراد بالعائذات الحمام ، لما عاذت بمكة والتجأت إليها حرماً قتلها وآمنها من أن تُضام . وقد أغرب بعضهم بقوله : العائذات جمع عائذ ، وهى الحديثة النتاج من الطيور والبهايم ، وهو من عُذت بالشئ : التجأت إليه ، لأنّ الحامل إذا ضربها المخاضُ عاذت . وهو فى الأصل من باب الكناية . انتهى

وفيه أنّ العائذ بالمعنى المذكور خاصٌ بالناقّة .

والطّير : جمع طائر ، مثل صحب وصاحب ، وقد يقع على الطّير الواحد ، وجمعه طيور وأطيّار . وركبان : جمع ركب ، وجملة «يمسحها ركبان مَكَّة» حالٌ من الطّير . والسند ، بفتحين : ما قبلك من الجبل وعلا عن السفح ^(١) . وروى أبو عبيدة الغيل بكسر الغين المعجمة ، وقال : هي والسند أجمتان كانتا بين مكة ومنى . وأنكرها الأصمعيّ وقال : إنّما الغيل بالفتح ، وهو ماءٌ . يعنى النابغة ماءً كان يخرج من أنى قبّيس . كذا في شرح ديوان النابغة . ولم يذكر أبو عبيد هذا (في معجم ما استعجم ^(٢))

وقوله : « ما إن أتيت بشيء » إلخ هذا [هو] جواب القسم . واستشهد به ابن هشام (في المغني) على أنّ « إن » تزداد بعد ما النافية . يقول : ما فعلت شيئاً تكرهه أنت ، وإلا فلا رفعت يدي إلى سوطي ، أي شلّت يدي ولم تقدر على رفع السوط .

وقوله : « إذن فعاقبتني ربّي » إلخ هذا دعاءٌ آخر على نفسه .
وقوله : « هذا لأبرأ » إلخ أي هذا القسم لأجل أن أتبرأ مما اتّهمت به .
والنوافذ تمثيل ، من قولهم : جرح نافذ . أي قالوا قولاً صارَ حرّه على كبدي وشقيّت به .

* * *

وأنشد بعده :

(وليل أقاسيه بطيء الكواكب)

على أنّه يجوز أن توصف النكرة بالجملة قبل وصفها بالمفرد إذا اجتمعا ،

(١) ط : « من السفح » ، صوابه في ش واللسان (سند) .

(٢) ش : « في المعجم فيما استعجم » .

كما هنا ، فإنَّ ليلاً قد وُصِفَ بجملة أفاقيه قبل وصفه بقوله : بطيء ، وليس مجروراً بالعطف على همٍّ في صدر البيت ، وهو :

* كِلينى لهمَّ يا أميمة ناصب *

يقول : دعيني واركبني لهذا الهمِّ المتعبِّ ومقاساة الليل البطيء الكواكب .

وهذا البيت مطلع قصيدة للناطقة الذبياني أيضاً تقدّم الكلام عليه مفصلاً في الشاهد السابع والثلاثين بعد المائة ^(١) :

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الثلاثئة ^(٢) :

٣٤٨ (ألا أيها الطيرُ المُرَّة بالضُّحَى على خالدٍ لقد وَقَعْتَ على لَحْمٍ)

على أنَّ الصفة ربّما تنوَّى ولم تذكرْ ، للعلم بها كما هنا . فإنَّ التقدير : على لحم أَى لحم .

وكذا أوردَه في (التفسيرين) ^(٣) عند قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ^(٤) على تنكير هُدًى للتعظيم ، أَى هدى عظيم ، كتذكير لحم في هذا البيت ، أَى لحم عظيم . والفرق بينهما أنَّ الأول مفهوم من اللفظ المحذوف ، والثاني من الفحوى ، والمحجُج إلى هذا استقامة المعنى ، ولولاه لكان لَغَوّاً

٣١٧

(١) الخزانة ٢ : ٣٢١

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٥٤ . وسيأتى في ٣ : ١٨ بولاق .

(٣) هما تفسيراً الزمخشري والبيضاوى . وقد شرح شواهدهما معا « خضر الموصلى » .

(٤) الآية ٥ من البقرة .

لا يفيد شيئاً ، ولهذا اعتُبر ، سواء كان بالطريق الأولى أم الثانية .
 وجوازهما قدّر الشارح المحقق هنا الوصف ، واعتبره هناك من التنكير
 لما فيه من الإيهام المقتضى للتفخيم والتعظيم .
 ونُقل عن الزمخشري أنّه كان إذا أنشد هذا البيت يقول : مأفصحك
 من بيت !

وصدر البيت لم أره كذا إلا في رواية الشارح المحقق . والبيت من شعير
 مذكور في أشعار هذيل ذكر في موضعين منها ، ذكر في الموضع الأول ستة
 أبيات ، وفي الموضع الثاني اثنين وثلاثين بيتاً . أما الرواية الأولى ، والشعر
 منسوب لأبي خراش فهي هذه :

(إنّك لو أبصرتِ مصرع خالد بحجب الستار بين أظلم فالحزم
 لأيقنت أنّ البكر ليس رزية ولا الثأب ، لا اضطمت يدك على غنم
 تذكّرت شجواً ضافني بعد هجعة على خالد فالعين دائماً السّجيم
 لعمري أنّ الطير المربة بالضحي على خالد لقد وقعت على لحم
 كليه ، ورئي ، لالتحيين مثله غداة أصابته المنية بالرّدم
 ولا وأنى لا تأكل الطير مثله طويل النجاد غير هارٍ ولا هشيم)

قوله : « إنّك لو أبصرت » ، هذا خطاب لعشيقته خالد بن زهير
 الهذلي ، قُتل بسببها كما يأتي بيان قتله . وخالد هو ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي .
 والستار ، بكسر السين المهملة بعدها مشناة فوقية وآخره مهملة ، قال البكري (في
 معجم ما استعجم) : هو جبل معروف بالحجاز . وأنشد هذا البيت . وأظلم

على وزن أفعل التفضيل من الظلم^(١) ، قال البكري : هو موضع قريب من الستار . والحزم ، بفتح المهملة وسكون الزاي المعجمة ، هو موضع يقال له حزم بنى عوال . ووقوع هذه الفاء بعد بين قد شرحه الشارح المحقق في الفاء العاطفة .

وقوله : «لَأَيُّقِنْتَ أَنَّ الْبَكْرَ» هو بالفتح : الجمل الشاب . والناب : الناقة المستنة . يقول : لو رأيت هلاك خالد لعلمت أن ذهاب البكر والناب ليسا بمصيبة ، واستخففت مُصابتهما . وقوله : «لَااضْطَمَّتْ» إلخ هو دعاء عليها ، وهو افتعلت من الضم ، أى لاغْنِمْتُ يدالك بل خيبك الله ، إذ صيرت تحزّنين على هذا البكر .

وقوله : «تَذَكَّرْتُ شَجَوًّا» هو بضم التاء . والشَّجُو : الحزن . وضافني : نزل بي كالضيف . والهَجْعَةُ : التَّوْمَةُ . والسَّجَم : السَّكَب .

وقوله : «لِعَمْرٍ أَيْ الطَّيْرِ» قال السكري (في شرح أشعار هذيل^(٢)) : قوله : لقد وقعت على لحم : كان ممنوعاً . والطير مضبوط بالكسرة في نسختي ، وهذه نسخة قديمة صحيحة ، تاريخ كتابتها في سنة مائتين بعد الهجرة ، وعليها خطوط العلماء منهم ابن فارس صاحب (المجمل) في اللغة ، كتب على ظهرها سند روايته . ولعمر مبتدأ محذوف الخبر ، أى قسمي ، وقوله : «لقد وقعت» جواب القسم ، وهو خطاب للطير على الالتفات . وروي : «لقد عَكَفَنَ» بدله من العكوف بالعينية ، والنون ضمير الطير ، وعليه لا التفات . وأراد

(١) الذي في معجم ما استعجم : « من الظلمة » .

(٢) شرح السكري ١٢٢٦ .

بأبي الطَّيْر خالداً^(١) سماءً به لوقوعها عليه ، كما يقال أبو تراب ونحوه . وقيل أراد :
أبا الطَّيْر^(٢) الواقعة على لحمه ، واستعظمها بالقسم بها لاستعظام لحم خالده
العظيم ، ففيه تعظيم للإقسام عليه بنفسه ، كما قال أبو تمام :

« وثناياك إنها إغريض^(٣) »

٣١٨

و(المريّة) : اسم فاعل ، صفة الطير ، من أربّ بالمكان ، إذا أقام به . وروى
(في التفسيرين) :

« فلا وأبى الطير المريّة بالضُّحى »

فلا : ردّ لما يتوهم من تحقيره بأكل الطير له ، وقيل زائدة . وزعم بعضهم
أن أبى بياء المتكلم ، والطير بالرفع . وبعض آخر أن أبى أصله أبين بالجمع حذف
نونه للإضافة . ولا يخفى ركاعته .

وقال السعد (في حاشية الكشف) : وروى برفع الطير على أنّه فاعل فعل
يفسره لقد عكفن .

وقوله : « كُليهِ ورَّيْ » أمرٌ للطير بالأكل ، يرغبها في أكلها إياه فاتّها
لاتجىء إلى مثله ولا تظفر به .

وقوله : « ولا وأبى لا تأكل الطير » إلخ هاء أصله هائر ، أى ضعيف
ساقط ، فقلب وحذف بالإعلال ، مثل شاكى السلاح أصله شائك .
والهشيم^(٤) : الرّخو الضعيف .

(١) ط : « خالداً » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « أراد بالطير » ، صوابه في ش .

(٣) مطلع قصيدة في ديوانه ١٨١ يمدح بها أبا الغيث موسى الرافقى . وعجزه :

« ولألّ ثوم وبرق وميض »

(٤) كذا . والذي في البيت « الهشم » فعله « والهشم والهشم » .

وأبو خراش : شاعرٌ إسلاميٌّ صحابيٌّ ، تقدّمت ترجمته في الشاهد الثاني والسبعين ^(١) .

وأما الرواية الثانية بعد ثمانية أوراق ^(٢) بعد هذا ^(٣) ، ونسبها الأحفش لخراش ابن المذكور . والقصيدة هذه :

(أرقتُ لهمّ ضافني بعد هجعةٍ على خالدٍ فالعينُ دائمةُ السّجَمِ ^(٤))
إذا ذكرته العينُ أغرقها البُكا وتشقُّ من تَهْمَها العينُ بالدمِّ
فباتت تُراعى النّجمَ عينٌ مريضة لِمَا عاها واعتادها الحُزنُ بالسّقمِ
عالمها : أثقلها وشقَّ عليها -

وما بعدُ أن قد هدّنى الحزنُ هدّةً تضالَّ لها جِسْمِي ورقَّ لها عَظْمِي
وأن قد أصابَ العظمَ مني مُخامرٌ من الدّاءِ داءٌ مستيكنٌ على كَلَمِ
تضالَّ بمعنى صغُر وضعف ، وأصله بالهمزة بعد الألف ، فحذفها

للضرورة . ومخامر : مخالط وملازم . والكَلَم بالفتح : الجرح -
وأن قد بدا مني لِمَا قد أصابني من الحزنِ أني ساهمُ الوجه ذو همِّ
شديدُ الأُسى بادى الشُّحوب كأنني أخو جِنّةٍ يعتاده الحُبْلُ في الجِسْمِ
الساهم : المتغيّر . والأُسى : الحزن . والشُّحوب : التغير . وجِنّة بالجم ،

(١) الخزانة ١ : ٤٤٣ .

(٢) كذا في النسختين . والوجه « ثمانى أوراق » .

(٣) كذا وردت العبارة في النسختين .

(٤) ديوان الهذليين ٢ : ١٥١ وشرح السكري ١٢٢٣ .

هو الجنّ . وروى: « حَيَّة » بمهملة ومثناة تحتية ، يعنى ملسوعا . والخَبَل ،
بفتح المعجمة : فساد الجسم والعقل —

لِفَقْدِ امرِيءٍ لا يَجْتَوِي الجَارُ قَرَبَهُ

ولم يك يُشْكِي بالقطيعة والظلم

يعود على ذى الجهل بالحلم والتَّهَي

ولم يك فَحَاشاً عَلَى الجارِ ذا عَدَمٍ

— لا يَجْتَوِي بالجيم ، أى لا يكره . والعدم ، بفتح العين المهملة وسكون الذال
المعجمة : العَضُّ^(١) والوقعة —

ولم يكُ فَظًّا قاطعاً لقراءة ولكن وَصُولاً للقراءة ذا رُحِمٍ^(٢)
وكنْتُ إِذا ساجرتَ منهم مُساجراً صَفَحَتْ بِفَضْلِ في المروءة والعِلْمِ
— هذا خطابٌ لخالد . وساجرتَ بالجيم ، بمعنى عاشرت . والسجير :

العشير والصاحب —

وكنْتُ إِذا ماقلتُ شيئاً فعلته وإن تَكُ غالتك المنايا وصرفُها
فقد عشتَ محمودَ الخلائق والجَلَمِ كَرِيمٍ سَجِيَّاتِ الأمورِ محبِّباً
أشَمَّ كنصل السِّيفِ يرتاح للندى وفُتْ بذاك الناسَ مجتمِعَ الحَزَمِ
كثيرَ فضولِ الكُفِّ ليس بذى وَصَمِ بعيداً من الآفاتِ والخلْقِ الوَحَمِ

٣١٩

(١) العَضُّ . بالعين المهملة ، كما في اللسان عند إنشاد البيت .

(٢) في شرح السكري : (ذا رحِم : ذا رحمة » . وفي اللسان : الرحِم : العطف والرحمة .

جَمَعْتَ أُمُوراً يُنْفَذُ الْمِرَّةَ بَعْضُهَا مِنْ الْحَلْمِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْحَسْبِ الضَّخِيمِ^(١)

— الْمِرَّةَ مَفْعُولٌ يُنْفَذُ ، وَبَعْضُهَا فَاعِلُهُ . يَقُولُ : بَعْضُ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي فِيكَ تَجْعَلُ الْمِرَّةَ نَافِذاً فَائْتَقَا لَا يَقْدِرُ عَلَى كَسْبِهَا فَكَيْفَ كُلُّهَا^(٢) ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِيكَ . وَالْمِرَّةُ ، بِكَسْرِ الْمِيمِ ، فِي لُغَةِ هَذِيلِ^(٣) —

لَعَمْرُ أَبِي الطَّيْرِ الْمُرِّيَّةِ غُدُوَّةً عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ عَكَفَنَ عَلَى لَحْمٍ — رَوَايَةُ هَذَا الْبَيْتِ هُنَا كَذَا وَقَعْتَ ، وَقَالَ السَّكْرِيُّ هُنَا : أَرَادَ التَّعَجُّبَ ، أَيْ أَيْ لَحْمٍ وَقَعْتَ عَلَيْهِ . وَيُرْوَى :

لَقَدْ قَلْتُ لِلطَّيْرِ الْمُرِّيَّةِ غُدُوَّةً عَلَى خَالِدٍ لَقَدْ وَقَعْتَ عَلَى لَحْمٍ وَالْمُرِّيَّةُ : الْمَقِيمَةُ . انْتَهَى —

وَلَحْمٍ أَمْرِيءٍ لَمْ تَطْعِمِ الطَّيْرُ مِثْلَهُ عَشِيَّةً أُمْسَى لَا يُبِينُ مِنَ الْبُكْمِ أَرَادَ الْبُكْمَ بِفَتْحَتَيْنِ فَخَفَّفَ —

فَكَلاَ وَرَبِّي لَا تَعُودِي لِمِثْلِهِ عَشِيَّةً لَا قَتْنُهُ الْمُنِيَّةُ بِالرَّدْمِ
فَلَا وَأَيُّ لَا تَأْكُلِ الطَّيْرُ مِثْلَهُ طَوِيلَ النَّجَادِ غَيْرِ هَارٍ وَلَا هَشْمِ
أَبْعَدَكَ أَرْجُو هَالِكاً لِحَيَاتِهِ لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُوهُ وَمَاعَشْتُ بِالرُّغْمِ
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَاعَشْتُ لَيْلَةَ ضَفَى مِنْ الْإِخْوَانِ وَالْوَلَدِ الْحَتْمِ

(١) فِي دِيْوَانِ الْهَذِيلَيْنِ وَشَرَحَ السَّكْرِيُّ : « الْمِرَّةُ » . وَقَالَ السَّكْرِيُّ : « الْمِرَّةُ لَغْنَمٌ ، يُرِيدُ الْمِرَّةَ يَا هَذَا » . لَكِنْ فِي اللِّسَانِ (مَرَأً) أَنْشَدَ الْبَيْتَ بِالرَّوَايَةِ الْمَثْبُتَةِ هُنَا . وَقَالَ : « هَكَذَا رَوَاهُ السَّكْرِيُّ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لُغَةُ هَذِيلِ » .

(٢) فِي الدِّيْوَانِ وَشَرَحَ السَّكْرِيُّ : « تَجْعَلُ الْمِرَّةَ نَافِذاً فَكَيْفَ كُلُّهَا » .

(٣) انْظُرِ التَّعْلِيْقَ السَّابِقَ .

— الضَّغَى : فَعُولٌ مِنْ ضَفَا يَضْفُو ، إِذَا كَثُرَ . وَالْحَثْمُ : الْحَقُّ —
تُطِيفُ عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَهُوَ مُلَحَّبٌ خِلَافَ الْبُيُوتِ وَهُوَ مُحْتَمِلُ الصَّرْمِ
— الْمُلَحَّبُ : يَفْتَحُ الْحَاءَ الْمَهْمَلَةَ : الْمَقْطَعُ . وَالصَّرْمُ ، بِالْكَسْرِ : الْحَيُّ —
فَإِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَ مَصْرَعًا خَالِدٍ بِجَنْبِ السُّتَارِ بَيْنَ أَظْلَمَ فَالْحَزْمِ
لَأَيَّقَنْتَ أَنَّ النَّابَ لَيْسَتْ زُرِّيَّةٌ وَلَا الْبَكْرَ ، لَا التَّفْتَ يَدَاكَ عَلَى غَنَمٍ
— هَذَا خَطَابٌ مَعَ الْمَرْأَةِ ، يَقُولُ : إِنَّ الْمَصِيبَةَ قَتَلَتْ ذَاكَ ، لَيْسَ الْمَصِيبَةُ نَابًا
تُصَايِنُ بِهَا . ثُمَّ دَعَا عَلَيْهَا : لَا زَرْقَ اللَّهُ يَدَيْكَ خَيْرًا تَلْتَفُّ عَلَيْهِ —
وَأَيَّقَنْتَ أَنَّ الْجُودَ مِنْهُ سَجِيَّةٌ وَمَا عَشْتِ عَيْشًا مِثْلَ عَيْشِكَ بِالْكُرْمِ
أَتَمَّتْهُ الْمَنَایَا وَهُوَ غَضٌّ شَبَابُهُ وَمَا لِلْمَنَایَا عَنْ حِمَى النَّفْسِ مِنْ عَزْمٍ
— مَا نَافِيَةٌ . وَالْكُرْمُ بِالضَّمِّ : الْعِزَّةُ . وَالْعَزْمُ هُنَا : الصَّبْرُ —
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا إِلَى الْمَوْتِ صَائِرٌ قَضَاءٌ إِذَا مَا حَانَ يُؤْخَذُ بِالْكَظْمِ
وَمَا أَحَدٌ حَتَّى تَأَخَّرَ يَوْمُهُ بِأَخْلَدَ مِمَّنْ صَارَ قَبْلُ إِلَى الرَّجْمِ
— وَالْكَظْمُ بِالْفَتْحِ : الْحَلْقُ ، وَقِيلَ الْفَمُ ، وَقِيلَ مَخْرَجُ النَّفْسِ ، وَأَصْلُهُ
بِفَتْحَتَيْنِ فَسَكُنَ ضَرْوَرَةٌ . وَالرَّجْمُ بِالْفَتْحِ : الْقَبْرُ ، وَأَصْلُهُ أَيْضًا بِفَتْحِ الْجِيمِ
فَسَكُنَ —

سَيَأْتِي عَلَى الْبَاقِينَ يَوْمٌ كَمَا أَتَى عَلَى مَنْ مَضَى حَتْمٌ عَلَيْهِ مِنَ الْحَتْمِ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا خَالِدًا مِنْ مُكَافِئِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ رَحَاءٍ وَمِنْ أَرْمٍ
فَلَسْتُ بِنَاسِيهِ وَإِنْ طَالَ عَهْدُهُ وَمَا بَعْدَهُ لِلْعَيْشِ عِنْدِي مِنْ طَعْمٍ

وهذا آخر القصيدة . والأُزم : الشدة . وإثما سقثها بتمامها لحسنها
وانسجامها ، ولأنَّ شراح شواهد التفسير زعموا أنَّ البيت الشاهد ليس هو إلاَّ
من أبيات أربعة ، لعدم اطلاعهم .

وروى السكري في آخر أشعار الهذليين ^(١) في بيان سبب قتل خالد
المذكور ، أنَّ البيت الشاهد وماعه من الشعر لحاله أُنِي ذُوَيْبُ الهذلي .

وهذه قصة قتله ، قال : زعموا أنَّ رجلاً من هذيل كان يقال له وهب
بن جابر ، هوى امرأةً من هذيل ، كان يُقال لها أم عمرو ، فاصطاد يوماً ظبية
فقال يخاطبها ^(٢) :

فمالك يا شبيهة أم عمرو إذا عاينتنا لا تأمينا
فعينك عينها إذ قمتِ وسنى وجيدك جيدها لو تنطقينا
وساقلك حمشة ولأم عمرو خدلجة تضيق بها البرينا
ورأسك أزعز ولأم عمرو غدايرُ ينعفرن وينشينا

— تضيق من الإضاقة . والبرين : جمع بُرة ، وهى الخلخال —

ثم خلّى سبيلها ، فبلغ ذلك أم عمرو فعطفت عليه ، فاستمكن منها
وكان رسولها إليه أبا ذُوَيْبُ الشاعر ، فلما أيفع أبو ذُوَيْبُ وكان جميلاً رغب فيه
واطرحت وهباً ، ففشا أمرهما في هذيل وقصر عن بعض زيارتها وأخفى أمرها
خشية أن يُرصد فيُغتال ، فانطلق إلى ابن أخت له يقال له خالد بن زهير
فأخبره بأمر أم عمرو ، وقال له : هل لك أن تكون رسولاً إليها وتعاهدني

(١) في النسختين : « أبيات الهذليين » ، وأثبت ما في هامش ش مقرونا بكلمة « صح » .

وانظر ماسيأتى في آخر القصة التالية .

(٢) في ش : « كان يقال لها أم عمرو فقال » فقط .

على أن لا تغدرني ^(١)، فأعطاه خالد موائقه واختلف بينهما، فلم تلبث أن عشقت خالداً وتركت أبا ذؤيب، وكان أبو ذؤيب يرسل خالداً إليها فينطلق فيتحدث إليها بحديث نفسه، فإذا انصرف قال لأبي ذؤيب: لم ألج إليها الخباء، وجدتها وستى! وكان ينصرف عنها ملطخاً بالطيب، فارتاب أبو ذؤيب من ذلك، وجعل يمس خده ويشم ثوبه فيجد منه ريح الطيب، وإنكر ذلك خالد من خاله فقال خالد لأمه، وهي أخت أبي ذؤيب:

يا قوم من لي وأبا ذؤيب كنت إذا أتوته من غيب
يشم خدي ويؤثر ثوبي كأنني أرتته بريـ

* من أجل أن يرميني بعيب *

فقال له أبو ذؤيب يوماً: انطلق إليها يا خالد، فإنني أريد أن آتيها الساعة. فانطلق خالد إليها فعانقها وقضى ما أراد من لهوه وضاجعها، وذهب بهما التوم فجاء أبو ذؤيب بعد ذلك فأخذ سهمين من سيهامه، فوضعهما عند رؤوسهما وأرجلهما ثم انصرف، فلما انتبه خالد عرف السهمين، فأعرض عن أبي ذؤيب إذ عرف أنه قد أيقن بغيره. وأقبل أبو ذؤيب على أم عمرو فقال:

تريدين كيما تجمعيني وخالداً وهل يجمع السيفان ويحل في غمـ
فأجابه خالد من شعر:

٣٢١

فلا تسخطن من سنة أنت سرتها فأول راضي سيرة من يسيرها
وجرى بينهما أشعار مذكورة في أشعار الهذليين. فلما رأى وهب بن جابر فساد ما بينهما بعث ابنه عمرو بن وهب، فبذل لأم عمرو ذات يده، فعطفها على نفسه بالطميع، وكان عمرو من أعظم شباب هذيل، واستمسكت

(١) يقال غدره وغدر به، يتعدى ولا يتعدى، كما في اللسان، أي نقض عهده.

بخالدٍ لِعَشْقِهَا إِيَّاهُ ، فكان لِخالدٍ سِرُّها ، ولِعَمْرٍو علانيُّتها، فبينا عَمْرٌو عندها ذات يومٍ إذ أتاها خالدٌ وهى وهو على شَرابِهما ، فقام مستبطناً سَيْفَهُ فولَّجَ عليهما ، فضرب رأسَ عَمْرٍو ثم خرج هارباً، فمرَّ بأبى ذؤيبٍ، وأبى خراشٍ، وربيعَةَ بن جَحدرٍ ، وهم يتصيِّدون ، فقال أبو ذؤيبٍ: ما وراءك يا خالد؟ فقال: قتلْتُ عَمْرًا . قال: قد أوقعْتَنِي في شرٍّ طويلٍ ، عليك بالحَزْمِ^(١)! فبلغ الخبرُ وهبَ بنَ جابرٍ ، فركبَ وركبَ معه جَبَّارُ بن جابرٍ في رهطهما ، فمروا بأبى ذؤيبٍ وأبى خراشٍ وربيعَةَ بن جحدرٍ ، فسألهم عنه فقالوا: لم نعلمه ، ولكن هل لك في شياهِ من الأَرْوَى^(٢) ؟ قال : مالى بهنَّ من حاجةٍ ! ومضوا في طلب خالدٍ حتَّى لَحِقُوهُ بجبلٍ يقال له أَظلم ، فقتلوه ، فبلغ ذلك أبا ذؤيبٍ وخراشا وربيعَةَ بن جَحدرٍ ، فعند ذلك قال ربيعة من شعر :

فوالله لا ألقى كيومٍ لخالدٍ حياتي حتَّى يعلو الرأسَ رامسُ
وقال أبو ذؤيبٍ يرى خالدا :

لَعَمْرُأى الطَّيْرُ المَرَّةَ في الضحى على خالدٍ لقد وَقَعَتْ على لَحِمٍ
ثم جمع أبو ذؤيبٍ رهطَه فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل عروة بن جحدرٍ ، ونجا خراش بن أبى جحدرٍ ، فعند ذلك قال أبو جحدر :

حمدتُ إلهي بعد عُرْوَةَ إذْ نجا خِراشٌ وبعضُ الشَّرِّ أهْوَنُ من بعضِ
ثم إنَّ القومَ تحاجزوا ، والقتلى^(٣) في أصحابِ أبى ذؤيبٍ أكثرُ ، فطلبوا خويلداً ، وهو أبو خراش بن وائلة الهذلي ، وهو في الحَزْمِ ، ومعه امرأته فلما علم بأمرهم أَمَرَ امرأته أن تسير أمامه ، وتقيم بمكانٍ وصفه لها ، فأخبرها

(١) الحزم : اسم لعدة مواضع . وأصل الحزم المكان الغليظ .

(٢) ط : « من الأَرْوَى » ، وأثبت ما في ش .

(٣) هذا ما في ش . وفي ط : « والقتل » .

أَنَّ قَوْمَهُ يَطْلُبُونَهُ بِذَخِيلٍ ، فَإِنْ أَبْطَأْتُ عَلَيْكَ فَأَتَعِينِي لِقَوْمِكَ . فَقَصَدُوا
نُحَيْلِدًا حَتَّى خَرَجَ عَلَيْهِمْ ، فَتَنَكَّرُوا لَهُ وَرَحَّبُوا بِهِ ، فَفَطِنَ لَهُمْ وَانصَرَفَ
رَاجِعًا ، فَأَتَبَعُوهُ فَسَبَقَهُمْ ، وَرَمَوْهُ بِأَسْهَمٍ فَلَمْ تَصْبِهِ . فَهُوَ حَيْثُ يَقُولُ :
رَفَوْنِي وَقَالُوا : يَا نُحَيْلِدُ لَا تُرْعِ فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الرَّجُوعَةَ : هُمْ هُمْ
هذا ما أورده السكري في آخر أشعار الهذليين .

وأوردنا القصَّة هنا لأنَّ فيها أشعاراً فيها شواهدُ إذا جاءت فيما سيأتي
نُحَيْلٍ عليها .

وكانت هذه الوقعة ^(١) قبل إسلام أبي ذؤيب وأبي خراش . والله أعلم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الثلاثئة ^(٢) :

٣٤٩ (فَيَاكُمْ وَحَيَّةَ بَطْنٍ وَادٍ هَمُوزِ النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بِسَيٍّ)
على أَنَّ سيبويه استدللَّ به على جرِّ الجوار ، ردًّا على الخليل في زعمه أنَّه
لا يجوز إلَّا إذا اتَّفَقَ المضاف والمضاف إليه ، في أمور ذكرها الشارح المحقق :
منها اتِّفَاقُهُمَا فِي التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ ، وهذا البيت يردُّ عليه ؛ فَإِنَّ هَمُوزَ نَعْتِ
الْحَيَّةِ الْمَنْصُوبَةِ ، وَجَرَّ لِمَجَاوِرَتِهِ لِأَحَدِ الْمَجْرُورَيْنِ ، وَهُوَ بَطْنٌ أَوْ وَادٍ ^(٣) .

٣٢٢

وعَيَّنَهُ ابْنُ جُنِّي (في شرح تصريف المازني) فقال : جرَّ هموز لمجاورته
لِوَادٍ مَعَ اخْتِلَافِ الْمَضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ تَذْكِيرًا وَتَأْنِيثًا ؛ فَإِنَّ حَيَّةَ مُؤَنَّثَ
ومابعدھا مذكر . وفيه أَنَّ كلاً من الحية ومابعدھا مذكر .

(١) ط : « الواقعة » ، وأثبت ما في ش .

(٢) الخصائص ٣ : ٢٢٠ والمنصف ٢ : ١٥ وأما ابن الشجري ١ : ٣٤٢ وابن يعيش ٢ : ٨٥
واللسان (سوا ١٣٧) والحماسة بشرح المرزوقي ٤١٧ وديوان الخطيئة ٦٩ .

(٣) ش : « بطن وواد » .

أما الحية فقد قال صاحب الصحاح : الحية للذكر والأنثى ، وإنما دخله الهاء لأنه واحد من جنس ، كبطة ودجاجة . وفلان حية ذكر . على أنه قد روى عن العرب : رأيت حياً على حية ، أى ذكراً على أنثى . انتهى .
أما البطن فقد قال صاحب الصحاح أيضاً : البطن : خلاف الظهر ، وهو مذكر ، وحكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن تأنيثه لغة . انتهى .

وأما الوادى فهو مذكر لا غير ، فيجوز للخليل أن يدعى توافق المضاف والمضاف إليه تذكيراً يجعل الحية للواحد المذكر من الجنس ؛ وكذلك هموز فإنه فعول يُوصف به المذكر والمؤنث ، اللهم ألا أن يكتفى «س» للتخالف بالتأنيث والتذكير اللفظيين . هذا وسيبويه لم يستشهد بهذا البيت ، وإنما استشهد بقول العجاج :

« كأن نسج العنكبوت المرمل »

ووجه الاستدلال منه أن العنكبوت مؤنث والمرمل مذكر ، لأنه وصف للنسج ، فقد اختلفا تأنيثاً وتذكيراً . وللخليل أن يمنع هذا أيضاً فإن العنكبوت قد جاء مذكراً أيضاً ، نقل ذلك عن العرب . وأنشدوا :
على هطّاهم منهم بيوت كأن العنكبوت هو ابتناها (١)

وعلى تسليم أنها في البيت مؤنثة فإنه تأنيث ليس بعلامة ، إذ ليس مؤنثاً بالتاء ولا بإحدى الألفين المقصورة والمدودة ، فأشبه التذكير ، إذ لم يظهر فيه من التنافر ما يظهر في التثنية .

وقد استدلل سيبويه بعضهم بقراءة يحيى بن وثاب والأعمش : ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) الهطال : اسم جبل ، كما في معجم البلدان واللسان (هطل) عند إنشاد البيت .

هو الرزاق ذو القوة المتين^(١) بجر المتين . وردّ هذا أيضاً باحتمال أن يكون المتين صفة للقوة ، لأنها في معنى السبب فذكر على المعنى ، فلا يكون من باب الخفض على الجوار . وهذا نص سيوي في باب النعت : وقال الخليل رحمه الله : لا يقولون إلا هذان جُحراً ضبّ خريان ، من قبل أن الضب واحد والجحر جحران، وإلّا يغلطون إذا كان الآخر بعدة الأول وكان مذكراً مثله أو مؤنثاً . وقالوا : هذه جِحرٌ ضباب خرية ، لأنّ الضباب مؤنثة ، ولأنّ الجِحر مؤنثة والعدة واحدة ، فغلطوا . وهذا قول الخليل رحمه الله . ولا نرى هذا والأوّل إلاّ سواء ، لأنّه إذا قال هذا جحر ضبّ متهدّم ، ففيه من البيان أنّه ليس بالضب مثل ما في التثنية من البيان أنّه ليس بالضب . قال العجاج :

« كَأَنَّ نَسَجَ الْعَنْكَبُوتِ الْمُرْمَلِ »

والمرمل مذكر ، والعنكبوت مؤنث . هذا كلام-سيوي

وقول الشارح المختار : وقال بعض البصريين : إنّ التقدير : هذا جحر ضب خرب جُحره لُخ ، هذا تخريج ابن جنى (في الخصائص) قال فيه : الأصل هذا جحر ضب خرب جُحره ، حذف الجُحر المضاف إلى الهاء وأقيمت الهاء فارتفعت ، لأنّ المضاف المحذوف كان مرفوعاً ، فلما ارتفعت استتر الضمير المرفوع في نفس خرب ، فجرى وصفاً على ضبّ وإن كان الخراب للجُحر لا للضب على تقدير .

٣٢٣

وقال السيرافي : ورأيت بعض نحويّ البصريّين قال في هذا جحر ضب خرب ، قولاً شرحته وقوّيته بما احتمله من التقوية . والذي قاله النحويّ أنّ معناه هذا جحر ضب خرب الجحر ، والذي يقوّيه أنّا إذا قلنا خرب الجحر فهو من باب حسن الوجه ، وفي خرب ضمير الجحر مرفوع ، لأنّ التقدير كان

خرب جحره. ومثله مما قاله النحويون : مررت برجل حسن الأبوين لاقبيحين ،
والتقدير لاقبيح الأبوين وأصله لاقبيح أبواه ، ثم جعل في قبيح ضمير الأبوين
فثنى لذلك ، وأجرى على الأول فخفض ، واكتفى بضمير الأبوين ولم يُعَدَّ
ظاهرهما لما تقدّم من الذكر . انتهى .

قال أبو حيان ، بعد أن نقل قولهما : ومذهبهما خطأ من غير ماوجه ،
لأنه يلزم أن يكون الجحر مخصّصاً بالضب ، والضب مخصص بخراب الجحر
المخصّص بالإضافة إلى الضب ، فتخصيص كل منهما متوقّف على صاحبه ،
وهو فاسدٌ للدور ، ولا يوجد ذلك في كلام العرب ؛ أعني لا يوجد مررت بوجه
رجل حسن الوجه ، ولا حسن وجهه ، ولأنّ من حيث أجرى الخرب صفة على
النّصب لم إبراز الضمير لئلا يُلبس ^(١) . وقد فرق سيبويه بين حسن الوجه
وحسن . ولأنّ معمول هذه الصفة لا يتصرّف فيه بالحذف لضعف عملها .
فأمّا قول الشاعر :

ويضحك عِرْفَانُ الدُّرُوعِ جَلُودُنَا إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مَظْلَمُ الشَّمْسِ كَاسِفُ

فلا يريد كاسف الشمس ، فيكون قد حذف معمول الصفة وإن كان
قد ذهب إليه بعضهم ، وإنّما هو عندنا صفة لليوم نفسه ، لأنّ الكسوف
يكون فيه ، فيكون نحو قولهم : نهارك صائمٌ وليلك قائمٌ . ولأنّ هذه الصفة لا يجوز
نقل الضمير إليها حتى يصحّ نسبتها إلى الموصوف على طريق الحقيقة . ألا ترى
أنّه لا يصحّ عندنا : مررت برجل حائض البنت ، لأنّ الحيض لا يكون للرجل .
وكذلك الخرب لا يكون للنّصب ، والمرمل لا يكون للعنكبوت . وكذلك هموز الناب
لا يكون للوادي . والذي يقطع ببطلان ماذهباً إليه قول الشاعر :

(١) ط : « يلتبس » .

ياصاح بَلِّغْ ذوى الحاجاتِ كلِّهم

أَنْ لیس وصلَّ إذا انحَلَّتْ عُرى الدُّبِّ^(١)

وقول أبى ثروان فى المفضَّل « كان والله من رجال العرب المعروف له ذلك » بخفض المعروف على المجاورة . وفى كلام أبى ثروان ، وهو ممن تؤخذ عنه اللغة والعربية ، ردُّ على من يقول بأنَّ الجوار لا يكون إلاَّ مع النكرة ؛ فإنَّ كلاً من البيت ومن كلام أبى ثروان لا يمكن فيه أن يكون تابِعاً للمجرور الذى قبله بحال . وتشبيه السيرافى المسألة^(٢) بنحو قول النحويين : مررت برجل قائم أبواه لا قاعدين ، تشبيهٌ غير صحيح . انتهى كلام أبى حيان .

ويُنبِّه ابن هشام (فى المغنى) بعد نقل كلامهما ، بأنَّه يلزم استتار الضمير مع جريان الصفة على غير من هى له ، وذلك لا يجوز عند البصريين وإنَّ أَمِنَ اللبس . وقول السيرافى : إنَّ هذا مثلُ مررت برجل قائم أبواه لاقاعدين ، مردود ، لأنَّ ذلك إنَّما يجوز فى الوصف الثانى دون الأوَّل . انتهى .

وقوله : ولأنَّ هذه الصفة لا يجوز نقل الضمير إليها حتى يصحَّ نسبتها إلى الموصوف ، إلى آخره ، هذا كلامُ السيرافى ، وهو معترف به ، فإنَّه قال بعد ما نقلناه^(٣) : ولا يشبه عندى : وَحِيَّةَ بطنٍ واد هموز الناب ، على هذه العلةِ لإِثباتِ إذا خفضنا هموز الناب فهو محمولٌ على واد أو على بطن واد ، وليس هموز بمضاف إلى شيءٍ إضافته إليه تصحُّحه فى التقدير ، كما كان تقدير إضافة حرب الجحر توجب تصحيح الخفض . انتهى .

٣٢٤

(١) مجهول القائل . وانظر شرح شواهد المغنى ٣٢٥ والشذور ٣٣١ والجمع ٢ : ٥٥ . والشاهد

فيه جر « كلِّهم » على المجاورة للحاجات ، وإنما هى توكيد لذوى المنصوبة .

(٢) ش : « فى المسألة » .

(٣) ش : « بعد ما نقلنا » فقط .

وقد بيّن الشارح المحقق إضافة هموز إلى ما يصحّح إضافته في التقدير ،
وشرّحه بما لا مزيد عليه ، وكأنّه قصد بهذا البيان الردّ على السيراى .

واعلم أن قولهم : جحر ضبّ حرب مسموع فيه الجر والرفع ، والرفع في
كلامهم أكثر . قال أبو حيان (في تذكرته) : ينبغي أن لا تجوز مسألة التثنية
والجمع ، لأنّ جر الجوار لم يسمع إلّا في المفرد خاصّة فلا يُتعدّى فيه السماع .
وقد قال الفراء وغيره : لا يخفض بالجوار إلّا ما استعملته العرب كذلك ،
والمسموع منه ماتقدم ، وما سيأتى في الشرح من بيت امرئ القيس ، وقول
دريد بن الصّمة :

فجئت إليه والرماح تنوشه كوقع الصياصى في النسيج الممدّد
فدافعت عنه الخيل حتى تبدّدت وحتى علانى حالك اللون أسود
وأسود نعت لخالك ، وجرّ لمجاوته المجرور .

وقول آخر :

كأثما ضربت قدّام أعينها قُطناً بمستحصد الأوتار محلوج^(١)
ومحلوج نعت لقوله قُطنا ، لكنّه جرّ بالمجاورة .

وقوله ذى الرمة :

تريك سنّة وجه غير مقرّفة مَلَسَاءَ ليس بها خال ولا ندب
وغير : نعت لسنّة المنصوبة ، وجرّ للمجاورة . ووُرى بالنصب أيضاً . قال الفراء :
قلت لأبى ثروان ، وقد أنشدنى هذا البيت بخفض غير : كيف تقول :
« تريك سنّة وجه غير مقرّفة »

(١) في النسختين : « كأنك ضربت » ، صوابه من الإنصاف ٦٠٥ : وفى ط : « بمستحصل » ،
صوابه فى ش . والمستحصد : المحكم القتل .

قال :

« تريك سُنَّةً وجهٍ غير مُقَرَّفَةٍ »

بنصب غير . قلت له : فأُنشد بخفض غير ، فخفض غير ، فأعدت عليه القول فقال :الذى تقول أنت أجود ممَّا أقول أنا . وكان إنشاده على الخفض . انتهى

قيل : ومنه قوله تعالى :﴿اِشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾^(١)، لأنَّ عاصف من صفة الريح لا من صفات اليوم . وهذا القول للفرَّاء . قال : لما جاء العاصف بعد اليوم أتبعته إعراب اليوم ، وذلك من كلام العرب ، أن يُتبعوا الخفض إذا أشبهه .

قال أبو حيان (في تذكرته) :قد أُولِّت هذه الآية . أقول :أولَّها الفرَّاء بتأويلين : أولهما وهو جيّد قال: جعل العُصُوف تابعا ليوم في إعرابه ، وإنَّما العُصُوف للريح . وذلك جائز على جهتين : إحداهما أنَّ العُصُوف وإن كان للريح فإنَّ اليوم يُوصف به ، لأنَّ الريح فيه تكون ، فجاز أن تقول يوم عاصف كما تقول :يوم بارد ،ويوم حارٌّ . وقد أنشدني بعضهم :

« يومين غَيمين ويوماً شَمْساً »

فوصف اليومين بالغيمين ، وإنَّما يكون الغيم فيهما .

والوجه الآخر : أن تريد في يومٍ عاصف الريح ، فتحذف الرِّيح لأنَّها قد ذُكرت في أوَّل الكلمة ، كقوله :

« إذا جاء يومٌ مَظْلُمُ الشمس كاسفٌ »^(٢)

(١) الآية ١٨ من إبراهيم .

(٢) سبق البيت بتمامه في ص ٨٩ .

يريد كاسف الشمس . انتهى

وقد تقدم ردُّ هذا في كلام أبي حيان .

وَجَرُّ الجوار لم يسمع إلا في النعت على القلة . وقد جاء في التأكيد في
بيت على سبيل التُّدرة . قال الفراء (في تفسيره) : أنشدني أبو الجراح ٣٢٥
العُقيليُّ:

ياصاح بلِّغ ذوى الزُّوجات كلَّهم
أن ليس وصلٌ إذا انحلت عُرَى الذَّنْبِ^(١)

فاتبع كلَّ خفض الزوجات ، وهو منصوب ، لأنه توكيد لذوى . انتهى
وزعم أبو حيان (في تذكرته) وتبعه ابن هشام (في المغنى) أن الفراء
سأل أبا الجراح فقال : أليس المعنى ذوى الزوجات كلُّهم؟ فقال: بلى ، الذى
تقوله خيرٌ من الذى نقول . ثم استنشد البيت فأنشده بخفض كلُّهم . انتهى
والفراء إنما نقل هذه الحكاية في بيت ذى الرمة السابق .

وهذا البيت لأبى الغريب . قال أبو عُبيد البكرى (في شرح أمالى
القالى) : هو أعرايُّ له شعر قليل ، أدرك الدولة الهاشمية . قال أبو زياد الكلابى :
كان أبو الغريب شيخاً قد تزوج فلم يُؤلم ، فاجتمعنا على باب خبائه وصبحنا:
أولم ولو بربوع أو لو بقردٍ مجدوع^(٢)

(١) سبق الكلام عليه في ص ٩٠ .

(٢) كتبت في ش : « أولم ولو بقرد مجدوع » ، ثم صححت فيها بقدم الناسخ بحذف كلمة

« ولو » . وفي سمط الآلى ٦٥٠ : « أو بقراد مجدوع » وكذا في الاشتقاق ١٤٢ .

« قَتَلْتَنَا مِنَ الْجُوعِ »

فَأُولَمَ واجتمعنا عنده ، فَأَعْرَسَ بِأَهْلِهِ ، فلما أَصْبَحَ غَدَوْنَا عَلَيْهِ فقلنا :
يَا لَيْتَ شعري عن أَيْ الغريبِ إِذْ باتَ في مَجَاسِدِ وطيبِ
معانقاً لِلرَّشَاءِ الرِّيبِ أَأَحْمَدَ المِحْفَارِ في القليبِ
« أُمَّ كَانَ رِيحُوا يَابَسَ القَصِيبِ »

فصاح إلينا : يابِسَ القُضِيبِ واللهِ ، يَابَسَ القُضِيبِ ! وأنشأ يقول :
سَقِيًّا لِعَهْدِ خَلِيلٍ كَانَ يَأْدُمُ لِي زَادِي وَيَذْهَبُ عَنْ زَوْجَاتِي الغُضْبَا
كَانَ الخَلِيلُ فَأُضْحَى قَدْ تَحَوَّهَ هَذَا الزَّمَانُ ، وَطَعَانِي بِهِ التُّقْبَا
وقال :

يَا صَاحِ بَلُّغْ ذَوِي الزَّوْجَاتِ كُلَّهُمْ
أَنْ لَيْسَ وَصَلٌ إِذَا اسْتَرَخْتَ عُرَى الذَّنْبِ
انتهى . وأراد باسترخاء عُرى الذنب استرخاء الذكر .

وأما جَرَّ الجوارِ في العطف فقد قال أبو حيان (في تذكرته) : لم يأت في
كلامهم ، ولذلك ضَعُفَ جداً قول من حمل قوله تعالى : ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ﴾^(١) ، في قراءة من خَفَضَ على الجوار^(٢) . والفرق بينه وبين النعت
كونُ الاسمِ في باب النعت تابعاً لما قبله من غير وساطة شيء ، فهو أَشَدُّ له
مجاورة ، بخلاف العطف : إذْ قد فَصَّلَ بين الاسمين حرفُ العطف ، وجاز

(١) الآية ٦ من سورة المائدة .

(٢) قرأ نافع والكسائي وابن عامر وحفص : « وَأَرْجُلَكُمْ » بالنصب . وقرأ سائر القراء بالجر . وقرأ
الحسن : « وَأَرْجُلَكُمْ » بالرفع على أنها مبتدأ محذوف الخبر ، أي اغسلوها إلى الكعبين . تفسير أبي حيان .

إظهار العامل في بعض المواضع ، فبُعِدَت المجاورة . وذهب بعضُ المتفَقِّهَةِ من أصحابنا الشَّافعية إلى أنَّ الإعراب على المجاورة لغةً ظاهرة ، وحمل على ذلك في العطف الآية الكريمة ، وقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَفَكِّينَ ^(١) 》 ، قال : فحفض المشركين لمجاورة أهل الكتاب . وما ذهب إليه يمكن تأويله على وجهٍ أحسن ، فلا حجة فيه . انتهى .

وقال ابن هشام (في المعنى) : وقيل به في ﴿ وَحُورٍ عِينٍ ^(٢) 》 فيمن جرَّهما ، فإن العطف على ﴿ وَلِدَانٌ مُخَلَّدُونَ ^(٣) 》 لا على ﴿ أَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ ^(٤) 》 ، إذ ليس المعنى أنَّ الولدان يطوفون عليهم بالحور . وقيل العطف على جنَّات ، وكأنَّه قيل : المقربون في جنَّات وفاكهة ولحم طير وحور . وقيل على أكواب باعتبار المعنى ، إذ معنى يطوف عليهم ولدانٌ مُخَلَّدُونَ ٣٢٦ بأكواب : يَنَعَمُونَ بأكواب . انتهى .

وأما قوله في البديل فقد قال أبو حيان أيضا : لم يُحَفَظْ ذلك في كلامهم ، ولا خرَّج عليه أحدٌ من علمائنا شيئا فيما نعلم . وسبب ذلك والله أعلم أنه معمولٌ لعامل آخر للعامل الأوَّل على أصحِّ المذهبين ، ولذلك يجوز ذكره إذا كان حرف جرٍّ بإجماع ، وربما وجب إذا كان العامل رافعا أو ناصبا . ففى جواز إظهاره خلاف ، فبُعِدَت إذ ذاك مراعاة المجاورة ، ونزَّلَ المقدَّر الممكن إظهاره منزلة الموجود ، فصار من جملة أخرى . انتهى .

وقد آن لنا أن نرجع الى البيت الشاهد فنقول : هو من أبيات للحطيئة ، صاحب الشاهد

(١) الآية الأولى من سورة البينة .

(٢) الآية ٢٢ من الواقعة .

(٣) الآية ١٧ من الواقعة .

(٤) نصها : « بأكواب وأباريق » ، من الآية ١٨ من الواقعة .

وقد تقدمت ترجمته في الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة ^(١) ، مدح بها عدى ابن فزارة ، وعُيِّنة بن حصن ، وحذيفة بن بدر ، فقال بعد تسعة أبيات ^(٢) من الغزل :

(فأبلغ عامراً عنى رسولاً رسالةً ناصح بكُم حفيّ
فإياكم وحيّة بطّني وادٍ حديد النَّاب ليس لكم بسبيّ
فحلُّوا بطنَ عُقْمَةٍ واتَّقونا إلى نجران في بلد رخيّ
فكم من دارٍ حى قد أباحت لقومهم رماح بني عدى
فما إن كان عن ودٍ ولكن أباحوها بصمّ السّمهرى ^(٣))
وبعد هذا خمسة أبيات أخر .

وقوله : « فأبلغ عامراً » الخ قال أبو عمرو : يعنى عامر بن صعصعة ، وهو أبو قبيلة . والرسول : الرسالة . انتهى . فيكون على هذا قولُه رسالة ناصح بدلاً من رسولاً ، وأجود منه أن يكون رسولاً حالاً من ضمير أبلغ . والحفيّ ، بالحاء المهملة ، هو المشفق اللطيف .

وقوله : (وإياكم وحيّة) الخ وإياكم محذّر وحية محذّر منه ، منصوبان بفعلين ، أى أبعدوا أنفسكم واحذروا الحية . وأراد الحطيئة بالحية نفسه ، يعنى أنه يحمى ناحيته ويُتقى منه كما يُتقى من الحية الحامية لبطن واديها ، المانعة منه . والوادي : المطمئن من الأرض . وقوله : (حديد النَّاب) هكذا وقع في رواية ديوانه ، وهذا لا يدلُّ على أن المراد بالحية الذكر ، لأنّ حديداً في الأصل

(١) الخزاعة ٢ : ٤٦ .

(٢) ط : « من بعد تسعة أبيات » .

(٣) السّمهرى : الرماح المنسوبة إلى سمهر زوج ردينة ، وكان مثقفاً للرماح . والصم : جمع أصم .

وهو الصلب المصمت . ط : « بضم السّمهرى » ، صوابه في ش والديوان ٦٩ .

مسند إلى الناب ، أى حديد نابه . والناب من الأسنان مذكر مادام له هذا الاسم ، والجمع أنياب ، وهو الذى يلى الرِّبَاعِيَّات . قال ابن سينا : ولا يجتمع فى حيوانٍ نابٌ وقرن . كذا فى المصباح . و(الحديد) : القاطع ، وروى بالنصب إتباعاً للفظ الحية ، والمشهور فى رواية النحويين (هَمْزِ النَّابِ) بالجر على المجاورة كما تقدم . و(الهموز) : فعول من الهمز بمعنى العَمَز والضغط . وقوله : (ليس لكم بسى) ، هذا يدل على تذكير الحية ، فإن ضمير ليس عائد إلى الحية ، ولو أراد المؤنث لقال ليست . والسى بكسر السين المهملة : المثل ؛ أى لا تستون معه ، بل هو أشرف منكم .

وقوله « فحلُّوا بَطْنَ عُقْمَةٍ » إلخ حُلُّوا أمرٌ من الحلول بمعنى النزول . وعُقْمَةٌ ، بضم العين وسكون القاف ، قال أبو عبيد البكرى (فى المعجم) : هو موضعٌ ما بين ديار بنى جعفر بن كلاب وبين نَجْران . وأنشد هذا البيت . والمعنى : أتقونا من ههنا إلى نَجْران . ونَجْران : مدينةٌ بالحجاز من شيق اليمن . ورَحَى : بعيد ، وقيل واسع مخصب .

وقوله : « فكم من دار حَى » إلخ حَى هنا بمعنى القبيلة . وأباح : بمعنى جعلته مباحاً (١) .

وقوله : « فما إن كان عن ود » إلخ يقول : لم ينزلوا هذه المنازل عن مودَّة بينهم وبين هؤلاء ، ولكن أباحتها لهم رماحهم وسيوفهم .

وأما بيت سيويه ، وهو :

« كَأَنَّ نَسَجَ العنكبوتِ المُرْمَلِ »

(١) ط : « جعلت » ، صوابه فى ش .

فهو للعجاج . وبعده ^(١):

على ذُرَى قُلَامِهِ المَهْدَلُ سُبُوبُ كَتَّانٍ بِأَيْدِي الغُسْلِ
النسج : الغَزَل . والمرمل : المنسوج ، والمَغْزُول . والذُرَى : الأعلى ،
جمع ذِرْوَة بالكسر . والقُلَام بضم القاف وتشديد اللام : ضربٌ من النبت ،
وَضْمِيرُ قُلَامِهِ راجعٌ إلى الماء ، فَإِنَّهُ في وصف ماءٍ وَرَدَهُ .
والمَهْدَل : المُدَلَّى ^(٢) . والسُبُوب : جمع سَبَّ بالكسر ، كجذوع ^(٣) .
والسَّبُّ : ثوبٌ من كَتَّانٍ أبيض . والغُسْلُ : جمع غاسل وغاسلة . يعنى أنَّ
العنكبوت قد نسجت على القُلَام الذى نبت حول الماء . شَبَّهَ مانسجَتِ
العنكبوتُ عليه بثوبٍ رقيقٍ من الكَتَّان .

* * *

وَأُشْدَ بَعْدَهُ ، وهو الشاهد الخمسون بعد الثلاثئة ^(٤):

٣٥٠ (كَبِيرُ أَناسٍ في بَجَادٍ مُزْمِلٍ)

على أن قوله « مزمل » انجرَّ لمجاورته لأناسٍ تقديرًا ، لا لبجَادٍ ؛ لتأخُّره
عن مزْمِلٍ في الرتبة . فالمجاورة على قسمين : ملاصقة حقيقية كما في البيت
السابق ، وملاصقة تقديرية كما في هذا البيت .
وفيه ردٌّ على شَرَّاحِ المعلقَات ومن تبعهم ، فإنهم قالوا : جرَّ مزْمِلاً على
الجوار لبجَاد ، وحقه الرفع لأنه نعت لكبير .

(١) في ديوانه ٤٧ . وانظر سيبويه ١ : ٢١٧ والخصائص ٣ : ٢٢١ والانصاف ٦٠٥ : ش : « وما

بعده » .

(٢) ش : « المدل » ، صوابه في ط .

(٣) أى كجذوع ، جمع جذع بالكسر .

(٤) الخصائص ١ : ١٩٢ / ٣ : ٢٢١ واحتسب ٢ : ١٣٥ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٩٠ وسيعاد

في ٣ : ٦٣٩ بولاق .

ومن تبعهم أبو حيان ، قال (في تذكرته) : خفض مزملاً على الجوار للبجاد ؛ وهو في المعنى نعت للكبير ، تغليباً للجوار . ومنهم ابن هشام (في بعض تعاليقه) قال : لما جاور المخفوض وهو البجاد خفض للمجاورة . ولا يخفى أن المجاورة رُبِّيَّة كانت أو لفظية ، كافية .

وما قاله (١) الشارح المحقق لادّاعى له .

ولم يجعل أبو على هذا البيت من باب الجر على الجوار ، بل جعل مزملاً صفة حقيقية لبجاد ، قال : لأنه أراد مزمل فيه ، ثم حذف حرف الجر فارتفع الضمير واستتر في اسم المفعول . انتهى

وقال الخطيب التبريزي (في شرح المعلقات) : وفي البيت وجه آخر ، وهو أن يكون على قول من قال : كُسيَتْ جَبَّةٌ زَيْداً ، فيكون التقدير : في بجاد مزمل الكساء ، ثم تحذف كما تقول : مررت برجل مكسوِّته جبةً ، ثم تكنى عن الجبة فتقول : برجل مكسوِّته ، ثم تحذف الهاء في الشعر . هذا قول بعض البصريين (٢) . انتهى

ولا يخفى تعسف هذا القول . وتخرج أبى على أقرب من هذا .

والمصراع عجزٌ ؛ وصدره :

(كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عِرَانِي وَثِيلِهِ)

والبيت من معلقة امرئ القيس المشهورة . و(ثبير) : جبل بمكة (٣) . صاحب الشاهد

(١) ش : « وما قال » .

(٢) في شرح التبريزي : « بعض النحويين » .

(٣) من أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة ، سمى ثبيراً برجل هذلي مات فيه .

و(العرائن) :الأوئل ،والأصل في هذا أن يقال للأنف عرين ،استعير لأوئل المطر ؛ لأن الأنوف تتقدم الوجوه . و(الويل) : مصدر وبَّلت السماء وبَّلاً ؛ إذا أتت بالوئل ، وهو ماعظم من القَطَر . وضمير وبَّله راجعٌ للسحاب في بيت قبله . و(البجاد) بالجم بعد الموحدة المكسورة ، وهو كساءٌ مخطط من أكسية الأعراب من وبر الإبل وصُوف الغنم . و(المزمل) : اسم مفعول بمعنى الملفف^(١) . قال الزوزني (في شرح المعلقات) : كأنَّ ثَبيراً في أوئل مَطَر هذا السحابِ سيّد أناسٍ ملفف بكساءٍ مخطّط . شَبّه تَغَطّيهِ بالْعُثَاء^(٢) بتغطّي هذا الرجل بالكساء . انتهى . ونقل الخطيب التبريزي عن أبي نصر أن امرأ القيس شَبّه الجبل وقد غطاه الماء والعُثَاء الذي أحاط به إلّا رأسه ، بشيخ في كساء مخطّط . وذلك أن رأس الجبل يضرب إلى السواد والماء حوله أبيض . انتهى .

٣٢٨

وقال أبو حنيفة الدينوري (في كتاب النبات) : شَبّه ثَبيراً برجل مزمل بالثياب ، لأنَّ المطر لَمَّا سَحَّ ستره .

وروى المبرد (في الكامل) تبعاً للأصمعي :

كَأَنَّ أَبَاناً فِي أَفَانِينَ وَدَقَهُ كَبِيرُ أَنْاسٍ ... الخ

وقال :أبان: جبلٌ ، وهما أبانان : أبان الأسود وأبان الأبيض. وقوله : في أفانين وَدَقَهُ، يريد ضرراً من ودقه . والوَذَق : المطر. قوله كبير أناسٍ الخ يريد مزملاً بثيابه ؛ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ « قُمْ اللَّيْلُ (٣) ﴾ ،

(١) ط : « المكفف » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٢) العُثَاء كغراب ، وتشديد الثاء أيضاً : مايجيء فوق السيل مما يحمله من الزيد والوسخ وغيره .

(٣) الآية الأولى من المزمل .

وهو المتزمل والتاء مدغمة في الزاي . وإثما وصف امرؤ القيس الغيث . فقال قوم : أراد أن المطر قد خنق الجبل فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل . وقال آخرون : إثما أراد ماكساه المطر من خضرة النبت . وكلاهما حسن . وذكر الودق لأن تلك الخضرة من عمله . انتهى .

تتمتان

(إحداهما) : لم يذكر الشارح المحقق الرفع على المجاورة ، لأنه لم يثبت عند المحققين ، وإثما ذهب إليه بعض ضعفة النحويين في قوله :
السالك الثغرة اليقظان كالثما مشى الهلوك عليها الخيل الفضل^(١)

أولهم الأصمعي ، ذكره علي بن حمزة البصري (في كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) قال : سأل الرياشي الأصمعي عنه فقال : الفضل من نعت الخيل ، وهو مرفوع ، وأصله أن المرأة الفضل هي التي تكون في ثوب واحد ، فجعل الخيل فضلاً لأنه لا ثوب فوقه ولا تحته ، كما يقال امرأة فضل . قال الرياشي : وهذا مما أخذ على الأصمعي . ثم رجع عن هذا القول وقال بعد : هو من نعت الهلوك ، إلا أنه رفعه على الجوار كما قالوا : جحر ضب خرب . انتهى .

ومنها ابن قتيبة ، قال (في أبيات المعاني^(٢)) : الثغرة والثغر سواء ، وهو موضع الخافة . والكالياء : الحافظ . والخيل : ثوب يُخاط أحد جانبيه ويُترك الآخر . والهلوك : المتثنية المتكسرة . والفضل من صفة الهلوك ، وكان ينبغي أن يكون جرّاً ، ولكنه رفعه على الجوار للخيل . ومثله :

« كأن نسج العنكبوت المرمّل »

(١) للمتنخل الهذلي في ديوان الهذليين ٢ : ٣٤ والخصائص ٢ : ٢٩٢ .

(٢) المعاني الكبير ٥٤٤ .

ومثله جحر ضبٌ خرب . ومثله :

* كبير أناس في بجادٍ مزمل *

وأراد أنه آمن لا يخاف ، فهو يمشى على هينته . انتهى .

وقد ردّ العلماء هذا القول ، منهم ابن السجري (في أماليه) قال : وزعم بعض من لا معرفة لهم بحقائق الإعراب ، بل لأمعرفة لهم بجملة الإعراب ، أن ارتفاع الفضل على المحاورة للمرفوع ، فارتكب خطأ فاحشا ، وإنما الفضل نعت للهالك على المعنى ، لأنها فاعلة من حيث أسند المصدر الذى هو المشى إليها ، كقولك : عجبت من ضرب زيد الطويل عمراً ، رفعت الطويل لأنه وصف لفاعل الضرب وإن كان مخفوضاً فى اللفظ . فلو قلت : عجبت من ضرب زيد الطويل عمرؤ فنصب الطويل لأنه نعت لزيد على معناه من حيث هو مفعول فى المعنى كان مستقيماً ، كما عطف الشاعر عليه المنسوب فى قوله :
قد كنت دانت بها حسناً مخافة الإفلاس والليان^(١)

ومثل رفع الفضل على النعت للهالك رفع المظلوم على النعت للمعقب

فى قول لبيد يصف الحمار والأتان : ٣٢٩

يوفى ويرتقب النجاد كأنه ذو إزبة كل المرام يروم
حتى تهجر فى الرواح وهاجها طلب المعقب حقه المظلوم^(٢)

يوفى ، أى يُشرف . والنجاد : جمع نجد ، وهو المرتفع . أى يشرف

(١) لرؤية فى ملحقات ديوانه ١٨٧ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٩٨ .

(٢) البيت من شواهد الخزائن . وقد سبق فى ٢ : ٢٤٠ .

عَلَى الْأَمَاكِنِ الْمُرْتَفَعَةِ ، كَالرَّقِيبِ ، وَهُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يَكُونُ رِيثَةً الْقَوْمِ ، يَرِضُ
عَلَى نَشْرِ مَتَجَسَّسًا^(١) . وَالْإِرَةِ : الْحَاجَةُ

وَقَوْلُهُ : « حَتَّى تَهْجَرَ فِي الرُّوَّاحِ » أَيْ عَجَّلَ رَوَّاحَهُ فَرَّاحَ فِي الْهَاجِرَةِ .
وَهَاجَهَا ، أَيْ هَاجَ الْأَتَانِ وَطَرَدَهَا وَطَلَبَهَا مِثْلَ طَلَبِ الْغَرِيمِ الْمَعْقُبِ حَقَّهُ ؛
فَالْمَعْقُبُ فَاعِلُ الطَّلَبِ . وَنَصَبَ حَقَّهُ لِأَنَّهُ مَفْعُولُ الطَّلَبِ . وَالْمَظْلُومُ صِفَةٌ
لِلْمَعْقُبِ ، عَلَى الْمَعْنَى ، فَرَفَعَهُ لِأَنَّ التَّقْدِيرَ : طَلَبَهَا مِثْلَ أَنْ طَلَبَ^(٢) الْمَعْقُبُ
الْمَظْلُومَ حَقَّهُ . وَالْمَعْقُبُ : الَّذِي يَطْلُبُ حَقَّهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ . انْتَهَى .

وَمِنْهُمْ أَبُو حَيَّانٍ (فِي تَذَكُّرَتِهِ) قَالَ فِي أَوَّلِهَا : قَالَ بَعْضُ مُعَاَصِرِنَا :
أَكْثَرُهُمْ يَعْتَقِدُ الْجَوَّارَ مُخْصِصًا بِالْجُرُورِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْمَرْفُوعِ ، وَأَنْشُدُ :
السَّالِكُ الثَّغْرَةَ الْيَقْظَانَ كَالْمُهَا الْبَيْتِ

قَالَ : رَفَعُوا الْفَضْلَ لِتَبَاعًا لِمَا قَبْلَهُ لِقَرَبِهِ .

قَالَ أَبُو حَيَّانٍ : قُلْتُ : وَلَيْسَ الرِّفْعُ كَمَا ذَكَرَ لِتَبَاعًا لِلْخِيَلِ ، بَلْ رَفَعَهُ
عَلَى النَّعْتِ لِلْهَلُوكِ عَلَى الْمَوْضِعِ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ : كَمَا تَمْشِي الْهَلُوكُ الْفَضْلَ . وَعَلَيْهَا
الْخِيَلُ حَالٌ مَعْمُولَةٌ لَتَمْشِي ، أَوْ جُمْلَةٌ اعْتِرَاضِيَّةٌ . انْتَهَى .

وَالْيَقْظَانُ بِالنَّصَبِ : صِفَةٌ لِلثَّغْرَةِ ، وَكَأَنَّهَا فَاعِلُ الْيَقْظَانِ ، وَمَشَى
مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ ، أَيْ مَشِيَ^(٣) كَمْشَى الْهَلُوكُ . وَالْفُضْلُ بضمّتين : الْمَرْأَةُ الَّتِي
عَلَيْهَا قِمِيصٌ وَرَدَاءٌ ، وَلَيْسَ عَلَيْهَا إِزَارٌ وَلَا سَرَائِلُ .

(١) ش : « مَتَجَسَّسًا » بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَهِيَ سَوَاءٌ ، وَفَسَّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَلَا تَجَسَّسُوا » ،
بِقَوْلِهِمْ : « وَلَا تَحْسَسُوا » . عَلَى أَنَّهَا فِي أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ٢ : ٣٢ : « مَتَجَسَّسًا » بِالْجِيمِ .

(٢) ش : « مِثْلَ طَلَبِ » مَعَ أَثَرِ تَصْحِيحٍ بِالْخَطِّ عَلَى « أَنْ » ، وَهُوَ الْمَوَافِقُ لِمَا فِي أَمَالِي ابْنِ
الشَّجَرِيِّ .

(٣) ش : « مَاشِيًا » .

وقال الفراء والحسن السكري (في الهدليات) : الفضل : ثوبٌ كالخيل
تلبسه المرأة في بيتها . وعلى هذا فلا مجاورة ولا إتباع على المحل . يقول : هذا
من شأنه سلوك موضع المخافة متمكناً غير خائف ، كمثني المرأة المتبخترة
الفضل .

وقد تقدم الكلام على هذا البيت في جملة شرح قصيدته في الشاهد
الحادي والثلاثين بعد الثلاثئة (١) .

(ثانيتها) : قد ضرب المثل بخفض مزمل في كون الشريف يعاشر دنيئاً
فيسفل بعشرته . قال الأمين المحلى :

عليك بأرباب الصدور فمن غداً مضافاً لأرباب الصدور تصدراً
وإياك أن ترضى صحابة ناقص فتتحطّ قدراً من علاك وتُحقراً
فرفع أبو من ثم خفض مزمل يبين قولي مغرباً ومحدراً

وأورد ابن هشام هذا الشعر (في مغنى اللبيب) في الأمور التي يكتسبها
الاسم بالإضافة . منها : وجوب التصدر . ومما له الصدارة كلمات الاستفهام
يجب أن تتصدر في جملتها ، فإذا أضيف إليها اسم وجب تصدّره أيضاً ،
وحينئذ لا يعمل ما قبله فيه ، ولهذا وجب الرفع في قولك : علمت أبو من زيد .
وله الإشارة بقوله « فرفع أبو من » . والإشارة بقوله « ثم خفض مزمل » إلى
بيت امرئ القيس الذي شرحناه . وقوله « مغرباً » راجع إلى قوله أولاً : « عليك
بأرباب الصدور » ، وقوله : « محدراً » راجع إلى قوله ثانياً : « وإياك أن ترضى
صحابة ناقص » .

(١) الصواب أنه الثاني والثلاثون بعد الثلاثئة . وهو أول هذا الجزء الخامس .

فإن قيل : « قوله: يُبَيِّن قولى » ، إلخ لا يصح أن يكون خبراً عن مجموع قوله : فرفع أبو من ثم خفض مزمل ، إذ لم يقل بيّنان . ولا عن ٣٣٠ أحدهما لاشتغال الجملة على قيد لا يصح تعلّقه بكُلّ منهما . وذلك أن رفع أبو من لا يبيّن قوله مغرباً ومحدّراً ، وإنّما يبين قوله مغرباً ، وكذا الثانى .

أجيب بأن قوله: « بيّن قولى » فقط هو خبر الأوّل ، وخبر الثانى محذوف ، وأنّ قوله : مغرباً ومحدّراً قيدان للمحذوف ، والتقدير فرفع أبو من بيّن قولى ، وخفض مزمل كذلك ، هما بيّنان قولى مغرباً ومحدّراً . ومثل هذا الشعر قول ابن حزم الظاهرى :

تجنّب صديقاً مثل ما، واحذر الذى يكون كعمرو بين غرب وأعجم^(١)
فإنّ صديق السوء يزرى، وشاهدى: كما شَرِقتْ صدرُ القنّاة من الدم

قال ابن هشام (فى المغنى) فى المبحث الذى تقدّم ذكره : مراده بما الكناية عن الرجل الناقص ، كنقص ما الموصولة . وبعمرو الكناية عن المتزيد الآخذ مالىس له ، كأخذ عمرو الواو فى الخط .

وقال فى (موقد الأذهان وموقظ الوسنان) وهى رسالة له ، بعد أن ذكر أنّه سئل عن الأبيات : يريد بالصدى الذى كعمرو المستكثر بما ليس له ، فإنّ عمراً قد أخذ الواو فى الخط فى الرفع والجر ، وليست داخلّة فى هجائه ، ومن ثمّ نسب الشعراء إلحاقها له إلى الظلم . قال الشاعر :

أيّها المدعى سليماً سَفَاهاً لست منها ولا قلاماً ظُفِرَ
إنّما أنت من سليم كواو ألحقتْ فى الهجاء ظلماً بعمرو

(١) يقال رجل أعجم وقوم أعجم أيضاً . وأنشد فى اللسان :

سَلُومَ لَوْ أَصْبَحْتَ وَسَطَ الْأَعْجَمِ فى الروم أو فارس أو فى الديلم

وأما المشار إليه بما فهو الصديق الناقص ^(١) ، وذلك على أنه يريد ما الموصولة ، فإنها مفتقرة إلى صلة وعائد ؛ وما الاستفهامية ، فإنها تنقص حرفاً إذا دخل عليها الجار . وهذا أحسن من قوله (في المغنى) كنقص ما الموصولة . لأن ما الناقصة أعم من الموصولة لشمولها الاستفهامية . وأما الموصوفة فهي كالموصولة.

وأما الشاهد الذى أشار إليه ابن حزم فهو قول الأعشى ميمون ، من قصيدة :

وتشرق بالقول الذى قد أذعته كما شَرِقتْ صدر القناة من الدم ^(٢)
وبيانه أن الفعل إنما تلحقه التاء إذا كان الفاعل مؤنثا ، ولا يجوز قالت زيد ، فكان ينبغى أن لا يجوز كما شرقت ؛ لأن الصدر مذكر ، لكنه لما أضافه للقناة سرى منها التأنيث إليه . وعكس ذلك قوله :
إنارة العقل مكسوف بطّوع هوى
وعقل عاصى الهوى يزداد تنويرا ^(٣)

فكان ينبغى أن يقول مكسوفة ؛ لأن الإنارة مؤنثة ، ولكنه لما أضافها إلى العقل سرى إليها منه التذكير .
والأمين الخلى من الفضلاء المصيرية ؛ له تأليفات في علم العروض .
والخلة : كورة بمصر القاهرة .

الأمين الخلى

(١) ش : « فهو للصديق الناقص » .

(٢) ديوان الأعشى ٩٤ . وفى ط : « قد أزعته » بالزاي ، صوابه فى ش والديوان . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ٢٥ والمتنضب ٤ : ١٩٧ ، ١٩٩ . وانظر معجم شواهد العربية ١ : ٣٦٨ .
(٣) البيت لأحد المولدين . وانظر شواهد المغنى ٢٩٨ والعينى ٣ : ٣٩٦ والتصريح ٢ : ٣٢ والأشئوى ٢ : ٢٤٨ .

باب العطف

أنشد فى أوله :

(إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية فى المزدحم) ٣٣١

على أن الصفات يعطف بعضها على بعض ، كما هنا . وقد تقدم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والسبعين فى باب المبتدأ والخبر ^(١).

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد الثلاثئة ^(٢) :

٣٥١ (يالهف زبابة للحارث ال صابج فالغائم فالآيب)

على أن الصفات يعطف بعضها على بعض كما هنا ، فإن الغائم معطوف على الصابج ، والآيب معطوف على الغائم . وأشار بالبيتين إلى أن عطف الصفات يجوز بالواو إن قصد الجمع ، وبالفاء إن قصد التعقيب .

قال الخطيب التبريزى (فى شرح الحماسة) : لما كانت هذه الصفات متراخية حسن إدخال فاء العطف ، لأن الصابج قبل الغائم، والغائم أمام الآيب . ويقبح أن تدخل الفاء إذا كانت الصفات مجتمعة فى الموصوف ، فلا يحسن أن يقال عجبت من فلان الأزرق العين فالأشم الأنف فالشديد الساعد ؛ إلا على وجه يبعد ، لأن زرق العين وشم الأنف وشدة الساعد قد اجتمعن فى الموصوف . انتهى .

والصواب أن يقال متعاقبة بدل متراخية، فإن التعاقب هنا كالتعاقب

(١) الخزائن ١ : ٤٥١ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢١٠ وشرح شواهد المغنى ١٥٨ ومع الهوامع ٢ : ١١٩ والحماسة

بشرح المروزقى ١٤٧ والتبريزى ١ : ١٤٢ .

في قولك : تزوّج زيد فولد له : وكذلك كل شيء بحسب حصوله وإن كان فيه تراخ .

وقال ابن جني (في إعراب الحماسة) : أراد الذي يصّبح العدو بالغارة فيغنم فيعوب سالماً ، فعطف الموصول على الموصول ، وهما جميعاً لموصوف واحد . والشئ لا يعطف على نفسه ، من حيث كان العطف نظير التشية في المعنى ، فكما لا يكون الواحد اثنين كذلك لا يعطف الواحد على نفسه . وعلة جواز ذلك قوة اتصال الموصول بصلته ، حتى إنه إذا أريد عطف بعض صلته على بعض [جاء به ^(١)] هو معطوفاً في اللفظ على نفسه . ومثله ^(٢) قول الله تبارك وتعالى : ﴿الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ وإذا مرّضت فهو يشفين ^(٣) إلى آخر الآية . وهذا كله صفة موصوف واحد ، وهو القديم عز اسمه . وقد قصّيت هذا في كتاب ^(٤) (المعرب) وهو تفسير قوافي أبي الحسن . فأما قول الله تعالى : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾ فالموريات قدحاً * فالمغريات ضبْحاً ^(٥) فقد يمكن أن يكون ممّا نحن فيه ؛ وقد يمكن أن تكون العاديات غير الموريات ، والمغريات غيرهما ؛ فيكون عطف موصوف على موصوف آخر حقيقةً لا مجازاً كقولك : مررت بالضاحك فالباكى ، إذا مررت باثنين أحدهما ضاحك والآخر باكٍ . انتهى .

وأورد الزنجشريُّ هذا البيت والذي قبله عند قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ

(١) التكملة من إعراب الحماسة لابن جني الورقة ٤٣ . وبدلها في ش « حسبته » تحريف .

(٢) ش : « ومثل » ، صوابه في ط وإعراب الحماسة .

(٣) الآية ٧٩ ، ٨٠ من الشعراء .

(٤) ط : « كثنائي » ، وأثبت ما في ش وإعراب الحماسة .

(٥) الآيات ١ — ٣ من سورة العاديات .

يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ^(١) من سورة البقرة ؛ فى توسُّط العاطف بينه وبين قوله تعالى قبله : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ فَإِنَّهُمَا واحدٌ ؛ كما توسُّط بين الصفَّات فى البيتين . وعطف الصفَّات على الصفات كثير ، بناءً على تباير المفهومات وإن كانت متَّحدة بالذات . وقد يكون العطف بالواو كما فى الآية والبيت الأوَّل ؛ وقد يكون بالفاء كما تقدَّم بيانه .

قال صاحب (الكشاف) فى أوَّل الصفَّات ، ونقله ابن هشام (فى المغنى) : للفاء مع الصفات ثلاثة أحوال : أحدها أن تدلَّ على ترتب معانيها فى الوجود ؛ كقوله : يالهف زِيَاة البيت ؛ أى الذى صَبَحَ فَعَرِّمَ فآب .

والثانى : أن تدلَّ على ترتبها فى التفاوت من بعض الوجوه ، نحو قولك : ٣٣٢
خذ الأكمل فالأفضل ، واعمل الأحسن فالأجمل .

والثالث : أن تدلَّ على ترتيب موصوفاتها فى ذلك ، نحو : رحم الله المخلِّقين فالمقصِّرين . انتهى .

قال الفاضل اليمنى : والقسمة الصحيحة تقتضى أربعة ، لأنَّه كما جاز فى الصفات الدلالة على ترتُّب ^(٢) معانيها فى الوجود ، كذلك يجوز فى الموصوفات ، كما تقول : حلَّ المتمتع فالقارُّ فالمفرد ^(٣) .

وهذا البيتُ أوَّل أبياتِ ثلاثة لابن زِيَاة ، مذكورة فى الحماسة . وبعده : صاحب انشاهد

([و] الله لو لاقِيتهُ خالياً لآبَ سِفانا مع الغالب ^(٤))
أنا ابنُ زِيَاة إن تدعنى آتِكَ والظنُّ على الكاذبِ

(١) الآية ٤ من البقرة .

(٢) هذا ما فى ط . وفى ش : « ترتب » .

(٣) يقال حلَّ المحرم من إحرامه يحلُّ حلاً بالكسر وحلالاً ، إذا خرج من حرمه .

(٤) الواو فى أوَّل البيت تكملة من ش والحماسة .

قال الجوهري : يالهفّ : كَلِمَةٌ يَتَحَسَّرُ بِهَا عَلَى مَافَاتٍ . ولهف منادى مضاف ، أى يالهف احضر .

وزيابة بفتح الزاى المعجمة وتشديد المثناة التحتيّة وبعد الألف باءٌ موحّدة : اسم أمّ الشاعر . ومثل هذا البيت في تلهيف الأمّ والتحسّر على الفاتت ، قول النابغة الذبيانيّ :

يالهف أمي بعد أسرة جَعُولٍ أن لا ألاقِيَهُم وَرَهْطَ عِرَارٍ^(١)

وزعم ابن هشام (في المغني) أنّ زياية أبو الشاعر ، ولم أره لغيره . وقال : أراد يالهف أبي على الحارث أن لا أكون لقيته فقتلته . وذلك لأنّه يريد يالهف نفسي .

وفيه أنّه يصح أن يكون اللّهُف من أمّه وأبيه ، فلا حاجة إلى إقامة غيره مقام نفسه .

واللام في (للحارث) للتعليل ، أى يالهف أمي من أجل الحارث . وجعلها ابن هشام بمعنى على . قال أمين الدين الطبرسيّ (في شرح الحماسة) : يجوز أن يكون أوردَ هذا الكلام على الحقيقة ، فلَهَفَ لما رأى من نجاحه في غزواته ، وسلامته في مآبه . ويجوز أن يكون أوردَه على طريق الاستهزاء فوصفه بهذه الصفات والأمر بخلافه . والأشهر أن يوصف الرجل بما هو متّصف بضده تهكّما به وسخرية . وهذا من أشدّ سباب العرب ، يقول الرجل لغيره . يا عاقلُ أو يا حليم ، إذا استجهله . ونحوه قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾^(٢) . انتهى

(١) البيت لم يرد في ديوان النابغة برواية البطليوسي ولا برواية ابن السكيت .

(٢) الآية ٤٩ من الدخان .

وحمل أبو عبيد الثمري (فى شرح الحماسة) هذا الكلام على ظاهره فقال :
يقول : يَصْبَحُ أعداءه بالغارة فيغنم ويؤوب ، فوصفه (١) بالفتك والظفر
وحسن العاقبة . وهذا بين واضح .

ورد عليه أبو محمد الأعرابي الأسود فقال: هذا موضع المثل: « اخطأت
استك الحفرة ». كيف يذكره بالفتك والظفر وهو أعدى عدو له؟ وإنما المعنى
أنه لهف أمه وهى زبابة، أن لا يلحقه فى بعض غاراته فيقتله أو يأسره. انتهى.
ومنه تعلم أن قول ابن هشام يالهف أى على الحارث إذ صبح قومه
بالغارة غير جيّد من وجهين : أحدهما تفسير زبابة بالأب ، والثانى تقييد صبح
بقوله قومه .

وقد ذهب إليه أبو عبيد البكري (فى شرح أمالى القالى) فقال : تأسف
أن صبحهم فغنم وآب سالما . والصباح الذى يَصْبَحُ القوم بالغارة .
والحارث هذا هو الحارث بن همّام بن مرة بن ذهل بن شيبان . وإنما الحارث بن همّام
قال ابن زبابة فيه هذا الشعر جوابا عن شعر له فيه . وهذا شعر الحارث ٣٣٣
بن همّام :

أيا ابن زبابة إن تلقنى لا تلقنى فى النعم العازب
وتلقنى يشتد بى أجرد مستقّدم البركة كالراكب
العازب : البعيد. يريد إنك لا تترانى راعى إبل . والمعنى : إنما أنا صاحب
فرس ورمح ، أغير على الأعداء وأحارب من يبتغى حرق . ويشند من الشّد ،
وهو العدو . والأجرد : الفرس القصير الشعر : والبركة بكسر الموحدة :
الصدر ، أى متقدّم الصدر مشرفه . كالراكب ، أى إشرافه لإشراف الراكب
لا المركوب . وأيا حرف نداء ، وابن زبابة منادى .

(١) ط : « وصفه » ، وأثبت ماى ش .

وقوله : « والله لو لاقيته خالياً » إلخ ، يقول : لو لاقيته لقتلته أو قتلنى ، ورجع السيفان مع الغالب . وفى هذا الكلام وصف لنفسه بالشجاعة وقلة مبالاته بالموت ، وإنصاف للمحارب .

وقوله : « إن تدعنى » إلخ هذا يحتمل وجهين .

أحدهما : إنك إن دعوتنى علمت حقيقة ما أقول ، فادعنى واخْلُصْ من الظَّنِّ ، لأنك لا تظنُّ بى العجز عن لقائك . والظَّنُّ من شأن الكاذب .
والآخر : أن يكون معنى قوله والظَّنُّ على الكاذب ، أى يكون عوناً عليه مع الأعداء ، كما تقول : رأيك عليك ، أى إنك تُسيئه فيكون كالمُتظاهر عليك . هذا كلام الخطيب التبريزى .

وقال الطبرسى : قوله والظَّنُّ على الكاذب ، جرى مجرى الأمثال ، ومعناه قولٌ لبيد :

واكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِى بِالْأَمَلِ
والمعنى كلُّ يحدِّث صاحبه بكذبها ثم الظَّنُّ على من لا يتحقَّق أصله .
ويجوز أن يريد : أنا المشهور المعروف ، إن تدعنى لمبارزتك أجبتك ، فإن كنت تظنُّ غير هذا فظنُّك عليك ؛ لأنك تكذب نفسك فيما تنوهمه من قعودى عنك ، ونكولى عن الإقدام عليك . ويجوز أن يريد : إن ظننت أن تكون الغالبَ فظنُّك عليك لأنك تكذب نفسك :

وابن زبابة : شاعرٌ من شعراء الجاهلية ، واختُلف فى اسمه ، فقال أبو رياش (فى شرح الحماسة) : هو عمرو بن لأى ، أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة ، وهو فارس مجلز (١) .

ابن زبابة

(١) فى القاموس : « ومجلز كمنبر : فارس عمرو بن لأى التيمي » .

وقال أبو محمد الأعرانى، والمَرْزُبَانى : اسمه سلمة بن ذهل .
وقال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : اسمه عمرو بن
الحارث بن همّام ، أحد بنى تميم اللات بن ثعلبة .

وزَيَّابة اسمٌ مرتجل ، قال ابن جنى (فى المبهج) : هو فعّالة أو فيعالة
أو فوعالة ، من لفظ الأُزَيْب ، وهو النَّشاط . انتهى .

قال صاحب الصحاح عن ابن السكيت : الأُزَيْب على أفعل :
النشاط ، ويؤنث ، يقال : مرَّ فلانٌ وله أُزَيْبٌ مُنْكَرَةٌ ، إذا مرَّ مرّاً سريعاً من
النشاط . والأُزَيْب : الدَّعَى . والأُزَيْب : العَدَاوة . والأُزَيْب : النكباء التى تجرى
بين الصِّبَا والجنوب . وقال أبو زيد : أخذنى من فلانٍ الأُزَيْبُ ، وهو الفَرَع .

وأخطأ محمد بن داود الجراح فى ضبطه ابن زَيَّابة (١) بباءين موحدتين
خفيفتين ، قال : وهى فارةٌ صمّاء يشبّه بها الجاهل ، قال ابن حِلْزَة :
وَهُمُ زَيَابٌ حائر لا تسمعُ الأذانُ رَعداً (٢)

وشعره يردُّ عليه (٣) ، فإنّه لا يستقيم على ما قال . نقله أبو عُبيد البكرى .

واللَّائى ، بفتح اللام وسكون الهمزة بمعنى ، البطء . وتيم بمعنى
عبد ، واللات صَنَم . ومجَلَز بكسر الميم وسكون الجيم وفتح اللام وآخره زاي
معجمة : اسمُ فرسه ، وهو من الجلز ، وهو الفَتْل الشديد .

(١) ش : « ابن زَيَّابة » ، ولكل منهما وجه .

(٢) ط : « زَيَّابة حائر » ، صوابه فى ش والحيوان ٤ : ٤١٠ / ٥ : ٢٦٠ وعيون الأخبار ٢ : ٩٥
واللسان (زيب) .

(٣) أى شعر ابن زَيَّابة ، وهو قوله :

أنا ابن زَيَّابة إن تدعنى آتلك والظن على الكاذب

ولابن زبابة شعرٌ جيد ، أورد منه المبرد (في الكامل) هذه الأبيات ، وأبو تمام (في الحماسة) (١) :

مَالِدِدٍ مَالِدِدٍ مَالُهُ يَيْكِي وَقَدْ أَنْعَمْتَ مَابَالَهُ
مَالِي أَرَاهُ مُطْرِقًا سَامِيَا ذَا سِنَةٍ يُوعِدُ أُخْوَالَهُ
وَذَاكَ مِنْهُ تُحْلَقُ عَادَةٌ أَنْ يَفْعَلَ الْأَمْرَ الَّذِي قَالَهُ
إِنَّ ابْنَ بَيْضَاءَ وَتَرَكَ النَّدَى كَالْعَبِيدِ إِذْ قَيَّدَ أَجْمَالَهُ
أَلَيْتُ لَا أُدْفِنُ قَتْلَكُمْ فَدَخَنُوا الْمَرْءَ وَسِرْبَالَهُ
الدَّرْعَ لَا أَبْغِي بِهَا نَفْرَةً كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَوْدَعٌ مَالَهُ
وَالرَّمْحُ لَا أَمْلَأُ كَفِّي بِهِ وَاللَّبْدُ لَا أَتَّبِعُ تَرْوَالَهُ

قال المبرد : قوله مالدِدِ ، يعنى رجلا . ودَدٌ فى الأصل هو اللّهُو ، قال رسول الله ﷺ : « لستُ من دِدٍ ولادٌ منى » . وقد يكون فى غير هذا الموضع مأخوذاً من العادة . وقوله « أنعمت ماباله » مازائدة ، والبال هنا : الحال .

وقوله : « مطرقاً سامياً » السامى : الرافع رأسه ؛ يقال سما يسمو ، إذا ارتفع . والمطرق : السّاكت المفكر ، فإنّما أراد سامياً بنفسه . وقوله : « ذا سينة » يقول : كأنّه لطول إطرقيه فى نعسيه . انتهى . قال ابن السّيد (فيما كتبه على الكامل) : حكى الرّجّاجيُّ أنّ المطرق من هو بذيء فى أفعاله ويطلب معالى الأمور . وقال غيره : المطرق الخامل الذكر ، أى هو خاملٌ فى الحقيقة وهو يتكبّر فى نفسه . وقوله : « ذا سِنَةٍ » يريد أنّ وعيده لاحقيقة له فكأنّه يراه فى النوم . انتهى كلام ابن السّيد .

(١) انظر الكامل ٢٠٧ والحماسة ١٤٢ بشرح المروزق و ١ : ١٣٦ بشرح التبريزي .

وروى أبو تمام المصراع الأول :

نُبْتُ عَمْرًا غَارِزًا رَأْسَهُ ذَا سِنَةٍ إلخ

قال الخطيب التبريزي : نُبِّيَّ متعدٍ إلى ثلاثة مفاعيل ، أولها نائب الفاعل وهو تاء المتكلم ، ورأسه منصوب بغارزاً ، بمعنى مدخلا رأسه ، ومنه الغرز بالإبرة . وغرِزُ الرأس : كناية عن الجهل والذهاب عما عليه وله من التحفظ . والسنة بالكسر : النعاس . يقول : كَأَنَّهُ ^(١) وسنان قد تغير عقله ، فهو يوعد من لا يجب ^(٢) أن يوعد ، وجملة يوعد حال . وروى : فى «سنة» بفتح السين ، أى فى جذب وقحط .

وقوله : « وذاك منه خلق عادة » روى بدله أبو تمام : « وتلك منه غير مأمونة » .

قال الخطيب : أى تلك الخصلة لا يؤمن وقوعها من عمرو ، وهو فعله لما يقوله . وهذا تهكم . وأن يفعل موضعه بدل من قوله : وتلك منه .
وقوله : « كالعبد إذ قيّد أجماله » قال المبرد : يريد غير أنه مكثرت لاكتساب الحمد والفضل ؛ وذلك أن العبد الراعى إذا قيّد أجماله لف رأسه ونام ناحية ^(٣) . وهذا شبيه بقوله ^(٤) :

« واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى »

(١) ط : « لكأنه » وأثبت ما فى ش والتبريزي .

(٢) فى النسختين : « من لا يجب » بالخاء المهملة ، صوابه بالجيم من التبريزي .

(٣) الذى فى الكامل : « نام حجرة » . وحجرة ، بفتح الحاء فى أوله بمعنى الناحية ، ومنه قول

الحارث بن حلزة :

عننا باطلا وظلما كما نعد نتر عن حجرة الربيض الظباء

(٤) هو الخطيفة . ديوانه ٥٤ . وصدده :

« دع المكارم لا ترحل لبغيتها »

وهذا البيت ساقطٌ في رواية أبي تمام . قال الخطيب : قال النَّمري : وفيها :

« إنك ياعمرو وترك العدى »

قال ابن السكيت ^(١) : يقول : أنت كالعبد اقتصر على موضع يرعى فيه ^(٢) ولا يعزب بإبله . وعندى أنه غير ممتنع أن يكون قوله « وترك الندى » معناه إنك وبخلك ؛ فإنه من ترك الندى فقد أخذ البخل . يقول : وبخلك وحبسك مالك ^(٣) كالعبد قيّد أجماله فلا يبرح منها بعير . وكذلك أنت قيّدت مالك لا يبرحك . قال أبو محمد الأعراي : هذا موضع المثل :

٣٣٥

فلا يدرى نُضَيِّرُ من دَحَاها ومن هو ساكنُ العرشِ الرّقيقِ ^(٤) أخبرنا أبو الندى قال : هذا البيت من المختلّ القديم ، والصواب :
إني وحواء وترك الندى كالعبد إذ قيّد أجماله
قال : حواء : فرسه . ومعناه إني متى أترك الغزو على ظهر حواء واغتنام الأموال ^(٥) وتفريقها على الزائرين والسائلين ، لم يبق لي هم ، لأن أكثر همي في ذلك ، وكنت مثل العبد إذا شبت إبله فأراحها وقيدها في مراحها ^(٦) لم يبق له هم حينئذ . يقول : همي في الغزو واغتنام الأموال وبذلها . انتهى .

(١) موضع كلمة « السكيت » بياض في ش . وفي ط : « ابن السيد » . وهذا الكلام منسوب إلى ابن السكيت في شرح التبريزي ١ : ١٤٠ .

(٢) فيه ، ساقطة من ش . وفي شرح التبريزي نقلا عن ابن السكيت : « يرعى فيه ولا يتعزب بإبله » .

(٣) في النسختين : « وكسبك مالك » ، صوابه عند التبريزي .

(٤) عند التبريزي : « فلا يدرى نصير » ، بالصاد المهملة .

(٥) ش : « أو اغتنام الأموال » ، وأثبت مافي ط والتبريزي .

(٦) المراح بالضم : مأوى الابل . وفي ط : « مراحها » ، صوابه في ش والتبريزي .

وقوله : «فَدَخَّنُوا الْمَرْءَ وَسِرْيَالَهُ» . قال المبرد : يروى أنه طعن فارساً منهم فأحدث ، فقال : نَظَّفُوهُ فَإِنِى لأَدْفِنُ الْقَتِيلَ مِنْكُمْ إِلَّا طَاهِراً .
وقوله : «الدَّرْعُ لَا أَبْغَى بِهَا ثَرَةً» قال المبرد: الثَّوْرَةُ : الدَّرْعُ السَّابِغَةُ .
يقول : درعى هذه تكفينى ^(١) .

وقوله : « كل امرئٍ مُسْتَوْدَعٌ ماله » قال المبرد : أى مُسْتَرْهَنٌ بأجله ، وهو كقول الأعشى :

كُنْتُ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لَابِسٍ جُنَّةً بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِماً أَبْطَالَهَا ^(٢)
وَعَلِمْتُ أَنَّ النَّفْسَ تَلْقَى حَتَفَهَا مَا كَانَ خَالِقُهَا الْمَلِكُ قَضَى لَهَا ^(٣)
انتهى . وقال الإمام أبو الوليد (فيما كتبه على الكامل) : ليس هذا بالمعنى ، لأنَّ الاستيداع غير الاسترهان ، والمال غير الأجل ، وإنَّما المعنى مال الإنسان وديعةٌ مرتجعةٌ ، وعاريةٌ مؤدَّاةٌ ، كما قال لبيد :
وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةٌ وَلَا بَدٌّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ ^(٤)
ويروى :

«وَالدَّرْعُ لَا أَبْغَى بِهَا ثَرَةً»

وهذه الرواية تدلُّ على معنى بيت لبيد ، ولا يجوز معها تأويل المبرد . انتهى
وهذه رواية شراح الحماسة . قال الخطيب : أى درعى مالى الذى أدَّخره ^(٥) . وهذا كقول الآخر :

(١) ط : « تكفنى » ، صوابه فى ش والكامل .

(٢) ط : « يضرب » ، وأثبت ما فى ش والكامل والديوان ٢٧ .

(٣) فى الكامل : « ما كان خالقها الفضيل » .

(٤) ديوان لبيد ١٧٠ .

(٥) كلمة « الذى » ساقطة من ط ، ثابتة فى ش وشرح الحماسة . وفى شرح الحماسة :

« الذى أدَّخره » .

ومالَى مالٌ غيرُ درجٍ حصينةٍ وأبيضَ من ماءِ الحديدِ صقيلٍ
ويحتملُ أنَّه لا يبيعهها فيأخذ العوضَ عنها فيُثْرى به .

وقوله : « كلُّ امرئٍ » الخ ، يريد احتفاظه بالدرع ، وأنَّ كلَّ إنسانٍ
يحفظ ماله فهو عنده كالوديعة التي قد لزم حفظها . ويحتملُ أن يريد تعزيةً
نفسه إذ لا مالَ له ، فيقول : كلُّ امرئٍ مُستودعٌ ماله ، أى لانه سيُسْتَرَدُّ منه
كما تُسْتَرَدُّ الوديعة . ويجوز أن تكون « ما » بمعنى الذى ، فيكون المعنى كل
امرئٍ مرتين بأجله ، وبالذى كتب له . ولا يمتنع أن يكون أشار بما إلى
ما يقتنى من أعراض الدنيا . ويروى : « مستودعٌ » بكسر الدال ، والمعنى أنَّ
ما يجمعه المرءُ ويكسبه إذا جاء محتومُ القضاء يتركه لغيره لا محالة ، فلم أرغب
فيه وأزهدُ فى اكتساب المحامد ؟ ويروى « والدرعُ لأبغى بها ثثرة » وهى ،
الواسعة . والمعنى إني أكتفى من الدرع ببدني . انتهى كلامُ الخطيب (٢) .
وقوله :

« والرَّمحُ لا أملأُ كفى به »

قال المبرد : يُتَأَوَّلُ على وجهين : أحدهما أنَّ الرمح لا يملأُ كفى وحده ، أنا
أقاتل بالرَّمح وبالسَّيف وبالقوس وغير ذلك . والقول الآخر : إني لأملأُ به
كفى ، وإنَّما أختليس اختلاسا (٣) ، كما قال :
ومدجج سَبَقَتْ يدايَ له تحت الغبار بطعنةٍ تحلُسِ
وقوله :

« واللِّبْدُ لا أتبعُ تزواله »

(١) البدن : الدرع القصيرة . والدرع يؤنث ويذكر .
(٢) أى انتهى ما أراد نقله منه . وإلا فإنَّ للخطيب بعد هذا كلاماً آخر .
(٣) فى الكامل : « انى لأملأُ كفى به ، إنما أختليس به اختلاسا » .

يقول : إن النحلَ الحِزَامُ فَمَالَ اللَّبْدُ لم أَمِلْ معه ، أى لَأَمِي فَارِسٌ ثابتٌ على ظهور الخيل ^(١) . انتهى

وأوضح منه قول الطبرسي : يجوز أن يكون المعنى : أى لأقتصر ^(٢) من تعاطى أنواع السلاح على الرُّمَح فقط ، ولكنى أجمع في الاستعمال بينها ، وهذا كما يقال ^(٣) : ملأ كَفَّهُ من كذا ، فليس فيه موضع لغيره . ويجوز أن يكون المعنى لَأَمِي أستعمل رُحَى بأطراف أصابع اليد ، لحذق واقتداري ، ولا آخذه بجميع كَفِّي . وقوله : « واللبد لأتبع » إلخ ، يريد : ألزم ظهر دابتي فإن مال اللَّبْد لم أَمِلْ معه . يصف نفسه بالفروسيَّة ويعرِّض بأن أضداد هذه الأوصاف مجتمعة في خصمه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد الثلاثئة ^(٤) :
٣٥٢ (وَلَسْتُ بِنَازِلٍ إِلَّا أَلَمْتُ بِرَحْلِي أَوْ خَيَالْتُهَا الْكَذُوبُ)
 على أن قوله « خَيَالْتُهَا » معطوف على الضمير المستتر في أَلَمْتُ ، وجاز مع عدم تأكيد المستتر بمفصل لوجود الفصل قبل حرف العطف وهو قوله : « برحلي » .

قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : عَطَفَ على الضمير المرفوع المتصل بغير تأكيد ، ولو أكد فقال أَلَمْتُ هِيَ ، لكان أحسن ، غير أن الكلام طال بقوله برحلي ، فناب طوله عن التأكيد ^(٥) ، كما أن قول الله سبحانه : ﴿ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ ^(٦) لَمَّا طال الكلام فيه بلا . وإن كانت بعد

(١) في الكامل : « أى أنا فافوس ثبت » فقط .

(٢) ش : « لأقتصر » .

(٣) ش : « كما قال » .

(٤) مع الهوامع ٢ : ١٤١ وشرح الحماسة للمرزوقي ٣١٠ .

(٥) في إعراب الحماسة ٦٢ : « عن توكيده » .

(٦) الآية ١٤٨ من سورة الأنعام .

الواو (١) حُسِّنَ الكلام بطولها . انتهى .

أبيات الشاهد

وهذا البيت أوَّل أبياتِ ثلاثة مذكورة في الحماسة . وبعده :

(فقد جعلت قُلُوصُ بنى سُهَيْلٍ من الأكوار مَرْتَعُها قَرِيبُ
كأَنَّ لها برحلي القومَ بَوًّا وما إِنَّ طِبُّها إِلَّا اللُّغُوبُ)
قوله : (ولستُ بنازل) مفعول نازل محذوف ، أى منزلاً أو مكاناً . والإلام : زيارة
لا لبثَ معها ، أو هو من أَلَمَ الرجلُ بالقوم إلماً (٢) بمعنى أتاها فنزل بهم .
وفاعل أَلَمَتِ ضمير الحبيبة . و(الرَّحْلُ) : كلُّ شَيْءٍ يَعدُّ للرَّحِيلِ من وعاءٍ
للمتاع . و(الخيالة) : الطَّيْفُ ، يقال خيال وخيالة ، كما يقال مكان ومكانة .
و(الكذوب) : صفةُ خيالة ، وإِنَّمَا لم يوثَّه لأنَّ فَعولاً يَستوى فيه المذكر والمؤنث
وجعلها كذوباً لأنَّها تَحِلُّ إليه في النوم ما لا يحقُّ . وقال المرزوقي : وجعلها كذوباً
لما لم يُحَقِّق قولُها وفعلها (٣) . يقول : لأنَّزل محلاً إلَّا رأيت هذه المرأة ملَمَّةً
برحلي ، أى متصوِّرة لى بهذه الصُّورة ، تشوُّقاً مِنِّي ، وهذا في حال اليقظة ، أو
رأيتُ خيالها الكاذب الذي لاحقيقة له ، وهذا في حال النوم . والمعنى إني
مأنفكُ منها في يقظةٍ ولأنوم . وهو أبلغ من قول الآخر :
أآخرُ شَيْءٍ أَنْتِ في كُلِّ هَجْعَةٍ وأوَّلُ شَيْءٍ أَنْتِ عِنْدَ هَبْوِي (٤)
لأنَّ هذا في حالٍ دون حال ، وذاك الدَّهرَ كُلَّهُ .

(١) أى وإن كانت لا واقعة بعد الواو . وفي النسختين : « وإن كان » ، والتذكير للفظ الحرف .

(٢) ط : « إلماً » ، صوابه في ش .

(٣) واو « وجعلها » ساقطة من ط ، ثابتة في ش والحماسة . وفي الحماسة : « لما لم يتحقق فعلها وقولها » .

(٤) ط : « هبوب » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح ومن شرح الحماسة للمرزوقي ١٣٢٠ . وهو أول أبيات حماسية لم يعرف قائلها .

و«قد جعلت قلوب» إلخ جعلت هنا بمعنى طَفِقَتْ وأقبلت — وأخطأ العينيُّ في قوله إنَّ جعلت هنا بالبناء للمفعول — وقلوب اسمُها ، وهى النَّاقَةُ الشَّابَّةُ . وجملة «مرتعا قريب» فى محل نصب خبرها، و «من الأكوار» ^(١) متعلق بقريب . واستعيرت الاسمىة موضع الفعلية لأن المراد : وقد جعلت هذه القلوب يقرب مرتعا من الأكوار . وقد أورده الشارح المحقق فى آخر أفعال المقاربة ، ويأتى بيانه هناك إن شاء الله تعالى . وقال المرزوقى : ومرتعا قريب فى موضع الحال .

يقول : أقبلت قلوب هذين الرجلين قريةً المرتع من رحالهم ، قصيرة المسرح فى رواحهم ؛ لأنَّه ^(٢) لِمَا لِحَقَّهَا من الكلال والإعياء لم تقدر على التباعد فى المرمى ^(٣) . انتهى .

وقد شرحه قول الآخر وأبلع فقال :
من الكلال لا يذقن عودا لأعقلاً تبغى ولا قيودا
والأكوار : جمع كُور بالضم ، وهو الرجل بأداته . أى إذا سرحت لم تُبعد فى المرمى ، لشدة كلالها .

وزعم الدمامينى (فى الحاشية الهندية) وتبعه غيره ، أنه يصح أن يكون أكوار هنا جمع كُور بالفتح ، وهى الجماعة الكثيرة من الإبل . وهذا وإن كان صحيحاً فى نفسه إلا أنه لايناسب المقام . فتأمل .

وقوله : « كَأَنَّ لها برحل » إلخ قال المرزوقى : يقول : كَأَنَّ لهذه الناقة ولداً برحل القوم تتعطف عليه ولا تتباعد عنه، ومادأوها إلا الإعياء . والطَّبُّ

(١) ش : « من أكوارها » صوابه فى ط .

(٢) مأثبات من ط يطابق ما عند المرزوقى . وفى ش : « لأنها » .

(٣) ط : « لم يقدر على التباعد فى المرمى » ، صوابه فى ش وشرح الحماسة .

بالكسر أصله العلم ، والمراد به هنا الذى يعلم ويُعرف . والبؤ ، أصله جلدُ
فصيل يُحشَى تَبْنًا لتدَرَّ الأُمُّ عليه . انتهى .

وقال شارحُ آخر : قوله : وما إن طُبُّها ، قال أبو الندى : أى شَأْنُها ودَاوُها .
وقال غيره : الطَّبُّ ههنا : السُّقْم ، ومنه « آخر الطَّبِّ الكى » . وأكثر
ما يستعمل ذلك فى السُّحَر ، ومنه رجل مطبوب . واللغوب : الإعياء ، وقد
لَغِبَ لغويا كدخَلَ دخولا ، وَلَغِبَ لغباً كفرح فرحا . انتهى .

وهذه الأبيات أوردها أبو تَمَّام فى باب الحماسة ، مع أنه لاتعلّق لها بها
صاحب الشاهد
بوجه (١) فإن البيت الأول من باب النسيب ، والبيتان الأخيران من باب
الوصف ، وهو نَعْتُ الناقة بشدّة التعب ، وهذا بمعزل عن الحماسة . ولم أر من
تنبه لهذا من شراحه ، ولم أر أيضا منهم من نسبها إلى قائلها .

ورأيت الصغانى (٢) نسبها فى مادة الخيال (من العباب) إلى رجل من
بنى بُحتر بن عَتود (بضم الموحدة وسكون المهملة وضم المثناة الفوقية) .
وعَتود (بفتح المهملة بعدها مثناة فوقية مضمومة وآخره دال) .

* * *

وأنشد بعده :

(الحافظو عورة العشيرة)

على أن أصله الحافظون عورة العشيرة ، فحذفت النون طلباً للاختصار ،
لأن الصلة قد طالّت . وعورة منصوب به . وروى أيضاً بجرها بالإضافة .
وهذا صدر من بيت ، وهو :

(الحافظو عورة العشيرة لا يأتهم من ورائنا وكف)

(١) كلمة (بها) من ش .

(٢) ش : « الصغانى » ، وهما نسبتان صحيحتان إلى صغانيان . وهى ولاية عظيمة كانت بماء وراء النهر .

والوكف : العيب والإثم . أى نحن نحفظ عورة عَشِيرَتِنَا فلا يأتهم من ورائنا شيء يعابون به ، من تضييع ثغرهم وقلة رعايته .

وقد تقدم الكلام عليه مستوفى فى الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين^(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد سيبويه^(٢) :

٣٥٣ (فاليومَ قَرَّيْتُ تَهْجُونَا وَتَشْتُمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بَكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ) ٣٣٨
على أن حرف الجر قد يترك ضرورةً ، عند البصريين ، أى مابك وبالأيام عجب .
قال سيبويه قبل أن ينشد هذا البيت : ومما يقبح أن يشرك المظهر علامة المضمر المحرور ، وذلك قولك : مررت بك وزيد ، وهذا أبوك وعمري ، فكروها أن يشرك^(٣) المظهر مضمراً داخلاً فيما قبله ، لأن هذه العلامة الداخلة فيما قبلها جمعت أنها لايتكلم بها إلا معتمدة على ما قبلها ، وأنها بدل من اللفظ بالتنوين ، فصارت عندهم بمنزلة التنوين ، فلما ضعفت عندهم كروها أن يتبعوها الاسم ، ولم يجوز أن يتبعوها إياه . إلى أن قال : وقد يجوز فى الشعر .
وأنشد هذا البيتَ وبيتاً آخر . انتهى .

وأوضح منه قول ابن السراج (فى الأصول) : وأما المخفوض فلا يجوز أن يعطف عليه الظاهر، لايجوز أن تقول: مررت بك وزيد، لأن المحرور ليس

(١) الخزانة : ٤ : ٢٧٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٩٢ . وانظر الكامل ٤٥١ والانصاف ٤٦٤ وابن يعيش ٣ : ٧٨ ، ٧٩ والمقرب ٥٠ والعينى ٤ : ١٦٣ واطمع ١ : ١٢٠ / ٢ : ١٣٩ والأشعوى ٣ : ١١٥ .

(٣) ط : « تشرك » صوابه فى ش . وفى كتاب سيبويه : ١ ومما يقبح أن يشركه المظهر ..

له اسمٌ منفصل فيتقدم ويتأخر كما للمنصوب ، وكل اسم معطوف عليه فهو يجوز أن يؤخر ويقدم الآخر عليه ؛ فلما خالف المجرور سائر الأسماء لم يجوز أن يعطف عليه . وقد حكى أنه جاء في الشعر :

« فاذهب فما بك والأيام من عَجَبٍ » انتهى

ووافق الكوفيين يونس ، والأحفش ، وقطرب ، والشَّلوين ، وابن مالك . وهذه المسألة أوردها ابنُ الأنباري (في مسائل الخلاف) بأدلة الفريقين ، قال : احتجَّ الكوفيون على جوازها بمجيئها في التنزيل ، قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ ^(١) بالخفض ؛ وهي قراءة حمزة وغيره ^(٢) . وقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٣) فما عطف ^(٤) على ضمير فيهن . وقال تعالى : ﴿ لَكِنَّ الرَّاكِثُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ ^(٥) ، فالمقيمين عطفٌ على الكاف في إليك ، أو على الكاف في قَبْلِكَ . قال تعالى :

(١) من الآية الأولى في النساء . وفي ط : « الذين » تحريف .

(٢) هي قراءة إبراهيم النخعي ، وقتادة ، ويحيى بن وثاب ، وطلحة بن مصرف ، والأعمش أيضا . ورواية الأصفهاني والجليبي عن عبد الوارث . كما في تفسير أبي حيان ٣ : ٥١٧ والإنصاف . ووافقه المطوع كما في تحاف فضلاء البشر ١٨٥ . وانظر ماسيأت في ص ١٢٧ .

(٣) الآية ١٢٧ من النساء .

(٤) ط : « عطفه » ، وأثبت ما في ش . وفي الإنصاف : « فما في موضع خفض لأنه عطف على الضمير المخفوض في فيهن » .

(٥) الآية ١٦٢ من النساء .

تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ ^(١) فمن عطف
على ضمير لكم . وقال الشاعر :
« فاذهب فما بك والأيام من عَجَبٍ »

وقال الآخر :

أَكْرُ عَلَى الكَتِيبَةِ لأَبَالِي أَفِيهَا كَانَ حَتْفِي أَمْ سِوَاهَا
أَيُّ أَمْ فِي سِوَاهَا ^(٢) . وقال آخر ^(٣) :
نَعْلَقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سِوْفَنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَفَافُ
أَيُّ بَيْنَ السِّبْوَفِ وَبَيْنَ كَعْبِ الرَّجُلِ .

وقال آخر :

هَلَا سَأَلْتَ بَذَى الْجَمَاحِمِ عَنْهُمْ وَأَيُّ نُعِيمٍ ذَى اللِّوَاءِ الْمَحْرَقِ
أَيُّ عَنْهُمْ وَعَنْ أَيْ نَعِيمٍ .

ثم قال : والجواب عن الأول من وجهين ، أحدهما أنَّ الأرحامَ مجرورٌ بواو
القسم لا بالعطف ، وجوابُ القسم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .
وثانيهما : أنَّها مجرورة بباءٍ مقدَّرةٌ حُدفت لدلالة الأولى .

وأما الجواب عن الثاني فمن وجهين أيضا : أحدهما أنَّ مامعطوف على
الله ، أَيُّ الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم يفتيكم فيهن ، وهو القرآن .

(١) الحجر ٢٠ .

(٢) هذا التعليق ساقط من ش .

(٣) هو مسكين الدارمي . ديوانه ٥٣ .

(٤) ويروى : « تعلق » بالبناء والبناء للمجهول ، كما في الديوان والإنصاف ٤٦٥ والأشئمونى ٣ :

١١٥ / ٣ : ١١٥ والحيوان ٦ : ٤٩٤ .

وثانيهما معطوف على النساء من قوله : «يستفتونك في النساء» .

وأما الجواب عن الثالث فمن وجهين أيضا :

أحدهما : أنَّ المقيمين منصوبٌ على المدح ؛ وذلك أنَّ العرب تنصب على المدح عند ترك العطف ، وقد تستأنف فترفع .

وثانيهما : أنَّه معطوفٌ على «ما» من قوله «بما أنزل إليك» أى يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين . على أنه قد روى عن عائشة أنَّها سُئِلت عن هذا الموضع فقالت: هذا من خطأ الكاتب. وروى عن بعض ولد عثمان أنَّه سئل عنه فقال: إنَّ الكاتب لمَّا كتب: وما أنزل من قبلك ، قال: ما أكتب ؟ فقليل له اكتب : والمقيمين الصَّلَاة ، يعنى أنَّ المملَى أَعْمَلَ قوله اكتب في المقيمين ، على أنَّ الكاتب يكتبها بالواو كما كتب ما قبلها على لفظ المملَى .

وأما الجواب عن الرابع فأنَّ المسجد الحرام مجرورٌ بالعطف على سبيل الله لا بالعطف على به ، لأنَّ إضافة الصِّدِّ عنه أكثر استعمالاً من إضافة الكفر به . ألا ترى أنَّهم يقولون صدّدته عن المسجد الحرام ولا يكادون يقولون : كفرتُ بالمسجد الحرام .

وأما الجواب عن الخامس فإنَّ مَنْ عطفٌ على معاش ، أى جعلنا لكم فيها المعاش والعبيد والإماء . وأما قول الشاعر :

« فاذهب فما بك والأيام »

فلا حجة فيه أيضاً ، لأنه مجرورٌ على القسم لا بالعطف على الكاف .

وأما قول الآخر :

« أفيها كان حتفى أم سواها »

فإنَّ سواها منصوب على الظرف ؛ لأنها مجرورة بالعطف .
وأما قوله :

* وما بينها والكعب *

فالكعب مجرورٌ بإضافة بينَ إليه محذوفاً لا بالعطف ، حذف بين الثانية
لدلالة الأولى عليه .

ثم لو حمل ماأنشده من الأبيات على مادّعوه لكان من الشاذ الذي
لا يُقاس عليه .

هذا ماأورده ابنُ الأنباري ، ولا يخفى ما في غالبه من التعسف .
وقد أنكر الثّحاة قراءة حمزة بجَرِّ الأرحام ، وهي قراءة مجاهدٍ والنخعيِّ
وقَتادة وأبي رزين ^(١) ويحيى بن وثاب ، والأعمش ، وأبي صالح أيضاً .

قال الفراء (في معاني القرآن) : حدّثنى شريك بن عبد الله ، عن
الأعمش ، عن إبراهيم النخعي ، أنه خفض الأرحام فقال : هو كقولهم بالله
والرَّحِم ^(٢) . وفيه قبحٌ ؛ لأنَّ العربَ لا تردُّ مخفوضاً على مخفوضٍ وقد كُنِيَ عنه،
وإنما يجوز هذا في الشعر لضيقه .

وقد بالغ الزجاجي (في تفسيره) في إنكار هذه القراءة فقال: القراءة الجيدة
نصب الأرحام، والمعنى واتَّقوا الأرحام أن تقطعوها، فأما خفض في الأرحام فخطأ
في العربية لايجوز إلَّا في اضطرار شعر. وخطأ أيضاً في أمر الدين عظيم،

(١) أبو رزين الكوفي ، واسمه مسعود بن مالك ، روى عن ابن مسعود وعبي بن أبي طاب ،
وروى عنه الأعمش . طبقات ابن الجزري ٣٥٩٧ .

(٢) أي قاسه على عطف المجرور الظاهر على المجرور الظاهر . وهو قياس مع الفارق .

لأن النبي ﷺ قال : « لا تحلفوا بآبائكم » ، فكيف يكون تَسَاءُلُون بالله وبالرَّحِم على ذا ؟ ! ورأيت إسماعيل بن إسحاق ينكر هذا ، ويذهب إلى أن الحلف بغير الله أمرٌ عظيم ، فإن ذلك خاصٌّ بالله عزَّ وجل . فأما العربية فإجماع النحويين أنه يَقْبَحُ أن يُنسَقَ باسم ظاهر على اسم مضمَر في حال الخفض إلا بإظهار الخافض . فقال بعضهم : لأنَّ المخفوض حرفٌ متصل غير منفصل ، فكأنه كالتنوين في الاسم ، فقبح أن يعطف باسمٍ يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه .

وقد فسَّرَ المازنيُّ هذا تفسيراً مقنعاً فقال: الثاني في العطف شريكُ الأول ، فإن كان الأول يصلح أن يكون شريكاً للثاني وإلا لم يصلح أن يكون الثاني شريكاً له . قال: فكما لا تقول مررت بزيد وك ، كذلك لا تقول مررت بك وزيد ، وقد جاء في الشعر ، أنشد سيبويه :

« فاذهب فما بك والأيام من عجب » انتهى .

٣٤٠

وتعقَّبه أبو شامة (في شرح الشاطبية) بعد ما نقل عبارة الزجاج بقوله : قلتُ : هاتان العلتان منقوصتان ^(١) بالضمير المنصوب وقد جاز العطف عليه ، فالجورور كذلك . انتهى

أقول : قد فرق الشارح المحقق بينهما بأن اتَّصال المضمَر الجورور بجارِّه أشد من اتَّصال الفاعل المتَّصل ، والمضمَر المنصوب المتَّصل ليس كالجزء معنى كما بيَّته ، فالقياس ممنوع .

ثم قال أبو شامة: وأما إنكار هذه القراءة من جهة المعنى لأجل أنها سؤال بالرحم فهو حَلَف ، وقد نُهي عن الحَلَف بغير الله تعالى ، فجوابه أن هذا حكاية ما كانوا عليه، فَحَضُّهُمْ على صلة الرحم ونهاهم عن قطعها، ونَبَّهَهُمْ

(١) ش : « مختصتان » .

على أنها بلغ من حرمتها عندهم أنهم يتساءلون بها . وحسنَ حذف الباء هنا أن موضعها معلوم ، فإنه قد كثر على ألسنتهم قولهم : سألتك بالله وبالرحم ، فعمل تلك المعاملة مع الضمير . انتهى

أقول : أول كلامه يدفع آخره ، فإنَّ أوله اقتضى أن الواو للقسم السؤالي . وقد ردَّ الشارح هذا بأن قسم السؤال لا يكون إلا مع الباء ، وأنَّ آخره اقتضى أنها للعطف والجر بالباء المقدرة . وفيه النزاع فتأمل .

ثم قال أبو شامة في تعليل قراءة حمزة : إنَّها على القسم ، وجوابه (إن الله كان عليكم رقيباً) : أقسم سبحانه بذلك كما أقسم بما شاء من مخلوقاته من نحو : (والتين والزيتون) . وهذا الوجه وإن كان لامطعن عليه من جهة العربية فهو بعيد ، لأنَّ قراءة النصب وقراءة ابن مسعود «وبالأرحام» بالباء مصرحتان بالوصافة بالأرحام . وأما ردُّ بعض أئمة العربية ذلك فقد قال القشيري (في تفسيره) : لعلمهم أرادوا أنه صحيح فصيح وإن كان غيره أفصح ؛ فإننا لاندعى أن كل القراءات على أفصح الدرجات في الفصاحة . وإن أرادوا غير هذا فلا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو ، فإن القراءات التي قرأ بها الأئمة ثبتت عن النبي ﷺ . وهذا كلام حسن صحيح . انتهى

والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف لها قائل .

وقوله : (فالיום قرئت) : الخ قال الأعلم : معنى قرئت وأخذت واحد ، يقال قرئت تفعل كذا أي جعلت تفعله . والمعنى : هَجَوَكْ لنا من عجائب الدهر ، فقد كثرت فلا يُتَعَجَّب منها . انتهى . فأفاد أن قرئت هنا من أفعال الشروع ، ويؤيده رواية الكوفيين كما نقله النحاس :

فالיום أنشأت تهجونا » الخ .

فَجُمْلَةٌ تَهْجُونَا خَيْرَ قَرَبَ ، والتاء اسمها .

وزعم العيني وتبعه غيره أنَّ قَرِبَ هنا بالتشديد بمعنى قَرِبَ بالتخفيف أى دنوت ، وجملة تَهْجُونَا حال ، ويقال قَرِبَ هنا من أفعال المقاربة فحينئذ تكون الجملة خبراً . هذا كلامه .

قال شارح (شواهد الموشح) : يروى « قَرِبَ » معروفاً ومجهولاً . فعلى الأول معناه : اليوم قَرِبَ هجاءنا أى أدنىته ، ويجوز أن يكون معناه الإسراع أى أسرعَ فى الهجاء . وجملة تَهْجُونَا حالية ، أى قَرِبَ حاجياً . وعلى الثانى يريد أنك كنت مهجوراً مبعداً فالיום قَرِبَ تَهْجُونَا ، وليس هذا جزاء الإحسان والتقريب . وقوله : فاذهب . أمر تهديد وتحذير . انتهى .

وهذا ناشئ عن عدم الاطلاع ، ولا ينبغي تسويد الورق بمثله .
وقوله : (فاذهب) قال العيني : هو جواب شرط محذوف ، والتقدير فإن فعلت ذلك فاذهب ، فإنَّ ذلك ليس بعجبٍ من مثلك ومن مثل هذه الأيام . انتهى .

وقال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) عند قول الشاعر :

٣٤١

فإن كنت سيِّدنا سُدَّتْنا وإن كنت للخال فاذهب فخل

أراد باذهب تأكيداً^(١) كما تقول : أخذ يتحدث ؛ وجعل يقول ، وأنت تريد حديثه^(٢) . وكذلك قام يشتمنى ، قال حسان .
« على ما قام يشتمنى لئيم »

(١) ش : « أراد اذهب تأكيداً » . والذى فى إعراب الحماسة الورقة ٥٣ : « أراد : فخل ، فزاد اذهب » .

(٢) فى إعراب الحماسة : « حديثه وقوله » .

أى علامَ يشتمنى . وعليه بيت الكتاب :
 فالיום قريت تهجونا البيت.
 أى فما بك عجب . واذهب توكيداً للكلام وتمكين له . ومثله قوله:
 من دون أن تلتقى الأركابُ ويقعد الأير له لعابُ (١)
 وليس هناك قيامٌ ولا قعود ولا ذهاب ، ولكن هذه استراحاتٌ من العرب
 وتطريحات منها فى القول . انتهى .

* * *

وأنشد بعده :

(الواهب المائة الهجانِ وعَبْدُهَا)

على أن عطف قوله وعبدها بالجر على المائة ضعيف . ووجه الضعف
 أن اسم الفاعل المقرون بأل المضاف يلزم أن يكون المضاف إليه معرّفاً بها
 أيضاً ، لمشابهة الحسن الوجه ، فإذا عطف على المضاف إليه شيء لزم أيضاً
 أن يكون معرّفاً بها ، لأنّ المعطوف فى حكم المعطوف عليه . وإنّما جاز هنا
 عطف (عبيدها) مع خلوه من أل على المائة ، لكونه مضافاً إلى ضمير المعرفة
 بأل ، والتقدير وعبد المائة ؛ ولكونه تابعاً ، والتابع يجوز فيه مالا يجوز فى متبوعه .
 وقد تقدّم شرحُ هذا مستوفى مع القصيدة التى هذا المصراعُ منها فى
 الشاهد الرابع والتسعين بعد المائتين (٢) .

* * *

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الثلاثئة (٣)) :
 ٣٥٤ (أَتَعْرِفُ أَمْ لَا رَسَمَ دَارٍ مُعْطَلًا مِنْ الْعَامِ يَغِشَاهُ وَمِنْ عَامٍ أَوَّلًا
 قِطَارٌ وَتَارَاتِ خَرِيقٌ كَأَنَّهَا مُضِلَّةٌ بَوٌّ فِي رَعِيلٍ تَعَجَّلَا)

(١) قبله فى اللسان (ركب) :

لا يفتح الجارية الخضاب ولا الوشاحان ولا الجلباب

(٢) الخزائن ٤ : ٢٥٦ .

(٣) نواذر أبى زيد ٢٠٨ وحاشية يس على التصريح ٢ : ١٦٣ .

على أن الشاعر قد فصل بالظرف وهو تاراب بين العاطف وهو الواو ، وبين المعطوف وهو خريق ، والأصل : قطارٌ وخريقٌ تارابٌ .

وهذان البيتان من أبيات خمسة للقحيف العقبلي ، مذكورة في أواخر (نوادير أبي زيد) ، ولم أرها إلا فيها .

والأبيات الثلاثة لا ارتباط لها بهما ، ولهذا تركناها .

وقوله : (أتعرف أم لا) إنخ رسم مفعول تعرف . ومعناه الأثر . ومعطلاً صفة رسم ، أى خالياً من الأنيس والسكان . ومن العام متعلق بمعطلاً ، و (من عام أولاً) معطوف عليه . والعام : الحول . قال ابن الجواليقي : ولا تفرق عوام الناس بين العام والسنة ، ويجعلونهما بمعنى ، فيقولون لمن سافر في وقت من السنة ، أى وقت كان إلى مثله : عام ، وهو غلط ، والصواب ما أخبرت به عن أحمد بن يحيى أنه قال : السنة من أى يوم عددته إلى مثله ، والعام لا يكون إلا شتاء وصيفا . وفي التهذيب أيضاً : العام حول يأتي على شتوة وصيفة . وعلى هذا فالعام أخص من السنة وليس كل سنة عاماً . وإذا عددت من يوم إلى مثله فهو سنة ، وقد يكون فيه نصف الصيف ونصف الشتاء . والعام لا يكون إلا صيفاً وشتاء متوالين . واللام فيه للعهد الحضورى ، أى هذا العام . وعامٌ أول (١) هو الحول السابق . وأول له استعمالان : أحدهما بمعنى سابق ومتقدم ، ويصرف على هذا . وثانيهما بمعنى أسبق ، ولا ينصرف على هذا . قال صاحب (المصباح) : تقول عامٌ أول ، وإن جعلته صفة لم تصرفه لوزن الفعل والصفة ، وإن لم تجعله صفة صرفته . انتهى . وألف آخره للإطلاق ، ومن التفضيلية محذوفة ، أى من عام أول من هذا العام .

٣٤٢

(١) ط : « عام أول » ، وإثبات الواو من ش .

وقال أبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبي زيد): قوله ومن عام أولاً ، يريد من عام زمان أول أو دهر أول ، فأقام الصفة مقام الموصوف . قال أبو عبيدة ^(١) ، في قوله تعالى : ﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ ^(٢) قال : أراد والله أعلم : من شديد . ولم يزد على هذا ، وتقديره عند أهل العربية : من رام شديد . انتهى ولا يخفى تعسّفه .

و(يغشاه) من غشيّه من باب تعب بمعنى أتاه ، والاسم الغشيان . والذي رواه أبو زيد: « يمحا » بدل يغشاه . قال أبو الحسن الأخفش : تقول العرب : محا يمحو ويمحا ؛ وقد جاء يَمْحِي ^(٣) وهو شاذ [قليل ^(٤)] . يقول بعضهم : محيٌ ، كما يقول الآخرون محوت . ومن قال يَمْحَا فَإِنَّمَا يَفْتَحُ لِأَنَّ الحاء من حروف الحلق . انتهى

و(قطار) فاعل يغشاه أو يمحا ، وجملة الفعل والفاعل في محل نصب على الحال من رسم ، ولا يجوز أن يكون حالاً من دار لتذكير الضمير في يغشى ^(٥) . وقطار ، بكسر القاف : جمع قطر بمعنى المطر . وهذا عيبٌ في الشعر عند الخليل ، ويسمّيه المضمّن وهو أن يكون تمام المعنى في البيت الثاني . و(تاراتٍ) منصوب على الظرف ليغشى ، وهو جمع تارة بمعنى مرّة . و(خريق) معطوف على قطار ، فصل بينه وبين الواو العاطفة الظرف ، وهو بفتح الحاء المعجمة وكسر الراء المهملة

(١) هذا النص من نوادر أبي زيد له أصل في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ : ٣١٢ .

(٢) الآية ٤ من سورة الفيل .

(٣) وكذا في النوادر . وفي ش : « يمحا » ، تحريف .

(٤) التكملة من ش . وفي النوادر : « وهى شاذة قليلة » .

(٥) ش : « يغشاه » .

وآخره قاف . قال صاحب العباب: الحريق: الرّيح الباردة الشديدة الهبوب .
 وضمير كأنّها للحريق . و(مُضِلَّة): اسم فاعلٍ من أضللت بالالف، بمعنى فقدته
 وأضغته . قال الأزهريّ: وأضللت الشيء بالالف، إذا ضاع منك فلم تعرف
 موضعه ، كالدّابة والناقة وما أشبههما. فإن أخطأت موضع الشيء الثابت كالدار
 قلت: ضلّلته وضلّلته . ومُضِلَّة صفة موصوفٍ محذوف، أى ناقة مُضِلَّة . و(البوّ):
 جلدُ الحُوار ، أى ولد الناقة، يُحشى إذا مات فتعطف عليه الناقة فتدّر .
 و(الرعيّل) بالراء والعين والمهملتين : الجماعة من الخيل . و(تعجّل) فعل ماضٍ
 بمعنى أسرع ، وفاعله ضمير الرعيّل، وجُملة كأنّها مضلّة إلخ حال من حريق .
 شبه الرّيح العاصفة في رسم الدار بناقة أضاعت ولدأ في جَمع خيل أسرع
 ومضى، فهي والهة تريد اللّحاق إليه، فتسرّع بأشد ما يمكنها
 والقُحيف بضم القاف وفتح الحاء المهملة وآخره فاء. والعُقيلي بضم العين وفتح
 القاف، وهو شاعرٌ جاهليّ، وتقدم ذكره في الشاهد الثالث والخمسين بعد
 الثلاثئة^(١).

القحيف العقيلي

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الثلاثئة :

٣٥٥ (وكان سيّانٍ أن لا يسرّحوها نَعْمًا

أو يسرّحوه بها واغبرّت السُّوح^(١))

على أن أو هنا بمعنى الواو ، وإنما احتيج إلى جعل أو بمعنى الواو ، لأنّ سواء
 وسيّان يطلبان شيئين ، فلو جعلت أو لأحد الشيئين لكان المعنى سيّانٍ أحدهما .
 وهذا كلامٌ مستحيل .

(١) كذا . وسنأتى ترجمته مفصلة في الشاهد الخامس والعشرين بعد الثلاثئة .

(٢) الخصائص ١ : ٣٤٨ / ٢ : ٤٥٦ وأمالى ابن السجري ١ : ٦١ / ٢ : ٣١٥ وابن يعيش ٢ :

٨٦ / ٨ : ٩١ وشرح شواهد المغنى ٧٢ .

٣٤٣ قال أبو علي (في إيضاح الشعر) : والذي حسنَ ذلك للشاعر أنه يرى جالس الحسن أو ابن سيرين ، فيستقيم له أن يجالسهما جميعاً . وكلّ الخبز أو التمر ، فيجوز له أن يجمعهما في الأكل . فلما جرت مجرى الواو في هذه المواضع استجاز أن يستعملها بعد سى . ولم نعلم ذلك جاء في سواه ، وقياسه قياس سيان . انتهى .

وبين ابن جني سرّه (في باب تدريج اللغة من الخصائص) قال : وذلك أي تدريج اللغة أن يشبه شيء شيئاً من موضع ، فيمضي حكمه على حكم الأوّل ثم يرقى منه إلى غيره . فمن ذلك قولهم : جالس الحسن أو ابن سيرين . فلو جالسهما جميعاً لكان مصيباً مطيعاً لا مخالفاً ، وإن كانت أو إنما هي في أصل وضعها لأحد الشئيين . وإنما جاز ذلك في هذا الموضع لالشيء رجع إلى نفس أو ، بل لقرينة انضمت من جهة المعنى إلى أو . وذلك لأنّه قد عُرف أنّه رغب في مجالسة الحسن ، لما لمجالسته في ذلك من الحظ . وهذه الحال موجودة في مجالسة ابن سيرين أيضاً . فكأنّه قال : جالس هذا الضرب من الناس . وعلى ذلك جرى التّهي في هذا الطرز من القول في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كُفُورًا ﴾^(١) . فكأنّه والله أعلم قال : لاتطعم هذا الضرب من الناس ، ثم إنّه لما رأى أو في هذا الموضع قد جرت مجرى الواو تدرّج من ذلك إلى غيره ، فأجراها مجرى الواو في موضع عاٍ من هذه القرينة التي سوّغته استعمال أو في معنى الواو . ألا تراه كيف قال : فكان سيان أن لايسرّحوها نَعَمًا وسواء وسيان لا يستعمل إلا بالواو . انتهى .

... البيت

(١) ط : « فلما صارت » ، وأثبت ما في ش .

(٢) الآية ٢٤ من الانسان .

وقد أخذ هذا من كلام أبي عليّ (في التذكرة القصيرية) قال : إنّما جاز أو مع سيّان اتّساعاً ، وذلك أنّهم لما رأوا أنّ أو يُجمع بها ما قبلها وما بعدها كما جمع بالواو وإن كان المعنى مختلفاً ، شبهوه بها فعطفوا بها في هذا الموضع كما يعطف بالواو . وكذلك العلم بأنّ هذا الموضع يقتضي اثنين فصاعداً ولا يقتصر فيه على أحد الاسمين . انتهى

(وسيّان) : مثني سى بالكسر بمعنى مثل ، وأصله سيوى ، لأنّه من السواء والسيوية ، فقلب وأدغم ، عملاً بالقاعدة . قال ابن يسعون : كان ينبغي أن يقول سيّين ، لأنّ المعرفة أولى بأن تكون اسم كان ، وكأنّه كره اجتماع ثلاث ياءٍ فعُدل إلى الألف ، أو قدّر في كان ضمير الشأن ورفع على الخبر ، لأنّ المبتدأ هو قوله أن لا يسرحوا . انتهى .

وقال أبو عليّ (في إيضاح الشعر) : إمّا أن يكون أضمر في كان الحديث أو الأمر ، فيكون سيّان خبر الاسمين اللذين هما أن لا يسرحوا نعماً أو يسرحوه ، أو يكون جعل سيّان المبتدأ وإن كان نكرة ، وأدخل كان على قوله سيّان . والوجه الأوّل أشبه . انتهى .

قال الدماميني (في الحاشية الهندية) : ولقائل أن يقول : الإخبار عن المعرفة بالنكرة مغتفر في الضرورة . على أن ابن مالك قال بجوازه مطلقاً . وسرحت الإبل سرحاً ، من باب نفع ، وسروحاً أيضاً : رعت بنفسها ، وسرحتها ، يتعدى ولا يتعدى . وهو هنا متعدّ . والنعم : المال الراعي ، وهو جمع لا واحد له من لفظه ، وأكثر ما يقع على الإبل : قال أبو عبيد : النعم : الجمال فقط ، وتوثت وتذكر^(١) ، وجمعه نَعَمَانٌ كَحَمَلٍ وحُمَلَانٍ ، وأنعام

(١) ش : (ويوثت ويذكر) .

أيضا . وقيل النعم : الإبل خاصة ، والأنعام : ذوات الحُفّ والظُّلف ، وهي الإبل والبقر والغنم . وقيل تطلق الأنعام على هذه الثلاثة ، فإذا انفردت الإبل فهي نَعَمٌ ، وإن انفردت البقر والغنم لم تسمَّ نَعَمًا . كذا في المصباح . وضمير (بها) قال ابن يسعون : للسنة المجدة التي دَلَّت الحَال عليها . ويحتمل أن يريد البقعة التي وصفها بالجدب . والباء بمعنى في . واغْبَرَّت ، اسودَّت في عين من يراها ، أو كَثُر فيها الغبار لعدم الأمطار . وروى بدله : « وابيضَّت » . والسُّوح : جمع ساحة ، وهي فضاء يكون بين دُور الحَيّ . والواو في اغْبَرَّت للحال .

قال ابن الشجري (في أماليه) : وصف سنة ذات جدب ، فرغى النعم وترك رعيها سواءً . قال أبو علي (في إيضاح الشعر) : زعم أبو عمرو أن الأُصمعى أنشدهم هذا البيت لرجل من هذيل . وجميع النحويين رَووا هذا البيت كذا . وقد رأيتُه ملففاً من بيتين في قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي ، وهما : صاحب الشاهد (وقال راعيهم : سَيَّانٍ سَيْرَكُمُ وَأَنْ تَقِيمُوا بِهِ وَاغْبَرَّتِ السُّوحُ وَكَانَ مِثْلَيْنِ أَنْ لَا يَسْرَحُوا نَعَمًا حَيْثُ اسْتَرَدَّتْ مَوَاشِيَهُمْ وَتَسْرِيحُ) وعلى هذا لا شاهد فيه .

والقصيدة مرثية رثى بها أبو ذؤيب صديقاً له قُتل في وقعة . وهذه أبيات منها من المطلع :

(نَامَ الْخَلْيُ وَبَتُ اللَّيْلِ مُشْتَجِرًا	كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحُ
لَمَّا ذَكَرْتُ أَخَا الْعُمَقَى تَأَوَّنِي	هَمِّي وَأَفْرَدَ ظَهْرِي الْأَعْلَبُ الشَّيْخُ
الْمَانِحُ الْأُدَمَ كَالْمَرْوِ الصَّلَابِ إِذَا	مَاحَاذَ الْخُورِ وَاجْتَثَّ الْجَالِيحُ
وَزَفَّتِ الشُّوْلُ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ كَمَا	زَفَّ النَّعَامُ إِلَى حَقَائِهِ الرُّوحُ

وقال ماشيهم سيّان سيركم البيت
واعصّوصت بَكَراً من حَرْجِفٍ ولها وَسَطُ الدِّيارِ رَزِيّاتٌ مَرَزِيحُ
أَمَّا أُولَاثُ الذَّرَى منها فَعاصِبَةٌ تجول بين مَنَاقِبِهَا الأَفَادِيحُ (١)
لا يُكْرَمُونَ كَرِيَمَاتِ المَخَاضِ وأل سَاسَهُم عَقَائِلُهَا جُوعٌ وَتَرَزِيحُ
قوله : « نام الخلى » ملح قال السكري في شرح أشعار هذيل : الخلى :
الذى لاهم له . والمشتجر : الذى قد وَضَعَ حنكَه على يده أو فَمَه عند الهم .
والصاب : نبتٌ إذا شُقَّ يخرج من ورقه كاللبن ، يُحرق العين . ومذبوح :
مشقوق . وذبحه : شقّه .

وقوله : « لما ذكرت أنا العمقى » إلخ العُمَقَى بضم العين المهملة
وكسرهما وبالقصر : أرض قُتِل بها هذا الرجل المرقُ . وتَأَوَّنَى : أتانى ليلاً . و
« أفرد ظهري » أى كان يمنع ظهري من العدو . والأغلب : الأسد الغليظ
الرقبة . يقال رجلٌ شبيحٌ ومُشبيحٌ ، إذا كان جلدًا . يقول : خلانى للأعداء .
وقوله : « المانح الأدم » إلخ مأوردناه من الأبيات ، أورده أبو حنيفة
الدّينورى (فى كتاب النبات) وقال : ومأٌ وصُف به المحلُ قول أبى ذؤيبٍ
ومدَح رجلاً ببذل ماله فيه (٢) .

قال السكري : المانح هو أن يدفع الأدم كالعارية يشرب لبنها سنة .
كالمر : فى صلابتها . والمر : الحجارة البيض . والخور : الغزار الرقاق
وليست بسيّان . وحارَد : ذهب ألبانها ، وهى من المحارَدة . والمجاليح : اللواق
يَدُرُّرَن فى القَرِّ والجهد ، والواحدة مُجاليح .

(١) ط : « آلات الذريح » ، صوابه فى ش وديوان الهذليين .

(٢) ش : « ببذله ماله فيه » .

وقال الدينورى : المحاردة : انقطاع اللبن . والمجاليح : الصبر من التوق
على الجذب الباقية الألبان ، الواحدة مُجالحة . فاجتثت لتدرّ ولا دَرّ بها . ٣٤٥

وقوله : « وزَفَت الشَّوْل » إلخ الرِّفِيف : مشى سريع فى تقارب
الخطو . والشَّوْل : التى شالت ألبانها وحقّت بطونها من أولادها وأتى على
نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية . والحَفَان ، بفتح المهملة وتشديد الفاء : صغار
النعام . والرَّوْح : نعت النعام وهو جمع أرواح وروحاء ، وصف من الرّوَح
بفتحتين ، وهو سعة فى الرّجلين . والأزْوَاح تتباعد ^(١) صدور قديمه وتندانى
عقباه . يقول : زَفَت الشَّوْل إلى أن تأتى مكاناً تستتر فيه . وإنما خصّ
الشَّوْل لقلة صبرها على البرد ، لخِفَّة بطونها .

وقوله : « وقال راعيتهم سيّان » إلخ ، روى السكرى : « وقال ماشيتهم »
أيضا . وقال : يريد اغبرتّ ساحات ماحولهم من الجذب . وماشيتهم ، يريد
ماشى الحى ، والمُشيشى : صاحبها . قال الباهلى : زعموا أن ماشيتهم فى معنى
مُمشيتهم ، أى صاحب الماشية . يقال : أمشى الرجل . أى سواً سيركم إن سرتهم
وإن أقمتهم فأنتم فى جذب . وروى الدينورى : « وقال رائداهم سيّان
سيركم » إلخ .

وقوله : « وكان مثلين » إلخ هذا على القياس بنصب مثلين ، قال
السكرى : أراد : أن لايسرحوا وتسرّجهم ^(٢) سواء . ومعنى أن لايسرحوا أن
لايرعوا . واسترادت مواشيتهم ، أى ترود وتطلب المرعى ، أى فهو جذب رعوا
أم لم يرعوا .

(١) ط : « يتباعد » .

(٢) ش : « وتسريح » . وفى شرح السكرى ١٢٢ : « أراد : كان تسريحهم وتركهم سواء » .

وقوله : « واعصوبت بَكَراً » إنَّه قال الدينورى : اعصوبت :
اجتمعت من البرد يتقى بعضها ببعض . والبَكَر ، بفتحين : جمع بَكْرَة ،
وهى الناقة الشابة . والخرجف ، بتقديم المهملة المفتوحة على الجيم : الريح
الباردة اليابسة . والرذية : الهزيلة الساقطة ، وكذلك المرازج ، وهى التى رزحت
فلا حراك لها . ولم يقل السكرى فى هذا البيت شيئاً .

وقوله : « أما أولات الذرى » إنَّه ، قال السكرى : أولات الذرى :
ذوات الأنسمة . « فعاصبة » أى قد عصبت واستدارت لاتبرح . والأقاديح :
جمع قَداح ، أى تجول القداح بين مناقبها ، وهو أن يضرب عليها بالقداح .
يقول : يختار مناقبها ، أى سمانها ، للعقر .

وقوله : « لا يكرمون كريمات » إنَّه قال السكرى : يقول : ينحرون كريمات
المخاض ، وهى الحوامل ، فهى أنفسُ عندهم إذا نحروها . وعقائلها :
كرائمها . أى أنساهم الجوع والترزج ، وهى الرزاح ^(١) التى قد قامت من
الهزال وسقطت .

وترجمة أبى ذؤيب الهذلى تقدمت فى الشاهد السابع والستين ^(٢) .
وهو شاعر إسلامى .

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الثلاثئة ^(٣) :

٣٥٦ (بَاتَ يُعْشِيهَا بَعْضُ بَاتِرٍ يَقْصِدُ فِي أُسُوقِهَا وَجَائِرِ ^(٤))

(١) ط : « الرزاح » صوابه فى ش وشرح السكرى .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

(٣) أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٦٧ والعينى ٤ : ١٧٤ والأشعرى ٣ : ١٢٠ .

(٤) أُسُوقُهَا وردت بالواو فى جميع المواضع هنا فى ط ، لكنها فى ش مهموزة فى جميع المواضع ، وهما لغتان .

على أنَّ (جائر) معطوفٌ على يقصد ، لكونه بمعنى الفعل ؛ أى يقصد ويَجُور .

وأورده الفراء والزجاج (في تفسيرهما) عند قوله تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ ^(١) على أنَّ جملة يكلم معطوفة على وجباً . قال الزجاج : وجائر أن يعطف بلفظ يفعل على فاعلٍ لمضارعة يفعل فاعلاً ، أى قاصدٌ في أسوقها وجائر .

وأورده الفراء في سورة الأنبياء أيضاً ، عند قوله تعالى : ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ ^(٣) .

وكذلك استشهد به أبو على (في إيضاح الشعر) وابن السجري (في أماليه) ؛ ولم ينسبه أحدٌ منهم إلى قائله . ولم أر له تنمة . وهو بيتان من الرجز المسدس .

وقوله : (بات يعشّيا) إلخ بات من أخوات كان ، اسمها مستتر فيها ؛ وجملة يعشّيا في موضع نصب على أنَّها الخبر ؛ أى يطعمها العشاء بالفتح ؛ وهو الطعام الذى يؤكل وقت العشاء بالكسر .

ورأيت فى أمالى ابن السجري فى نسخة صحيحة قد صحّحها أبو اليمن الكندى وغيره ، وعليها خطوط العلماء : « بات يُعشّيا » بالغين المعجمة ، من العشاء كالغطاء ، بكسر أولهما وزناً ومعنى ، أى يشملها ويعمّها . وضمير المؤنث للإبل وهو فى وصف كريم بادرٍ يعقِرُ إبله لضيوفه . وزعم العيني أنَّ الضمير للمرأة التى عاقبها زوجها بالسيف . ولا يخفى أنَّ هذا غير مناسب لسياق الكلام .

(١) بَـ عمران ٤٦ .

(٢) الأنبياء ٣ .

ورواه الفراء (في تفسيره) : « بَتُّ أَعَشَّيْهَا » بالتكثُّم^(١).

و (العَضْب) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة : السِّيف ، وهو في الأصل صفة بمعنى قاطع ، عَضْبُهُ بمعنى قطعه ، والباء متعلقة ببعثيها ، وهذا من باب : عتأه السِّيف ، وتحيته الضَّرْب . (وباتر) صفة أولى لِعَضْبٍ ، وجملة يقصد صفة ثانية له ، و (جائر) صفة ثالثة ، وهو بمعنى قاطع ، من بتره بترًا من باب قتل ، إذا قطعه على غير تمام . و (يقصد) : مضارع قصد في الأمر من باب ضرب ، أى توسَّط ولم يجاوز الحد . وفي متعلقه بيقصد . وأسوق : جمع قلة لساق ، وهى ما بين الركبة والقدم . وجائر من جار في حكمه ، إذا ظلم .

فإن قلت : عَقْرُهُ الإِبِلُ إمَّا قصدٌ وإمَّا جَوْرٌ فكيف وصف بهما ؟ قلت : هو على التوزيع ، أى يقصد فى أسوق إبل تستحقُّ العقر كالنَّيب ، ويجوز فى أسوق إبل لاتستحقُّ العقر كالحوامِل وذوات الفصال .

وجائرٌ فى الحقيقة معطوف على جملة يقصد الواقعة صفة ثانية لِعَضْبٍ ، كقول راجز آخر :

« أُمٌّ صَبِيٍّ قَدْ حَبَا وَدَارِجٌ ^(٢) »

وفاعله ضمير العضب .

وزعم العيني أنَّ الضمير عائد على ما عاده عليه ضميرُ بات ، وأنَّ الجملة حال . وهذا فاسدٌ ؛ لأنَّه لو كان كما زعمَ لنصب جائر ، لأنَّه معطوف عليه . ولا جائز

(١) معانى القرآن ١ : ٢١٣ . ولم يرد هذا الشطر فى تفسير سورة الأنبياء .

(٢) مجهول القائل . وانظر أمانى ابن الشجرى ٢ : ١٦٧ والنصريح ١ : ١٤٢ ، ٢ : ١٥٢ والأشمونى ٣ : ١٢٠ .

أن يكون منصوباً أو مرفوعاً ؛ لأن الشعر من الرجز الذي يجب ^(١) توافقه قوافيه .
ويدل لما قلنا رواية الفراء :

بِتْ أَعْشِيهَا بَعْضُ بَاتِرٍ يَقْصِدُ فِي أَسْوَقِهَا وَجَائِرِ
والقافيتان مضبوطتان بضبط القلم بالجر في نسخ صحيحه مقروءة ،
وعليها حُطُوطُ العلماء ، منها (تفسيرُ الفراءِ والزجاج) ، ومنها (إيضاح الشعر) بخط
ابن جنِّي ، ومنها (أمالى ابن الشجرى) كما ذكرنا .
ولو رفع باتر على أنه نعت مقطوع من النكرة غير المخصصة لرفع جائر .
وفيه ما لا يخفى . وكذلك لا يجوز أن يكون جملة يقصد خبراً ثانياً لبات أو بدلاً من
يعشئها ؛ لما ذكرنا .

ولم يذكر الشارح المحقق شرط عطف الاسم على الفعل مضارعاً أو ماضياً
وعكسه . وقد بينه ابن الشجرى (في أماليه) في فصل عقده له ، فلا بأس بإيراده ؛
قال : عطف اسم الفاعل على يفعل ، وعطف يفعل على اسم الفاعل جائز ، لما
بينهما من المضارعة التي استحق بها يفعل الإعراب واستحق بها اسمُ الفاعل
الإعمال ، وذلك جريان اسم الفاعل على يفعل . ونقل يفعل من الشتياع إلى
الخصوص بالحرف المخصص كنقل الاسم من التنكير إلى التعريف بالحرف
المعرف ، فلذلك جاز عطف كل واحد منهما على صاحبه ، وذلك إذا جاز
وقوعه في موضعه ، كقولك : زيد يتحدث وضاحك ، وزيد ضاحك ويتحدث ، لأنَّ
كل واحد منهما يقع خبراً للمبتدأ . وكذلك مررت برجل ضاحك ويتحدث ،
وبرجل يتحدث وضاحك ؛ لأنَّ يفعل مما يوصف به النكرات . فمن عطف الاسم
على الفعل قول الرأجز :

بات يغشئها بعْضُ باتِرٍ يَقْصِدُ فِي أَسْوَقِهَا وَجَائِرِ
فإن قلت : سيتحدث زيد وضاحك لم يجز ، لأنَّ ضاحكا لا يقع موقع يتحدث ،

(١) ش : « تجب » تحريف .

من حيث لايلي الاسم السين . وكذلك : مررت بجالس ويتحدث لايجوز ، لأن حرف الجر لايليه الفعل .

فإن عطفت اسم الفاعل على فعل لم يجز ؛ لأنه لا مضارعة بينهما .

فإن قرئت فعل إلى الحال بقدر جاز عطف اسم الفاعل عليه ؛ كقول
الراجز :

« أم صبي قد حبا ودارج »

فإن كان اسم الفاعل ؛ بمعنى فعل جاز عطف الماضي عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَصْدَقِينَ وَالْمَصْدَقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ ^(١) ﴾ ، لأن التقدير إن الذين تصدقوا واللاقى تصدقن .

» » »

وأشدد بعده ؛ وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الثلاثئة ^(٢) :

٣٥٧ (وعرض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مُسْحَتاً أو مجلّف)

على أنه تجوز المخالفة في الإعراب إذا عُرف المراد كما هنا ، فإن قوله مجلّف معطوف على قوله مُسْحَتاً ، وهما متخالفان نصباً ورفعاً .

قال أبو بكر محمد بن عبد الملك التارخي (في تاريخ النحاة) في ترجمة عبد الله بن أبي إسحاق النحوي الحضرمي : قال ابن سلام: وحدثنا يونس قال ابن أبي إسحاق في بيت الفرزدق إلا مُسْحَتاً أو مجلّف ، قال: للرفع وجه. وكان أبو عمرو ويونس لا يعرفان للرفع وجهاً. قلت ليونس: لعل الفرزدق

(١) الآية ١٨ من الحديد .

(٢) ابن سلام ١٩ والجمل ٢١٣ والخصائص ١ : ١٩٩ والمختص ١ : ١٨٠ / ٢ : ٣٦٥ والإنصاف ١٨٨ وابن عيش ١ : ٣١ / ١٠ : ١٣ واللسان (جلف) وديوان الفرزدق ٥٥٦ .

قالها على النصب ولم يَأْبَهُ للقفافية . قال : لا ، كان ينشدها على الرفع ، وأنشدنيها رؤية على الرفع . انتهى .

وهذا البيت صعبُ الإعراب . قال الزمخشريُّ : هذا بيتٌ لا تزال الرُّكْبُ تصطَلُكُ في تسوية إعرابه . وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : رفع الفرزدق آخر البيت ضرورة ^(١) ، وأتعب أهل الإعراب في طلب الحيلة ، فقالوا وأكثرُوا ولم يأتوا فيه بشيء يُرْتَضَى . ومن ذا يخفى عليه من أهل النَّظر أنَّ كلَّ مَأْتُوا به احتيالٌ وتمويه . وقد سأل بعضهم الفرزدق عن رفعه هذا البيت فشمته وقال : على أن أقول وعليكم أن تحتجوا . انتهى .

وقال الفراء (في تفسيره ^(٢)) : حدثني أبو جعفر الرَّؤاسيُّ ، عن أبي عمرو بن العلاء قال : مرَّ الفرزدقُ بعبد الله بن أبي إسحاق النحوي فأنشده هذه القصيدة :
« عرفت بأعشاش وماكدت تعزف ^(٣) »

حتى انتهى إلى هذا البيت ، فقال عبد الله : علام رفعت مجلف ؟ فقال له الفرزدق : على مايسوءك .

وفي (تذكرة أبي حيان) من النهاية قال عبد الله بن أبي إسحاق للفرزدق : بم رفعت أو مجلف ؟ فقال : بما يسوءك وينوءك ، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا . ثم قال الفرزدق :

فلو كان عبدُ الله مولِّي هجوئهِ ولكنَّ عبدَ الله مولِّي موالِيَا
فقال له عبد الله : أردت أن تهجوئني فلحنَّتُ أيضا . والفرزدق مشغوفٌ في شعره بالإعراب المشكل المھوج إلى التقديرات العسيرة ، بالتقديم والتأخير

(١) وكذا في الشعراء ٣٥ . وفي ش : « رفع الفرزدق آخره ضرورة » .

(٢) معاني القرآن ٢ : ١٨٢ في الآية ٦١ من سورة طه .

(٣) في النسختين : « بأعشاش » ، صوابه من الفراء ومعجم البلدان وديوان الفرزدق ٥٥١ .

المخِلُّ بالمعاني . وسمعت شيخنا يقول : أتى لأعجب من إبراهيم بن هشام
المخزومي حين فهم قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلّا مملكا أبو أمه حيّ أبوه يُقاربه ٣٤٨

وقال أبو محمد بن الخشاب (في كتابه الموضوع لجوابه المسائل الست
الإسكندرية) : إنّ أبا حاتم السجستاني قال : ليس الفرزدق أهلاً لأن يُستشهد
بشعره على كتاب الله ، لما فيه من التعجرف . وقال ابن الخشاب أيضاً : لم يجر
في سنن الفرزدق ، من تعجرفه في شعره بالتقديم والتأخير المخل بمعانيه ،
والتقدير المشكل ، إلّا المتنبي ، ولذلك مال إليه أبو علي وابن جني ، لأنّه مما
يوافق صناعتهم . ولا ينع المتنبّي شهادة أُنّى على له بالشعر ، لأنّ أبا عليّ
معرب لا نقاد ، وإنّما تنفعه شهادة مثل العسكريين وأبي القاسم الآمدي ،
فإنّهم أئمة يُقتدى بهم في نقد الإعراب . انتهى ما أورده أبو حيان .

وقد تكلف له العلماء عدّة توجيهات ذكر الشارح المحقق منها ثلاثة
أوجه ، والثلاثة مبنية على رواية (لم يدع) بفتح الدال وعلى رواية نصب
مُسحت .

أمّا (الأول) فهو للخليل بن أحمد ، وقال : هو على المعنى ، كأنّه
قال : لم يبق من المال إلّا مُسحت ، لأنّ معنى لم يبق ولم يدع واحد ، واحتاج
إلى الرفع فحمله على شيء في معناه . قال أبو علي (في إيضاح الشعر) : نصب
مُسحت ببدع بمعنى الترك ، وحمل مجلّف بعده على المعنى ، لأنّ معنى لم يدع
من المال إلّا مسحتا ، تقديره : ولم يبق من المال إلّا مسحت ، فحمل مجلّف
بعده على ذلك . ومثل ذلك في الحمل على المعنى من أبيات الكتاب قوله :

بادت وغيّر آيهنّ مع البلى إلا رواكد جمرهنّ هباء^(١)
ومُشججٌ أمّا سواء قذالِه فَبدا وغيّر سارَه المعزّاء
لأنّ معنى بادت إلا رواكد ، معناه: بها رواكد ، فحمل مشججا على
ذلك ، فكذلك قوله لم يدع من المال إلا مسحنا معناه: بقي مُسحت . قال أبو
عمرو : هذا قول الخليل ، وليس البيت في الكتاب ^(٢) ، فلا أدري أسمع عنه
أم قاسه . انتهى .

ومحصله أنّ مجلفاً مرفوع بفعل محذوف دلّ عليه لم يدع. وإليه ذهب ابن
جنى (في المحتسب في سورة والضحي)، قال: إنه لما قال لم يدع من المال إلا
مسحتنا دل على أنه قد بقي، فأضمر ما يدل عليه^(٣)، فكانه قال: وبقي مجلف.
وأما (الثاني) فهو ثعلب ، قال (في أماليه)^(٤) نصب مُسحت بوقوع
يدع عليه وقد وليه الفعل ولم يل مجلفا ، فاستؤنف به فرفع ، والتقدير : هو
مجلف . انتهى .

وقول الشارح المحقق إنّ أو في هذا الوجه للإضراب بمعنى بل ،
لايناسب المعنى ، وإنما يناسب لو كان مسحتا بعد أو ، فهي هنا لعطف جملة
على مفرد ، ومعناها أحد الشئيين .

وأما (الثالث) فهو لأنى على الفارسي (في التذكرة) قال : مجلف
معطوف على عضّ ، وهو مصدر جاء على صيغة المفعول ، قال تعالى :
﴿ وَمَرْقَاهُمْ كُلٌّ مِمَّرَقٍ ﴾^(٥) كأنه قال : وعض زمان أو تجليف .

(١) من شواهد سيبويه في كتاب ١ : ٨٨ .

(٢) يعنى البيت الشاهد .

(٣) في المحتسب ٢ : ٣٦٥ : « فأضمر ما يدل عليه القول » .

(٤) هذا من المواضع المستدركة على مجالس ثعلب . وقد أثبتته في ذيل المجالس .

(٥) الآية ١٩ من سورة سبأ .

وبقى غير مذكور الشارح توجيه الفراء ، قال : إِنَّ مجلفاً مرفوع
بالابتداء ، وخبره محذوف ، كأنه قال : أو مجلف كذلك . ونسبه إليه ابنُ
السَّيِّد (في شرح أبيات الجمل) ، وكذلك نسبه إليه على بن حمزة البصري (في
كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة) ونسبه : قال الفراء : ومن روى مسحتاً أراد لم
يدع فيه عضُّ الزمان إلا مسحتاً أو مُجَلَّفٌ بقي ، فرفعه على هذا الإضمار . قال
الكسائي : هذا كما تقول : ضربت زيداً وعمرو ، كأنه يرفعه بفعل مضمر ، أى
وعمره مضروب ، أو وعمرو كذلك . انتهى .

٣٤٩

وقد ذهب إلى هذا ابن الأنباري أيضاً (في مسائل الخلاف) ، قال ابن
السَّيِّد (في شرح أبيات المعاني) : فيكون هذا من عطف جملة اسمية على جملة
فعلية ، كما تقول : رأيت زيداً وعمرو مرّاً أيضاً .

وبقى أيضاً توجيه الكسائي ، وهو أنَّ مجلفاً معطوف على الضمير
المستتر في مُسَحَّت . قال ابن السَّيِّد (في شرح أبيات الجمل) : حكى هشام
هذا التوجيه عن الكسائي .

هذا ما طلعْتُ عليه من توجيه هذه الرواية ، وهى الرواية المشهورة . وقد
أوردها صاحب الكشف في سورة طه .
وفيه روايات أخر :

إحداها : « إلاً مسحتٌ أو مجلفٌ » برفعهما . قال على بن حمزة (في
كتاب التنبيهات) : رواه أبو جعفر بن حبيب (في كتاب النقائص) برفع
الاسمين . قال ابن الأعرابي والفراء : حروف الاستثناء تحيى بمعنى قليل من

(١) ط : « أو مجلفاً » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « أو عمرو كذلك » وأثبت ما في ش .

كثير ، فجعل إلا معلقة بأن يكون ، فأضمـرها ونواها ، ورفع مُسَحَّتْ عَلَى هذا المعنى . أراد إلا أن يكون مسحت أو مجلف ، فرفعه بـيكون المضمرة ، وإلا تدل عَلَى تعلُّقها بأن يكون كقولك : ماأتانى أحدٌ إلا زيد ، وإلا أن يكون زيد . ومثله لشبيب بن البرصاء :

ولا خير في العيدان إلا صلابها

ولا ناهضاتِ الطير إلا صقورها

أراد : ولاخير في العيدان إلا أن يكون صلابها ، وإلا أن يكون صقورها .

انتهى .

وهذا التوجيه مردود ، فإنَّ الموصول لايجذف مع بعض الصلة ويبقى

بعضها .

والصواب توجيه صاحب (الكشاف) فإنه استشهد به عَلَى قراءة أَيْ والأعْمَش : ﴿فَشَرُّوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(١) بالرفع مع كونه استثناء من كلام موجب حملاً له عَلَى المعنى ، فَإِنَّ قوله فشرُّوا منه في معنى فلم يطيعوه إلا قليل ، فرفعه كرفع الشاعر مسحتا ومجلفا مع كونه استثناء مفرغاً في موقع المفعول به ، لأنه في المعنى واقع موقع الفاعل ، لأنَّ لم يدع في معنى لم يَبْقَ . والأحسن ماذهب إليه الطوسي ، نقله عنه صاحب (التنبيهات) قال : أراد لم يَدْعُ من الدعة .

ونقل ابن الأنباري أيضاً (في شرح المفضليات) عن أبي عمرو أنه قال : لم يَدْعُ من الدَّعة والسكون ، يقال رجل وادع إذا كان ساكناً ، فيكون عَلَى هذا مسحت فاعل لِيَدْعَ .

وثاني الروايات الأخر رواية خالد بن كلثوم وهى :

(١) الآية ٢٤٩ من البقرة .

وعضّ زمان يابن مروان مابه من المال إلا مسحت أو مجلف
 برفع الاسمين أيضاً ، حكاه عنه على بن حمزة صاحب التنبيهات .
 وقال الفراء (في تفسيره) : قيل لى إن بعض الرواة يقول : « مابه من
 المال إلا مسحت أو مجلف » فقلت : ليس هذا بشيء . انتهى .
 وعندى أن هذه أحسن الروايات وأصحها .

وثالث الروايات الأخر : « لم يدع من المال إلا مسحت » بكسر دال
 يدع ورفع الاسمين أيضاً ، وقد نسبها صاحب (التنبيهات) إلى أبى عبيدة ،
 وابن الأنبارى (في شرح المفضليات) إلى عيسى بن عمر ، عند قول سويد بن
 أبى كاهل الشكرى من قصيدة :

أرق العين خيال لم يدع من سليمى ففؤادى منتزع^(١)

قال : يدع بمعنى يقر ويمكث . وإليه ذهب ابن جنى في باب الاطراد
 والشذوذ (من الخصائص) قال فيه : ومن ذلك امتناعك من وذر وودع لأنهم
 لم يقولوها . فأما قول أبى الأسود :

ليت شعري من خليلي مالى

غاله في الحب حتى ودعه

فشاذ، وكذلك قراءة بعضهم: ﴿ماودعك ربك وماقلّى﴾ . فأما قولهم ودع
 الشيء يدع ، إذا سكن فاندع، فمسموع متبع، وعليه بيت الفرزدق، فمعنى لم
 يدع بكسر الدال، أى لم يتدع ولم يثبت. والجملة بعد زمان في موضع جر
 لكونها صيغة له ، والعائد منها إليه محذوف للعلم بموضعه ، وتقديره لم يدع فيه
 أو لأجله من المال إلا مسحت أو مجلف ، فيرتفع به مسحت ، ومجلف

(١) المفضيات ١٩٥ .

عطف عليه . وهذا أمرٌ ظاهر ليس فيه من الاعتذار والاعتلال ما في الرواية الأخرى . ويحكى عن معاوية رضى الله عنه أنه قال : خير المجالس ماسافر إليه البصر ، وأتدع فيه البدن . انتهى .

وقال في سورة الضحى (من المحتسب) : قرأ : ﴿ مَا وَدَّعَكَ ﴾ ^(١) خفيفة النسي ^{صلى الله عليه وسلم} وعروة بن الزبير . وهذه قليلة الاستعمال . قال سيبويه : استغنوا عن وذر وودع بقولهم ترك . على أنها قد جاءت في شعر أبى الأسود . وأما لم يدع في بيت الفرزدق بكسر الدال فهو من الاثداء ، كقولك : قد استراح وودع ، فهو وادع من تعب . والمسححت على هذه الرواية مرفوعٌ بفعله ، ومجلف معطوف عليه . وهذا ما لا ينظر فيه لوضوحه .

ورابع الروايات الأخر : « لم يدع » بضم الياء وفتح الدال ، مع رفع الاسمين أيضاً ، ذكرها ابن جنى (في المحتسب) ونقلها عنه ابن السيد واللخمى (في شرح أبيات الجمل) ، ولم ينسبها أحدهم إلى راوٍ .

قال ابن جنى : وأما رواية « يدع » بضم الياء وفتح الدال فقياسه يودع ، كقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ومثله يوضع ، والحديد يوقع ، أى يطرق ، من قولهم وقعت الحديد ، أى طرقتها . قالوا : إلا أن هذا الحرف كآته لكثرة استعماله جاء شاذاً فحذفت واوه تخفيفاً فقليل لم يدع أى لم يترك . والمسححت والمجلف جميعاً مرفوعان أيضاً كما يجب . انتهى .

وهذا ماوقفت عليه من روايات هذا البيت . والله أعلم .

وقوله : (وعض زمان) هو مرفوع بالعطف على (هموم المنى) في بيت قبله ، وهو :

(١) الآية ٣ من سورة الضحى .

(إليك أمير المؤمنين رَمَتْ بنا
 همومُ المَنَى والهَوَجُلُ المتعسِّفُ)

أراد : يا أمير المؤمنين . و(ابن مَرُوان) : عبد الملك بن مروان . شكّا إليه ما فعل به الزمان من تفريق أمواله وتغيير أحواله . والهَوَجُلُ : الفلاة التي لأعلام فيها يُهْتَدَى بها . والمتعسِّفُ : التي يُسار فيها بلا دليل . وَعَضُّ الزمان : شِدَّتَه . قال اللخمي (في شرح أبيات الجمل) : قال الخليل بن أحمد : العَضُّ كله بالضاد، إلا عَضُّ الزمانِ والحَرْب . وقال ابن سراج (١) : العَضُّ المجازيُّ بالظاء والحقيقي بالضاد . وهذا كقول الخليل . وقيل إنَّ العَضَّ كله بالضاد مجازيا كان أو حقيقياً . انتهى .

و (المجَلَّفُ) بالجميم : الذي ذهب معظمه وبقي منه شيء يسير . و(المُسْحَتُ) : المستأصل الذي لم يبق منه بقية . قال الفراء في سورة طه ، في قوله تعالى : ﴿ فَيُسْحِتْكُمْ ﴾ (٢) : سَحَتَ أَكْثَرُ ، وهو الاستئصال . والعرب تقول : سَحَتَ أَسْحَتَ بمعنى واحد . وأنشد هذا البيت .

وقال مثله الزجاجُ في سورة المائدة ، وأنشد البيت أيضاً .

وقال صاحب الصحاح : مالٌ مسحوت ومُسْحَتُ أى مُذْهَب . وأنشد هذا البيت أيضاً ، ومنه أخذ الشارح .

ومثل هذا البيت ما أورده أبو عبد الله محمد بن الحسين الجنى تلميذُ ابن ولاد (في طبقات النحويين) في ترجمة أبي الفضل الرِّياشي، بسنده عن أبي الفضل قال: وقع رجلٌ بأَمَةٍ لرجل فولدت، فحلف سيِّدُها أن لا يُعْتِقَها، فقال الذي وَقَعَ في الجارية:

٣٥١

(١) ابن سراج، بكسر السين وتخفيف الراء، هو عبد الملك بن سراج امام أهل قرطبة، وهو من درس جمهرة ابن دريد وامتنعها . توفي سنة ٤٨٩ . س : « ابن السراج » .

(٢) الآية ١١ من سورة طه .

تَحَلَّلْ جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا أَمَا تَرَى تَخَاذُلَ إِخْوَانِي وَقِلَّةَ مَالِيَا
وَعِضُّ زَمَانٍ لَمْ تَدْعُ جَفَوَاتِهِ مِنْ الْمَالِ إِلَّا جِلَّةً وَعَنَاصِيَا
تَأَلَّ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ كَأَنَّمَا رَأَيْتَ ابْنَ ذِي الْجَدَّيْنِ عِنْدَكَ عَانِيَا^(١)
انتهى التحليل في البين : أن يحلف ثم يستثنى استثناءً متصلاً . والجِلَّةُ
بكسر الجيم من الإبل : المَسَانُّ ، وهو جمع جليل ، كصبيٍّ وصبية .
والعَنَاصِي بفتح المهملة ، قال صاحب الصحاح : مابقي من ماله إلا عَنَاصِي ،
وذلك إذا ذهب مُعْظَمُهُ وبقي ثَبْدٌ منه . وتأَلَّ فعلٌ أمرٌ ، يقال تأَلَّى على كذا
أى أقسم عليه . والعَانَى : الأسير .

والبيتان من قصيدة طويلة للفرزدق ، تزيد على مائة بيت ؛ ليس فيها صاحب الشاهد
مدحٌ غير هذين البيتين ، وماقبلُهُما من أوَّل القصيدة نسيب ، ومابعدهما عدَّة
أبياتٍ في كلال الإبل . وشرَّحها الشريف المرتضى قُدَّس سرُّه (في أماليه غرر
الفرائد ودرر القلائد ^(٢)) .

ومابعدها إلى آخر القصيدة افتخارٌ بآبائه على جرير .

وفيها شاهدٌ يأتي شرحه مع أبيات منها إن شاء الله تعالى في باب الفعل^(٣) .
ومضى بيتٌ منها في باب النعت^(٤) .

وتقدَّمت ترجمة الفرزدق في الشاهد الثلاثين^(٥) .

(١) ط : « دو المجددين » . صوابه في ش . واجد بمعنى الخط . وذو الجدين هو قيس بن مسعود
بن قيس بن خالد النشيطي . وهو والد بسطام بن قيس ، وقيل مسعود بن عمرو ، وقيل عمرو بن ربيعة
ابن عمرو ، وقيل عبد الله بن عمرو بن الحارث . وانظر تعليل تسميته في جنى الجنتين ١٥٧ .

(٢) أمالي المرتضى ١ : ٥٨٢ — ٥٨٤ .

(٣) هو الشاهد ٦٦٦ في ٣ : ٦٠٧ بولاق .

(٤) هو الشاهد ٣٣٩ في هذا الجزء الخامس .

(٥) في الجزء الأول ص ٢١٧ .

باب التوكيد

أنشد فيه ؛ وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الثلاثمائة (١) :

٣٥٨ (أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ)

على أنَّه رَمَّا دَلَّ على عطف البيانِ بعضُ متبوعاته مع قَلَّةِ الاشتراك ، كَأَنَّى حفص وهو المتبوع ، يدلُّ على عطف البيان وهو عُمَرُ ، كما بيَّنه الشارحُ المحقق .

وقد أوردته في باب عطف البيان وشرحه هناك .

صاحب الشاهد

وهو أوَّلُ رجز قاله أعرابيٌّ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه .

قصة الشاهد

وسببه مارواه المحدثون عن أنى رافع ، أنَّ أعرابياً أتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ أهلى بعيد ، وإِنِّى على ناقةٍ ذُرِّاءَ ، فاحملنى . فقال عمر كذبت ، والله ما بها نقبٌ ولا بَرٌّ ! فانطلق الأعرابىُّ فحلَّ ناقته ، ثمَّ استقبل البطحاء وجعل يقول ، وهو يمشى خلف ناقته :

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ ما إنَّ بها من نَقَبٍ ولا ذَبَرٍ
اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجْرٌ

ويروى : « مامَّسها من نَقَب » . وعمر بن الخطاب رضى الله عنه مقبلٌ من أعلى الوادى ، فجعل إذا قال :

« اغفر له اللهمَّ إِنْ كَانَ فَجْرٌ »

قال : اللَّهُمَّ صَدِّقْ ! حتَّى التقيا فأخذ بيده فقال: ضَعُ عن راحلتك.

(١) المخصص ١ : ١١٣ وابن عيش ٣ : ٧١ وشذور الذهب ٤٣٥ والمعنى ١ : ٣٩٢ / ٤ :

١١٥ وانتصر ١ : ١٢١ . ١٣١ والأشعري ١ : ١٢٩ ومعاهد التنصيص ١ : ٩٤ .

فوضّع فإذا هي كما قال ، فحملّه على بعير ، وزوّده وكساه .
وروى هذا الأثر بالفاظٍ مختلفة .

وهذا المقدار من الرجز هو المشهور ، وفي رواية الأصمعيّ أزيد من
هذا . قال أبو عبد الله محمد بن الحسين اليمني (في طبقات النحويين) في ترجمة
٣٥٢ الأصمعيّ : أخبرنا ابن مطرف قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد
الرحمن عن عمه الأصمعيّ قال : وقف أعرابي بين يدي عمر بن الخطاب
فقال : يا أمير المؤمنين ، أبدع بي وأدّمت بي راحلتي ، ودبر ظهرها ونقّب
خُفّها ! فقال له عمر : والله ما أظنّك أنقبت ولا أخفيت ، فخرج الرجل ثم
خرج عمر . قال : والرجل يقول :

أقسم بالله أبو حفص عمّ مامسّها من نقّب ولا دبّر
حقاً ولا أجهدّها طول السّفَر والله لو أبصرت بضوى ياعمر
وما بها ، عمرك ، من سوء الأثر عددتني كاهن سبيل قد خُصِر^(١)
فرّق له عمر وأمر له ببعير ونفقة . انتهى .

والدّبراء ، من دبّر ظهر الدابة من باب فَرَح ، إذا جَرَجَ من الرّجل
والقنب . وأدبرت البعير فدبّر^(٢) وأدبّر الرجل ، إذا دبّر بعيره ، فهو مُدبّر .
والنّقباء من نقّب البعير من باب فرح أيضاً ، إذا رَقَّ خُفُّه . وأنقّب الرجل ،
إذا نقّب بعيره . وقوله : فاحملني ، أي أعطني حمولةً ، وهي بالفتح ما يحمل
عليه الناس من الدواب ، كالركوبة .

(١) يقال حضر فلان واحتضر ، بالبناء للمجهول فيهما ، إذا دنا موته .

(٢) ط : « تدبرة » ش : « تدبر » ، صوابه من اللسان (دبر ٣٥٩ س ٢) .

وقوله : (أقسم بالله أبو حفص عمر) عمر أبو حفص : فاعل أقسم بمعنى حلف ، وهو كنية عمر . واستشهد به ابن هشام (في شرح الألفية) في جواز تقديم الكنية على الاسم .

وقوله : « ما إن بها » إن زائدة . وقوله « إن كان فجر » ، قال ابن الأنباري (في الزاهر) : الفاجر في كلام العرب : العادل المائل عن الخير ، وإنما قيل للكذاب فاجر لأنه مال عن الصدق . وأنشد هذا الشعر .

وقوله : « ضَعَّ عن راحلتك » ، أى ارفع عنها قتبها . وقوله في رواية الأصمعي « ابدع لي » بالبناء للمفعول ، أى انقطع لي لكال راحلي ، فكأن راحلته جاءت ببدعة .

وقوله : « ما أظنك أنقبت ولا أحفيت » كلاهما بالبناء للفاعل (١) ، يقال أحفى الرجل إذا حفيت دابته ، أى رقى خفها وحافرهما من كثرة المشى . والنضو ، بكسر النون وسكون المعجمة : المهزول . وقوله : عمرك ، مبتدأ وخبره محذوف ، أى قسمي ، والجملة معترضة ؛ وهى بفتح العين .

عبد الله بن كيسة وهذا الرجز نسة ابن حجر (في الإصابة) إلى عبد الله بن كيسة ، بفتح الكاف وسكون المثناة التحتية وفتح المهملة بعدها باء موحدة ، النهدي . ذكره المرزبانى (في معجم الشعراء) قال : وكيسة أمه ، ويقال اسمه عمرو . وهو القائل لعمر بن الخطاب واستحمله فلم يحمله :

* أقسم بالله أبو حفص عمر *

الآيات الثلاثة . وكان نظر إلى راحلته لما ذكر أنها أعجفت فقال : والله ما بها من علة ! فرد عليه ، فعلاه بالدرة ، وهرب وهو يقول ذلك ، فلما سمع

(١) في النسختين : « للمفعول » ، والصواب ما أثبت .

عمر آخر كلامه حمّله وأعطاه . وله قصّة مع أبي موسى في فتح تُسْتَر . وقيل أنّ كنيته أبو كيسبة ، وإنّ عمر سمّعه ينشدّها ، فاستحلفه أنّه ماعرف بمكانه ، فحلف فحمّله . انتهى .

وقد ذكره في قسم المخضرمين الذين أدركوا النّبى — ﷺ — ولم يروّه . وزعم ابن يعيش (في شرح المفصل) أنّ الرجز لرؤية بن العجاج . وهذا لأصل له ، فإنّ رؤية مات في سنة خمس وأربعين ومائة ، ولم يعدّه أحد من التابعين فضلاً عن المخضرمين ^(١) . والله أعلم .

وأنشد بعده :

(فَلَا وَاللَّهِ لَا يُلْفَى لِمَا بِي وَلَا لِمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءً)
على أنّه ضرورة ، حيث أكّد اللّام الأولى باللام الثانية بدون ذكر مجرور الأولى ، والقياس لما للمأى .
وهذا البيت قد تقدّم شرحه مع قصيدته وسببها مستوفى في الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائة ^(٢) .

وأنشد بعده :

(وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْتَفَيْنُ)

لما تقدّم قبله ، ومضى الكلام عليه مفصّلاً في الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة ^(٣) .

(١) وكذا لم يرد الرجز في ديوانه .

(٢) الخزّانة ٢ : ٣٨ .

(٣) الخزّانة ٢ : ٣١٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الثلاثة ^(١) :
٣٥٩ (فَأَيْنَ إِلَى أَيْنَ النَّجَاءُ بِيَعْلَتِي أَتَاكَ أَتَاكَ اللَّاحِقُوكَ احْبِسِ احْبِسِ)
 على أنَّ المستقبل يجوز تكريره بلا فصل . والظاهر أنَّ المراد أنَّه من تكرير
 المفردات لا الجمل ، وهو الظاهر أيضا من كلام ابن جنِّي (في إعراب
 الحماسة) قال : أول البيت توكيد الاستفهام ، وفي الثاني توكيد الخبر ، وفي
 آخره توكيد الأمر .

وقال ابن الشجري (في أماليه) : هذا البيت فيه تكرير ثلاث جمل ، أراد
 إلى أين تذهب إلى أين تذهب ، أتاك أتاك اللاحقوك ^(٢) احبس احبس ^(٣) .
 وهذا يقوَّى ماذهب إليه الكسائي من حذف الفاعل في باب إعمال الفعلين .
 ألا تراه لو أضمر الفاعل ولم يحذفه لقال : أتوك أتاك اللاحقوك ، أو أتاك
 أتوك . انتهى

والصحيح أنَّ الثلاثة من توكيد المفردات .

أما الأول فأين مجرورة بإلى المحذوفة المدلول عليها بالمذكورة ، وهو خبر
 مقدَّم ، وإلى أين توكيده ، والنَّجَاءُ مبتدأ مؤخر ، وهو مصدر نجا ينجو نجاء ،
 إذا أسرع وسبق .

وزعم العينيُّ أنَّ إلى أين هو الخبر ، وأنَّ أين ظرف لمحذوف ، أي أين
 تذهب . وهذا غنيٌّ عن الرد .

وأما الثاني فإنَّ اللاحقوك، وهو جمع مذكر سالم، مضاف للكاف وحذفت

(١) أمالي ابن الشجري ١ : ٢٤٣ والعيني ٣ : ٩ والتصريح ١ : ٣١٨ والجمع ٢ : ١١١ و ١٢٥ والأشموقي

. ٩٨ : ٢

(٢) ط : « اللاحقون » ، صوابه في ش وأمالي ابن الشجري .

(٣) احبس احبس ، ساقط من ش .

نونه للإضافة فاعل لأتاك الأول ، وأتاك الثانى تأكيد له . ولمّا كان الأول متصلاً به ضميرُ المفعول اتّصل بالثانى ليوافق الأول .

وقد اختلف النحويون فى نحو : قام قام زيد ، فقيل زيد فاعل الأول فقط ، وأمّا الثانى فإنّه يحتاج لفاعل ، لأنّه لم يوث به للإسناد ، وإنّما أتى به لجرد التأكيد . وقيل فاعلهما ، ولا يلزم منه اجتماع العاملين على معمول واحد لأنّ لفظهما ومعناها واحد ، فكأنّهما عامل واحد . وقيل فاعل أحدهما وفاعل الآخر ضمير محذوف ، على أنّهما تنازعا . وقد ردّه ابن الناطم وابن هشام (فى شرح الألفيّة) لأنّه ليس هذا من مواضع حذف الفاعل ، ولو كان من التنازع لقيل : أتوك أتاك ، أوأتاك أتوك .

وأما الثالث فإنّ الأمر الثانى تأكيدٌ للأمر الأول ، وتوكيد الضمير للضمير بالتبعية ضرورة ، إذ لا يمكن انفكاكه عن الأمر . ويجوز أن يكون توكيداً مقصوداً فيكون من قبيل توكيد الجمل .

وزعم العيني أن مفعول احبس تقديره نفسك . وهذا لايناسب المقام . والظاهر أنّه بغلغلى ؛ لوجود القرينة .

وهذا البيت مع شهرته لم يُعلم له قائل ولا تنمة . والله أعلم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الثلاثئة :

٣٦٠ (لَا أَبُوحُ بِحُبِّ بَشْنَةَ إِنَّهَا أَخَذَتْ عَلَى مَوَائِقًا وَعُهُودًا^(١))

لَمَّا تَقَدَّمَ قَبْلَهُ. وهذا فى الحرف ، وما قبله فى تكرير^(٢) الاسم والفعل . ٣٥٤ و(أبوح) : مضارع باح الشئ بوحاً من باب قال، بمعنى ظهر . ويتعدّى

(١) العيني ٤ : ١١٤ والتصريح ٢ : ١٢٩ والجمع ٢ : ١٢٥ والأشعوى ٣ : ٤ وديوان جميل ٧٩ .

(٢) ط : « تكرّر » .

بالحرف فيقال باح به صاحبه، وباهمزة أيضا فيقال أباحه . (بثنة) بفتح الموحدة
وسكون المثلثة بعدها نون : اسم محبوبة جميل بن معمر العذريّ، والمشهور
(بثينة) بالتصغير. وهي مجرورة بالفتحة لأنّها لاتنصرف. وزعم العيني أنّها في
محل الجرّ. وقوله إنّها بالكسر استئناف بياني. و (مَوَاتِق) : جمع مَوْتِق ، وهو
العهد. وأمّا المَوَاتِق فهو جمع ميثاق ، وربما قيل ميثاق على لفظ الواحد.
والبيت من قصيدة لجميل العذريّ ، وقد تقدمت ترجمته في الشاهد
الثاني والستين (١) .

صاحب الشاهد

وأنشد بعده وهو الشاهد الحادي والستون بعد الثلاثئة ، وهو من
شواهد سيبويه (٢) :

٣٦١ (تَرَكَهَا مِنْ إِبِلٍ تَرَكَهَا)

على أنّ المستقبل يجوز تكريره للتأكيد مع فاصل ، كما جاز بدونه .
وتراك اسم فعل أمر بمعنى اترك .
وله أورده سيبويه . وهو متعدّ إلى الضمير ، [نصبه (٣)] على المفعولية .
ولما لم يتقدّم مرجعه فسره بالتمييز المجرور بمن المبيّنة .
قال أبو عبيدة (في أماليه) : كانوا في الجاهلية إذا غنموا الغنيمة
فلحقها أربابها قالوا للسائقين (٤) :

« تَرَكَهَا مِنْ إِبِلٍ تَرَكَهَا »

(١) الخزانة ١ : ٣٩٧ .

(٢) في كتابه ١/١٢٣ : ٣٧ وانظر المفتض ٣/٣٦٩ : ٤ . ٢٥٢ والكامل ٢٦٩ والمختص
١٧ : ٦٦ وابن الشجري ١١١ : ١٣٥ ، والإنصاف ٥٣٧ وابن يعيش ٤ : ٧٥ والشذور ٩٠ واللسان (ترك) ٢٨٧ .

(٣) التكملة من ش .

(٤) ط : « للسائقين » بالياء .

أى خلّوا عنها . فيقول السائقون ^(١) .

« أما ترى الموت على أوراكها »

أى مآخبرها ، أى إنّنا نحملها . وبعضهم يقول :

« مناعها من إبل مناعها »

فيجاب بقولهم :

« أما ترى الموت لدى أرباعها »

يعنون أفناءها ^(٢) . انتهى .

وقال يعقوب بن السكيت : أغبر على إبل قوم من العرب ، فلحق أصحاب الإبل؛ فجعلوا لا يدنو منها أحدٌ إلا قتلوه، فقال الذين أغاروا على الإبل:

تراكيها من إبل تراكيها أما ترى الموت لدى أرباعها

فقال أصحاب الإبل :

مناعها من إبل مناعها أما ترى الموت لدى أرباعها

وفى أمانى ابن الشجرى : وقال آخر :

تراكيها من إبل تراكيها أما ترى الموت لدى أوراكيها

أراد أن أوراكيها من شدة السير كأنها فى استرخائها قد شارفت الموت .

ومثله قول الآخر :

مناعها من إبل مناعها أما ترى الموت لدى أرباعها

(١) ط : « السائقون » بالباء .

(٢) الأفناء من الدواب : خلاف المسان ، واحدها فتى ، مثل يتيم وأيتام . وفى ط: « أفناءها » ،

بالنون ، وفى ش : « أبناءها » بباء قبل النون ، والوجه ما أثبت .

الأرباع : جمع الرُّبْع ، وهو ولد النَّاقَة التي تَلِدُه في الربيع . والهَبْع :
الذى تلده في أول الصَّيْف ، وجمعه أهباع ، كَرُطَب وأرطاب . انتهى .
وقوله : أراد أن أوراكها من شدة السير ، إلخ لا وجه له ، وكأنه لم يقف
على ماقدّمنا .

صاحب الشاهد وقال ابن خلف : هذا قول طُفَيْل بن يَزِيد الحارثي حين أغارت كِنْدَةُ على
نَعْمه ، فلحقهم وهو يقول :

* تَرَاكها من إبل تراكها *
أما ترى الموت إلخ .

ويروى :

* دَرَاكِها من إبل دَرَاكِها *

ويروى :

* قد لحق الموت على أوراكها *

وحمل على فحل الإبل فعقره ، فاستدارت النعم حوله ولحقت به بنو
الحارث بن كعب ، فاستنقذوا ماله وهزمت كندة . قال سيبويه : فهذا اسم
لقوله أتركها ، أى هى محمية من أن يُغار عليها ، فاتركها وانج بنفسك . وقوله :
أرباعها ، الأرباع : جمع رُبْع ، وهو ولد النَّاقَة . وأولادُ الإبل تتبعها . والقتال يشتدُّ
إذا لحق الإبل أصحابها ؛ وإنما يقع القتال عند ماخيرها ، لأنَّ الذين أغاروا
عليها يطردونها ويسوقونها ، وأصحابها يمنعونهم من ذلك . وهو مثل قول الآخر :

٣٥٥

* أما ترى الموت لى أوراكها *

ويجوز أن يريد بالأرباع جمع ربع بالفتح ، وهو المنزل ، يعنى أنهم اقتتلوا
في المواضع التى فيها الإبل . انتهى .

وطُفيل بن يزيد الحارثي : شاعرٌ فارسٌ جاهليٌّ .
 ولم يذكر الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) هذا ، مع أنَّه أورد خمسة من
 اسمهم طفيل

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والستون بعد الثلاثئة (١) :

٣٦٢ (أَقْبَلَنَ مِنْ ثَهْلَانَ أَوْ وَادَى نَحِيمَ

على قِلاصٍ مِثْلَ حَيْطَانِ السَّلَمِ)

على أنَّ الأندلسيَّ جَوَّزَ أنَّ يقالَ فى جمع المذكر العاقل المكسر: الرَّجَالُ
 كلُّهُنَّ، مستدلاً بهذا البيت . ولم يظهر لى وجهه ، وكأنَّ وجه الاستدلال أنَّ نون أَقبلن
 ضمير العقلاء الذكور ، أى الرجال أو الرُّكَب أو نحوهما، وإنما أُثِّت لتأويله
 بالجماعة. والدليل على أنَّ مرجع الضمير ما ذكر قوله بعدُ:
 « حَتَّى أَنْخَاها على باب الحَكَمِ »

فدلَّ ما بعد الكلام على ما قبله . وفيه [أنَّه (٢)] لا يجب أن يتَّحدا ،
 ويجوز أن تكون النون ضمير النسوة ، أو أنَّ أصله أَقبلنا ، فحذفت الألف
 ضرورة ، فيكون من باب التقارض .

وهذه المسألة لم أرها إلَّا هنا عن الأندلسي . وقد راجعتُ شروح
 التسهيل وارتشاف الضرب ، فلم أر فيها أن النون تعود على الجمع المكسر
 للعاقل (٣) بتأويله بالجماعة. ويشهد لما ذهب إليه الأندلسي قول الفرزدق:
 « بَحُورَانِ يَعَصِرِينَ السَّلِيْطَ أَقَارِيهَ »

(١) ديوان جرير ٥٢٠ برواية مخالفة ، وكامل المبرد ٣١ ، ٥٤٦ وسمط اللآلى ٦٤٦ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « العاقل » ، وأثبت ما فى ش .

سواء أ جعلت النون حرفاً أم ضميراً . ويأتى شرحه بعد هذا فى الشاهد السادس والسبعين (١) .

صاحب الشاهد وهذا أول رجز جرير بن الخطفى ، أورد المبرد بعضاً منه (فى الكامل) (وفى الامتنان) . قال أبو عبيدة : أخبرنا أيوب بن كسيب بن عطاء بن الخطفى قال : قدم جرير فى إمرة الحكم بن أيوب الثقفى البصرة ، وكان الحكم ابن عمّ الحجاج وعامله . وأنا معه ، وكان أيوب بن كسيب لافارقه ، ومدح الحكم فقال :

أَقْبَلَنَ مِنْ تَهْلَانٍ أَوْ وَادَى خَيْمٍ
على قِلاصٍ مِثْلِ خَيْطَانِ السَّلَمِ
حتى أَخْنَاهَا إِلَى بَابِ الْحَكَمِ (١)
خليفةَ الْحَجَّاجِ غَيْرِ الْمُتَّهَمِ
« فى ضَيْضَى الْمَجْدِ وَبُحْبُوحِ الْكَرَمِ »

فأعجب به الحكم بن أيوب ووجدّه باقعة . قال : فكتب إلى الحجاج : إنّه قدّم على أعرأى شيطانٍ من أشعر الناس وأفصحهم ، ووصفه له . قال : فكتب الحجاج أن يسرّحه إليه حين يقرأ كتابه . قال : فلما قدم الكتاب أمرنا الحكم فشخصنا حتى قدّمنا على الحجاج ، وامتدحه جرير بكلمته التى يقول فيها :

وَمَنْ يَأْمَنُ الْحَجَّاجَ ، أَمَّا عِقَابُهُ
فَمُرٌّ وَأَمَّا عَقْدُهُ فَوَثِيقٌ

(١) هو الشاهد ٣٧٦ .

(٢) بين هذا الشطر وتاليه فى الكامل :

« اذا قطعن علما بدا علم »

(٣) الباقعة : الذكى العارف لافوته شيء .

قال : وأما مسحل بن كسيب أخو أيوب فحدثني أن أول كلمة امتدحه بها كلمته التي يقول فيها :

مَنْ سَدَّ مُطْلَعَ النِّفَاقِ عَلَيْكُمْ
أَمْ مِنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحِجَاجِ
أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ عَشِيَّةً
إِذْ لَا يَتَّقَنَ بَغِيرَةَ الْأُرَاجِ

قال : فأمر له الحجاج بأربعة آلاف درهم ، وكساء حلة صفراء ، وأنزلنا في دار ضيافته . انتهى .

وزاد (في الكامل) أن جريراً لما دخل على الحجاج قال له : بلغني أنك ذو بديهة فقل لي في هذه — لجارية قائمة على رأسه — فقال جرير : مالي أن أقول فيها حتى أتأملها ، وما في أن أتأمل جارية الأمير ؟! فقال : بلى فتأملها واسألها . فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ فأمسكت ، فقال لها الحجاج : خبريه يالخناء . فقالت : أمانة . فقال جرير ^(١) :

وَدَّعْ أَمَامَةَ حِينَ حَانَ رَحِيلُ إِنَّ الْوَدَاعَ لِمَنْ نَحَبُ قَلِيلُ
مِثْلُ الْكُثِيبِ تَمَايَلَتْ أُعْطَافُهُ فَالرَّيْحُ تَجْبُرُ مَتْنَهُ وَتُمِيلُ
هَذِي الْقُلُوبُ صَوَادِيًا تَيَمَّتْهَا وَأَرَى الشِّفَاءَ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

فقال الحجاج : قد جعل الله لك السبيل إليها ، خذها ، هي لك .
فضرب بيده إلى يديها فتمنعت عليه ؛ فقال :
إِنْ كَانَ طِبُّكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ حَسَنٌ دَلَالُكَ يَا أَمَامَ جَمِيلُ ^(٢)

(١) ديوان جرير ٤٧٢ .

(٢) الطب ، بالكسر : العادة والشأن . ط : «طبيكم» ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر

تصحيح .

فاستضحك الحجاج وأمر بشجهيزها معه إلى اليمامة . وخبرت أنها كانت من أهل الرى ، وكان إخوتها أحراراً ، فاتبعوه فاعطوه بها حتى بلغوا عشرين ألفاً ، فلم يفعل . وفي ذلك يقول :

إذا عَرَضُوا عَشرِينَ أَلْفاً تَعَرَّضْتُ

لَأَمِّ حَكِيمٍ حَاجَةٌ هِيَ مَا هِيَ (١)

لقد زدت أهل الرى عندى مودةً

وحبيبت أضعافاً إلى المواليا (٢)

فأولدها حكيماً ، ولبلالا ، وخزرة ، بنى جرير (٣) . انتهى .

وتهلان : بفتح المثلثة : جبل باليمن ، وقال حمزة الأصبهاني : هو جبل بالعالية . وأصل التهل الانبساط على الأرض . ولضخم هذا الجبل تضرب به العربُ المثل في الثقل فتقول : « أثقل من تهلان ! » . و(خيم) بكسر الخاء المعجمة : جبل . قال صاحب الأغاني : تهلان جبل كان لباهلة ، ثم غلبت عليه نمير . وخيم : جبل يناوحه من طرفه الأقصى ، فيما بين ركنه الأقصى وبين مطلع الشمس ، به ماء ونخل . انتهى .

وهذا هو المشهور ، والذي في ديوانه ، ورواه أبو عبيد البكري (في المعجم) :

* أقبلن من جنبى فتاخ وإضم *

(١) في ديوان جرير ٥٩٩ ، « اذا أعرضوا ألفين منها » ، تحريف ما هنا .

(٢) في ديوان جرير : « عندى ملاجة » .

(٣) قال المبرد بعد هذا : « هؤلاء من أذكر من ولدها » . وقد وجدت في الأغاني ٧ : ١٦٣

وجهمه بن حزم ٢٢٥ ابنا رابعا هو نوح ابن جرير .

وقال : فتاخ بكسر الفاء بعدها مشناة فوقية وآخره خاء معجمة: موضع.
وقال الهَجْرِيُّ : فتاخ بأطراف الدَّهْناءِ مما يلي اليمامة . وإِضم بكسر الهمزة :
وَادٍ دون المدينة ، وقيل جبل . والقلاص : جمع قُلوص ، وهى الناقة الشابة .
و(خيطان) : جمع نُحوط بضم الخاء المعجمة ، وهو الغصن . وروى الزمخشري
(فى مستقصى الامثال) : « مثل أغصان السلم » . أراد أنَّ القلاص هُزِلَتْ
من شدة السفر حتى صارت كأغصان السلم ، فى الدَّقَّة والضمر .

وزاد أبو عبيدة البكرى بعد هذا (فى شرح أُمالى القالى) :

قد طُوِيَتْ بطوئِها على الأَدَمِ إذا قطعن علماً بدا علَمٌ
فهنَّ بَحْثاً كمضِلَّات الخدم حتَّى تناهينَ إلى باب الحكم
العلمُ : الجبل . قال الزمخشري (فى مستقصى الامثال) . قوله :
« إذا قطعنَ علماً بدا علَمٌ »

مثل " يضرب لمن يفرغ من أمر فيعرض له آخر .

وقوله : « فهن بَحْثاً » أى يبحثن بَحْثاً بمناسِمتِهِنَّ الأرض ، كما يبحث
المُضِلَّاتُ تَحْلِيْلَهُنَّ فى التراب . وَالْحَدَمُ : جمع خَدَمَة بفتح الخاء المعجمة
وفتح الدال المهملة ، هو الخللخال . والضَّئِضِيُّ ، بكسر الضادين المعجمتين
والهمزة الأولى بينهما ساكنة : الأصل والجنس . والبُجُوح بضم الباءين والحاء
المهملة الأولى بينهما ساكنة : الوسط .

وقد أورد صاحب (الأغاني) حكاية جرير مع الحجاج على غير هذا
النَّمَط ، وأطال وزاد الأبيات (١) .

(١) الأغاني ٧ : ٤٠ .

وترجمة جرير قد تقدّمت في الشاهد الرابع في أول الكتاب (١).

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الثلاثمائة (٢):

٣٦٣ (يَالَيْتَنِي كُنْتُ صَبِيًّا مَرْضَعًا تَحْمِلْنِي الذَّلْفَاءُ حَوْلًا أَكْتَعَا)
على أَنَّ الكوفيين استشهدوا به على جواز توكيد النكرة المؤقّنة المعلومة المقدار ،
وهو حَوْلٌ بمعنى العام.

قال صاحب المصباح : حال حَوْلًا من باب قال ، إذا مضى . ومنه
قيل للعام حَوْلٌ وإن لم يمض ، لأنّه سيكون حَوْلًا ، تسمية بالمصدر .
وفيه شاهد آخر، وهو التأكيد بأكتع غير مسبوق بأجمع. وبعده بيت
آخر وهو:

(إذا بكيتُ قبلتني أربعاً إذن ظليلتُ الدهرَ أبكى أجمعاً)
وفيه أيضاً شاهدان : أحدهما : التأكيد بأجمع غير مسبوق بكلّ .
وثانيهما : الفصل بين المؤكّد وهو الدهر ، وبين المؤكّد وهو أجمعاً ، بجملة
أبكى . وهذا استشهد ابن هشام (في المغنى) .

قال ابن عبد ربه (في العقد الفريد) : نظر أعرايٌّ إلى امرأةٍ حسناء
ومعها صبيٌّ يبكى ، فكلّما بكى قبلته ، فأنشأ يقول هذا الرجز .
وقوله : (يَالَيْتَنِي) إنلح ياحرف تنبيه ، ومُرَضِع اسم مفعول من أرضعته
إرضاعاً . وجملة (تحملني الذلفاء) صفة ثانية . ويجوز أن تكون حالاً من
ضميرٍ مُرضِع ، ويجوز أن تكون خبراً ثانياً لكنت . و(الذلفاء) بفتح الدال
المعجمة وبعد اللام الساكنة فاء : وصفٌ مؤنثٌ أذلف ، من الذلف ، وهو
صِغَر الأنف واستواء الأرنبة . ويحتمل أنّه اسم امرأةٍ منقولٌ من هذا .

(١) الخزائن ١ : ٧٥ .

(٢) العقد ٣ : ٣٦٠ والمغنى ٦١٤ والعينى ٩٣ والجمع ٢ : ١٢٤ والأشئوى ٣ : ٧٦ ، ٧٨ .

و(أكتع) قال صاحب الصحاح : يقال إته مأخوذٌ من قولهم : أتى عليه حولٌ كتيع ، أى تآم .

وقوله : « أربعا » ، أى تقبيلاً أربعا . وظللت بكسر اللام ، وظلّ بمعنى استمر من أخوات كان ، التاء اسمها ، وجملة أبكى فى موضع نصب خبرها ، والدَّهَرَ ظرف لأبكى . وجملة إذن ظللت إلخ جوابٌ لشرط محذوف ، أى إن حصل ماتمّيئته استمررتُ فى البكاء حتى تستمرّ الذلفاء تحملنى وتقبّلنى كلما بكيت . وزعم العيني أنّ التقدير إن لم يكن الأمر كذا إذن ظللت إلخ . ولا يخفى أنّ هذا عكسُ مراد الشاعر .

* * *

وأنشد بعده :

(قد صرّت البكرة يوماً أجمعا)

لما تقدّم قبله .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) (١) : هذا شاذٌ ، وإن لم يكن مصنوعاً فوجهه عندى أنّ أجمع هذه ليست التى تستعمل للتأكيد ، أعنى التى مؤنثها جمعاء ، ولكن التى فى قولك أخذت المال بأجمعه وأجمعه ، بفتح الميم وضمها ، أى بكليّته ، فدخول العامل عليها ومباشرته إيّاها يدلّ على أنّها ليست التابعة للتوكيد ، فذلك قوله يوماً أجمعا أى يوماً بأجمعه ، ثم حذف حرف الجر ، ثم أبدل الهاء ألفاً فصار أجمعا . انتهى

وقال العيني : الرواية الصحيحة :

* قد صرّت البكرة يوماً أجمع *

على أنّ يوماً من غير تنوين ، وأصله يومى ، فالألف منقلبة عن ياء المتكلم ، فأجمع توكيد للمعرفة .

(١) الورقة ١٤٧ .

أقول : إن كان يومى ظرفاً فلم لم ينصب أجمع ، وإن كان غير ذلك
فما هو ، مع أن ما قبله عنده :
« إنا إذا خطّافنا تقعقعا » .

وهذا من الرجز الذى لا يجوز اختلاف قوافيه . وهذا التوجيه تعسّفه
ظاهر كلام ابن جنى .

وقد استدلل الكوفيون بأبياتٍ آخر ، منها قوله :
لكنّه شاقّه أن قيل ذا رجبُ ياليتّ عدّة حولِ كلّ رجبُ
ومنها قوله :

« ثلاثٌ كلّهنّ قتلتُ عمداً »

ومنها قوله :

إذا القعودُ كرّ فيها خفداً يوماً جديداً كلّهُ مطرداً
ومنها قوله (١) :

زَحَرَتْ به ليلةٌ كلّها فجئتُ به مُودناً خنفيقاً

قال ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) : أجاب البصريّون عن هذه
الآبيات بأنّ الرواية فى الأوّل « ياليتّ عدّة حولى » بالإضافة إلى الياء . وعن
الثانى بأنّ كلّهنّ بدلٌ من ثلاث ، أو جملة كلّهنّ قتلتُ خبر عن الثلاث .
وعن الثالث بأنّ كله بالرفع لتوكيد الضمير فى جديد . وأمّا قد صرّت البكرة
يوماً أجمعاً فمجهول . لا يعرف قائله .

هذا كلامه ، وهو مبنّى على الطعن فى روايتهم ، وهذا لا يجوز ، لأنّهم
ثقات .

ثم قال : وأمّا قول الكوفيين بأنّ اليوم مؤقت فيجوز أن تقعد بعضه ،

(١) هو شتيم بن نحويد ، كما فى الحيوان ٨٢:٣ واللسان (خفق). وانظر الإنصاف ٤٥١ — ٤٥٦ .

والليلة مؤقتة فيجوز أن تقوم بعضها ، فإذا أُكِّدَتْ صحَّ معنى التأكيد . قلنا :
هذا لا يستقيم ، فإنَّ اليوم وإن كان مؤقتاً إلا أنه لم يخرج عن كونه نكرة
شائعة ، وتأكيدها بالمعرفة لا يجوز ، لأن تأكيد ما لا يُعرف لافائدة فيه . انتهى
أقول : ادِّعَاؤه عدم الاستقامة ممنوع ، والفرق طاهر ، فإن التأكيد
باعتبار أجزاء اليوم والليلة ليشمل جميعها ، والشُّيوع باعتبار جنس اليوم
والليلة ، فأين هذا من ذاك .

وقد أشار الشارح المحقق إلى ما ذكرنا ، والله أعلم .
وقد تقدم شرحُ هذا البيت في الشاهد الخامس والعشرين من أوائل
الكتاب^(١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الثلاثمائة^(٢) :
٣٦٤ (أولَاكْ بنو خيرٍ وشرٍّ كليهما جميعاً ومعروفٌ أَلَمٌ ومُنْكَرٌ)
على أنَّ حمل (كليهما) فيه على البديل عند أهل المصرين أولى ؛ لأنَّ
خيراً وشرّاً ليسا بمؤقتين .

قال ابن جنِّي (في إعراب الحماسة) : الوجه في قوله : بنو خيرٍ وشرٍّ
كليهما ، أن لا يكون كليهما تأكيداً ، لكن يكون بدلاً من خيرٍ وشرٍّ ، حتى
٣٥٩ كأنه قال : بنو كلِّ خيرٍ وشرٍّ ؛ فقد يضاف إلى المفرد المعطوف عليه مثله
بالواو في ضرورة الشعر ، كما قال :
كلا السَّيْفِ والسَّاقِ التي ضُرِبَتْ به على دَهَشٍ ألقاه بائنين صاحبه^(٣)

(١) الجزء الأول ص ١٨١ .

(٢) يس على التصريح ٢ : ١٢٤ والحماسة بشرح المرزوق ٩٩٠ وشرح التبريزي ٣ : ٣٤ .

(٣) وكذا في نسخة إعراب الحماسة الورقة ١٤٦ : « بائنين » .

ولإنما جاز ذلك من حيث كان مأعطف بالواو بمنزلة ما جمع في لفظة واحدة . ألا تَرَكَ تقول : زيد وعمرو أخوَكَ ، فإن أَخْبَرْتَ عنهما جميعاً قلت : اللذان هما أَخَوَاكَ زيد وعمرو ، فتَأْتِي بضميرهما جزءاً واحداً ، وكان أحدهما على صاحبه معطوفاً (١) . وكذلك : زيد وعمرو مررت بهما . انتهى .

وهذا البيت آخر أبيات أربعة لمسافع بن حُذيفة العبسي ، مذكورة في باب المرائي من الحماسة ، وهي :

(أُبْعِدْ بني عمرو أُسْرَ بُمُقْبِلٍ من العيش أو آسَى عَلَى إِثْرٍ مُدْبِرٍ
وليس وراءَ الشَّيْءِ شَيْءٌ يَرُدُّهُ عَلَيْكَ إِذَا وَلَّى سِوَى الصَّبْرِ فَاصْبِرْ
سلامُ بني عمرو عَلَى حَيْثُ هَامُكُمْ جَمالُ النَّدى وَالْقَنَا وَالسَّنَوْرِ
أولَاكْ بنو خير

قوله : « أُبْعِدْ بني عمرو » إلخ الهمزة للاستفهام الإنكاري ، وأُسْرَ بالبناء للمفعول من السرور ، ومُقْبِلٍ بمعنى آتٍ ، ومدبرٍ بمعنى ذاهب . وآسَى : مضارعُ آسَى ، من باب تعب ، بمعنى حزن .

وقوله : « سِوَى الصَّبْرِ » استثناء منقطع ، لأنَّ الصَّبْرَ ليس من الشَّيْءِ الرَّادِّ الْفَائِتَ في شَيْءٍ . يقول : أُسْرَ بعيش مُقْبِلٍ ، أو زمنٍ مُسَاعِدٍ ، بعد أن فجعت بهؤلاء ، أو أحزنُ في إِثْرٍ فائِتٍ أو أجزع لتولَّى مُدْبِرٍ ، وليس وراءَ الشَّيْءِ الْفَائِتِ شَيْءٌ يَرُدُّهُ عَلَيْكَ ، فالأولى أَنْ تَتَمَسَّكَ بِالصَّبْرِ وَتَعْتَصِمَ بِهِ ، فَاصْبِرْ .

وقوله : « سلامُ بني عمرو » إلخ سلام مبتدأ ، وجاز الابتداء به لتضمُّنِهِ الدَّعَاءَ وخبره قوله « على حَيْثُ هَامُكُمْ » . قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : هَامُكُمْ مبتدأ محذوف الخبر ، من جملة مجرورة الموضع بإضافة حَيْثُ إليها ، أى

(١) ط : « معطوف » ، صوابه في ش وإعراب الحماسة .

حيث هامكم متصورة ، أى موجودة ^(١) . ومثله قولهم : جئتكَ إذ ذاك ، أى إذ ذاك كذلك ، فحذف الخبر من الجملة المحرورة الموضع بإضافة إذ إليها . انتهى .

وذكر الهام على عادة العرب ، فى زعمهم أن عظام الموتى تصير هاماً تطير . وبنى عمرو منادى بحرف النداء المحذوف . وجمال الندى منصوب على المدح . وقال ابن جنى : نصب جمال الندى لأنه بدل من بنى عمرو . والندى بتشديد الياء : المجلس ، لغة فى النادى . وقال ابن جنى : لام الندى واو ، لأنه فعيل من الندوة ، وهى موضع جلوس النادى والندى . انتهى .
والقنا : جمع قناة ، وهى الرُح . والسنور بفتح السين والنون والواو المشددة : لبوس من قِد كالدرع . يعنى أنهم جمال المجالس يوم الجمع ، وزين السلاح غداة الروع .

وقوله : (أولاك) الخ هو مبتدأ ، لغة فى أولئك ؛ وبنو خبر المبتدأ . أراد أنهم ملازمون لفعل الخير والشر مع الأصدقاء والأعداء ، كما يقال فلان أخو الحرب . وجميعاً : حال مؤكدة لصاحبها . وقوله (معروف) هو بالجر معطوف على خير ، وكذلك منكر . والمعروف : الجميل الظاهر ، وضده المنكر ، فهما أخص من الخير والشر ، فإن الخير قد يكون ظاهراً شراً كالدواء المر . والشر قد يكون ظاهراً خيراً كهوى النفس . و(ألم) بمعنى نزل وعرض ، والجملة صفة معروف ، ومثله مقدّر بعد منكر .

٣٦٠

ومسافع، بضم الميم وكسر الفاء ، ابن خديفة بالتصغير ، العبسى بالباء مسافع العبسى الموحدة ، وهو شاعر فارس من شعراء الجاهلية .

(١) فى إعراب الحماسة ١٤٦ : « أى حيث هامكم مقبرة أو موجودة » .

البدل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الثلاثمائة ، وهو من شواهد سيويه (١) :

٣٦٥ (يَامَيَّ إِنَّ تَفْقِدِي قَوْمًا وَلَدَتِهِمْ
أَوْ تُحْلَسِيهِمْ فَإِنَّ الدَّهْرَ خَلَّاسُ
عمرو وعبد مناف والذى عَهِدْتُ
بيطن عَرَعَر : آبَى الظُّلَمِ عَبَّاسُ)

على أن قوله (عمرو وعبد مناف والذى) بدلٌ مقطوع من قوماً .
ومانقله الشارح من سيويه إلى الشعر ، هو نصُّ عبارته بحروفه .

قال ابن خلف : الشاهد فيه رفع عمرو ومابعده بالابتداء ، كأنه قال :
منهم أو من القوم الذين فقدوا ، أو يكون خبر مبتدأ ، كأنه قال : بعضهم .
ولو نُصِبَتْ على البدل من القوم لجاز . وعباس بدلٌ من آبَى ، وآبَى بدل من
الذى ، ولو أُبْدِلْتُ فسد الكلام ، لأنَّ إذا نصبنا وجب أن ينصب الذى هو
بدل منه ، فكنا نقول عباساً . وقوله : (تُحْلَسِيهِمْ) بالبناء للمفعول، أى
يؤخذون منك بغتة ، فإنَّ الدهر من شأنه أن يؤخذَ فيه الشيء بغتة . وعرعر:
مكان. ويروى: «بيطن مكة». وأراد بعمرو عمرو بن عبد مناف بن قُصَيٍّ، وهو
هاشم بن عبد مناف، وسمَّى هاشماً لهشَّمه الثريد لقومه فى مجاعة
أصابتهم. والعبَّاس هو ابن عبد المطلب، وإنما قال ولدتهُم لما بين هُذيل وقريش من

(١) فى كتابه ١ : ٢٢٥ وديوان الهذليين ٣ : ١ وشرح السكرى ٢٢٦ ، ٤٣٩ .

القربة في النسب والدار ، لأنهم كلهم من ولد مدركة بن الياس بن مضر .
وقوله : (والدى عهدت) الضمير يرجع إلى مى ، وعدل عن خطابها وأخبر
عنها باللفظ الذى يكون للغائب ، أراد الذى عهدت ، فلم يستقم له . ومى :
مرحمة مية .

وهذان البيتان مطلعاً قصيدة لأبى ذؤيب الهذلى ، عدتها خمسة عشر صاحب الشاهد
بيتاً أوردها أبو سعيد السكرى فى أشعار الهذليين ، وبعدهما :

(يامى إن سباع الأرض هالكة والغفر والأدم والآرام والناس) أبيات الشاهد

الغفر بضم الغين وسكون الفاء : ولد الوعل ، ونقل شارح (شواهد
المفصل) عن صاحب (المقتبس) أنه القفز بالقاف والفاء والزاي المعجمة ، وهو
جمع أقفر ، وهو من الخيل : المحجل من يديه لا رجله . وهذا تحريف قطعاً .
ونقل أيضاً عن صاحب (الإقليد) أنه الغفر بعين مهملة ، وهو جمع أفر ،
وهو الأبيض . وليس بسديد . وظبية غفراء : يعلو بياضها حمرة ؛ وهى قصار
الأعناق . والأدم بالضم من الأطباء : بيض تعلوهن خطوطٌ فهن غبرة تسكن
الجبال ، يقال ظبية آدماء وظبى آدم . والآرام : الأطباء البيض الخالصة البياض ،
الواحد رُم بالهمز ، وهى تسكن الرمل .

تالله لا يعجز الأيَّام متركٌ فى حومة الموت رزام وفراس

لا يعجز : لا يغلب . والمترك : الأسد ، من ابتكره ، إذا صرعه وجعله

تحت بركه ، وهو الصَّدر . وأغرب الكرمانى (فى شرح شواهد الموشح) ورواه
«المنتزك» بالنون والزاي المعجمة ، أى الذى له نيزك^(١) أى رمح قصير ،

(١) ط : « منرك » ، صوابه فى ش . ومنه قول العجاج :

« مطرر كالنيزك المضرور »

كأنه فارسيّ معرب . وحومة الموت : الموضع الذى يدور فيه الموت لايرح منه. والرّزّام بتقديم المهملة : الصّراع ، يقال رَزَمَ به ، إذا صرّعه . والفَرّاس : الذى يدقّ الأعناق ؛ ومنه فريسة الأسد ، لأنّه يدقّ عنقها .

(يحمي الصّريمة أحياناً الرّجال له

صيدٌ ومُستمعٌ بالليل هجّاسُ)

قال السكريّ : الصّريمة ههنا : موضع . وأحياناً الرجال : ما انفرد من الرّجال . وقال غيره : الصّريمة : رملةٌ فيها شجرٌ حمّاهما من أن يدخلها أحدٌ خوفاً منه . وأحياناً الرجال : الذين يقول أحدهم : أنا الذى لانظير له فى الشجاعة والبأس . يقول : هذا الأسد يصيد هؤلاء الذين يُدّلون بالشجاعة .

وهذان البيتان أيضاً استشهد بهما سيبويه على جرى الصّفات على ما قبلها مع ما فيها من معنى التعظيم ، ولو نصّب لجاز . وهجّاس : يهجس . وروى بدله : « همّاس » من الهمس . قال النّحاس : همّاس : دقّاق للرّقاب مكسّر لها . قال ابن خلف : وأحياناً الرجال يروى بالرفع والنصب ، فمن رفع قال أحياناً مبتدأ وصيد خبره ، ومن نصب جعله مفعول يحمى ، كأنه قال : يحمى الصّريمة من أحياناً الرجال ، فصيدٌ على هذا مبتدأ وله خبره . ومستمع ، وروى بدله « مجترى » : خبر مبتدأ محذوف ، أى وهو مستمع ، أو هو معطوف على رزّام ، وهو الوجه الذى رواه ^(١) سيبويه ، والشاهد على أنه عطف همّاس . قال النّحاس : ويجوز نصب مجترى على أعنى .

(يامى لا يُعجز الأيّام ذو حيدٍ

بمشمخٍ به الطّيّان والآس)

(١) ط : « أراد » صوابه فى ش . وانظر هذه الرواية فى سيبويه ١ : ٢٥١ .

روى صدره صاحب (المفصل) :

« الله يبقَى عَلَى الأَيَّامِ ذُو حَيْدٍ »

على أَنَّ اللام في الله للقسم والتعجب معا . وتبعه صاحب (المغنى) .
ورواه صاحب (الجمال) : « تالله يبقَى » بالمشناة الفوقية . قال ابن السِّدِّ : ويروى
بالباء الموحدة ، وكلاهما قسمٌ فيه معنى التعجب . وقال اللخمي : ورواية
سيبويه « لله » باللام . وقوله « يبقَى » جواب القسم بتقدير لا النافية ، ويعنى
بقوله ذُو حَيْدِ الوَعْل . قال المبرد : الحَيْدُ بفتحتين : الرُّوغان والفرار .
والمشهور حَيْدٌ بكسر المهملة وفتح المثناة التحتية ، جمع حَيْدَةٍ ، كحَيْض جمع
حَيْضَةٍ . وهذه رواية ثعلب والسكري . قال اللخمي : قوله ذُو حَيْدِ يروى
بفتح الحاء وكسرها ، فمن رواه بالفتح فهو اعوجاجٌ يكون في قرن الوعل ، وقيل
إنه مصدر من حاد يحيد حَيْدًا ، وأصله السكون فلما اضطرَّ حرك الياء ،
ومعناه الرُّوغان . وقيل هو جمع حيدة ، وهى العُقدة التى تكون في قرنه . وقيل
الحَيْدُ القوَّة . ومن روى : « حَيْدًا » بالكسر فهى نثوءات ، والواحدة
حَيْدَةٍ . ويروى : « ذُو جَيْدٍ » بالجمع ، وهو جناح مائل من الجبل ، وقيل يعنى به
الظَّبَى . والْوَعْل : التَّيس الجبلى ، ويقال للأُنثى أَرْوِيَّةٌ بضم الهمزة وتشديد
الياء ، وربما قالوا وَعِلَّة . انتهى .

وزعم الدمامينى (في الحاشية الهندية) أَنَّ حَيْدًا بكسر الحاء جمع حَيْدَةٍ
بفتحها ، كَيْدَر جمع بَدْرَة ، وهى الحرف النَّاقِىُّ في عرض الجبل لا في أعلاه .
هذا كلامه ، وهذا غير مناسب للمقام . والمشمخُرُ : الجبل الطويل ، وقيل العالى .
والباء بمعنى فى . والظَّبْيَان بفتح المعجمة وتشديد المثناة التحتية : يائِمين البَرِّ ، وقيل
الرمَّان الجبلى . والآسُ ، قال ابن السِّدِّ : هو الرِّيحان ، وقيل الآس : أثرُ النحل إذا
مرَّت فسقط منها بعضُ نقط من العسل ، حكاها الشَّيبانى . وقال صاحب
كتاب العين : هو شَيْءٌ من العسل . وأوضحه ابن المستوفى (في شرح شواهد

المفصل) فقال : هو نقطٌ من العسل تقع من النحل على الحجارة ، فيستدلُّون بتلك النُّقْط على مواضع النحل . وقال اللخمي : الآس هنا بقيَّة العسل في موضع النحل ، كما سَمَّى بقيَّةُ التمر في الجُلَّة (١) قَوْسا ، وباقي السَّمْن في النَّحْي كعبا ، وقالوا للقطعة من الأقط ثَوْر . والآسُ في غير هذا : المشموم . قال ابن دريد : وهو دخيلٌ في كلام العرب ، إلا أنَّهم قد تكلموا به . وقوله «على الأيام» حال على حذف مضاف ، أى على تعاقب الأيام أو على مرورها ، أى لا يبقى ذو حَيْدَ والأيام متعاقبةً عليه . وقوله : «بشمخر» صفة لذي حيد . وكذلك قوله « به » صفة لمشمخر . والظيان فاعل به . ووقع في رواية سيويه تركيب مصرعين من بيتين هكذا :

ياميَ لايعجز الأيام ذو حيدٍ في حومة الموت رزَّامُ وفرَّاسُ
يحمي الصرمة البيت

قال السيراقي : وقع في البيت الأول من هذين غلطٌ من كتاب سيويه ، لأنَّ قوله ذو حَيْدَ وعل ، ورزَّام وفراس أسد ، والصواب الذي حملته الرواة : ياميَ لايعجز الأيام ذو حَيْدَ بمشمخرٍ به الظَّيَّانُ والآسُ والقصيدة لأبي ذؤيب الهذلي كما ذكرنا ، وقد أثبتنا له السكريُّ في أشعار الهذليين ، وتقدمت ترجمته في الشاهد السابع والستين (٢) .

ب الشاهد
ووقع هذا الشعرُ في كتاب سيويه معزواً لمالك بن خالد الحُناعي بضم الخاء المعجمة وتخفيف النون : بطنٌ من هذيل ، وهو تُخناة بن سعد بن هُذيل بن مدركة بن الياس بن مضر .

وقال اللخمي : وبعضهم رَوَى هذا الشعر لأمية بن أبي عائذ الهذلي .

(١) الجلَّة ، بالضم : وعاء من الخوص يكثر فيه التمر . ط : « الجاهلية » صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٢) الخزائن ١ : ٤٣٢ .

وأنشده الزمخشري (في المفصل) لعبد مناف الهذلي .
وقال ابن السيد : وروى للفضل بن عباس بن عتبة بن أبي هب .
وقال ابن المستوفى (في شرح شواهد المفصل) : ورواه أبو الحسن
الأخفش لأبي زبيد الطائي . والله أعلم .

وأنشد بعده :
(أقسم بالله أبو حفص عمر)
تقدم شرحه قريباً (١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الثلاثئة (٢) :

٣٦٦ (فلا وأبيك خير منك أنى
ليؤذيني التَّحْمُحُ والصَّهْلُ)

على أن (خير) بالجر بدل من أبيك بتقدير الموصوف ، أى رجل خير
منك ، وهذا البدل بدل كل من كل . ومع اعتبار الموصوف يكون الإبدال
جارياً على القاعدة ، وهى أنه إذا كان البدل نكرة من معرفة يجب وصفها
كقوله : « بالناسية » ناصية كاذبة (٣) . وهذا على رواية الجر . وفيه رواية
أخرى وهى رفع خير ، قال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبى زيد : ومن
روى « خير منك » بالرفع فكأنه قال : هو خير منك .

وهذا البيت من أبيات سبعة لشُمَيْر بن الحارث الضبى، رواها أبو زيد
٣٦٢ صاحب الشاهد

(١) فى الشاهد ٣٥٨ ص ١٥٤ .

(٢) نوادر أبى زيد ١٢٤ والمقرب لابن عصفور ٥٢ .

(٣) الآيات ١٥ ، ١٦ من اعلق .

(فى نوادره) . وهى فى رواية ابن الأعرابى خمسةٌ بحذف الثالث والسابع . وهذه رواية أئى زيد :

أبيات الشاهد
(دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خَفْتُ أَنْ لَا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ
لِيَحْمِلَنِي عَلَى فَرْسٍ فَإِنِّي ضَعِيفُ الْمَشْيِ لِلأَدْنَى حَمُولُ
أَحِبُّ الْخَيْلِ إِنْ لَامَتْ عَلَيْهِ إِنَاثُ الْخَيْلِ وَالذَّكَرُ الطَّوِيلُ ^(١)
يَنْعَمُ بِأَلْ عَيْنِي أَنْ أَرَاهُ أَمَامَ الْبَيْتِ مَحْجَرُهُ أَسِيلُ
فَإِنْ فَرَعُوا فَرَعْتُ وَإِنْ يَعُودُوا فَرَضِي مَشْيُهُ عَتِدُ رَجِيلُ
فَلَا وَأَبْيَكُ خَيْرٌ مِنْكَ إِنِّي لِيُؤْذِنِي التَّحَمُّمُ وَالصَّهِيلُ
وَلَسْتُ بِنَائِي لَمَّا التَّقِينَا تَهَيَّبْنِي الْكَرِيمَةُ وَالْأَفِيلُ)

قال أبو حاتم : يَسْمَعُ أى يجيب ، ومنه : سمع الله لمن حمده . وقوله :
ليحملنى علة لدعوت ^(٢) . وقوله : «ضعيف المشى» رواه أبو حاتم : «ضعيف
المتن» وحمول خبر ثانٍ لِأَنَّ . وقوله : أَحِبُّ الْخَيْلِ إِنْ لَامَتْ عَلَيْهِ ، هو مثل قولك أقوم
إِنْ قَامَ زيد . ولامت من اللوم ، فاعله ضمير امرأته ونحوها . قال أبو على : أى لامت
على حبسه ، وفى لامت ضمير فاعلة أضمرت دلالة الحال عليه . انتهى .

وفيه شاهدٌ ، وهو رجوع الضمير المذكور على الخيل . وقوله : «إناثُ
الخيـل» هو خبر مبتدأ محذوف ، أى الذى أحبُّ أو ما أحبُّ إناث الخيل .
وقوله : «الذكر الطويل» أى طويل الظهر .

وقوله : «ينعم» الخ من التَّعْنَم وهو الترفُّه ، يقال نَعَّمَهُ تَنْعِماً أى رَفَّهه ،
وفاعله قوله أَنْ أَرَاهُ ، والهاء ضمير الذكر الطويل . وروى ابن الأعرابى فى

(١) فى النوادر : «أحب المال» .

(٢) عنة ، ساقطة من ش .

نواده : « يَنْعَمُ بِأَلْ نَفْسِي » . وعليه فالبال بمعنى الخاطر والقلب . وجملة « محجّره أسيل » حال منه . والمحجر ، كمجلس ، بتقديم الحاء على الجيم : ماحول العين ، أراد أسفل العين وهو الخدُّ ، لأنّه يقال أسيل الخدِّ إذا كان لَيِّنَ الخدِّ (١) طويله . وكل مسترسل أسيل أيضاً .

وقوله : « فَإِنْ فَرَعُوا فَرَعَتْ » الفزع : الإغاثة والنّصر . ويعودوا في رواية أبي زيد بالعين ، وفي رواية ابن الأعرابي بالقاف . وقوله : « فَرَضِي مَشِيَهُ » روى برفع مشيه على أنه مبتدأ أوّل وراضٍ خبره ، أى ذو رضا ، كقوله : عيشة راضية وليّ نائم . وروى بنصب مشيه براضٍ ، فراضٍ خبر مبتدأ محذوف ، أى فأنا راضٍ مشيه . كذا قال الأخفش فيما كتبه على نوادر أبي زيد . وفسر عتد بفتحتين ويفتح فكسر : المعدّ للمجرى . قال ابن السكيت : هو الشدّيد التأمّ الخلق . والرّجيل بالجيم ، هو من الخيل الذى لا يَحْفَى ، وقيل الذى لا يعرق . وروى ابن الأعرابي في نوادره :

فَإِنْ فَرَعُوا فَرَعَتْ وَإِنْ يَقُودُوا
فَرَضِي مَشِيَهُ حَسَنٌ جَمِيلٌ

وعلى هذا تقديره : فأنا راضٍ ، ومشيه مبتدأ وحسن خبره .

وقوله : (فَلَا وَأَبِيكَ خَيْرٌ مِنْكَ) الكاف في أبيك ومنك مكسورة ، خطابٌ للمرأة التى لامته على حبّ الخيل ، على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، و«لا» نفى لما زعمته ، والواو للقسام . وجملة (إِنِّي لَيُؤْذِنِي) إلتخ جواب القسم . واختلفوا في معناه ، فقال أبو الفضل : قوله ويؤذني أى يغمّني وليس هو لى في ملك . وقال أبو حاتم والفراسي : أى ليؤذني فقد التّمحّم . وفي هذا

حذف مضاف ، ورواه ابن الأعرابي : (في نوادره) وتبعه ابن دريد : «ليؤذني» بنونين ، قال: يؤذني أي يعجبنى ، من أذنت له . قال أبو محمد الأسود الأعرابي فيما كتبه على نوادر ابن الأعرابي وسماه (ضالة الأديب) : وصوابه «ليؤذني التَّحْمَحِم» من الإيذاء ، أي فقدان التَّحْمَحِم ، فحذف .

والتَّحْمَحِم: صوت الفرس إذا طلب العلف . يقال حمحم الفرس وتحمحم . وصهيل الفرس : صوته مطلقاً ، فهو من عطف العام على الخاص . وقوله : « ولست بنأنا » إلخ النأنا بنونين وهمزتين على وزن جعفر ، هو الضعيف من الرجال . يقال نأنا في رأيه نأناة ، إذا ضُعف فيه . وقوله : تهيئي أصله بتاءين ، مضارع تهيئه أي هابه ، وفيه قلب ، أي لأهاب الكريمة من الإبل أن أعقرها للضيف ولايتعاضمني ذلك . والأفيل ، قال أبو زيد: هو الأفتاء من الإبل . وقال الأصمعي : ابن تسعة أشهر أو ثمانية . وفي العباب : الأفيل : ابن المخاض وابن اللبون ، والأنثى أفيلة ، فإذا ارتفع عن ذلك فليس بأفيل . وروى بدل الكريمة : «الكريمة» وهي الحرب . قال الأحفش (فيما كتبه على نوادر أبي زيد) : الذي أختار رواية « لا يهيئي الكريمة »^(١) يقول : لا يهيئي كبير مالى ولا صغيره إذا ورد ضيف على . والأفيل : الصغير ، هكذا حفظي ، وليس له وقتٌ محدود . ومن روى الكريمة يقول: أنا أقاتل وأعقر للأضياف الأفيل . ولا أدري لم خص الأفيل دون غيره . انتهى .

بن الحارث . وشُمير بضم الشين المعجمة وفتح الميم وآخره راء مهملة ، وهكذا ضبطه أبو زيد . وقال الأحفش فيما كتبه عليه: الذي في حفظي سُمير بالسين المهملة . وكذا ضبطه الصاغاني (في العباب) بالمهملة ، وقال : وهو شاعر جاهلي . والله أعلم .

(١) في النسختين : « رواية لا تهيئي » ، و « لا » مقحمة في النص ، والصواب في النوادر .

وأنشد بعده :

(العائذاتِ الطَّيرِ)

وهو قطعة من بيت للنابعة الذبياني ، وهو :
(والمؤمن العائذاتِ الطيرِ يمسحُها رُكبانُ مكَّةَ بين الغيلِ والسَّندِ)
وقد تقدّم شرحه في الشاهد السابع والأربعين بعد الثلاثئة (١) .

* * *

وأنشد بعده .

(أنا ابن التارك البكرى بشري)

وتمامه :

(عليه الطير ترقبه وقوعا)

وتقدّم شرحه هذا أيضاً في الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الثلاثئة :

٣٦٧ (إِنَّا وَجَدْنَا بنى جِلَّانَ كُلَّهُم كساعِدِ الضَّبِّ لاطُولٍ ولاقَصَرٍ (٣)
على أنّه يجوز [ترك] وصف النكرة المبدلة من المعرفة إذا استفيد من البدل
ماليس في المبدل منه كما هنا ، فإنّ قوله «طول» المنفَى بدلٌ من ساعد الضب ،
ومعنى الطول وماعطف عليه موجودٌ في ساعد الضب .

وفيه شاهدٌ آخر ، وهو إبدال النكرة من المعرفة والنكرة بغير لفظ

٣٦٥

المعرفة . قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) عند قول الحماسي :
نَهَلَ الزَّيْمَانُ وَعَلَّ غَيْرَ مُصَرِّدٍ من آل عَتَابٍ وآل الأسود (٤)

(١) في هذا الجزء من الخزانة ص ٧١ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٨٣ .

(٣) الحيوان ٦ : ١١٢ برواية : « لاطول ولاعظم » .

(٤) الحماسية ٢٦٨ بشرح المرزوقي ٨٠٥ .

غير أنه أعاد العامل معه وهو الجار. وهذا استدللنا^(١) على أن البدل من جملة غير الجملة التي منها المبدل. وهو كثير في القرآن والشعر. وأكثر ما يُعاد العامل مع البدل إذا كان العامل جاراً، من حيث صار الجار مع ما جرّه^(٢) بمنزلة الجزء الواحد . نعم وأبدل النكرة من المعرفة والنكرة بغير لفظ المعرفة. وهذا شيء يأباه البغداديون ويقولون : لا تبدل النكرة من المعرفة حتى يكونا من لفظ واحد ، نحو قوله تعالى ﴿بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾^(٣) . ورد ذلك أبو الحسن بما أنشده من قول الشاعر :

إِنَّا وَجَدْنَا بَنِي جِلَّانَ كُلَّهُمْ البيت

ومثله ما أنشده أبو زيد :

فلا وأبيك خير منك إني البيت . انتهى

ولما أوله الشارح المحقق بقوله : أى لا ذى طول ولا ذى قصر ، ليصح جعله بدل كل من كل ، إذ لولا التأويل لكأننا متغايرين . ولما لم يجعل لا طولاً بأحد التأويلات الثلاثة صفة كقوله^(٤) أبيك . لتخالف الموصوف والصفة فيهما تعريفاً وتنكيراً ، فلو كان معروفاً لكان صفة ، كما في قول أبي خراش الهذلي لامرأته وكانت تسأله الطلاق :

فلا وأبيك الخير لا تجدينه جميل الغنى ولا صبوراً على العدم^(٥)

(١) في اعراب الحماسة: « وهذا هو الذى أرانا ودلنا » .

(٢) كتبت في نسخة اعراب الحماسة : « معما جرّه » بوصل مع بما .

(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من العلق .

(٤) في النسختين : « لقوله » ، ولا وجه له .

(٥) في أصول شرح السكري ١١٩٨ وكذا في ش مع أثر تصحيح « إلا صبوراً على العدم » .

والاستشهاد يقتضى رواية ط .

يقول : إن تزوجت زوجاً لاتجدينه متعففا ولا يصبر على العُدم بالضم ،
أى الفقر .

و (جِلَان) بكسر الجيم وتشديد (١) اللام ، علم لا ينصرف . قال
الأصمعيُّ في شرح هذا البيت من شعر ذى الرمة :
وبالشَّمايِلِ من جِلَانٍ مُقْتَنِصٍ رَذُلُ الثِّيَابِ خَفِيُّ الشَّخْصِ مَنْزَرِبٌ (٢)
الشَّمائل : جمع شمال . وجِلَان : قبيلة من عَنَزَة ، وهم رُماة (٣) . ورذل
الثِّيَاب : خَلَقُهَا . وخَفِيُّ الشَّخْصِ بمعنى ضئيل الشَّخْصِ خِلْقَةً (٤) .
والمُنَزَّرِب : الداخِل في الرِّبِّ ، وهو قُترة الصائد . يقال انزرب ، إذا دخل . انتهى
وعَنَزَة : حَيَّان أحدهما : عَنَزَة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وثانيهما :
عَنَزَة بن عمرو بن عوف بن عدى بن عمرو بن مازن بن الأزد . ولأعرف عنزة
المنسوب إليها جِلَان أَى العَنَزَتَيْن (٥) .

وقوله : (كلهم) تأكيد لبنى جِلَان ، لا لَجِلَان . وقوله : (كساعد
الضَّبِّ) الساعد : ذراع اليد . والضَّبُّ ساعدٌ جميع أفرادِه على مقدارٍ معيَّن
خِلْقَة ، لايزيد ساعدُ فردٍ من أفرادِه طولا على ساعد فرد آخر ، وكذلك لا ينقص
عن ساعد فردٍ آخر ، بخلاف سائر الحيوانات فإن بين ساعد أفرادها تفاوتاً في
الطُّول والقصر بحسب الجثَّة . وهذا ينبغى أن يكون من الأمثال في الأشياء

(١) ضبط في القاموس ضبط قلم بفتح الجيم . وانظر جهمرة ابن حزم ٢٤٧ ، ٢٩٤ . وضبط لى
الاشتقاق ٣٢٣ ضبط قلم أيضا بكسر الجيم .

(٢) ط : « زول الثياب » ، صوابه في الديوان ١٤ وفي ش مع أثر تصحيح .

(٣) ط : « وهم مار » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٤) في النسختين : « خلفه » ، والوجه ما أثبت .

(٥) الذى في الجهمرة ٢٩٤ أن جِلَان من بنى عنزة بن ربيعة بن نزار .

المتساوية ، كقولهم : « هم كأسنان المُشط » لكنني لم أرو في كتب الامثال .
أراد أن بني جَلان متساوون في فضيلة رشح السَّهام لا يرتفع أحدُهم على الآخر
فيها ولا ينحطُّ عنه .

وهذا البيت لم أقف على قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(فلا وأبيك خير منك)

البيت السابق ذكره آنفاً لما تقدّم في البيت قبله . لكن قدّم الشارح المحقّق
أنّه بتقدير رجل خير منك ؛ فالبدل إنّما هو النكرة الموصوفة ، غايته أنّه
حذف الموصوف وبقيت صفته . ويمكن أن يقال : ماتقدّم لأجل جمود البدل
لا لأجل وصف النكرة المبدلة ، فإنّ اشتراط الوصف مذهب الكوفيين .

٣٦٦

قال السّمين عند قول صاحب الكشف في قوله تعالى : ﴿ ناصية
كاذبة ﴾^(١) : جاز إبدال النكرة من المعرفة^(٢) لأنّها وصفت ، فاستقلّت
بفائدة . قلت : هذا مذهب الكوفيّين ، لا يجوزون إبدال نكرة من غيرها إلّا بشرط
وصفها ، أو كونها بلفظ الأوّل . ومذهب البصريّين : لا يشترط شيء . وأنشدوا :
فلا وأبيك خير منك البيت . انتهى

وقال ابن عقيل (في شرح التسهيل) : ولم يشترط البصريّون في إبدال
المعرفة من النكرة والنكرة من المعرفة اتحاد لفظ ، ولا وجود وصف . ونقل ابن
مالك عن الكوفيّين أنّهم لا يبدلون النكرة من المعرفة إلّا إن كانت من لفظ
الأوّل ، ونسب هذا بعض النحويّين لنحاة بغداد . ونقل عن الكوفيّين

(١) الآية ١٦ من العلق .

(٢) ط : « عن المعرفة » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح .

أَيْضاً أَتَّهَمُ لَايَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَعَكْسَهُ إِلَّا بِالْشَّرْطِ الْمَذْكُورِ . وَكَلَامُ الْكُوفِيِّينَ عَلَى خِلَافِ هَذَا . قَالَ الْكَسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ فِي : ﴿ قَتَالَ فِيهِ ^(١) ﴾ إِنَّهُ عَلَى نِيَّةٍ عَنْ ، وَصُرِّحَ بِعَنْ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ . وَأَجَازَ الْفَرَّاءُ فِي : ﴿ هَرُونَ أَخِي ^(٢) ﴾ كَوْنَهُ مُتَرَجِّماً لَوْزِيراً . قَالَ : فَيَكُونُ نَصّاً لِلتَّكْرِيرِ .
وَنُقِلَ أَيْضاً عَنْ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَغْدَادِيِّينَ اشْتِرَاطُ وَصْفِ النُّكْرَةِ الْمُبْدَلَةِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ . وَتَابِعَهُمُ ^(٣) السُّهَيْلِيُّ وَابْنُ أَبِي الرَّيِّعِ .
وَنُقِلَ عَنْ بَعْضِ الْكُوفِيِّينَ فِي إِبْدَالِ النُّكْرَةِ الْمُبْدَلَةِ مِنَ النُّكْرَةِ اشْتِرَاطُ وَصْفِ الْمُبْدَلَةِ .

وَيَدُلُّ لِلْبَصْرِيِّينَ : ﴿ حَدَائِقُ وَأَعْنَابَا ^(٤) ﴾ ، وَقَوْلُهُ :
فَأَلْقَتْ قِنَاعاً دُونَهُ الشَّمْسُ وَأَثَقَتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفٌ وَمَعْصِمٌ ^(٥)
وقوله :

فَلَا وَأَبْيَلُ خَيْرٍ مِنْكَ الْبَيْتِ . انْتَهَى

* * *

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ :

(لِحَافِي لِحَافِ الضَّيْفِ وَالْبَرْدُ بُرْدُهُ)

هَذَا صَدْرُ بَيْتٍ ، وَعَجْزُهُ :

(وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقْتَنَعٌ)

عَلَى أَنَّ اللَّامَ قَدْ تَنَوَّبَ عَنِ الضَّمِيرِ كَمَا هُنَا، فَإِنَّ الْأَصْلَ «وَبَرْدِي بَرْدَهُ». وَتَقَدَّمَ شَرْحُ هَذَا الْبَيْتِ فِي الشَّاهِدِ الثَّالِثِ وَالتَّسْعِينَ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ ^(٦).

* * *

(١) الْآيَةُ ٢١٧ مِنَ الْبَقَرَةِ .

(٢) الْآيَةُ ٣٠ مِنْ طه .

(٣) ش : « وَتَابِعَهُمَا » ، وَلِكُلِّ وَجْهٍ .

(٤) الْآيَةُ ٣٢ مِنَ النَّبَأِ .

(٥) الْبَيْتُ لِأَبِي حَيَّةِ الْغَمْرِيِّ . الْبَيَانُ ٢ : ٢٢٩ ، وَالْعَقْدُ ٦ : ١٦٥ .

(٦) الْخَزَانَةُ ٤ : ٢٥١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الثلاثمائة (١) :

٣٦٨ (أَوْعَدَنِي بِالسَّجْنِ وَالْأَدَاهِمِ

رَجُلِي وَرَجُلِي شَتْنَةُ الْمَنَاسِمِ)

على أن قوله (رَجُلِي) بدلٌ بعضٍ من ياء المتكلم في (أوعدني) .

هذا هو الظاهر . وعليه اقتصر الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى :

﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ ^(٢) ﴾ .

واستشككت البدلية بأنَّ الرَّجُلَ لا تُوعَدُ بالسَّجْنِ . وأجيب بأنها لما

كانت سبباً للدخول ناسبَ إيعادها بذلك .

وفيه وجوه ثلاثة :

أحدها : ماقاله ابن السَّيِّد (في شرح أبيات أدب الكاتب) ، وهو أنه

يجوز أن يكون رجلي مفعولاً ثانياً حذف منه حرفُ الجرِّ اختصاراً ، كأنه أراد :
لرجلي .

وثانيها : ماقاله أبو حيان (في تذكيره) ومن خطّه نقلت ، وهو أن يكون

رجلي منادى على طريق الاستهزاء بالمُوعَد .

٣٦٧ .

ثالثها : مانقله ابنُ السَّيِّرافِ (في شرح أبيات إصلاح المنطق) عن

بعضهم ، وهو أن تكون الأداهم معطوفةً على السَّجْنِ ، ورجلي معطوفةً على
ضمير المتكلم، أي أوعدني بالسجن وأوعد رجلي بالأداهم، كما تقول: ضربتني

(١) إصلاح المنطق ٢٥٣ ، ٣٢٦ ، ومجالس ثعلب ٢٧٤ وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢٠٧ وابن

يعيش ٣ : ٧٠ والشذور ٤٤٢ والعيني ٤ : ١٩٠ والتصريح ٢ : ١٦٠ والجمع ٢ : ١٢٧ والأشموني ٣ : ١٢٩

واللسان (وعد ٤٧٩) .

(٢) الآية ١٥ من آل عمران .

بالعصا والسَّوطَ ظَهري ، تريد ضربني بالعصا وضربَ ظَهري بالسَّوط ، ويكون على هذا من باب عطف معمولين على معمولي عاملين مختلفين .

و(رجلى) الثانية مبتدأ وشئنة خبرها ، وأتى بها ظاهرة غير مضمرة تعظيماً لأمرها وإشادةً بذكرها ، أو لأنها وقعت في جملة ثانية . والواو للحال ، وروى : (فرجلى) بالفاء على السببية . و(الشئنة) : الغليظة الحشنة ، يقال في صفة الأسد : شئن البرائن . قال العينى : ويجوز أن يكون بتقديم النون على المثناة ، من شَيَّئَتْ مشافِرَ البعير ، أى غُلِظَتْ من أكل الشوك . و(المناسم) : جمع منسِم كمجلس ، وهو طَرَفُ خفِّ البعير ، استعاره للإنسان . وحسن ذلك ههنا لما ذكره من جَلَدِهِ وقُوَّتِهِ ، وبذلك يَصِفُونَ أَنْفُسَهُمْ . وقال ابن السيرافى : المنسم : أسفل حُفِّ البعير ، ولا يستعمل لغيره إلا فى ضرورة شعر . وأراد بالمناسم هنا باطنَ رجله . يقول : رجلى غليظةٌ لاتألم لجعلها فى القيد . هذا كلامه ، وهذه الإرادة غير ظاهرة . و(الأداهم) : جمع أدهم ، وهو القيد . والسَّجَن بالكسر : اسمٌ للمحبس ، والمصدر بالفتح . يقال سجنته سَجْنًا من باب قتل . و(أوعده) بكذا بمعنى هدَّده به . قال الخطيب التبريزى (فى شرح إصلاح المنطق) : قال الفراء : يقال وعدته خيرا ووعدته شرًّا بإسقاط الألف ، فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا فى الخير : وَعَدْتَهُ ، وفى الشرِّ أوعدته . فالوعد والعِدَّة فى الخير ، والإيعاد والوعيد فى الشر . فإذا قالوا أوعدته بكذا أثبتوا الألف مع الباء . وأنشد :

أوعدنى بالسَّجَن والأداهم البيت . انتهى

وقال ثعلب (فى أماليه) : يقال وعدته خيرا وشرًّا ، وإذا لم يُذكر الخير ولا الشرِّ قيل فى معنى الخير : وعدته ، وفى الشر : وَعَدْتَهُ ، وفى بعض اللغات أوعدته بالشر . وأنشد هذا البيت .

وفيه مخالفة للفراء فيما إذا لم يُذكر الموعود به ، فأنه إذا أريد المكروه زيدت الألف .

وثعلبٌ ساوى بين ما إذا أريد الخير أو المكروه في أنه يقال بلا ألف . قال (في الفصيح) : وعدت الرجل خيراً ، وإذا لم تذكر الشر قلت وعدته . وأوعدته بكذا ، تعنى الوعيد .

قال الإمام المرزوقي (في شرح الفصيح) : وعدته خيراً وشرّاً . فإن أُطلقت ولم تقيد قلت في الخير : وعدت وعداً وعدة وموعداً وموعدة . والميعاد : الوقت ، والموضع . وفي الشر : أوعدته إيعاداً ووعيداً . هذا هو الصحيح . وقوله فإذا لم تذكر الشر قلت أوعدته بكذا ، قال أبو إسحاق الزجاج : قلت لثعلب : قولك بكذا ينقض ما أصلت به ؛ لأنَّ وعدَّ بإطلاقه ضماناً في الخير ، وأوعد ضماناً في الشر ، ولا حاجة إلى بكذا . قال أبو على : ويمكن أن يقال في جوابه بكذا إشارة إلى نوع مما يتوعد به ، وإذا كان القصد إلى التنويع احتيج إليه . ألا ترى قوله :

« أوعدني بالسجن والأداهم . »^(١)

وقول الآخر :

« أتوعدني بقومك يا ابن سَعْدَى »

والمُنْكَرُ أن يقال أوعدني بالشر . فاعلمه . انتهى .

وهذا الشعر بيتان من الرجز المسدّس . قال ابن السيد : لأعلم قائله . ٣٦٨ صاحب الشاهد وقال ياقوت (في حاشية الصحاح) ، وتبعه العيني : قائله العذيل بن الفُرخ ، العذيل بن الفُرخ وهو شاعر إسلامي في الدولة المروانية ، وهو بضم العين وفتح الدال المهملتين . والفُرخ ، بضم الفاء وسكون الراء وآخره خاء معجمة .

(١) لشير بن أبي خازم في ديوانه ٢١ . وعجزه :

« وذلك من مُلَمَّات الخطوب »

قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء^(١)) : العُدِيل بن الفُرَخ لقبه
العَبَّاب ، بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة الأولى . والعَبَّاب : اسمُ كلبه .
وهو من رهط أُنَى النَّجْم العجلى ، وكان هجاء الحَجَّاج وهرب منه إلى قيصر
مَلِك الروم ، فبعث إليه : لترسلنَّ به أو لأجهزنَّ إليك خيلاً يكون أولُها عندك
وآخرُها عندى ! فبعث به إليه ، فلما مثلَ بين يديه قال : أنت القائل :

ودونَ يدِ الحجاج من أن تنالنى بساطُ بأيدي النَّاعِجاتِ عريضُ
مهامِه أشباهُ كائنَ سرائِها مُلاءُ بأيدي الغانياتِ رحيضُ

فقال : أنا القائل :

فلو كنتُ في سَلَمَى أجا وشِعبِها لكانَ الحَجَّاجَ علىَّ دليلُ
خليلُ أميرِ المؤمنينَ وسيُفه لَكُلِّ إمامٍ مصطفىٌ وتحليلُ
بنى قُبَّة الإسلامِ حتَّى كائنما هدى الناسَ من بعد الضلالِ رسولُ
فعفا عنه وأطلقه .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الثلاثئة ، وهو من
شواهد س^(٢) :

٣٦٩ (ذريني إنَّ حُكْمَكِ لَن يُطاعا

وما أَلْفَيْتُنِي حِلْمِي مُضاعاً)

على أن قوله : (حلمى) بدل اشتغال من الياء في أَلْفَيْتُنِي .

قال ابن جنى (في إعراب الحماسة): أئما يجوز البدل من ضمير المتكلم

(١) الشعراء ٣٧٥ والأغاني ٢٠ : ١١ — ١٩ .

(٢) في كتابه ١ : ٧٨ . وانظر ابن يعيش ٣ : ٦٥ والشذور ٤٤٣ والعينى ٤ : ١٩٢ والجمع ٢ :

١٢٧ وديوان عدى بن زيد ٣٥ .

وضمير المخاطب إذا كان بدل البعض أو بدل الإشتغال ، نحو قولك : عجبت
منك عقلك ، وضربتك رأسك . ومن أبيات الكتاب :
ذريني إنَّ أمرك لن يُطاعا البيت

فحلّمي بدل من في . ولو قلت قمْتُ زيدٌ ، أو مررتُ بي جعفر ، أو
كلمتك أبو عبد الله ، على البدل لم يجز ، من حيث كان ضمير المتكلم
والمخاطب غايةً في الاختصاص ، فبطل البدل ، لأنَّ فيه ضرباً من البيان ، وقد
استغنى المضمّر بتعرّفه . انتهى

وكذلك الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا
بربهم أعمالهم كرمادٍ ﴾^(١) . الحلم منصوب بالإلقاء^(٢) على التكرير ، يعنى
البدل ، ولو رفعه كان صواباً . وأورده أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ ويومَ القيامة
تُرى الذين كذبوا على الله وجوههم مسوَّدة ﴾^(٣) .

وتبعه الزجاج فيها ، ونسبه إلى عدى بن زيد ، قال في الآية: ترفع
« وجوههم » و « مسوَّدة » لأنَّ الفعل قد وضع على الذين ، ثم جاء بعد الذين اسمٌ
له فعل ، فرفعتَه بفعله وكان فيه معنى نصب . وكذلك فافعلٌ بكل اسم أوقعت
عليه الظنَّ والرأى وما أشبههما ، فارفع ما يأتي بعده من الأسماء إذا كان أفاعيلها
بعدها ، كقولك رأيت عبد الله أمره مستقيم^(٤) . فإنَّ قدِّمت الاستقامة نصبتَها
ورفعت الاسم فقلت : رأيت عبد الله مستقيماً أمره . ولو نصبت الثلاثة في

(١) الآية ١٨ من إبراهيم .

(٢) أى عامله ألقى ، على نية تكرار العامل في البدل . وفي ش : « بالإلقاء » . وفي معاني القرآن
٢ : ٧٣ : « بالإلقاء » ، والصواب ما أثبت من ط .

(٣) سورة الزمر ٦٠ .

(٤) ط : « وأمره مستقيم » ، والصواب حذف الواو كما في ش .

المسألة الأولى على التكرير كان جائزاً ، فتقول : رأيت عبد الله أمره مستقيماً .
وقال عدى بن زيد :

ذريني إنَّ أمرك لن يُطاعا البيت

فنصب الحلم والمضاع على التكرير . ومثله :

* ما للجمال مَشِيهاً وثيداً *

فخفض الجمال والمشي على التكرير . فلو قرأ قارئ : وجوههم مسوذةً
على هذا لكان صواباً . انتهى

وقوله : (ذريني) خطابٌ لامرأته ، أى اتركيني ودعيني . وجملة (إنَّ) ٣٦٩
حكمك) إلخ مستأنفة للتعليل .

وروى سيويه : « إنَّ أمرك » وهو بمعناه . وجملة (ماألفيتني) إلخ
معطوفة على الجملة المستأنفة .

وروى العيني : « ولا أَلْفَيْتَنِي » . وألفى بمعنى وجد من أخوات ظنَّ
تنصب مفعولين ، والتاء المكسورة فاعلها ، والنون نون الوقاية ، والياء مفعول ،
وحلمى بدل من الياء . وتساهل النحاس (فى شرح أبيات سيويه) وتبعه ابن
السيد (فى أبيات المعاني) فقالا : حلمى بدل من النون والياء . ومن العجائب
قول العيني : حلمى بدل من النون ، وكأنه أراد أن يتبع النَّحَّاسَ فيسقط من
قلمه أو من قلم الناسخ عطفُ الياء على النون . و(الحلم) بالكسر : العقل . يقول
ها : ذريني من عَذْلِكَ فَإِنِّي لأُطِيعُ أمرك ، ولا وجدتني سفيهاً^(١) مضيعاً
الحلم ، وعقلي يأمرني باتلاف مالى فى اكتساب الحمد . (ومضاعاً) مفعول ثانٍ
لألفى ، وهو اسم مفعول من الإضاعة ، ولا يصحُّ أن يكون حالاً كما زعم بعضهم .

(١) ط : « سفيها » ، صوابه فى ش .

ونقل العيني عن (تذكرة أبي حيان) بأنه يجوز حلمي مضاع بالرفع على
الابتداء والخبر ، والجملة مفعول ثان . وفيه أن هذا البيت من قصيدة قوافيها
منصوبة . قال ابن السّيد : لا يجوز رفعهما ؛ لأنّ القوافي كلّها منصوبة .

والبيت نسبه سيّويه لرجل من خثعم أو بجيلة . وتبعه ابن السراج (في
أصوله) . وعزاه الفراء والزجاج إلى عدى بن زيد العبّاديّ ، وهو الصحيح .
وكذلك قال صاحب (الحماسة البصرية) وأورد من القصيدة بعده هذه
أبيات الشاهد

الآيات :

(أَلَا تَلِكِ الثَّعَالِبُ قَدْ تَهَاوَتْ
عَلَى وَحَالَفَتْ عُرْجًا ضِيَاعًا ^(١)
فَإِنْ لَمْ تَنْدَمُوا فَتَكِلْتُ عَمْرًا
وَهَاجَرْتُ المَرْوُوقَ والسَّمَاعَا
وَلَا مَلَكْتُ يَدَايَ عِنَانَ طَرِفِ
وَلَا أَبْصَرْتُ مِنْ شَمْسٍ شَعَاعَا
وَحُطَّةً مَاجِدٍ كَلَّفْتُ نَفْسِي
إِذَا ضَاقُوا رَحْبْتُ بِهَا ذِرَاعَا)

قوله: «تعاوت» تفاعلت من العواء، وهو صياح الكلب والذئب والثعلب .
وأراد بالثعلب الذين لاموه على جوده حسداً ولؤماً . والثعلب سبع جبان
مُستضعف ، ذو مَكْرٍ وخديعة، ولكنّه لفرط المكر والحيلة ، والخبث والخديعة
يجرى مع كبار السباع . قال الجاحظ ^(٢) : ومن أشدّ سلاح الثعلب الرّوغان ، وفي
المثل: «أروغ من ثعلب» . والرّوغان بالتحريك: مصدر راغ الثعلب

(١) الحماسة البصرية ١ : ٦٥ .

(٢) الحيوان ٦ : ٣٢٢ بتصرف .

يروغ رَوْغاً ورَوْغَاناً ، أى ذهب يَمَنَّة وَيَسْرَةً فى سُرْعَةٍ خديعةً ، فهو لا يَسْتَقِرُّ فى جهة . و «حالفت» بالحاء المهملة ، أى عاهدت ، يقال تحالفاً ، أى تعاهداً وتعاقداً عَلَى أن يكون أمرُهُما واحداً فى النُّصرة والحماية . وبينهما حِلْفٌ بالكسر ، أى عهد . والحليف : المعاهد .

وضباعاً مفعول حالفت : وعرجاً كان فى الأصل صفة لِضِبَاعاً ، فلما تقدَّم صار حالاً منه . أى عاهدت تلك الثعالب مَنْ هو أسوأ حالاً منها . والضَّبَاعُ بالكسر : جمع ضبع ، وهى يُضْرَبُ بها المثل فى حمقها فيقال : «أحمق من ضبع» . قال صاحب المصباح : الضَّبْعُ بضم الباء فى لغة قيس ، ويسكونها فى لغة تميم ، وهى أنثى ، وقيل يقع عَلَى الذكر والأنثى ؛ وربما قيل فى الأنثى ضَبْعَةٌ كما قيل سَبْعٌ وسَبْعَةٌ بالسكون مع الهاء للتخفيف . والذكر ضِبْعَانٌ والجمع ضِبَاعِيْنٌ ، مثل سِرْحَانٍ وسِرَاحِيْنٍ . ويجمع الضَّبْعُ بضم الباء عَلَى ضِبَاعٍ ، ويسكونها ^(١) عَلَى أَضْبَعٍ . انتهى .

٣٧٠

والعَرَجُ : جمع عرجاء ، كصُفْر جمع صفراء . والضَّبْعُ توصف بالعَرَجِ وليست بعرجاء ، وإنما يَحْتَمِلُ ذلك للناظر . وسبب ذلك التَّخْيُّلُ لدونة فى مفاصلها ، وزيادة رطوبة فى الجانب الأيمن عَلَى الأيسر منها . كذا فى حياة الحيوان للذَّهَبِيِّ .

ومن الغرائب قول العينى هنا : قوله تعاوت من عَوَاء الكلب . وقوله ضباعاً جمع ضبع ، وهو الحيوان المعروف ، وهذا الجمع للذكر والأنثى مثل سبع وسبع . وقوله عَرَجاً بفتح العين وكسر الراء صفة للضَّبَاعِ قَدِّمْتُ عليه للضرورة . وتوصف الضَّبَاعُ بالعَرَجِ كما توصف بالخَمْع . والعَرَجُ أيضاً يقال للقطيع من الإبل نحو الثمانين أو المائة والخمسين . فعلى هذا يكون قوله ضباعاً بالكسر :

(١) ط : « ويسكون » ، وأثبت ما فى ش .

جمع ضابغ إذا كانت شديدة الجرى . هذا كلامه بحروفه . وأى فائدة في تسطيره ، ولا يُزاد الطالب منه إلا جهالة .
 وقوله : « فإن لم تندموا » إلخ التفات من الغيبة إلى الخطاب . وأراد بالندم الرجوع عن لومه ، فإن الندم لازمه . وجملة ثكلت دعائية . وعمرو : ابنه . وهاجرت بمعنى قاطعت ، من الهجر بالفتح ، أى الترك . والمروق أراد به الخمر . يقال خمر مروق ^(١) . والسّماع أراد به آلة الطرب واللهو . والطرف بالكسر : الكريم من الخيل . والخطّة بضم الخاء المعجمة : الحالة والخصلة ، وهو مفعولٌ مقدّم لكلفُ . وذراعاً : تمييز محوّل عن الفاعل . ورُحِب الذراع : سعتها ^(٢) . وبسطها : طولها . وضيق الذراع والذرع : قصرها . ووجهه أنّ القصير الذراع لا ينال ما يناله الطويل الذراع ، ولا يطيق طاقته . فضرب للذى سقطت قوّته دون بلوغ الأمر والاقتدار عليه . وبالعكس طول الذراع وبسطها .

وقد تقدّمت ترجمة عدى بن زيد مفصّلة في الشاهد الستين ^(٣) . وهو شاعرٌ جاهلي .

والعبادى ، بكسر العين وتخفيف الموحدة ، نسبة إلى عباد ، وهم قبائل شتى من العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة . وزعم الجوهري أنّه بالفتح . والصواب ما ذكرنا .

وأنشد بعده، وهو الشاهد السبعون بعد الثلاثمائة، وهو من شواهد سيبويه ^(٤):

(١) الخمر مؤنثة ، وقد تذكر كما هنا .

(٢) السّعة بفتح السين وكسرها : الاتساع . ط : «وسعها» ش : «وسعتها» ، والصواب ما أثبت .

(٣) الخزانة ١ : ٣٨١ .

(٤) في كتابه ١ : ٨٠ . وانظر ابن يعيش ٣ : ٦٧ . والجمع ٢ : ١٥٧ ، ونسب للأعشى ، وليس في

٣٧٠ (وَكَاثُهُ لِهَقُّ السَّرَاةِ كَاثُهُ

ما حاجبيه مُعَيَّنٌ بِسَوَادٍ)

على أنه قد يعتبر الأول في اللفظ دون الثاني ، أى يعتبر المبدل منه في اللفظ دون البديل ، فإنَّ قوله حاجبيه بدلٌ من ضمير كَاثُهُ . قال ابن السيد (في أبيات المعاني) وابن خلف : هو بدل اشتغال ، ومازائدة . وقال أبو على (في إيضاح الشعر) : قوله حاجبيه بدل من الضمير ، وما لا تكون إلا زائدة ، وقد روعي الضمير المبدل منه في اللفظ بجعل مُعَيَّن مفرداً ؛ ولو روعي الذى هو حاجبيه لقبل مُعَيَّن بالتثنية . وقد يقال إنّ الحاجبين لما لزم أحدهما الآخر صار الإخبار عنهما كالإخبار عن الشيء الواحد ، وكذا حال ماهو مثنى في البدن ، يجوز أفراد خبره وصفته على المعنى ، وتثنيته على اللفظ ، كقوله :

لَمِنْ زُحْلُوقَةٍ زُلُّ لَهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُ^(١)

فأخبر عن العينين بما يكون خبراً عن الواحد . وعليه قول المتنبي : ٣٧١

حَشَايَ عَلَى جَمْرِ ذَكِيٍّ مِنَ الْهَوَى

وعينائى فى روض من الحسن ترتع^(٢)

وقال آخر^(٣) :

وَكَاثٌ بِالْعَيْنَيْنِ حَبٌّ قَرْنُفِيلٍ أَوْ سُنْبُلًا كُحِلَتْ بِهِ فَاثَلَّتْ

وَكَاثَ الظَّاهِرِ أَنْ يَقُولَ : كَحِلَّتَا ، فَأَفْرَدَ لَأَنَّهُمَا لَا يَفْتَرِقَانِ . ويجوز عكس

هذا فيخبر عن الواحد منهما بالتثنية ، كقوله :

وَعَيْنِ لَهَا حَدَرَةٌ بَدَرَةٌ وَشَقَّتْ مَا قَعِمَا مِنْ أُخْرٍ^(٤)

(١) اللسان (زلى) . وقال : « ويروى : زحلوفة » ، يعنى بالفاء .

(٢) ط : « حشائى » ، صوابه فى ش وديوان المتنبي ١ : ٣٨٤ .

(٣) هو سلمى بن ربيعة . الحماسة بشرح المازوقى ٥٤٧ .

(٤) لامرئ القيس فى ديوانه ١٦٦ . وفى ش والديوان : « شقت » بغير واو .

فابتدأ بذكر عين واحدة ، ثم أخبر عن الاثنتين . ومنه قول الآخر على وجه :

تسائلُ بابينِ أحمرَ مَنْ رآهُ أغارتَ عَيْنُهُ أَمْ لَمْ تَعَارَا (١)
فلَمَّا استفهم عن الواحدة عطف بالاثنتين في قوله «أَمْ لَمْ تَعَارَا» . وقيل
معين مصدر كمنزق (٢) ؛ وإذا أُخِيرَ بالمصدر كان موحداً .

هذا وسيبويه إنما أورد البيت للبدل ، ولم يذكر ما اعتبره الشارح
الحقّق . وهذه عبارته : وإن شئت قلت : ضُربَ عبدُ الله ظَهْرُهُ ، ومُطِرَ قومُك
سهلُهُم ، على قولك : رأيتَ القومَ أكثرَهُم ، ورأيتَ عمراً شخصه ، كما قال :
وكأَنَّهُ لِهَيْقُ السَّرَاةِ البيت . انتهى .

ويجوز أن يكون هذا من قبيل بدل البعض . وما ذكره الشارح الحقّق
هو كلامُ أبي عليٍّ (في إيضاح الشعر) ، قال في موضع آخر منه : قد جاء
الحملُ على المبدل منه . قال :

وكأَنَّهُ لِهَيْقُ السَّرَاةِ البيت

فجعل الخبر فيه عن المبدل منه دون البدل .

وقوله : (وكأَنَّهُ لِهَيْقُ السَّرَاةِ) إلخ رواه سيبويه «فكأنه» بالفاء . قال الأعلام : وصف
الشاعر ثوراً وحشياً شَبَّهَ به بعيره في حِدَّتِهِ ونشاطه ، فيقول : كأَنَّهُ ثورٌ لِهَيْقِ
السَّرَاةِ ، أى أبيض أعلى الظَّهْرِ (٣) أسْفَعَ الحَدَّيْنِ ، كأنما عُيِّنَ بسواد . وكذلك
بقر الوحش بيضٌ كُلُّهَا إلَّا سُفْعَةً في حدودها ومغابنها وأكارعها . انتهى .

(١) لابن أحمر . شرح شواهد الشافعية ٣٥٣ . وفي ط : « أغارت أَمْ لَمْ تَعَارَا » بالغين المعجمة ،
وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح ، وهو ما في شرح شواهد الشافعية . وهما روايتان كما نص البغدادي .
(٢) ط : « كمنزق » ، صوابه في ش .
(٣) ط : « أبيض الظهر أعلاه » ، صوابه في ش وشرح الأعلام .

وقال ابن خلف : اللَّهَقُ : البياض . والسَّراةُ : أعلى الشَّيء . وثور الوحش يُوصف بأنه لهق السَّراة . وقيل إنَّه يصف جملاً وسيره وسُرْعته ، وشبهه بثورٍ وحشٍ فى سرعته . والجملة التى هى « كأنه ماحاجبيه » إنخ ، وصفٌ للثور . وترتيب الكلام : كأنَّ هذا الجملَ ثورٌ لهق السَّراة ، كأنَّ هذا الثور حاجبيه معيَّن بسواد ، يعنى أنَّ ماحول حاجبيه وعينيه أسود . والعِيْنَةُ : ماحول العينين ، كأنَّه قال : مسودَّ العينة . انتهى .

وفى العباب : قال الليث : اللَّهَقُ بالتحريك : الأبيض ليس بذى بريق كالْبَقِّق ، إنَّما هو نعتٌ فى الثوب والشَّيب . والبعر الأعْيَسُ لهقٌ ، والأنثى لهقة ، والجمع لهقات ولهاق . ولَهَقَ الشَّيْءُ لَهَقاً مثل سَحَقَ سَحَقاً ، ولهق لَهَقاً مثل أرق أرقاً ، إذا كان شديد البياض . انتهى .

يريد أنَّه جاء من بابى فتح فتحا وفرح فرحا . و(السَّراة) بفتح السين ، قال صاحب الصحاح : وسراة كلُّ شَيْءٍ : ظهره ووسطه . و(المعْيَن) بزنة اسم المفعول . ولم يزد صاحب الصحاح على قوله : المعْيَن : ثور . وفى القاموس : والمعْيَن كمعْظَم : ثورٌ بين عينيه سوادٌ ، وهو مشتقٌّ من العِيْنَة بالكسر ، وهى مصدر عَيْنَ عَيْناً من باب فرح وعِيْنَةٌ ، إذا عَظُم سواد عينه فى سَعَة . والعِيْنَة أيضاً من النَّعْجَة : ماحول عينيها .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يُعرَف لها قائل . ٣٧٢

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الثلاثائة (١) :

٣٧١ (إِنَّ السَّيْفَ غُدُوها وَرَوَّاحها

تَرَكَتْ هَوَازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الْأَعْصَبِ)

(١) ديوان الأخطل ٢٨ والكامل ٤٣٩ والأثمولى ٣ : ١٣٢ .

لما تقدّم قبله ، فإنّ قوله غدوّها بدلٌ من السيوف .

قال المبرد (في الكامل) : هو يدل اشتغال ، وقد روعي المبدل منه في اللفظ بإرجاع الضمير إليه من الخبر ، ولم يُراعَ البدل ، ولو رُوعي لقليل تُركا بالتثنية .

وهذا أيضاً كلام أُنّى على (في إيضاح الشعر) فإنه أورد هذا البيت مع البيت الذي قبله لما ذكر . وفيه أنه يحتمل أنّ نصب غدوّها على الظرف ، كخفوق النجم ، وكأنّه قال : إنّ السيُوف وقت غدوّها ورواجها .

و(هوازن) : أبو قبيلة ، وهو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر . و(الأعضب) بإهمال العين قال صاحب (العباب) : العُضباء : الشاة المكسورة القرن الداخل ، وهو المشاش ^(١) . ويقال هي التي انكسر أحد قرنيها . وقد عُضبت بالكسر ، وكبش أعضب بين العُضْب . وأنشد هذا البيت .

صاحب الشاهد وهو من قصيدة للأخطل عدتها ستة عشر بيتاً ، مدح بها العباس بن محمد بن عبد الله بن العباس رضى الله عنه ، فأعطاه ألف دينار ، وكان يقال له «المذهب» لجماله . روى أنّه خرج على فرس له وعليه مطرف حَزْرٍ ، فأشرفت امرأة فنظرت إليه فقالت : ما أحسن هذا ؟! فتقطّر به فرسه فمات .

وهذا مطلع القصيدة :

من أبيات الشاهد

(بأنّ الشَّبَابُ ورّما علّثته بالغانيات وبالشراب الأصهب
ولقد شربت الخمر في حانوتها ولعبت بالقينات عفّ الملعب ^(٢))

(١) ط : « وهي المشاش » ، صوابه في ش .

(٢) في ديوان الأخطل : « كل الملعب » .

وقال فى مدحه :

(لَدُ تَقَبَّلَهُ النَّعِيمُ كَأَنَّمَا مُسِيحَتْ تَرَائِبُهُ بِمَاءٍ مُّذْهِبٍ ^(١)
لَبَّاسٍ أَرْدِيَّةِ الْمَلُوكِ تَرَوْقُهُ مِنْ كُلِّ مُرْتَقِبٍ عِيُونُ الرَّبْرِ
يَنْظُرْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ إِذَا بَدَا نَظَرَ الْهَجَانِ إِلَى الْفَنِيْقِ الْمُصْعَبِ
خَضِيلِ الْكِيَاسِ إِذَا تَشَتَّى لَمْ تَكُنْ خُلْفًا مَوَاعِدُهُ كَبْرَقِ الْخُلْبِ ^(٢)
وَإِذَا تُعَوَّرَتْ الزُّجَاجَةُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الشَّرَابِ بِفَاحِشٍ مُتَقَطِّبٍ
الَلَّذُ : الْمُتَلَذِّذُ . وَتَقَبَّلَهُ النَّعِيمُ ، إِذَا اسْتَبَانَ عَلَيْهِ . وَالرَّبْرِ : جَمَاعَةُ
النِّسَاءِ . وَالْهَجَانِ مِنَ الْإِبِلِ : كِرَائِمُهَا وَبَيْضُهَا . وَالْفَنِيْقِ : الْفَحْلُ الْمَتْرُوكُ
لَا يَرْكَبُ وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ . وَالْخَضِيلُ : النَّدَى . وَالْكِيَاسُ ^(٣) . وَالتَّعَاوُرُ : التَّدَاوُلُ .

وبعد هذا اقتضب الكلام فقال :

إِنْ السُّيُوفُ غُدُوْهَا وَرَوَاحِهَا الْبَيْت

وبعده :

(وَتَرَكْنَ عَمَّكَ مِنْ غَنَى مُمْسِكًا بِإِزَاءِ مَنْخَرِقِ كَجُحْرِ الثَّعْلِبِ ^(٤)
وَتَرَكْنَ فَلَّ بَنَى سُلَيْمٍ تَابِعًا لِبْنَى ضَبِيْنَةَ كَاتِّبَاعِ التَّوْلِ
أَلْقُوا الْبَرِيْنَ ، بَنَى سُلَيْمٍ ، إِنَّهَا شَانَتْ وَإِنْ حَرَّازَهَا لَمْ يَذْهَبِ ^(٥)

(١) قبله — وذلك لتوضيح لإعرابه :

ولقد غدوت على التجار بمسح هرت عواذله هير الأكلب

(٢) ط : «إِذَا تَنَشَّأَ» ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح .

(٣) والكياس ، كذا وردت فى النسختين بدون تفسير بعدها ، وهى جمع كأس ، يقال فى جمعها أَكُوسٌ وَكُوسٌ وَكُتَّاسٌ وَكِيَّاسٌ . اللسان (كأس) وشرح ديوان الأخطل .

(٤) فى النسختين : «مَنْخَرِقِ» ، صوابه فى الديوان . يقول : كأنهم تمسكوا بحوض صغير قد ذهب ماؤه .

(٥) شانت ، من الشين ، أى قبحت ، وهو على حذف المفعول . وفى الديوان : «شابت» من الشيب . وهو تعريض بالمرأة التى خزمت أنفها .

٣٧٣ ولقد علمت بأنّها إذ عُلِّقَتْ سِمْةُ الدَّلِيلِ بكلِّ أنفٍ مُعْضَبٍ
والخَيْلُ تعدو بالكِماة كَأَنَّهَا أُسْدُ الغِيَاطِلِ من فِوَارِسِ تَغْلِبِ
وهذا آخر القصيدة :

وقوله : « وتركن عمك من غنى » إلخ غنى : قبيلة . قال شارح ديوانه
السكرى : هذا مثلٌ ، يقول : لاشيء بأيديهم ، كأنهم تمسكوا بحوضٍ صغير قد
ذهب مأؤه . وإزاء الحوض : موضع مصبِّ الدلو في مقدّمه ، فيوضع هناك
حجرٌ يصبُّ عليه الماء أو عباءة ، لئلا يثور الطينُ فيفسد الماء .

وقوله : « وتركن قلّ بنى سليم » القلّ بالفتح : المنزمو . وسليم
بالتصغير . وضبيّة ، بفتح المعجمة وكسر الموحدة وقبل الهاء نون ، هي أمُّ سعيد
مناة بن غامد بن الأزد ، غلبت على نسب ولدها . قاله السكرى .

وقوله : « ألقوا البرين » إلخ ألقوا : أمرٌ من الإلقاء . والبرين : جمع بُرةٍ
بضم الموحدة ، وهي ما يخزم به الأنف . وبنى سليم منادى . وذلك أن امرأةً
من سليم خزمت أنفها لما قتل عمير بن الحُبَاب (١) وحلفت أن لاتزغها حتى
تدرك بثأره . والغياطل : جمع غَيْطَلٍ ، وهو الشجر الكثير الملتف . وتغلب :
قبيلة الأخطل . افتخر بفوارس قومه .

وترجمته تقدمت في الشاهد الثامن والسبعين (٢) .

٢٤ ٢٢ ٢٠

(١) ط : « عمرو بن الحباب » ، صوابه « عمير » بالتصغير كما في ش وجمهرة أنساب العرب
٢٦٤ . وكان له شأنٌ في الحرب بين قيس وتغلب ، وقتلته تغلب . الأغاني ١١ : ٥٥ : ٢٠ : ٢٦ . قتله
زياد بن هوير ، كما في الاشتقاق ٣٣٩ . وفي الاشتقاق ٣٠٨ : « وكان عمير من فرسان الناس في أيام عبد
الملك وأيام الفتنة بالشام ، وكان امتنع على عبد الملك بنصيبين وغلب عليها وعصاه .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والسبعون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد سيبويه ^(١) :

٣٧٢ (إِنَّ عَلَىَّ اللَّهَ أَنْ تُبَايَعَا تَوَخَّذَ كَرَهَا أَوْ تَجِيءَ طَائِعَا)

على أَنَّ الفعل قد يُبدل من الفعل إذا كان الثاني راجعَ الْبَيَانِ عَلَى الأول كما في البيت . فتَوَخَّذَ بدل من تَبَايَعَ ، وَتَجِيءَ معطوف على تَوَخَّذَ . وهذا البدل أبين من المبدل منه ، والبدل في الحقيقة إنما هو مجموع المعطوف والمعطوف عليه ، إذ لا تكون المبايعة ^(٢) إِلَّا عَلَىَّ أَحَدِ الْوَجْهَيْنِ من إكراه أو طاعة . وهو كقولهم : الرُّمَّانُ حُلُوٌ حَامِضٌ ، وإن كان يقال باعتبار اللفظ إِنَّ تَجِيءَ معطوفٌ عَلَى تَوَخَّذَ ، كما يقال في مثل ذلك من الخبر والحال .

والآية قبل البيت ^(٣) من بدل الكلّ ، قال الخليل : لَأَنَّ مضاعفة العذاب هي لُقْيُ الأثام . والظاهر أَنَّ بدل الفعل من الفعل عند الشارح المحقق إنما يكون في بدل الكل ، وهو مذهب السِّيرافي ، قال : لا يبدل الفعل إِلَّا من شيء هو في معناه ^(٤) لَأَنَّهُ لَا يَتَّبَعُ وَلَا يَكُونُ فِيهِ اشْتِمَالٌ ، فتَوَخَّذَ كَرَهَا أو تَجِيءَ طَائِعَا هو معنى المبايعة ، لَأَنَّهُمَا تقع عَلَى أَحدهما .

وقد يَظْهَرُ من كلام سيبويه في باب ما يرتفع بين الجزمين .

وقد جَوَّزَ المتأخرون الأبدال الأربعة في الفعل، منهم الشاطبي (في شرح

(١) في كتابه ١ : ٧٨ . ونظر المقتضب ٢ : ٦٣ والعينى ٤ : ١٩٩ والتصریح ٢ : ١٦٢ والأشمونى ٣ : ١٣١ .

(٢) ش : « المتابعة » ، صوابه في ط .

(٣) يشير إلى استشهاد الرضى بقوله تعالى : « ومن يفعل ذلك يلقى أثاما » يضاعف له العذاب . الرضى ١ : ٣١٧ .

(٤) ش : « إلا من شيء هو في معناه » .

الألفية) قال : يتصوّر في بدل الفعل من الفعل ماثصور في بدل الاسم من الاسم ، فقد يكون فيه بدل الكلّ من الكلّ ، ومنه قوله :
« متى تأتينا ثلمم بنا في ديارنا (١) »

وقد يكون فيه بدل البعض كقولك : إنّ تصلّ تسجد لله يرحمك .
وبدل الاشتغال أيضاً . ومنه قوله :

إنّ علىّ الله أن تباعا البيت

لأنّ الأخذ كرها والمجيء طوعا من صفات المبايعة . وظاهر كلام سيبويه يقتضى أنّه أنشده شاهداً على بدل الاشتغال ؛ لأنه أتى به مع قول الآخر :
« فما كان قيس هلكه هلك واحد (٢) »

٣٧٤

وقول الآخر :

« وما ألفتني جلمي مضاعا (٣) »

وذلك في باب من أبواب بدل البعض والاشتغال. وإذا ثبت بدل البعض ثبت بدل الاشتغال؛ لأنّه مشبّه به، إذ عدّوا وصف الشيء كالجزم منه. وقد يكون فيه بدل الإضراب والغلط، نحو : إنّ تطعم زيداً تكسبه أكرمك. وقد سأل سيبويه الخليل عن قولك: إنّ تأتينا تسألنا نعطك، بجزم تسألنا . فقال : هذا يجوز على أن يكون مثل الأوّل ، لأنّ الأوّل الفعل الآخر تفسير له (٤)،

(١) لعبيد الله بن الحر ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٦ والخزانة ٣ : ٦٦٠ بولاق . وعجزة :

« تجد حطبا جزلا ونارا تأججا »

(٢) لعبد بن الطبيب . سيبويه ١ : ٧٧ . وعجزة :

« ولكنه بُنيان قوم يهدما »

(٣) سبق الكلام عليه في هذا الجزء ص ١٩١ في الشاهد ٣٦٩ .

(٤) هذا صواب النص من سيبويه ١ : ٤٤٦ . وفي النسختين : « على غير أن يكون مثل الأوّل

لا من الأوّل والفعل الآخر تفسير له » .

وهو هو . يعنى ماتقدّم فى بدل الشئ من الشئ ، والسؤال لا يكون الإتيان . قال : ولكنه يجوز على الغلط والنسيان ثم يتدارك . وقال بعد : فلو قلت : إن تأتني آتاك أقل ذلك . كان غير جائز ، لأنّ القول ليس بالإتيان ، إلا أن تجزئه على مجازٍ عليه تسألنا . فهذا نصّ لجواز بدل الغلط والنسيان . وجواز بدل الإضراب أولى . انتهى كلام الشاطبي .

فإن قلت : بدل الاشتغال والبعض لأبداً لهما من ضمير فكيف الحال على قول الشاطبي ؟ قلت : لا يمكن الضمير هنا لظهور أنّ ذاك خاصّ بالأسماء ، لتعذر عود الضمير على الأفعال . كذا فى (شرح التوضيح للشيخ خالد) .

وقول الشارح المحقق : «إذا كان الثانى راجع البيان» ، مثله فى التسهيل قال : «ويبدل فعلٌ من فعل موافقٍ فى المعنى مع زيادة بيان» . انتهى . ولم يعتبر غيرهما هذا القيد . ولم يتعرض له أصلاً أبو حيان (فى الارتشاف) . قيل : والحقّ عدم اعتباره . وأمّا اعتبار الموافقة فى المعنى فقد اعتبروه ، منهم ابن معطى ، قال : وأبدلوا الفعل من الفعل إذا كان بمعناه . قال ابن الحُبَّاز : إنّما يكون ذلك إذا ترادف اللفظان ، كقولك : مَنْ يَأْتِ يَمْشِ (١) إلخى أكلّمه . انتهى .

وهذا عند الشارح المحقق من باب التوكيد كما صرّح به هنا . وقوله : إنما يكون فى ترادف اللفظين ، ممنوع .

وهنا فائدة حسنة ذكرها ابن هشام (فى حواشى الألفية) ، وهى أنه ينبغى أن يُشترط لإبدال الفعل من الفعل ما اشترط لعطف الفعل ، وهو الاتحاد فى

(١) ط : « من يأتى يمشى » ، صوابه فى ش .

الزمان فقط ، دون الاتحاد في النوع ، حتى يجوز : إن جئتنى تمش إلى أكرمك . انتهى .

واعلم أن إبدال الفعل من الفعل هو إبدال مفرد من مفرد ، بدليل ظهور النَّصب كما في الشاهد ، وظهور الجزم كما في الآية .

وزعم ابن السَّيِّد في (أبيات المعاني) ، وتبعه ابن خلف ، والعيني ، والحفيد (في حاشية المختصر) أن هذا من إبدال جملة من جملة . وهو سهو . قال الشيخ خالد (في شرح التوضيح) : والفرق بين بدل الفعل وحده والجملة ، أن الفعل يتبع ما قبله في إعرابه لفظاً أو تقديرًا ، والجملة تتبع ما قبلها محلاً إن كان له محلٌّ . وإلا فإطلاق التبعية عليها مجاز ، إذ التابع كلُّ ثانٍ أعرب بأعراب سابقه الحاصل والمتجدد . انتهى .

وقضية هذا : أنه لا يتصور في الفعل المرفوع أن يكون بدلاً من فعل مرفوع ، وذلك لأنَّ سبب الإعراب متوفّر فيه مع قطع النظر عن التبعية ، وهو تجرّده عن الناصب والجازم ، فرفعه لتجرّده ، لا لكونه تابعاً لغيره ، فكيف يكون بدلاً مع انتفاء التبعية لانتفاء الإعراب بأعراب سابقه . وهكذا يقال في العطف : لا يتصور عطف الفعل المرفوع على مثله .

ومما يشكّل في البدل قولُ البيضاوي وغيره : إِنَّ ﴿ يَتَزَكَّى ﴾ في سورة والليل ، بدلٌ من قوله : ﴿ يُؤْتِي مَالَهُ ﴾ ، لأنَّ يؤتى مرفوعٌ لتجرّده ، فلم يُعرب بأعراب سابقه .

٣٧٥

وأجاب بعضهم بأنَّ المراد أن البدل جملة يتزكّى من جملة يؤتى ماله . وهذا لا يدفع الإشكال عن كلام البيضاوي ، لاعتنا ظاهر كلامهم أن الفعل يُبدل من الفعل ، وعمومه شاملٌ للفعل المرفوع .

وجزم السيد عيسى الصَّفْوَى بأنّه لا يكون مضارعٌ مرفوعٌ تابعاً لمضارع

مرفوع ، وأجاب عما أُورِدَ على البيضاوى بأنَّ المراد كلُّ ثانٍ أعرب بإعراب سابقه ولم يكن معرباً لمقتضى الإعراب غير التبعية .

قيل : قد يقال لامانع من كون المضارع عند التبعية مرفوعاً بالتبعية ، وإن كان فيه مقتضى آخر للرفع وهو التجرد ، بناءً على جواز تعدد السبب . وفيه نظر ، فإنهم قالوا: العامل بمنزلة المؤثر الحقيقى ، ولا يجتمع مؤثران على أثر . وسكت الشارح المحقق عن إبدال الجملة من الجملة ، وعن إبدال الجملة من المفرد وعكسه .

أمَّا الأوَّل فقد قال الشيخ خالد: تبدل الجملة من الجملة بدَل بعض واشتغال وغلط، ولا تبدل بدَل كل، نحو قعدت جلست فى دار زيد، فإنه توكيد. أمَّا بدل البعض فنحو قوله تعالى : ﴿ أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۖ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴾^(١) ، فجملة أمدكم الثانية أخص من الأولى باعتبار متعلقيهما، فتكون داخلة فى الأولى .

وأمَّا بدل الاشتغال فكقوله :

« أقول له ارحل لاتقيمن عندنا »^(٢) .

فقوله تقيمن عندنا بدَل اشتغال من ارحل ، لما بينهما من الملازمة اللزومية ؛ وليس توكيداً له ، لاختلاف لفظيهما ، ولابدل بعض لعدم دخوله فى الأوَّل ، ولا بدل كل لعدم الاعتداد به ، ولا غلط لوقوعه فى الفصحح .
وأمَّا بدل الغلط فنحو : قم اقعد .

(١) الآية ١٣٢ ، ١٣٣ من الشعراء .

(٢) هو مجهول القائل ، وتماه كما فى العينى ٤ : ٢٠٠ .

« وإلا فكن فى السر والجهر مسلماً » .

وأما إبدال الجملة من المفرد فقد أورد له ابن هشام (في شرح الألفية) قول الفرزدق :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجة
وبالشام أخرى كيف يلتقيان^(١)

قال ، أبدال كيف يلتقيان وهو جملة مستأنفة ، نبه بها على سبب الشكوى وهو استبعاد ما بين الحاجتين^(٢) .

وأما عكس هذا وهو إبدال مفرد من جملة فقد قال أبو حيان (في البحر) في قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قِيَمًا﴾^(٣) قال : قِيَمًا بدل من جملة لم يجعل له عوجا ، لأنها في معنى المفرد ، أى جعله مستقيما . وقال ابن هشام (في المغنى) في بحث كيف : إن جملة كيف خلقت بدل من الإبل بدل اشتغال ، والمعنى إلى الإبل كيفية خلقها . ومثله : ﴿أَلَمْ تَر إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^(٤) . وكل جملة فيها كيف فهى بدل من اسم مفرد . وقال السيوطى (في الهمع) : إن بدل الجملة من المفرد يدل اشتغال .

وبقى إبدال الفعل من اسم يشبهه ، وبالعكس ، وإبدال الحرف من مثله .

أما الأول فقد قال ابن هشام (في حواشى الألفية) : ينبغي أن يجوز إبدال الاسم من الفعل وبالعكس ، كما جاز العطف ، نحو : زيد متيق يخاف الله ، أو يخاف الله متيق . انتهى .

(١) من شواهد المعنى ١ : ٥٤٣ . ولم يرد في ديوان الفرزدق .

(٢) ش : « وهو استبعادها الحاجتين » ، صوابه في ط .

(٣) الكهف ١ - ٢ .

(٤) الفرقان ٤٥ .

والظاهر أنَّ يخاف الله استئناف بياني ، أو البدل هو الجملة لا الفعل وحده في الأول ، ومتق خبر بعد خبر في الثاني ، والتقوى غير الخوف ، فإنَّ الوقاية فرط الصيانة .

وأما الثاني فقد ذكره سيبويه ، وجعل منه : ﴿ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ (١) ، فجعل أنَّ الثانية بدلاً من الأولى ، لاتوكيداً كما قال غيره .

وقوله : (إنَّ علىَّ الله) إنَّخ قال ابن خروف (في شرح الكتاب) : الله منصوبٌ على القسم ، ويجوز أن يكون اسمٌ إنَّ ، والخبر الجار والمجرور ، وأنَّ مفعولٌ من أجله . وأنشد يحيى :

وإنَّ علىَّ الله لاتحملونني على خُطَّةٍ إلَّا انطلقتُ أسيرُها

فلو حذفنا إنَّ لقلت : علىَّ عهدُ الله لأُضربَنَّك . قال الفراء : ويجوز علىَّ الله أنَّ أُضربك . انتهى .

وقال ابن خلف : هذا الشاعر حلف على مخاطبه بالله ، أنَّه لا بدَّ له من أن يبايع ، فلما حذف حرف القسم نصب الاسم ، وأن تبايع : اسم إنَّ ، وعلى خبر إنَّ ، والقسم معترض بين الاسم والخبر .

ونقل العينيُّ عن بعض شراح الكتاب أنَّ علىَّ متعلِّق باستقرارٍ محذوف في موضع خبر إنَّ ، كأنه قال : وجب علىَّ اليمينُ بالله ، لأنَّ هذا الكلام قسم ، وأن تبايعاً يتعلَّق بعلىَّ ، أعنى بما فيه من معنى الاستقرار . انتهى . وهذا التعلُّق غير ظاهر .

و(المبايعه): بمعنى البيعة والطاعة للسلطان . وأصل البيعة الصفقة على

إيجاب البيع . وأيمان البيعة ^(١) هي التي رتبها الحجاج مشتملةً على أمور مغلفة من طلاق وعتق وصوم ونحو ذلك . (وتؤخذ) بدل من تباع كما تقدّم . قال السيرافي : النصب في هذه الأبيات على البدل جيد ، ولو رفع على الابتداء لكان أكثر وأعرف ، فيقول ^(٢) : هللكه هلكك واحد ، وما ألفتني حلمي مضاع ، وتكون الجملة في موضع الحال ، وتؤخذ كرهاً أو تحيئ طائعاً على معنى أنت تؤخذ كرهاً ؛ فيكون أنت تؤخذ في موضع الحال . انتهى . وهذا كقوله :

متى تأتته تعشو إلى ضوء ناره

تجد خير نارٍ عندها خير موقد ^(٣)

رفع تعشو بين المجزومين ، أعنى الشرط والجزاء لأنه قصد به الحال ، أى متى تأتته عاشياً ، أى ناظراً إلى ضوء ناره . وكذلك كل ما وقع بين مجزومين . وعليه قراءة : ﴿ يَرْتُنِي وَيَرْتُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ ^(٤) بالرفع ، لم يجعله جواباً ، وإنما جعله وصفاً ، أى وارثاً من يعقوب . فتدبره فإنه كثير . كذا (في أبيات المعاني) لابن السيد .

وقوله : (كرهاً) مفعول مطلق ، أى تؤخذ أخذاً كرهاً . ويجوز أن يكون حالاً بتأويله باسم الفاعل . وهو المناسب لقوله طائعاً ، فإنه حال . وهذا البيت قلماً خلا عنه كتاب نحوى ، ومع شهرته لا يعلم قائله ، وهو من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف قائلها . والله أعلم .

❦ ❦ ❦

(١) ش : « وأعيان البيعة » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « فتقول » .

(٣) للحطيفة في ديوانه ٢٥ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٤٥ .

(٤) الآية ٦ من سورة مريم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الثلاثئة ، وهو من أبيات س (١):

٣٧٣ (وكنْتُ كذى رجلين رجلٌ صحيحةٌ
ورجلٌ رمى فيها الزمانُ فَشَلَّتْ)

على أنه يروى (رجل) بالجر على أنه بدلٌ مع أخرى مفصلٌ من رجلين.
ويروى بالرفع على أنه بدلٌ مقطوع .

أنشده سيوييه في باب مجرى النعت على المنعوت والبدل على المبدل منه ، قال : ومثل مايجيء في هذا الباب على الابتداء وعلى الصفة والبدل ، قوله جلّ وعز : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ (٢) . ومن الناس من يجرّ ، والجرُّ على وجهين : على الصّفة وعلى البدل . ومنه قولٌ كثيرٌ عزّة :

٣٧٧

وكنْتُ كذى رجلين رجلٌ صحيحةٌ . . . (البيت) .
وقوله : « ومثل مايجيء في هذا الباب » إلخ ، يريد أنه يرفع على أنه خبرٌ مبتدأٌ محذوف ، والتقدير : إحداهما فئةٌ تقاتلُ إلخ . والجملة صفة لفئتين .
وقوله : « ومن الناس من يجرّ » إلخ يريد أن فئةً بدل من فئتين . والصفة جائزة كما تقول : مررت برجلين قائم وقاعد . وإلّا جعل فئة صفة لفئتين ، لأنّ فئة موصوفة ، فكان اعتماد الصفة في فئتين على صفة فئة ، كما تقول مررت برجلين : رجلٌ صادق ورجلٌ كاذب .
وقول كثير : (ورجلٌ) على رواية الرفع إمّا خبر مبتدأ محذوف ، تقديره

(١) في كتابه ١ : ٢١٥ . وانظر المقتضب : ٢٩٠ والجمال ٣٦ وابن يعيش ٤ : ٢٠٤ والأشعري

٣ : ١٢٨ وديوان كثير ١ : ٤٦ .

(٢) آل عمران ١٣ .

هما رجلٌ صحيحةٌ ورجُلٌ أخرى ، أو تقديره : إحداهما رجلٌ صحيحةٌ والأخرى رجلٌ . فالكلام على الأول جملة واحدة وعلى الثانى جملتان . وإما مبتدأً محذوفٌ الخبر ، والتقدير : منهما رجلٌ صحيحةٌ ومنهما رجلٌ ، فالكلام جملتان . وقال العيني : ويجوز نصب رجل في الموضعين على إضمار أعنى . وعلى رواية جرّ رجلٌ يكون على الإبدال من رجلين ، بدلَ نكرة من نكرة ، وبه ^(١)أورده ابن هشام (في المغنى) والمرادى (في شرح الألفية) . وإنما أبدل لأجل الصفة ، وهو وصف الرجل الأولى بصحيحة والثانية بجملة رَمَى . ولما كان المبدل منه مثنًى وجب الإتيان باسمين . ويعرف نحو هذا الإبدال ببذل المفصل من المحمل ، لأنه أجمل أولاً ثم فصل ثانياً . وجملة رمى إلخ صفةٌ لرجل الثانية . ومفعول رمى محذوفٌ تقديره : رمى فيها الزمان داءً فشلت .

و(شَلَّتْ) أصله شَلَلْتُ تَشَلُّ شَللاً، من باب فرح . والشَّلَلُ: آفة تصيب اليد أو الرجل فتبيس منها، وقيل تسترخى. يقال شَلَّتْ يَدُهُ وأشلها الله. وقبل هذا البيت :

(وَكُنَّا سَلَكْنَا فِي صَعُودٍ مِنَ الْهَوَىٰ فَلَمَّا تَوَاقَيْنَا ثَبُتُ وَزَلَّتْ
وَكُنَّا عَقْدْنَا عُقْدَةَ الْوَصْلِ بَيْنَا فَلَمَّا تَوَاقْنَا شَدَّدَتْ وَحَلَّتْ
أُرِيدُ الثَّوَاءَ عِنْدَهَا ، وَأُظْنُّهَا إِذَا مَا أَطْلُنَا عِنْدَهَا الْمُكْتَمَلَتْ
فَلَبِثَ قُلُوصَىٰ عِنْدَ عَزَّةٍ قُبَيْدَتْ بِحَبْلِ ضَعِيفٍ عَزَّ مِنْهَا فَضَلَّتْ
وَعُودَ فِي الْحَيِّ الْمَقِيمِينَ رَحْلُهَا وَكَانَ لَهَا بَاغٌ سِوَايَ فَبَلَّتْ)

الصَّعُودُ بالفتح : خلاف الهبوط . والثَّوَاءُ ، بالفتح : الإقامة . وعَزَّ منه بمعنى غلبه وقوى عليه . وفي (العباب) : قال الفراء: يقال بَلَّتْ مَطِيئَتُهُ عَلَى وَجْهَيْهَا، إِذَا هَمَّتْ ^(٢) ضَالَّةٌ . وأنشد هذا البيت ، وهو بالباء الموحدة .

(١) ط : « وجه » ، صوابه في ش .

(٢) وكذا في اللسان (بلل) . يقال همت الناقة هماً : ذهبت على وجهها في الأرض .

واختلف أصحاب المعاني في معنى البيت الشاهد ، فقال الأعلم : تمنى أن تشلّ إحدى رجليه وهو عندها ، وتضلّ ناقةه فلا يرحل عنها ، فيكون قوله : وكنت كذى رجلين إنلح معطوفاً على قوله : قيّدت ، ليدخل في التمني .

وقال ابن سيده : لما خانت عزة العهد فزلت عن عهده ، وثبت هو على عهدها ، صار كذى رجلين رجل صحيحة ، وهو ثباته على عهدها ، وأخرى مريضة ، وهو زللها عن عهده .

وقال عبد الدائم ^(١) : معنى البيت أنه بين خوف ورجاء ، وقرب وتناء ، كما قال المتنبي : وأحلى الهوى ما شلّ في الوصل ربه

وفي الهجر ، فهو الدهر يرجو ويتقي ^(٢)

وقال غيرهم : تمنى أن تضيع قلوّصه فيبقى في حىّ عزة ، فيكون بقاءه في حياها كذى رجل ^(٣) صحيحة ، ويكون من عدمه لقلوّصه كذى رجل علية .

حكى هذه الأقوال اللخميّ وقال : وهذا القول الأخير هو المختار المعول عليه ، وهو الذى يدلّ عليه ما قبل البيت ، وهو اختيار الأستاذ أبى عبد الله ابن أبى العافية . وقد أخذ كثير هذا البيت من التجاشي ، وهو قوله :

(١) هو عبد الدائم بن مرزوق القيرواني ، كما سيأتى في الشاهد ٥٣ . قال السيوطي في البغية ٢٩٦ : « نحوى قديم ، روى عنه أبو جعفر محمد بن حكيم السرقسطي ، وأكثر أبو حيان في الإرتشاف من النقل عنه » . وذكر البغدادي له « كتاب حلى العلى ، في الأدب » . فعل هذا النقل منه . ومهما يكن فإنّ هذا النص ثابت في شرح شواهد المغنى للسيوطي ٢٧٥ . فنعنه كذلك نقل عن نقل .

(٢) ديوان المتنبي ١ : ٤٢٨ .

(٣) ط : « كذى رجلين » ، صوابه في ش .

وكنْتُ كذى رجلين رجلٍ صحيحةٍ
ورجلٍ رمت فيها يدُ الحَدَثَانِ
فأما التى صَحَّتْ فَأَزْدُ شَنْوَةٍ
وأما التى شَلَّتْ فَأَزْدُ عُمانِ

وقد أوردَهُ ابنُ رَشِيقٍ (فى العمدة) فى السَّرَقَاتِ الشعرية، وسَمَّاهُ
الاهْتِدَامَ. قال: فأخذ كثيرُ القسمِ الأوَّلِ واهْتَدَمَ باقى البيتِ، فجاءَ بالمعنى فى غير
اللفظ.

وهذه القصيدة كلها نسيبٌ بعزَّةٍ، وهى من منتخبات قصائده، والتزم
فيها مالا يلزم الشاعر، وذلك اللام قبل حرف الروى، اقتداراً فى الكلام وقوةً فى
الصناعة، وما خرم ذلك إلا فى بيتٍ واحد، هو:

فما أنصفتُ، أمَّا النساءُ فبِعُضَّتْ إلى وأما بالآلِ فبِضَّتْ
وهى قصيدة. وهذا مطلعُها مع جملة أبياتٍ منها وقعت شواهدٌ للنحويين:
(خليلى هذا ربعٌ عزَّةٍ فاعقلا قلوبكما ثم أبكيا حيثُ حلَّتْ
وما كنتُ أدرى قبلَ عزَّةٍ ما البُكا ولا مُوجعاتِ القلبِ حتى تولَّتْ)
إلى أن قال:

(وإني وتهيامى بعزَّةٍ بعد ما تخلَّيتُ فيما بيننا وتخلَّيتُ
لكالمبتغى ظلَّ الغمامةِ كلَّما تبوأ منها للمقبل اضمحلَّتْ
يكلِّفها الغيرانُ شتمى وما بها هوانى ولكنَّ للحليل استدلَّتْ
هنيئاً مريضاً غيرَ داءٍ مخامرٍ لعزَّةٍ من أعراضنا ما استحلَّتْ
أسئى بنا أو أحسنى لا ملومةً لدينا ولا مقليةً إنْ تقلَّتْ)
وقوله: «وما كنتُ أدرى قبلَ عزَّةٍ» إلخ استشهد به ابن هشام (فى)

شرح الألفية) على نصب موجعات عطفاً على محلّ مفعول أدرى المعلق بما الاستفهامية ، لأنّ المعلق أبطل عمله لفظاً لا محلاً . وقال (في معنى اللبيب) : فائدة الحكم على محلّ الجملة في التعليق بالنصب ظهور ذلك في التابع ، فتقول : عرفت من زيد وغير ذلك من أموره . واستدلّ ابن عصفور بنصب موجعات من هذا البيت . ولك أن تدعى أن البكاء مفعول ، وأنّ مازائدة ، أو أنّ الواو للحال وموجعات اسم لا ، أي وماكنت أدرى قبل عزة ، والحالة أنّه لا موجعاتٍ للقلب موجودة ، ما البكا . انتهى .

وقوله : « وإني وتهيامي بعزة » إلخ ، التّهام : بالفتح : مبالغة التّهام بالضم ، وهو كالجنون من العشق . قال ابن جني (في سرّ الصناعة) : سألت أبا علي عن قول كثير : وإني وتهيامي بعزة البيت ، فقلت له : ماموضّع تهيامي من الإعراب ؟ فأفتني بأنّه بالابتداء وخبره بعزة ، وجعل الجملة اعتراضاً بين اسم إنّ وخبرها ، لأنّ فيها ضرباً من التسديد للكلام . ويحتمل أن تكون الواو للقسم فالباء على هذا متعلقة بتهيامي . وعرضتُ هذا على أبي عليّ فقبله . انتهى وقد نقل ابن هشام ما حكيته عنهما في الجملة المعترضة (من المغني) .

وقوله : « هنيئاً مريئاً غير داءٍ » إلخ ، أورده صاحب (الكشاف) عند قوله تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(١) على أنّ الباء زائدة وما فاعل هنيئاً ، وهو صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل ، كأنه قال : هَنَأَكُمْ الأكل والشرب . وهنيئاً لعزّة ما استحلّت^(٢) من أعراضنا . الهنيء والمرء صفتان من هَنَوُ الطعام ومرؤ كشرف ، إذا كان سائغاً لاتغيص فيه . والمخامر : المخالط .

(١) الآية ١٩ من الطور ، و ٤٣ من المرسلات .

(٢) ط : (لعزّة المستحلة) .

وقوله: « أسيئى بنا أو أحسنى » إلخ ، هذا التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وأورده صاحب (الكشاف) أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ أَنْفَقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ ﴾^(١) على تساوى الإنفاقين فى عدم القبول ، كما ساءى كثيراً بين الإحسان والإساءة فى عدم اللوم . والتكئة فى مثل ذلك إظهارٌ نفى تفاوت الحال بتفاوت فعل المخاطب ، كآته يأمرها بذلك لتحقيق أنه على العهد . ومقلية بمعنى مبعضة ، من القلى وهو البعوض . وقوله : « إن تقلت » التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة .

وروى صاحب (الأغانى) بسنده عن هيثم بن عدى قال :
سأل عبد الملك بن مروان كثيراً عن أعجب خبرٍ له مع عزة ، فقال :
يأمر المؤمنين ، حججت سنةً وحجّ زوج عزة معها ، ولم يعلم أحدنا بصاحبه ، فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياح سمن تصلح به طعاماً لرفقته ، فجعلت تدور الخيام خيمةً خيمةً ، حتى دخلت إلى وهى لاتعلم أنّها خيمتى ، وكنت أبرى سهماً ، فلما رأيتها جعلت أبرى لحمى وأنظر حتى برت ذراعى وأنا لأعلم به ، والدم يجرى ، فلما علمت ذلك دخلت إلى فأمسكت يدى وجعلت تمسح الدّم بثوبها ، وكان عندى نحى سمن فحلفت لئأخذنه^(٢) . فأخذته وجاءت زوجها ، فلما رأى الدم سأله عن خبره فكأتمته ، حتى حلف عليها لتصدقنه . فصدقته فضربها ، وحلف عليها لتشتمنى فى وجهى ، فوفقت على وقالت لى وهى تبكى : يا ابن الزانية ! ثم انصرفا^(٣) . وذلك حيث أقول :

« يكلّفها العيرانُ شتمى ومأبها »

(١) الآية ٥٣ من التوبة .

(٢) فى النسختين : (لأأخذنه) والوجه مأثبت من الأغانى ٨ : ٣٧

(٣) وكذا فى الأغانى . وفى ش : « ثم انصرف » مع أثر تغيير .

الآيات الثلاثة .

وروى صاحب الأغاني أيضاً قال : وقفتُ على جماعةٍ تكلموا فيّ وفي جميل : أئنا أصدق عشقاً ، وهم لا يعرفونني ، ففضلوا جميلاً ، فقلت لهم : قد ظلمتم كثيراً ، كيف يكون جميل أصدق منه عشقاً وحين أتاه من بثينة ما يكره قال :

رَمَى الله في جَفْنِي بثِينَةَ بالقَدَى

وفي العُرِّ من أنيابها بالقوادح

وكثيرٌ حين أتاه ما يكره من عَزَّةٍ قال :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر (البيت) .

وهذه القصيدة جيّدة فلا بأس بإيرادها على رواية أبي على القالي (في قصيدة الشاهد أماليه^(١)) قال : قرأت هذه القصيدة على أبي بكر بن دريد في شعر كثير ، وهي من منتخبات كثير ، وأولها :

(خليلِيّ هذا رُبُّ عَزَّةٍ فاعقِلا	قلوصيكما ثم أبكيا حيثُ حَلَبْتُ ^(٣)
ومُسّاً تراباً كان قد مَسَّ جلدَها	وبيتاً وظلاً حيث باتت وظلَّت
ولا تياساً أن يحو الله عنكما	ذنوباً إذا صليتما حيث صلَّت
وما كنتُ أدري قبل عَزَّةٍ ما البكا	ولا موجعات القلب حتى تولَّت ٣٨٠
وقد حلفتُ جهداً بما نحرْتُ له	قريشٌ غداة المأزمين وصلَّت

(١) أمالي القالي ٢ : ١٠٩ .

(٢) البيتان التاليان لم يردا في مطبوعة الدار .

أُنَادِيكَ مَاحِجَّ الْحَجِيجِ وَكَبَّرْتُ بَفِيفًا غَزَالِي رُفْقَةً وَأَهْلَيْتُ
وَكَانَتْ لِقَاطِعِ الْعَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كَنَادِرَةً نَذْرًا فَأَوْفْتُ وَحَلَّتْ

— ويروى : « وَفْتُ فَأَحَلَّتْ » —

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مَصِيبَةٍ إِذَا وُطِّنْتُ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
وَلَمْ يَلْقَ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَبِّ مَيْعَةً لَعَمْرُؤُا وَلَا عَمِيَاءَ إِلَّا تَجَلَّتْ^(١)
كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِينَ أُعْرِضْتُ مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمْشِي بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتْ
صَفُوحًا فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ فَمَنْ مَلَ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلَ مَلَّتْ
أَبَاحْتُ حِمِيَّ لَمْ يَرَعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تَلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلَ حُلَّتْ
فَلَيْتَ قَلْبُوصِي عِنْدَ عَزَّةٍ قُيِّدْتُ بِقَيْدٍ ضَعِيفٍ فَرَّ مِنْهَا فَضَلَّتْ^(٢)
وَعُودِرُ فِي الْحَيِّ الْمَقِيمِينَ رَحُلَهَا وَكَانَ لَهَا بَاغٍ سِوَايَ فَبَلَّتْ
وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتْ
وَكُنْتُ كَذَاتِ الظَّلَعِ لَمَّا تَحَامَلْتُ عَلَى ظَلْعِهَا بَعْدَ الْعِثَارِ اسْتَقَلَّتْ
أُرِيدُ الشَّوَاءَ عِنْدَهَا وَأُظْلِمُهَا إِذَا مَا أَطْلَنَّا عِنْدَهَا الْمُكْتَ مَلَّتْ
فَمَا أَنْصَفْتُ، أَمَّا النِّسَاءُ فَبَغَضْتُ إِلَيْنَا وَأَمَّا بِالنِّسْوَالِ فَضَنَّتْ

(١) في الأملاني وديوان كثير ١ : ٤٢ : (ميعة نعم ولا غماء) وفي شرح الديوان : « ويروى : تغه ، أي

تغطي . »

(٢) في الأملاني والديوان : (بحبل ضعيف غر منها) أي عقد ذلك الحبل على غرة ، أي على غفدة ،

فهو غير موثوق . وفي ش وإحدى روايات الديوان : « عز منها » . وفي شرح الديوان : « أي غلبها قوى عليها » ،

ثم قال : « ويروى جز منها ، أي قطع منها » .

يكلّفها الغيرانُ شتمى ومابها هوانى ولكن للمليك استدلّت
هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ لعزّة من أعراضنا ما استحلّت

قال أبو على : قيل لكثير : أنت أشعر أم جميل ؟ فقال : بل أنا . فقيل
له : أتقول هذا وأنت راويته ؟ قال : جميل الذى يقول :

رمى الله فى عينيّ بثينة بالقذى وفى العرّ من أنيابها بالقوادج
وأنا أقول :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر البيت
ووالله ما قاربْتُ إلا تباعدتُ بصُرم ولا أكثرتُ إلا أقَلتُ
فإن تكن العُتبي فأهلاً ومرحباً وَحَقَّتْ لَهَا العُتبي لدينا وَقَلَّتْ^(١)
وإن تكن الأخرى فإن وراءنا مَنادَحَ لو سارت بها العيسُ كَلَّتْ^(٢)
خليليَّ إنَّ الحاجبية طَلَّحتْ قلو صيكما وناقَتى قد أَكَلَّتْ^(٣)
فلا يبعدن وصلَّ لعزّة أصبحت بِعاقبةِ أسبابه قد تَوَلَّتْ^(٤)
أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومةً لدينا ولا مقليةً إنَّ ثَقَلَّتْ
ولكن أنيلى واذكرى من مودّة لنا لُحَلَّةً كانت لديك فَضَلَّتْ^(٥)

(١) فى الأصل : « بها العتبي » ، صوابه من الأملى والديوان .

(٢) ط : « منوح » ، صوابه فى ش والأملى والديوان .

(٣) ط : « قد أطلت » ، صوابه فى ش والأملى والديوان .

(٤) فى الأصل : « لعاقبة » ، صوابه فى الأملى والديوان .

(٥) ط : « أميلى » ، ش : « أئينى » ، وأثبت ما فى الأملى والديوان . وفى الأملى والديوان :

« كانت لديكم فطلت » . وفى الديوان : « ويروى فضلت » ، من ضل فلان فلانا : نسيه ومطله » .

وَأُنِّي وَإِنْ صَدَّتْ لِمَثْنٍ وَصَادِقُ
فَمَا أَنَا بِالِدَاعِي لِعَزَّةٍ بِالْجَوَى
فَلَا يَحْسِبُ الْوَاشُونَ أَنَّ صَبَابَتِي
فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَبْلَلْتُ مِنْ دَنْفٍ بِهَا
وَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ مَاحِلٌ قَبْلَهَا
وَمَامَرٌ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كَيَوْمِهَا
فَأُضْحَتْ بِأَعْلَى شَاهِقٍ مِنْ فَوَادِهِ
فِيَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ
وَأُنِّي وَتَهْيَامِي بِعَزَّةٍ بَعْدَمَا
لِكَالْمُرْتَجَى ظِلُّ الْعِمَامَةِ كُلَّمَا
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مُمَجِّلٌ

عليها بما كانت إلينا أزلت
ولا شامت إن نعل عزة زلت
بعزة كانت غمرة فتجلت
كما أدنفت هيماء ثم استبلت (١)
ولا بعدها من نخلة حيث حللت
وإن عظمت أيام أخرى وجلت (٢)
فلا القلب يسلاها ولا العين ملت
وللنفس لما وطنت كيف ذلت
تخلت ممّا بيننا وتخلت
تبوأ منها للمقييل اضمحلّت
رجاها فلما جاوزته استهلّت

قال أبو علي : المأزمان : عرفة والمزدلفة . وأناديك : أحادثك ؛ مأخوذ
من التّديّ والنادى جميعاً ؛ وهو المجلس . وميعة كل شيء : أوله .
والصفوح : المعرّضة . وبلت : ذهبت . قال أبو علي : ما أعرف بلت ذهبت
إلا في تفسير هذا البيت . والعُتبي : الإعتاب ، يقال عاتبني فلان فأعتبته ،
إذا نزع عتّا عاتبك عليه ، والعُتبي الاسم ، والإعتاب المصدر . وقوله :
« طَلَّحت » ، الطليح : المُعَي الذي قد سقط من الإعياء . وطلّت (٣) :
هدرت . وأزلت : اصطنعت . ويقال بلّ من مرضيه وأبلّ واستبّل ، إذا
برىء . واعتراه : اصطباره ، يقال نزلت به مصيبة فوجد عروفاً ، أي صبوراً .
والعارف : الصّابر . هذا ما أورده أبو علي القالي .

(١) في النسختين : « من مدنف » ، صوابه من الأمل والديوان .

(٢) ط « أمام أخرى » ، صوابه في ش والأمل والديوان .

(٣) الذي في متن البيت : « فضلت » . وانظر حاشيته هناك .

وروى السيوطي (في شرح شواهد مغنى اللبيب) عن أبي الحسن بن طباطبا (في كتاب عيار الشعر) أنَّ العلماء قالوا : لو أنَّ كُثَيِّرًا جعل قوله :
فقلت لها ياعزَّ كلُّ مصيبة . . . البيت

في وصف حربٍ لكان أشعرَ الناس . ولو جعل قوله : أسيئ بنا أو أحسنى ، البيت ، في وصف الدنيا كان أشعر الناس .

وكُثَيِّرٌ ، بضم الكاف وفتح المثناة وكسر الياء المشددة التحتية . وهو كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن أبي جُمعة بن الأسود بن عامر . وقال اللخمي : هو كُثَيِّر بن أبي جمعة . وهو خُزاعي . وأبو خزاعة : الصَّلْت بن النضر بن كنانة . وفي ذلك يقول كُثَيِّر :

أليس أبي بالتَّضرُّ أمِّ ليس والدى لكلِّ نجيبٍ من خُزاعةٍ أزهرها
فحقَّق كُثَيِّرُ أنَّه من قريش . وقيل إنه أزدى من قحطان . وهو شاعر حجازيٌّ من شعراء الدولة الأموية ، ويكنى أبا صخر ، واشتهر بكُثَيِّر عَزَّةَ بالإضافة إلى عَزَّةَ ، وهي محبوبته ؛ وغالب شعره تشبيبٌ بها (١) .

وعَزَّةُ بفتح العين المهملة وتشديد الزاي . والعَزَّةُ في اللغة : بنت الظبية ، وبها سُمِّيَتْ . وهي كما قال ابن الكلبي : عَزَّة بنت حُمَيْل ، بضم المهملة ، بن خَفْصٍ بفتحها ، من بني حاجب بن غِفَار ، بكسر المعجمة وخفَّة الفاء ، وكنيتها أمُّ عمرو الضُّمَرِيَّة ، نسبة إلى قبيلة ضَمَرَة . وكُثَيِّرٌ ما يُطْلَق عليها الحاجبية ، نسبة إلى جدِّها الأعلى ، كقوله في هذه القصيدة :

(١) ط : « مشيب بها » ، صوابه في ش .

خليلىَّ إِنَّ الْحَاجِبِيَّةَ طَلَّحَتْ قَلُوصِيكَمَا وَنَاقَتِي قَدْ أَكَلَتْ (١)
ومن الغرائب تفسير العيني للحاجبية هنا بالرَّمْل الطويل . وهو غفلة
عن نسيها .

٣٨٢

قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : بعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد
الله إلى كثير : يا ابن أوى جمعة ، ما الذى يدعوك إلى ماتقول من الشعر في
عزة ، وليست على ماتصيف من الجمال ، لو شئت صرفت ذلك إلى من هو
أولى به منها ، أنا أو مثلى ! وإنما أرادت تجربته بذلك ، فقال :

إِذَا وَصَلْتَنَا خُلَّةً كَى تَزِيلُهَا أَبِينَا وَقَلْنَا : الْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ
لَهَا مَهْلٌ لَا يُسْتَطَاعُ دِرَاكُهُ وَسَابِقَةٌ مِلْحُوبٌ لَا تَحْوُلُ
سُنُولِيكَ عُرْفًا إِنْ أَرَدْتَ وَصَالَنَا وَنَحْنُ لَتَلِكِ الْحَاجِبِيَّةِ أَوْصَلُ

فقلت : والله لقد سميتنى لك خُلَّةً ، وما أنا لك ، وعرضت على
وصالك وما أريد (٢) ، هَلَّا قَلْتَ كَمَا قَالَ جَمِيل :

يَا رَبُّ عَارِضَةٌ عَلَيْنَا وَصَلَهَا بِالْجِدِّ تَحْلِيْطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ
فَأَجَبْتُهَا بِالرُّقِّ بَعْدَ تَسْتُرٍ حُبِّيْ بِثِيْنَةٍ عَنْ وَصَالِكِ شَاغِلِي
لَوْ كَانَ فِي قَلْبِي كَقَدْرِ قُلَامَةٍ وَصَلْتُكَ كَتَبِيْ أَوْ أَتَيْتُكَ رِسَالِيْ

وروى القالى (في أماليه) عن العتبي قال : دخلت عزة على عبد الملك
بن مروان ، فقال لها : أنت عزة كثير ؟ فقلت : نعم . قال لها : أتروين قول
كثير :

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها ومن ذا الذى ياعر لا يتغير

(١) ط : « أطلت » ، صوابه في ش والأمالي والديوان .

(٢) في الشعراء ٤٨٩ : « وما أريد ذلك وأن أردت » .

قالت : لأأرى هذا ، ولكنى أرى قوله :

كأني أنادي صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشي بها العضم زلت
صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت
وروى ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) أن عائشة بنت طلحة قالت
لعزة : أرايت قول كثير :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة مطول معني غريمها
ماكان ذلك الدين ؟ قالت : وعدته قبله فتحرجت منها . فقالت :
ا قضيتها وعلى إثمها .

قال صاحب الأغاني : كان ابن إسحاق يقول : كثير أشعر أهل
الإسلام ، وكانت له منزلة عند قريش وقدر ، وكان عبد الملك معجباً بشعره .
وقال الجمحي : كان لكثير في النسيب نصيب وافر ، وكان له من فنون الشعر
ماليس لجميل ، وكان راوية جميل . وإنما صغر اسمه لشدة قصره وحقارته .
وقال الوقاصي : رأيت كثيراً يطوف بالبيت فمن حدثك أنه يريد على ثلاثة
أشبار فلا تصدقه ، وكان إذا دخل على عبد الملك أو أخيه عبد العزيز يقول :
طأطأ رأسيك لا يصيبه السقف ! وهجاه الحزين الكيناني (١) بقوله :

(١) في النسختين : (الحزب الكيناني) ، والصواب مأثبت ، والحزين لقب له ، واسمه عمرو بن
عبيد بن وهب بن مالك ، شاعر من شعراء الدولة الأموية ، حجازي . وكان هجاء متكسباً بالشعر . وقد
وفد الى مصر ومدح عبد الله بن عبد الملك . الأغاني ١٤ : ٧٤ — ٨٢ والمؤتلف ٨٨ .

قصير قميص فاحش عند بيته يعرض القراذ باسته وهو قائم^(١)

وروى صاحب الأغاني عن طلحة بن عبيد الله قال : ماريت أحمق من كثير ، دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وهو مريض ، وكنا كثيراً مانهزاً به وكان يتشيع تشيعاً قبيحاً ، فقلت له : كيف تجدك يا أبا صخر ؟ قال : أجدني ذاهباً . قلت : كلاً . قال : فهل سمعت الناس يقولون في شيئا ؟ قلت : نعم ، يتحدثون بأنك الدجال . قال : أما لئن قلت ذاك فأني لأجد في عيني هذه ضعفا منذ أيام . فقال له محمد بن علي : تزعم أنك من شيعتنا وتمدح آل مروان ! قال : إنما أسخر منهم وأجعلهم حيات وعقارب ، وأخذ أموالهم .

٣٨٣

وكانت وفاته في خلافة يزيد بن عبد الملك بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام . قال جويرية بن أسماء : مات كثير وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد ، فقال الناس : اليوم مات أفقه الناس وأشعر الناس ! ولم يتخلف رجل ولا امرأة عن جنازتهما ، وذلك في سنة خمس أو سبع ومائة . وغلبت النساء على جنازة كثير بيكينه . ويقال : إنه لما حضرته الوفاة قال : برئت إلى الإله من ابن أروى ومن دين الخوارج أجمعينا ومن عمر برئت ومن عتيق غداة دعى أمير المؤمنين ثم خرجت روحه كأنها حصاة وقعت في ماء .

قال ابن السيد (في شرح أبيات الجمل) : هذا الشعر من حماقته وزفقه . وابن أروى هو عثمان بن عفان رضي الله عنه . وقد أطنب الأصبهاني (في الأغاني) في ترجمته .

(١) في الأغاني ٨ : ٢٨ : « قصير القميص » . وفي الحيوان ٥ : ٤٤٠ : « يكاد خليلي من تقارب شخصه » ، وفي الحماسة ١٨٨٠ : « أظن خليلي من تقارب شخصه » ، وفي محاضرات الراغب ٢ : ١٢٩ : « رأيت خليلي » .

عطف البيان

أنشد فيه :

« أقسم بالله أبو حفص عمر »

تقدم الكلام عليه في الشاهد الثامن والخمسين بعد الثلاثئة (١).

وأنشد بعده :

« أنا ابنُ التارك البكرى بشر »

تقدّم أيضاً ما يتعلق به في الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين (٢). والله أعلم.

(١) في هذا الجزء الخامس ص ١٥٤ .

(٢) الخزانة ٤ : ٢٨٤ .

المبنيات المضمّر

أنشد فيه :

(هذا سراقه للقرآن يدرسه)

تمامه :

(والمرء عند الرُّشا إن يلقها ذيبٌ)

وتقدّم الكلام عليه في الشاهد الثاني والثمانين (١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الثلاثئة (٢) :

٣٧٤ (إذا زُجِرَ السَّفِيهُ جَرَى إليه)

تمامه :

(وخالف والسَّفِيهُ إلى خلاف)

على أن الضمير في « إليه » راجع على المصدر المدلول عليه بالوصف ،
أى إلى السفه .

وهذا البيت أورده الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ (٣) في توجيه صحة الخبر عن المبتدئ فيه ، قال : من كلام العرب

(١) الخزانة ٢ : ٣ .

(٢) مجالس ثعلب ٧٥ والخصائص ٣ : ٤٩ والمختضب ١ : ١٧٠ وأملى ابن الشجرى ١ : ٦٨ ،
١١٣ ، ٣٥٥ / ٢ : ٢٠٩ والإنصاف ١٤٠ والجمع ١ : ٦٥ .

(٣) الآية ١٧٧ من سورة البقرة . وانظر معاني الفراء ١ : ١٠٤ .

قوله : « إِنَّمَا الْبِرُّ الصَّادِقُ الَّذِي يَصِلُ رَحْمَةً وَيُخْفِي صِدْقَتَهُ » فيجعل الاسمُ خبراً للفعل ، والفعلُ خبراً للاسم ، لأنه أمرٌ معروفُ المعنى . فأما الفعل الذي جعل خبراً للاسم فقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾^(١) فهو كنايةٌ عن البخل . فهذا لمن جعل الذين في موضع نصب وقراها « تحسبن » بالتاء من فوق ، ومن قرأ بالياء من تحت جعل الذين في موضع رفع وجعل « هو » عماداً للبخل المضمر ، فاكتفى بما ظهر في يبخلون من ذكر البخل . ومثله في الكلام :
هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمُ وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولُ^(٢)

٣٨٤

وقوله « به » يريد بالملك . وقال الآخر :

« إِذَا نُهِىَ السَّفِيُّ جَرَى إِلَيْهِ » البيت

يريد : إلى السَّفَّه . انتهى .

وأنشده ثعلب أيضا (في أماليه) وقال : أى جرى إلى السَّفَّه . واكتفى بالفعل من المصدر .

وأورده ابن جنى أيضا (في إعراب الحماسة) عند قوله :

وَلَمْ أَرِ قَوْمًا مِثْلَنَا خَيْرَ قَوْمِهِمْ أَقْلَ بِهِ مِنَّا عَلَى قَوْمِهِمْ فَخْرًا

وتقدم الكلام عليه في الشاهد الحادى عشر بعد الثلاثمائة^(٣) .

وأورده (في المحتسب) أيضا عند قراءة الأعمش : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ

(١) الآية ١٨٠ من آل عمران . وقراءة «ولا تحسبن» بالتاء ، هي قراءة حمزة ، ووافقه المطوعى .

وقرأ سائر السبعة «ولا يحسبن» بياء الغائب . تفسير أبى حيان ٣ : ١٢٨ وإتحاف فضلاء البشر ١٨٢ .

(٢) للقطامى فى ديوانه وهو آخر قصيدة له يمدح فيها قريشا وبنى أمية ، وعبد الواحد الأموى .

وانظر أمالى بن الشجرى ١ : ٣٥ .

(٣) الخزائن ٤ : ٣٦٤ .

الدنيا يؤتته منها ومن يرد ثواب الآخرة يؤتته منها وسيجزي الشاكرين ﴿﴾ بالياء
فيهما . قال : أضمر الفاعل للدلالة الحال عليه ، وإضماره فاشي ، وعليه قوله :
إذا زجر السفية جرى إليه البيت

أقول : هذا ليس من قبيل إضمار الفاعل في قراءة الأعمش كما هو
ظاهر . وقوله بعد هذا وكما أضمر المصدر مجروراً ، أعني الهاء في إليه ، يعني إلى
السففة كذلك أيضاً أضمره مرفوعاً بفعله ، لم أفهم معنى قوله : أضمره مرفوعاً
بفعله ^(١) . وفاعل جرى وخالف ضمير السفية .

وأورده ابن الشجري أيضاً عند شرح قول الشاعر :
ومن يك بادياً ويكن أخاه أباً الضحك ينتسج الشمال ^(٢)
قال : الهاء في قوله أخاه عائدة إلى البدو الذي هو ضد الحضر ،
يقال بدا فلان يبدو بدواً ، إذا حل في البدو ، دل على عود الهاء إلى البدو قوله
بادياً ، كما دل السفية على السفه فأضمره القائل :

إذا نهى السفية جرى إليه البيت .
ومثله قول القطامي :

« هُمُ الملوك وأبناء الملوك لهم »

البيت المذكور . ثم ذكر كلام الفراء من غير أن يعزوه إليه . ثم قال ومثل
ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ^(٣) ﴾ ، أى يرض الشكر .

(١) لم يتنبه صاحب الخزانة الى مايعنيه ابن جنى ، فانه قصد بذلك ماأنشده في المحتسب ١ :
١٧٠ من قول الشاعر :

ومخوفات قد علا ألوانها أسار جرد مترصات كالنوى
وقال : «أى قد علا التجويف ألوانها» فهذا معنى قوله «أضمره — أى المصدر — مرفوعاً بفعله» .

(٢) أمالي ابن الشجري ١ : ٣٥ .

(٣) الآية ٧ من الزمر .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾^(١) أى فزادهم قول الناس إيماناً . قال : وقوله : أبأ الضحاك ، نصب على النداء ، فكأته قال : ومن يك باديا ويكن أخوا البدو يأبأ الضحاك . وجعله أخوا البدو كقولك : يأبأ العرب ويأبأ الحضرمي .

وإنما قال : ومن يك باديا ثم قال : ويكن أخوا البدو ، لأنه قد يحل في البدو من ليس من أهل البدو ، فسُمي باديا مادام مقيماً في البدو . والشمال هنا : وعاء كالكيس يُجعل فيه ضرع الشاة يحفظ به . يقال شملت الشاة ، أى جعلت لها شِمَلاً . وينتسج : يفتعل من قولك نسجت الثوب . فالمعنى : من يكن من أهل البدو يمارس ما يحتاج إليه الغنم . انتهى مختصراً .

وقوله : (إذا زُجر) هو بالبناء للمفعول ، ورواه الجماعة «إذا نُهي» مثله . ومتعلق النهي عامٌ محذوف ، أى عن أى شيء كان . وقوله : (وخالف) مفعوله محذوفٌ أى خالف زاجره . وقوله (والسفيه إلى خلاف) جملة تذييلية ؛ أى شأن السفيه الميل إلى مخالفة الناصح . وهذا البيت لم يعزه الفرّاء إلى أحد . والله أعلم .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الثلاثئة :

٣٧٥ (ولو أن الأطباء كانوا حولي وكان مع الأطباء الأُساة)^(٢)

على أنه قد يُستغنى بالضمّة عن واو الضمير في ضرورة الشعر كما هنا فإنّ الأصل : ولو أن الأطباء كانوا حولي ، فحذفت الواو ضرورة ، وبقيت الضمة دليلاً عليها .

(١) الآية ١٧٣ من آل عمران .

(٢) معاني القرآن ١ : ٨٩ ومجالس ثعلب ١٠٩ والإنصاف ٣٨٥ . وابن يعيش ٧ : ٥ /

٩ : ٨ والعينى ٤ : ٥٥١ والجمع ١ : ٥٨ .

وأورده الفراء (في تفسيره) عند قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ فلا تخشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعُوا لَكُمْ سُلَاطَتُ اللَّهِ ﴾ (١) قال : قوله واخشوني أثبت فيها الياء ولم تثبت في غيرها ، وكلُّ ذلك صواب . وإِثْمًا استجازوا حذف الياء لأن كسرة النون تدلُّ عليها ، وليست العرب تهاب (٢) حذف الياء من آخر الكلام إذا كان ما قبلها مكسوراً . من ذلك : « أَكْرَمَني » و « أَهَّانَ » في سورة الفجر (٣) وقوله : ﴿ أَتَمْدُونِي بِمَا لِي ﴾ (٤) . ومن غير النون : « المَنَاد » (٥) و « الدَّاع » (٦) وهو كثير ، يكتفى من الياء (٧) بكسرة ما قبلها ، ومن الواو (٨) بضمة ما قبلها مثل قوله : ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ (٩) ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ ﴾ (١٠) وما أشبهه . وقد تُسقط العرب الواو وهي واو جمع (١١) اكتفاءً بالضمة قبلها فقالوا في ضربوا : قد ضَرَبُ ، وفي قالوا : قد قالُ . وهي في هوازن وعُليا قيس (١٢) . أنشدني بعضهم :

(١) الآية ١٥٠ من البقرة .

(٢) في معاني الفراء : « وليست تَهَيَّبُ العرب » .

(٣) الآيتان ١٥ ، ١٦ من الفجر .

(٤) الآية ٣٦ من النمل .

(٥) الآية ٤١ من ق .

(٦) في الآيتين ٦ ، ٨ من القمر .

(٧) ش : « استغنى عن الياء » ، وما أثبت من ط يطابق ما في معاني الفراء .

(٨) ش : « وعن الواو » ، وما أثبت من ط يطابق ما في معاني الفراء .

(٩) الآية ١٨ من العلق .

(١٠) الإسراء ١١ .

(١١) معاني القرآن : « وهي واو جماع » .

(١٢) هذا ما في معاني القرآن . وفي النسختين : « وعليا قيس » .

إذا ماشاء ضرُّوا من أرادوا [ولا يألُو لهم أحدٌ ضرارا ^(١)]
وأنشدني الكسائي :

متى تقول خلّت من أهلها الدار ^(٢)] كأنّهم بجناحي طائر طاروا ^(٣)
وأنشدني بعضهم :

فلو أن الأطبّا كان عندى البيت

وتفعل ذلك في ياء التانيث من تحت ، كقول عنترة :
إنّ العدو لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضب
يخذفون الياء وهي دليل على الأثني ، اكتفاءً بالكسر ^(٤) . انتهى .
وظاهر كلامه أنّ هذا لغة لا ضرورة .

وأورده صاحب (الكشاف) أيضاً في سورة المؤمنين شاهداً لقراءة من
قرأ : ﴿ قد أفلح ^(٥) ﴾ بضم الحاء اجتزاء بالضمّة عن الواو ، والأصل قد
أفلحوا ، على لغة أكلوني البراغيث .

ونقل ابن هشام (في المغني) في الجهة الرابعة من الكتاب الخامس ، عن

(١) في تفسير أبي حيان ٤ : ٢٥٦ : « ولا يألُوهم أحدٌ ضرارا » ، وكذا في الإنصاف .

(٢) التكملة من معاني القرآن . وبدونها يفسد القول ، إذ يظل الشطر السابق ، وهو من الوافر ،
صدرا للعجز التالي وهو من بحر البسيط .

(٣) وكذا رسمت في معاني القرآن . وفي ش مع أثر تصحيح « طار » طبقاً لما تقتضيه القراءة
للاستشهاد بمحذف الواو .

(٤) في معاني القرآن : « بالكسرة » .

(٥) الآية الأولى من سورة المؤمنين .

التبريزي ، في قراءة يحيى بن يعمر: ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ^(١)﴾ بالرفع أنَّ أصله أحسنوا ، فحذفت الواو اجتزاءً عنها بالضمة ، كما قال :

إذا ما شاء ضُرُوا من أرادوا البيت

ثم قال : وحذفت الواو . وإطلاقُ الذى على الجماعة ليس بالسَّهل ، والأولى قول الجماعة إنه بتقدير مبتدأ ، أى هو أحسن . وأمّا قول بعضهم فى قراءة ابن محيصن : ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الرِّضَاعَةُ^(٢)﴾ إِنَّ الْأَصْلَ أَنْ يَتِمُوا بالجمع ، فحسُنَ لِأَنَّ الْجَمْعَ عَلَى مَعْنَى مَنْ . ولكن أظهرُ منه قول الجماعة : إِنَّهُ جَاءَ عَلَى إِهْمَالِ أَنْ النَّاصِبَةِ . انتهى مختصراً .

وهذا الكلام أيضاً يدلُّ على أنه غير ضرورة .

وأورده المرادى (فى شرح الألفية) كذلك ، ولم يقيده بضرورة .

وفى البيت شاهدٌ آخر ، وهو قصر الممدود ، وبه أورده ثعلب (فى أماليه) قال : قَصَرَ الْأَطْبَاءُ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ وَمُدَّ فِي آخِرِهِ وَأَصْلُهُ الْمَد . وأمّا قوله : «كَانَ حَوْلَى» فإنه اكتفى بالضمة عن واو الجمع . هذه عبارته .

وأورده ابن الأنبارى أيضاً (فى مسائل الخلاف) فى موضعين بالوجهين ذكره فى المسألة الخامسة والسبعين^(٣) فى مسألة فعل الأمر هل هو معرب أو مبنيّ

٣٨٦

(١) قراءة فى الآية ١٥٤ من الانعام . وقد شارك يحيى فى هذه القراءة ابن أبى اسحاق كما فى تفسير أبى حيان ٤ : ٢٥٥ . وقراءة الجمهور : « ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ » بفتح النون على أنها فعل ماض .

(٢) الآية ٢٣٣ من البقرة . ونسبت القراءة إلى مجاهد فى البحر المحيط ٢ : ٢١٣ .

(٣) هى المسألة الثانية والسبعون فى نشرة الأستاذ الشيخ محيى الدين .

عَلَى أَنَّ الْاِكْتِفَاءَ بِالضَّمَّةِ ضَرُورَةٌ . وَأُورِدَهُ فِي الْمَسْأَلَةِ الثَّانِيَّةِ عَشْرَةَ بَعْدَ الْمِائَةِ (١) فِي الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ ، عَلَى قَصْرِ الْأَطْبَاءِ لَضَرُورَةِ الشَّعْرِ . قَالَ : وَالْقِيَاسُ يُوجِبُ مَدَّهُ ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي طَبِيبٍ [أَنَّ (٢)] يَجْمَعُ عَلَى طُبَّيَاءَ ، كَشَرِيفٍ وَشُرَفَاءَ ، إِلَّا أَنَّهُ اجْتَمَعَ حُرَفَانِ مَتَحَرِّكَانِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ ، فَاسْتَقْبَلُوا اجْتِمَاعَهُمَا فَنَقَلُوهُ مِنْ فُعْلَاءَ إِلَى أَفْعَلَاءَ ، فَصَارَ أَطْبَاءُ ، فَاسْتَقْبَلُوا أَيْضًا اجْتِمَاعَ حُرَفَيْنِ مَتَحَرِّكَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ ، فَنَقَلُوا كَسْرَةَ الْبَاءِ إِلَى الطَّاءِ وَأَدْغَمُوا . وَأَطْنَبَ فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، وَبَيَّنَّ حُجَجَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَجَاءَ بِمَا يَجْلُو الْعَيْنَ ، وَيَمْحُو عَنْ الْقَلْبِ الرَّيْنَ وَرَوَى بَعْدَ الْبَيْتِ الشَّاهِدِ بَيْتًا ثَانِيًا ، وَالرَّوَايَةُ عَنْهُ هَكَذَا : (فَلَوْ أَنَّ الْأَطْبَاءَ كَانُوا حَوْلِي وَكَانَ مَعَ الْأَطْبَاءِ الشُّفَاةُ إِذْنُ مَا أَذْهَبُوا أَلْمًا بِقَلْبِي وَإِنْ قِيلَ : الشُّفَاةُ هُمُ الْأُسَاةُ) وَالطَّبُّ بِالْكَسْرِ فِي اللُّغَةِ : الْحِذْقُ . وَالطَّبِيبُ : الْحَاذِقُ . وَالْأُسَاةُ : جَمْعُ آسٍ ، كَقَضَاةٍ جَمْعُ قَاضٍ . قَالَ فِي الصَّحَاحِ : الْآسَى : الطَّبِيبُ . وَكَذَلِكَ الشُّفَاةُ : جَمْعُ شَافٍ .

وَقَوْلُهُ : (إِذْنُ مَا أَذْهَبُوا) جَوَابُ لَوْ . وَرَوَايَةُ الْعَيْنِ تَقْدِيمُ الْأُسَاةِ فِي قَافِيَةِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَتَأْخِيرُ الشُّفَاةِ فِي قَافِيَةِ الْبَيْتِ الثَّانِي . وَلَمْ يَعْزِمَا الْفَرَاءَ فَمِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَحَدٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ . وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ س (٣) :

(١) هِيَ الْمَسْأَلَةُ التَّاسِعَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ فِي نَشْرَةِ الْأُسْتَاذِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الدِّينِ .

(٢) التَّكْمِلَةُ مِنَ الْإِنْصَافِ ٧٥٣ .

(٣) فِي كِتَابِهِ ٣٢٦:١ . وَانْظُرْ دِيوَانَ الْفَرَزْدَقِ ٥٠ وَالْخَصَائِصَ ١٩٤:٢ وَأُمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ١٣٣:١ وَابْنُ يَعِيشَ ٨٩:٣ / ٧:٧ وَالْمَعْمُوعَ ١٦٠:١ . وَسَيَأْتِي أَيْضًا فِي ٢٩٣:٣ ، ٤/٣٣٤ : ٥٥٤ بُولَاقٍ .

(بَحْوَراً يَعْصِرْنَ السَّلِيْطَ أَقَارِيْهُ) ٣٧٦

على أنّه جاء على لغة أكلوني البراغيث .
قال سيبويه: واعلم أنّ من العرب من يقول ضربوني قومك، وضرباني
أخواك، فشبهوا هذا بالتاء التي يُظهرونها في قالت فلانة، وكأنّهم أرادوا أن يجعلوا
للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث، وهي قليلة. قال الشاعر:
ولكنّ دِيافِيَّ أبوه وأُمّه بَحْوَراً يَعْصِرْنَ السَّلِيْطَ أَقَارِيْهُ
انتهى .

فأقاربه فاعل يعصر، والنون علامة لكون الفاعل جمعاً، كتاء التأنيث.
قال ابن هشام (في شرح شواهد): إنما قال: يعصرن لأّنه شبّههم
بالنّساء لأنهم لاشجاعة لهم، والخدمة والتبذل في العرب إنما هو للنّساء، وإمّا
الرجال فشغلهم بالحروب . وقيل: شبّهه ببيعير دِيافِيَّ، ثمّ أقبل يصف أقارب
البيعير وأقاربه جمال، فلذلك جاء بالنون. انتهى .

أقول : الوجه الثاني بعيد لا قرينة له ، ويزيده بعداً يعصرن السليط .
قال ابن خلف : وفي رفع أقاربه أوجهٌ آخر : أحدها : يجوز أن يكون مبتدأ
ويعصرن خبر مقدّم عليه ؛ وهذا سائغ عند أهل البصرة كما قالوا : مررت به
المسكينُ ، يريدون: المسكينُ مررت به . وقال أبو علي : وفيه مع هذا قبح ، لأنّ
الخبر جملة وليس بمفرد ، فلا ينبغي أن يجوز فيه ما جاز في الأصل الذي هو المفرد .
وأهل الكوفة لا يجيزون مثل هذا . ويحتمل أن يكون رفعاً بَحْوَراً ويكون بحوران
صفة لديافيّ ، ويعصرن حالاً من الأقارب . ويجوز أن يكون بدلا من النون كما قيل
في : ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(١) . ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر،

(١) الآية ٣ من سورة الأنبياء .

والجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّر ، كأنه لما قيل بحوران يعصرن السليط ف قيل : من هم ؟ فقال : هم أقاربه .

أقول : هذه الوجوه الأربعة مبنية على أنّ النون ضمير ، وهذه النون في البيت سواء كانت حرفاً أم اسماً ، تدلُّ على صحة ما نقله الشارح المحقق في باب التوكيد عن الأندلسي ، من جواز رجوع ضمير جماعة المؤنث إلى الجمع المكسر العاقل ، فكان ينبغي أن يستدلَّ بهذا البيت دون البيت المتقدم لحفائه كما تقدم .

وقوله : (ديافى) خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره : لكن أنت ديافي ، يدلُّ عليه قوله فيما قبله : لو كنت ضبيّاً ، أو هو ديافي : لقوله فلو كان ضبيّاً كما يأتي . وهو منسوبٌ إلى دياف بكسر الدال بعدها مثناة تحتية وآخره فاء . قال صاحب العباب : دِيافٌ من قرى الشام ، وأهلها نبط الشام ، وتنسب الإبل إليها والسُّيوف . وإذا عرّضوا برجل أنه نبطي نسبوه إليها . قال :

ولكن ديافيُّ أبوه وأمه البيت

وهذا يدلُّ على أنّ ديافاً بالشام لا بالجزيرة كما قيل ، لأنّ حوران من رساتيق دمشق .

وكذا قال الحسن السكري ^(١) (في شرح ديوانه) : وقال جرير :
إنَّ سليطاً كاسمه سليطٌ لولا بنو عمرو وعمرو عيطٌ ^(٢)
« قلت : دِيافيون أو نبيط ^(٣) »

(١) السكري هذا هو الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن العتكي ، أبو سعيد . ولد سنة ٢١٢ وتوفى سنة ٢٥٥ وهي سنة وفاة الجاحظ .

(٢) عيط : جمع أعيط وأعطاء ، وهو الطويل العنق . وفي معجم البلدان : « والعيط المضخم ، واحد هم أعيط » .

(٣) عقب عليه ياقوت في (دياف) بقوله : « يقول : هم نبيط الشام أو نبيط العراق » .

أراد : عمرو بن يربوع ، وهم حلفاء بني سَلَيْط .

وقال الأخطل :

كَأَنَّ بَنَاتِ الْمَاءِ فِي حَجَرَاتِهِ
أَبَارِيقُ أَهْدَتْهَا دِيَافُ لَصَرَ حَذَا^(١) . انتهى

ولم يورد أبو عبيد البكري دِيَاف (في معجم ما استعجم) .

و(أبوه) مرفوع بدِيَافٍ لأنه خبرٌ سَبَّيٌّ . وأتى بضمير الغيبة لأنّ التقدير أنت رجل دِيَافٍ أبوه . وأمه معطوف عليه . وقوله (بَحْرُوان) متعلّق بـيعصرن ، وجملة (يعصرن) صفة لدِيَافٍ ، وضمير (أقاربه) راجعٌ عليه . هذا هو الظاهر . وذكر ابن خلف أوجهاً متعدّفةً في إعراب كلّ لفظةٍ من هذا البيت لفائدة في نقلها .

و(يعصرن) بكسر الصاد قال صاحب المصباح : عصرت العنب ونحوه عصراً ، من باب ضرب : استخرجت ماءه ، وأراد هنا يستخرجن السَلَيْطَ ، بفتح السين وكسر اللام . قال الصاغاني (في العباب) : السَلَيْطُ : الزيت عند عامّة العرب ، وعند أهل اليمن : دهن السمسم . وقال ابن دريد وابن فارس : السَلَيْطُ بلغة أهل اليمن . وبلغة من سواهم : دهن السمسم . أقول : الأمر على خلافه ، فإنّي سمعت أهل مكة حرسها الله تعالى وأهل تهامة واليمن يسمّون دهن السمسم : السَلَيْطَ . انتهى .

(١) في النسختين : « لَصَرَ حَذَا » ، صوابه من ديوان الأحطل ٩٧ . وصريح : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق ، قال ياقوت : « وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة ينسب إليها الخمر » . والبيت من قصيدة مفتوحة الروى مطلعها :

صحا القلب إلا من طلائع فاتى بهن أمير مستبد فأصعدا

وقال ابن خلف : السَّلِيْطُ: الشَّيْرَجُ (١) وهو هنا الزيت ؛ لأنَّ حَوْرَانَ من مدن الشام ، وأهلها نبط ، فهي بعصر الزيت أشهر منها بعصر الشيرج . وقد يجوز أن يكون الشَّيْرَجُ ، لأنَّه يعصر بالشام كما يعصر الزيت . والدليل على أنَّ السليط يقع على الزيت قولُ النابغة الجعديّ :

أضأت لنا النارُ وجهاً أغدَّ رَّ ملتبساً بالفؤاد التباساً
يضيءُ كضوءِ سراجِ السَّليطِ ط لم يجعل الله فيه نُحاساً

والنُّحاس : الدخان ، وذلك معدوم في الزيت ، وأمَّا الشَّيْرَجُ فكثير الدخان . هجاءُ بذلك إذ جعله من أهل القرى المستخدمين لإقامة عيشتهم (٢) ، ونفاه عما عليه العرب من الانتجاع والحرب .

٣٨٨

والبيت من أبيات للفرزدق ، وهي :

(سَتَعْلَمُ ياعَمْرُو بنَ عَفْرَى من الذى يُلام إذا ماالأمر عيَّت عواقبه
فلو كنت ضبيّاً صفحتُ ولو سرت على قدمي حَيَّاته وعقاربه
ولكن ديافئُ أبوه وأُمّه بحوْرانَ يعصرن السَّلِيْطَ أَقاربه
ولمّا رأى الدَّهْناً رمته حبالها وقالت دِيافئُ مع الشام جانبه
فإن تَغَضِبِ الدَّهْناً عليك فما بها طريقٌ لِرِياثِ تُقَاد رِكايبه

صاحب الشاهد
أبيات الشاهد

(١) الشَّيْرَجُ : دهن السمسم ، كما في تاج العروس . وفي الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ٨٩ : « السَّيْرَجُ : دهن السمسم ، ويقال الشيرج أيضاً ، تعريب شيره » . وفي شفاء الغليل ١٠٧ : « سيرج بكسر السين المهملة : دهن السمسم ، معرب شيره ، مولد » .

وفي معجم استينجاس ٧٧٤ أن « شيره » من معانيها « زيت السمسم » .

(٢) ط : « عيشتهم » ، صوابه بالشين كما في ش .

تَضَيَّنَ بِمَالِ الْبَاهِلِيِّ كَأَتَمَّا تَضَنَّنَ عَلَى الْمَالِ الذِي أَنْتَ كَاسِبُهُ
وَإِنَّ أَمْرًا يَغْتَابُنِي لَمْ أَطَأْ لَهُ حَرِيمًا وَلَا تَنْهَاهُ عَنِّي تَجَارِيهِ (١)
كَمَحْتَطِيبٍ يَوْمًا أَسَاوَدَ هَضْبِيهِ أَتَاهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ حَاطِبُهُ
أَحْيَنَ التَّقَى نَابَايَ وَابْيَضَّ مِسْحَلِي وَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْكَرَا مِنْ أَحَارِيهِ (

روى صاحب الأغاني بسنده عن محمد بن سلام قال :

أَتَى الْفَرَزْدَقُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيَّ فَسَأَلَهُ ، فَثَقُلَ عَلَيْهِ الْكَثِيرُ
وَخَشِيَهِ فِي الْقَلِيلِ ، وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عَفْرَاءَ الضَّبِّيُّ رَاوِيَةُ الْفَرَزْدَقِ ، وَقَدْ هَجَاهُ
وَابْنَهُ (٢) الْفَرَزْدَقُ فِي قَوْلِهِ :

نَبِئْتُ جَوَابًا وَسَكْنَا يَسْبُئِي وَعَمْرُو بْنُ عَفْرَى لِاسْلَامٍ عَلَى عَمْرُو (٣)

فَقَالَ ابْنُ عَفْرَاءَ الضَّبِّيُّ : لَا يَهْوِلَنَّكَ أَمْرُهُ . فَقَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ :
أَنَا أُرْضِيهِ عَنْكَ بَدُونِ مَا كَانَ هَمٌّ لَهُ بِهِ . فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ ، فَبَلَغَ الْفَرَزْدَقُ
صَنِيعَ عَمْرُو فَقَالَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ .

قَالَ : فَأَتَاهُ ابْنُ عَفْرَاءَ فِي نَادَى قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ : اجْهَدْ جَهْدَكَ ، هَلْ هُوَ
إِلَّا هَذَا ، وَاللَّهِ لَا أَدْعُ لَكَ مَسَاءَةً إِلَّا أَتَيْتُهَا ، وَلَا تَأْمُرْنِي بِشَيْءٍ إِلَّا اجْتَنَبْتَهُ ، وَلَا
تَنْهَانِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا رَكِبْتَهُ . قَالَ : فَاشْهَدُوا أَلَيْ أَنْهَاهُ أَنْ يَنْبِكَ أُمُّهُ . فَضَحِكَ
الْقَوْمُ وَخَجَلَ ابْنُ عَفْرَاءَ .

وَرَوَى أَيْضًا بَعْدَ هَذَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَنْ يُونُسَ النَّحْوِيِّ قَالَ :

(١) فِي ط : « عَنْهُ تَجَارِيهِ » ، صَوَابُهُ فِي ش .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « وَقَدْ هَجَا حَرَمًا وَابْنَهُ »

(٣) كَذَا وَرَدَ « عَفْرَى » بِالْيَاءِ فِي ط ، لَكِنْ فِي ش « عَفْرَا » ، كَمَا هُوَ الْمَأْلُوفُ . وَسَيَأْتِي فِي كَلَامِ

الْبَغْدَادِيِّ : (وَعَفْرَاءُ بِالْمَدِّ ، قَصْرُ ضَرُورَةٍ فَكُتِبَ بِالْيَاءِ » .

مدح الفرزدق عمرو بن مسلم الباهلي فأمر له بثلاثمائة درهم ، وكان عمرو بن عفراء الضبي صديقا لعمرو ، فلامه وقال : أعطى الفرزدق ثلاثمائة درهم ، وإنما كان يكفيه أن تعطيه عشرين درهما ؟ فبلغ ذلك الفرزدق فقال : نبيث ابن عفرى أن يعفر أمه كعفر السلي إذ جردته ثعالبه وإن امرأ يغتأبني لم أطأ له حرما فلا تنهأ عني أقاربه كمحتطب ليلا أساود هضبة أتاه بها في ظلمة الليل حاطبه ألما استوى نابأى وابيض مسحلى وأطرق إطراق الكرا من أحاربه فلو كان ضبيا صفحت ولو سرت على قدمي حياتي وعقاريه ولكن ديافا أبوه وأمه بحوران يعصرن ... (البيت) . انتهى .

وقال ابن خليف ، وصاحب العباب :

سبب هذا الشعر أن عمرو بن عفراء الضبي قال لعبد الله بن مسلم^(١) الباهلي : [وقد أعطى] الفرزدق خلعة^(٢) ، وحمله على دأبه وأمر له بألف درهم ، فقال له عمرو بن عفراء : ما يصنع الفرزدق بهذا الذي أعطيته ، إنما يكفي الفرزدق ثلاثون درهما ، يزي بعشرة ، ويأكل بعشرة ، ويشرب بعشرة . فهجاه الفرزدق بهذا . انتهى .

٣٨٩

وكذا رأيت (في شرح ديوانه للحسن السكري من رواية ابن حبيب) .
وقوله : « ستعلم يا عمرو » إلخ هذا تهديد . وعفراء بالمد ، قصير ضرورة فكتب بالياء ، وهي أمه . وعى بمعنى لم يهتد لوجهه .

(١) في الأغاني ١٩ : ١٣ وكذا ديوان الفرزدق ٥٠ : « عبد الله ابن سلم » .

(٢) بمثل هذه التكملة ينتهم الكلام . وفي ديوان الفرزدق : « وكان عبد الله بن سلم الباهلي أعطى الفرزدق جعلته » ، وفيه تحريف .

(٣) هذا ما في ش . وفي ط : « حلقة » ، تحريف . والخلعة من الثياب : ما خلعت فطرحته على آخر أو لم تطرحه .

وقوله : « فلو كنت ضبياً » إلخ ، نفاه عن قبيلته لكونه سكن القرى ، ولم يكن على طريقة العرب .

وقوله : « ولما رأى الدهنا » إلخ الدهنا يمد ويقصر ، وهو موضع ببلاد تميم . وحبالها : أسبابها .

ودياىى بتقدير هو دياىى ، وجملة « مع الشام جانبه » صفة له ، وجواب لما محذوف ، والتقدير سكن الشام ونحوه . وقال الحسن السكرى : الواو هنا مقحمة فى وقالت ، لا موضع لها ، أراد : قالت . انتهى .

وقوله : « فإن تغضب الدهنا » هذا وجه رضى الدهنا ^(١) له ، فإنه سوقى يتاجر بالزيت . والدَّهْنا لاتقبل مَنْ هو كذا . وقوله : تَضُنُّ ، أى تبخل . وقوله : « كمحتطب يوما » إلخ هو خبر إن فى قوله وإن أمراً ، وهو الذى يجمع الخطب . والأساود : جمع أسود ، وهو العظيم من الحيات ، وفيه سواد . والهضبة : الجبل المنبسط على وجه الأرض ، أشار إلى المثل المشهور لمن يتكلم بالغث والسمين : « حاطب ليل » ؛ لأنه لا يبصر ما يجمع فى حبله ؛ ربما يجمع فى خطبه حبة يكون هلاكه بها .

وقوله : « أحين التقى ناباى » إلخ التقاء النابين واستواؤهما كناية عن بلوغ الأشد . والمِسْحَل بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء المهملتين . عارضُ الرجل ، أى صفحة خدّه . وأطرق ، أى أرخى عينيه ينظر إلى الأرض . والكرا : لغة فى الكروان . يقول : أيؤذنى فى وقت شدتى وحين تنهأبى أقرافى وأطرقوا منى كإطراق الكروان . والاستفهام إنكارى .

وقوله : « نهيت ابن عفرى أن يعفر أمه » إلخ التعفير : التريغ فى التراب .

(١) ش : « الدهناء » فى هذا الموضع وتاليه .

والسُّلَى بفتح السين المهملة والقصر ، هو الجلدة الرقيقة التى يكون فيها الولد من المواشى .

* * *

وأُشَدَّ بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الثلاثئة (١):
 ٣٧٧ (إِنْ كُنْتُ أَدْرِى فَعَلَىٰ بَدَنِّهِ مِنْ كَثْرَةِ التَّخْلِيْطِ أَتْنَىٰ مِنْ أَنَّهُ) على أَنَّهُ قد يَبَيَّنُ فتح أَنَا فى الوقف بهاء السكت ، كما فى آخر القافية فى هذا البيت .

قال ابن جنى (فى سِرِّ الصناعة) : فَأَمَّا قَوْلُهُمْ فى الوقف على أَنَّ فعلت : أَنَا وَأَنَّهُ ، فالوجه أَن تكون الهاء فى أَنَّهُ بدلاً من الألف فى أَنَا ، لأنَّ الأكثر فى الاستعمال إِنَّمَا هو أَنَا بالألف ، والهاء قليلة جداً ، فهى بدلٌ من الألف . ويجوز أَن تكون الهاء أيضاً فى أَنَّهُ ألحقت ببيان الحركة ، كما ألحقت الألف، ولا تكون بدلاً منها بل قائمةً بنفسها، كالتى فى قوله تعالى : « كِتَابِيَّةٌ » و « حِسَابِيَّةٌ » و « سُلْطَانِيَّةٌ » و « مَالِيَّةٌ » و ماهِيَّةٌ (٢) . انتهى

و(البَدَنَةُ) قال صاحب المصباح :قالوا : هى ناقة أو بقرة . وزاد الأزهرى:أو بعير ذكر .قال: ولا تقع البدنة على الشاة . وقال بعض الأئمة : البدنة هى الإبل خاصة ، وإنَّما ألحقت البقرة بالإبل بالسنة . وقوله (من كثرة) متعلق بالفعل المنفى ضمناً ، أى ما أدرى مِنْ كثرة التخليط . قال صاحب الصحاح : والتخليط فى الأمر:الإفساد فيه . وقوله (أَتْنَى) بفتح الحزمة . وقوله (مَنْ أَنَّهُ) مَنْ عند سيبويه مبتدأ، وَأَنَّهُ خبر،وعند غيره بالعكس.والجملة فى

(١) انظر ابن يعيش ٣ : ٩٤ وشرح شواهد الشافعية ٢٢٢

(٢) نهايات الآيات ٢٥ — ٢٩ من سورة الحاقة .

محل رفع خبر أنى ، وجملة أنى من أنه في محل نصب ، ساد مسد مفعولى أدرى .
وهذا البيت لم أقف له على أثر . والله أعلم .

٣٩٠

وأشده بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الثلاثمائة (١) :

٣٧٨ (أنا سيف العشيرة فاعرفونى حميداً قد تذرئت السناما)

على أن ثبوت ألف (أنا) في الوصل عند غير بنى تميم لا يكون إلا في الضرورة .

قال ابن جنى (في شرح تصريف المازنى) : أما الألف في أنا في الوقف فزائدة ليست بأصل . ولم تقض بذلك (٢) فيها من جهة الاشتقاق . هذا محال في الأسماء المضمرة ، لأنها مبنية كالحروف ، ولكن قضينا بزيادتها من حيث كان الوصل يُزيلها ويُذهبها ، كما يُذهب الهاء التي تلحق لبيان الحركة في الوقف . ألا ترى أنك تقول في الوصل : أن زيد ، كما قال تعالى : ﴿ إني أنا ربك ﴾ (٣) تكتب بألف بعد النون ، وليست الألف في اللفظ ، وإنما كتبت على الوقف ، فصار سقوط الألف في الوصل كسقوط الهاء التي تلحق في الوقف لبيان الحركة في الوصل ، وبُيِّنَت الفتحة بالألف كما بيَّنت بالهاء ، لأنَّ الهاء مجاورة للألف . وقد قالوا في الوقف أنه ، فبيَّنوا الفتحة بالهاء كما بيَّنوها بالألف ، وكلتاها ساقطة في الوصل . فأما قول الشاعر :

أنا سيف العشيرة فاعرفونى البيت

(١) المنصف ١ : ١٠ وابن يعيش ٣ : ٩٣ / ٧٤ والمقرب ٥٣ وشرح شواهد الشافعية ٢٣٢ .

(٢) ط : « ولم يقض في ذلك » ، وف ش : « ولم يقض بذلك » ، وأثبت ما في المنصف .

(٣) الآية ١٢ من طه .

فإنما أجراه في الوصل على حذما كان عليه في الوقف . وقد أُجريت
العرب كثيرا من ألفاظها في الوصل على حذ ما تكون عليه في الوقف ، وأكثر
ما يجيء ذلك في ضرورة الشعر . انتهى .

(وَحُمَيْدًا) بدل من ياء اعرفوني لبيان الاسم ، أو هو منصوب على
المدح ^(١) . قال أبو بكر الخفاف (في شرح الجمل) : قال الزجاج : حميدا
بدل من الياء ، وهذا لا حجة فيه ، لاحتمال أن يكون منصوبا بإضمار فعل
على المدح ، كأنه قال : فاعرفوني مشهورا . وأتاب قوله حميدا مناب قوله
مشهورا ، لكونه علما . و(حُميد) يروى مصغرا ومكبرا . وأنشد صاحب
الصحاح بدله «جميعا» . و(تذريت السنام) بمعنى علوته [من الذروة ^(٢)] والذروة
بالكسر والضم ، وهو أعلى السنام . وحقيقة تذريت السنام علوت ذروته .

ونسب ياقوت هذا البيت (في حاشية الصحاح) إلى حُميد بن بحدل ، صاحب الشاهد
شاعر . وقال ابن الأعرابي : بحدل الرجل ، إذا مالت لثته أي لحم
أسنانه ^(٣) . وقال الأزهري : البحدلة : الخفة في السعي . قال : وسمعتُ
أعرابيا يقول لصاحب له : بحدل بحدك . يأمره بالسُرعة في المشي . انتهى .

وحُميد مضاف إلى جدّه ، لأنه حُميد بن حريث بن بحدل ، من بني حميد بن حريث
كلب بن وبرة ، وينتهي نسبه إلى قضاة .
وحُميد شاعر إسلامي ، وكانت عَمَّتُه ميسون بنتُ بحدل أم يزيد بن
معاوية .

وكان ابن عمه حسان بن مالك بن بحدل سيّد كلب في زمانه ، وهو

(١) ط : « وهو منصوب على المدح ، ، صوابه في ش .

(٢) التكملة من ش .

(٣) الذي في اللسان عن ابن الأعرابي : « إذا مالت كنفه » ، ولعله الصواب .

الذى بايع مروان بن الحكم يوم المَرَج ، وكان ولّاه يزيد بن معاوية على فلسطين^(١) والأردن ، وأخوه سعيد بن مالك بن بحدل على قنسرين ، فلما مات يزيد بن معاوية وثب زُفر بن الحارث على سعيد فأخرجه منها وبايع لابن الزُّبير ، ثم خرج عُمير بن الحُباب مُغيّراً على بنى كلب بالقتل والنَّهب ، فلما رأت كلبٌ ، ما لقى أصحابهم ، اجتمعوا إلى حميد بن حريث بن بحدل ، فقتل حميد بنى فزارة قتلاً ذريعاً .

والقصة مفصلة في ترجمة عوف القوافي في الأغاني^(٢) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الثلاثئة ، وهو من أبيات المفصل^(٣) :

٣٧٩ (فقلتُ أهى سرت أم عادني حُلُم)

هذا عجز ، صدره :

(فقمْتُ للطيف مُرتاعاً فأرقني)

على أن هاء هي قد تسكن بعد همزة الاستفهام .

وفي التسهيل ما يقتضى أنه قليل ، وفي شرح مصنفه^(٤) أنه لم يجيء إلا في الشعر .

وقال ابن جنى (في إعراب الحماسة) : أسكن أول أهى لاتصال حرف

(١) ش : « فلسطين » ، تحريف .

(٢) الأغاني ١٧ : ١١٢ — ١١٣ .

(٣) ابن يعيش ٧ : ١٣٩ . وانظر الخصائص ١ : ٣٥ / ٢ : ٣٣٠ وشرح شواهد الشافية ١٩٠ وشرح شواهد المغنى للسيوطي ٤٩ والتصريح ٢ : ١٣٢ والأشئوى ٣ : ١٠١ وشرح المروزق للحماسة . ١٣٩٦ .

(٤) هو ابن مالك . وكتابه تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد .

الاستفهام به ، وأجراها في ذلك مجرى المتصل ، فصار أُمِّي كَعَلَم ، وأجرى همزة الاستفهام مجرى واو العطف وفائه ولام الابتداء ، نحو قوله (١) تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ ﴾ (٢) وقوله : ﴿ فَهَوَ جَزَاؤُهُ ﴾ (٣) ، وقولك : وهى قامت ، وفهى جالسة ، و﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم ﴾ (٤) . غير أن هذا الإسكان مع همزة الاستفهام أضعف منه مع ما ذكرناه ، ومن حيث كان الفصل بينهما وبين المستفهم عنه جائزاً ، نحو قولك : أزيد قام وأزيداً ضربت (٥) ، وليس كذلك واو العطف وفائه ولا لام الابتداء ، لا يجوز الفصل بين شئٍ منهن وبين ما وصلن به . فأمّا فصل الظرف في نحو : إنَّ زيدا لفي الدار قائم ، فمغتفر لكثرة في الكلام ، ألا تراها في هذا البيت مفصلاً بينها وبين ما هي سؤال عنه من اللفظ . وهذا الاتصال أو ضده من الانفصال ، إنما هو شئٌ راجعٌ إلى موجود اللفظ لا إلى محمول المعنى . انتهى .

وهذا البيت من قصيدة مسطورة (في الحماسة) عدتها ثلاثة وأربعون صاحب الشاهد
بيتاً للمرّار العدويّ ، وقبله :
(زارت رويقة شعثاً بعد ما هجعوا لدى نواحل في أرساغها الخدم أبيات الشاهد
فقمّت للنزور مرتاعاً وأرقني البيت

(١) الذي في إعراب الحماسة : « نحو قولك » وكذلك « قوله » التالية ، هي في إعراب الحماسة : « قولك » .

(٢) الأنعام ٣ .

(٣) يوسف ٧٥ .

(٤) ليست هذه من آيات الكتاب .

(٥) ط : « أزيد ضربت » بالرفع ، صوابه في ش وإعراب الحماسة الورقة ١٩٣ .

وكانَ عهدى بها والمشئى يَبْهَظُها
وبالتكاليف تأتى بيتَ جارِها
سودٌ ذوائبها بيضٌ ترائبها
رُويقٌ لى ومَنْ حجَّ الحجيجُ له
لم يُنسينى ذكركم مذ لم ألاقكم
ولم يشاركك عِندى بعدُ غانيةٌ
من القريب ومنها النوم والسَّأم^(١)
تمشى الهوينى وما يبدو لها قدمٌ
دُرمٌ مرافقُها فى حلقها عَمَمٌ
وما أهلٌ بجنبى نخلة الحرُم
عيشٌ سلوت به عنكم ولا قدُم
لا والذى أصبحت عندى له نِعَمٌ

قوله : زارت رُويقة ، يقول : زار خيال رُويقة قوماً شعناً غُبرا بعد ما
ناموا عند إبل ضوامر شُدَّت فى إرساغها سيور القيد ، لشدة سيرها وتأثير
الكلال فيها^(٢) .

وقوله : « فقمْتُ للطَّيف » إلخ ، الطَّيف : الحَيال . وروى : « فقمْتُ
للزَّور » وهو مصدرٌ بمعنى الزائر ، يستوى فيه الواحد والجمع ، والمذكر
والمؤنث . و(المرتاع) : الخائف الفرع .

وقد أنشده (صاحب المفضل) لما ذكره الشارح المحقق .

وأنشده ابن الناظم وابن هشام (فى شرح الألفية) على أن أم المتصلة
وقعت بين جملتين فعليتين فى معنى المفردين ، والتقدير فقلت : أسارت هى أم
عادنى حلمها ، أى أى هذين .

وأنشده ابن هشام فى موضعين (من المغنى) .

الأول فى أم ، قال : إنَّ أم المعادلة لهُمزة الاستفهام تقع بين مفردين ،

٣٩٢

(١) فى النسختين : « ينهضها » صوابه من الحماسة ، وما سأتى فى التفسير من أن معناه يعيها
قطع المسافة القريبة . وفى اللسان : « بهطنى الأمر والحمل بهظاً : أثقلنى وعجزت عنه وبلغ منى مشقة » .

(٢) ط : « لتأثير الكلال فيها » ، صوابه فى ش .

وهو الغالب ، وبين جملتين ليستا في تأويل المفردين ؛ وتكونان أيضا اسميتين [و] فعليتين ^(١) كهذا البيت . قال : وذلك على الأرجح في هي ، من أئها فاعلٌ بمحذوف تفسرهُ سَرَتْ .

والثاني في أول الباب الثاني ، قال : وتقدير الفعلية في أهي ، أكثر رجحانا من تقديرها في : ﴿ أَبَشَّرُ يَهْدُونَا ﴾ ^(٢) لمعادلتها الفعلية . قال ابن الحاجب (في أمالي المفضل) : يريد : إئني قمْتُ من أجل الطَّيفِ منتبهاً مذعوراً للقائه ، وأرقني لَمَّا لم يحصل اجتماعٌ محقق ، ثم ارتبت لعدم الاجتماع هل كانَ على التحقيق أم كان ذلك في المنام . ويجوز أن يريد : فقمْتُ للطَّيفِ وأنا في النوم لإجلالاً في حالٍ كوني مذعوراً لاستعظامها ، وأرقني ذلك لَمَّا انتبعت فلم أجذ شيئاً محققاً ، ثم من فرط صبابته شكُّ أهي في التحقيق سَرَتْ أم كان ذلك حلماً ، على عادتهم في مبالغتهم ، كقوله :
* آأنتِ أم أمُّ سالم ^(٣) * انتهى .

قال الدماميني بعد أن نقل هذا (في الحاشية الهندية) : حاصله احتمال كون القيام في اليقظة أو في المنام ، وأما الشكُّ في الاجتماع هل كان في النوم أو في اليقظة فثابتٌ على كلٍّ من الاحتمالين .

وقوله : «وكان عهدي بها» إخل يقول: كيف يجوز مجيئها وقد عهدتها

(١) زيادة الوار مما يقتضيه صنيع ابن هشام فانه بعد أن أورد البيت على أن «أم» واقعة بين جملتين فعليتين ، ذكر أنها تقع أيضا بين جملتين كقوله :

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا شعيت ابن سهم أم شعيت ابن منقر

(٢) الآية ٦ من التغابن .

(٣) من شواهد سيويه في كتابه ٢ : ١٧٨ بولاق . وهو لذي الرمة في ديوانه ٦٢٢ . وقامه :

أيا طيبة الوعساء بين جلاليل وبين النقا آأنت أم أم سالم

يَبْهَظُهَا ^(١) أَى يُعْيِيهَا قَطْعُ الْمَسَافَةِ الْقَرِيبَةِ ، وَالْغَالِبُ عَلَيْهَا طَلَبُ الرَّاحَةِ
بِالنَّوْمِ . وَنَصَبُ الْهُوْنِيِّ عَلَى الْمَصْدَرِ ، أَى تَمْشَى مَشْيًا هَيِّنًا . وَالْهُوْنِيُّ :
تَصْغِيرُ الْهُوْنِيِّ مُؤَنَّثُ الْأَهْوَنِ . وَقَوْلُهُ : « وَمَا يَدُو لَهَا قَدَمٌ » أَى تَجُرُّ أَذْيَالَهَا .
وَقَوْلُهُ : « بِيضٌ تَرَائِبُهَا » جَمْعُ تَرْيَبَةٍ ، وَهُوَ أَعَالَى الصَّدْرِ . وَمِرْفَقٌ أَدْرُمٌ ،
إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَجْمٌ لَا كِتْنَاظَهُ بِاللَّحْمِ . وَالْعَمَمُ ، بَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَالْمِيمِ :
الطُّولُ .

وَقَوْلُهُ : « رُؤِيقٌ إِيَّيْ » إِنْخَالٌ هُوَ مَنَادَى مَرْحَمٌ رُؤِيقَةٌ . وَنَخْلَةٌ : مَوْضِعٌ قَرَبَ
مَكَّةَ ، قَالَ (صَاحِبُ مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ) : نَخْلَةٌ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدَةٍ النَّخْلِ :
مَوْضِعٌ عَلَى لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ ، وَهِيَ الَّتِي تُسَبَّبُ إِلَيْهَا بَطْنُ نَخْلَةٍ ، وَهِيَ الَّتِي وَرَدَ
فِيهَا الْحَدِيثُ لَيْلَةَ الْجَنِّ . انْتَهَى .

وَزَعَمَ الْعَيْنِيُّ أَنَّهُ مَوْضِعٌ قَرَبَ الْمَدِينَةِ . وَحُرْمٌ بَضْمَتَيْنِ : جَمْعُ حَرَامٍ ،
كَسَحَبَ جَمْعُ سَحَابٍ ، بِمَعْنَى الْحَرَمِ . وَرَوَى أَيْضًا : « وَمَا حَجَّ الْحَجِيجُ » .
قَالَ ابْنُ جَنَى (فِي إِعْرَابِ الْحَمَاسَةِ) : مَا هُنَا يَحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ عِبَارَةً عَنِ اللَّهِ تَعَالَى
وَأَرَادَ فِي مَا لِلثَّانِيَةِ لَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ حَذَفَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً فَتَكُونَ الْهَاءُ فِي
لَهُ لِلَّهِ تَعَالَى ^(٢) وَإِنْ لَمْ يَجْرَ لَهُ ذِكْرٌ ، لِأَنَّهُ قَدْ جَرَى ذِكْرُ الْحَجِّ ، فَدَلَّتِ الطَّاعَةُ
عَلَى الْمَطَاعِ سُبْحَانَهُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : إِيَّيْ وَحَجَّ الْحَجِيجَ لِلَّهِ . وَيؤكدُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ
يُعَدَّ مَعَ الثَّانِيَةِ لَهُ ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ كَانَ مَصْدَرًا . وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ
عِبَارَةً عَنِ الْبَيْتِ ؛ فَأَقْسَمَ بِهِ ، فَحِينَئِذٍ يَحْتَمَلُ الْهَاءُ فِي لَهُ أَنْ تَكُونَ

(١) في ط : « يَبْهَظُهَا » وفي ش : « يَبْهَظُهَا » ، صوابه مَاثَبَتْ . وانظر الحاشية رقم ١ من ص

(٢) في إِعْرَابِ الْحَمَاسَةِ ١٩٤ : « فَيَكُونُ الْهَاءُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى » ، وَمَا هُنَا صَوَابُهُ .

للبيت على أن اللام بمعنى إلى ، وأن تكون لله ، أى والبيت الذى حجّه الحجاج لطاعة الله .

وقوله : « لم ينسنى » إلخ هو مضارع أنسى ، وذكركم مفعول مقدّم ، وعيش فاعل مؤخر ، وقدم بكسر القاف معطوف على عيش . قال ابن جنى : هذا البيت جواب القسم ، وأجاب بلم ، وحرفاً الجواب فى النفى إنما هما : ما ولا ، لكن اضطرّ فشبه لم بما ، كما اضطرّ إلى ذلك الأعشى فى قوله :
« أجذك لم تغتمض ليلة ^(١) » .

فاعرف ذلك فإنه لطيف .

ومن أواخر القصيدة :

(بل ليت شعرى متى أغدو تُعارضُنِي

جرداء صابحة أو سابح قدّم

نحو الأميلج من سمنان مبتكراً

بفتية فيهم المزار والحكم)

بل للإضراب عما قبله . وتعارضنى أى أقودها فتسبقنى من سلاسة قيادها . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر ، وهو محمود فى الخيل . وسابحة : كأنها تسبح فى سيرها وجريها . وقُدّم بضمّ القاف والبدال بمعنى متقدّم ، يوصف به المذكر والمؤنث :

ونحو ظرف متعلق بأغدو . والأميلج : اسم ماء . وسمنان بفتح السين : ديار الشاعر . والفتية : جمع فتى . والمزار والحكم : رجلا . وهذا البيت أول شاهد وقع (فى شرح الشافية) للشارح المحقق ، قال فيه : وكذا سمنان

(١) عجزه كما فى الديوان ٥٠ :

« فترقدّها مع رقادها » .

إمّا أن يكون مكرر اللام للإلحاق بزلزال ، أو يكون زيد فيه الألف والنون
لالتكرير ، بل كما زيدا في سلمان . ولا دليل في هذا البيت يمنع صرف سمنان
على كونه فعلا ، لجواز كونه فعلا . وامتناع صرفه لتأويله بالأرض والبقعة
لأنه اسم موضع . انتهى .

قال أبو عبيد (في معجم ما استعجم) : الأملح بضم أوله وبالحاء
المهملة كأنه مصغر أملح : موضع . ولم يقل : إنه ماء . وقال في سمنان :
بفتح أوله وإسكان ثانيه على وزن فعّلان : مدينة بين الرّيّ ونيسابور . وسُمنان
بضم السين : جبل في ديار بني أسد ، وقال أبو حاتم : في ديار بني تميم .
وهذا ضبط مخالف لسائر الرواة .

قصيدة الشاهد

وأول هذه القصيدة في ذمّ صنعاء اليمن ومدّح بلده وقومه . وهذا أولها :
(لاحبذا أنت يا صنعاء من بلد ولا شعوب هوى منى ولا ثقم
ولن أحبّ بلاداً قد رأيت بها عنسا ولا بلداً حلت به قُدم
إذا سقى الله أرضاً صوب غادية فلا سقاهنّ إلا النار تضطرم
وحبذا حين تمسى الريح باردة وادى أشي وفتيان به هضم)
إلى أن قال :

(همّ البحور عطاء حين تسأهم وفي اللقاء إذا تلقى بهم بهم
وهم إذا الخيل جالوا في كواثبها فوارس الخيل لا ميل ولا قزم^(٢)
لم ألق بعدهم حياً فأخبرهم إلا يزيدهم حباً إلى هم)

(١) ط : « لضرورة » ، وأثبت ما في ش .

(٢) كذا في النسختين : « جالوا » بالجيم في المتن والشرح ، صوابه « حالوا » بالحاء المهملة كما في
الحماسة وشرحها . وفي القاموس : « وفي ظهر دابته : وثب » .

شعوب بفتح الشين ، وكذلك نُقِم بضم النون والقاف : موضع باليمن ، وهو جبل صنعاء الشرقى . وعنس ، بفتح المهملة وسكون النون ، وقُدُم بضم القاف والذال : حيّان من اليمن . وأشئ ، بضم الألف وفتح الشين المعجمة وتشديد الياء ، قال أبو عبيد : هو واد وجبل في بلاد العدوية من بنى تميم . وقال عمر بن شبة : أشئ : بلد قريب من اليمامة . وأنشد هذا البيت . وهُضم بضمّتين : جمع هَضوم وهو الذى ينفق فى الشتاء ، أى حبّذا هم فى برد الشتاء إذا اشتدّ الزمان ، لأنهم يُطعمون فيه .

والْبُهَم بضم ففتح : جمع بُهْمَة بضم فسكون ، وهو الشجاع الذى لا يُدْرَى من أين يؤتى من شدّة بأسه . وتلقى مفعوله محذوف ، أى إذا تلقى بهم عدوك .

وقوله: «وهم إذا الخيل» أراد بالخيل فرسانها ، كقولهم : «يا خيل الله اركبى » . وجالوا ، أى وثبوا ، يقال جالّ فى ظهر دأبته ، إذا ركبها . لا مِيل : لأمثلون عن وجوه الأعداء ، جمع أميل ، وقيل هو الذى لا يثبت على ظهر الدابة ، وهو عطف على فوارس ، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : لاهم ميل . وقَزَم بفتح القاف والزى : رذال الناس وسفلتهم ، يطلق على الواحد والجمع ، والذكر والأنثى ؛ لأنه فى الأصل مصدرٌ بمعنى الدناءة والقماءة . والكواثب : جمع كاثبة بموحدة بعد مثلثة ، وهى فى عرف الفرس ^(١) المتقدّم من قريوس السرج حيث يقع عليه يدُ الفارس . كذا فى شرح الحماسة . وأورد صاحب الكشف هذا البيت فى سورة الأعراف على أن الخبر فى قوله تعالى ﴿يَمْدُونَهُمْ فى الغي﴾ ^(٢) جارٍ على غير ما هو له ، كما فى البيت ، فإنّ الخيل

(١) ط : «الناس» ، صوابه فى ش .

(٢) الآية ٢٠٢ من الأعراف .

مبتدأً وجالوا خبره مسنداً إلى ضمير القوم . وفيه كلامٌ طويل .
 وقوله : « لم ألقَ بعدهم » إلخ الحى : القبيلة . وتُخبرت الشيء أخبره ،
 من باب قتل ، تُخبراً بالضم ، بمعنى علمته . وانتصب أخبرهم فى جواب
 النفى . وهم الأخير فاعل يزيدُ ، فصل ضرورة . والمعنى : لم ألقَ بعد فراق
 قومى حيا من الأحياء فأخبرهم إلا ازدادوا فى عيني إذا قستهم بمن سواهم .
 وروى ابن قتيبة الصِّدَر (فى كتاب الشعراء) ، والأصبهاني (فى
 الأغاني) :

« وما أصاحبُ من قومٍ فأذكُرهم »

وزعم أبو حيان أن الرواية كذا من تحريف ابن مالك . هذا قصورُ
 منه . ويجوز رفع فأذكُرهم عطفاً على أصحاب . والذكر هنا قلبى بمعنى
 التذكر ، فإن المعنى : إلى إذا صاحبت قوماً فتذكرت قومى ازدادت محبةً فيهم ،
 لفضل قومى عليهم . وهذا البيت أورده ابن الناظم وابن هشام (فى شرح
 الألفية) لما ذكرنا من فصل الضمير المرفوع ضرورة . قال ابن هشام (فى
 المغنى) : ادَّعى ابنُ مالك أن الأصل يزيدون أنفسهم ، ثم صار يزيدونهم ، ثم
 فصل ضمير الفاعل للضرورة وأخره عن ضمير المفعول . وحامله على ذلك ظنه
 أن الضميرين لمسمى واحد ، وليس كذلك . قال (فى شرح شواهد) : وزعم
 بعضُ من فسّر الضرورة بما ليس للشاعر عنه مندوحة ، أن هذا ليس
 بضرورة ^(١) لتتمكن قائله من أن يقول : إلا يزيدونهم حباً إلى هم ، ويكون الضمير
 المنفصل توكيداً للفاعل . ورَّده ابن مالك بأنه يقتضى كون الفاعل والمفعول
 ضميرين متصلين لمسمى واحد ، وإنما يجوز ذلك فى باب ظن . وهذا

(١) ط : « للضرورة » ، وأثبت ماى ش .

سهو ، لأنَّ مسمَّى الضميرين مختلفان ، إذ ضمير الفاعل لقومه وضمير
المفعول لقومه الممدوحين . ويحتمل عندى أن يكون فاعل يزيد ضمير الذكر ،
ويكون هم المنفصل توكيداً لهم المتصل . انتهى كلام ابن هشام .

وقد أخذ مسلم بن الوليد معنى بيت المرار فقال :

وَرَجَعْنِي إِلَيْكَ إِذَا نَأَتْ بِي دِيَارِي عَنْكَ تَجْرَةُ الرَّجَالِ (١)

والمرار شاعرٌ إسلامي في الدولة الأموية ، من معاصري الفرزدق المرار بن منقذ
وجرير . وهو بفتح الميم وتشديد الراء . قال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) :
المرار العدويُّ هو ابن منقذ ، من صُدَى بن مالك بن حنظلة . وأم صُدَى
بالتصغير من جَلَّ بن عَدَى ، فيقال لولده بنو العَدوية . وقال لهم عَوْف بن
الققعقاع : يا بني العدوية، أنتم أوسع بنى مالك أجوافاً ، وأقلهم أشرافاً . والمرار
هو القائل :

وما أصحاب من قوم فأذكرهم إلا يزيدهم حباً إلى هم

وأنشد معه أبياتاً أخر من هذه القصيدة . قال وفيه وفي قومه يقول ٣٩٥

جرير :

إِنْ كُنْتُمْ جَرِي فَعَنْدِي شَفَاؤُكُمْ

وَلِلْجَنِّ إِنْ كَانَ اعْتَرَاكَ جَنُونُ (٢)

(١) ط : « ديار عنك » ، وما أثبت من ش يطابق الديوان ٣٣٦ وزهر الآداب ١٦٥ .

(٢) ط : « حزى » ، تحريف ، صوابه في ش . وفي الشعراء ٦٧٩ : « فإن كنتم كلبى » ، وهى

كذلك في الحيوان ٢ : ١٥ وديوان جرير ٥٨٩ .

وما أنت يامرّار يازيد استها

بأول من يشقى بنا ويحِينُ (١)

وقد رفع الآمدى نسبه (في المؤتلف والمختلف) فقال : هو المرّار بن منقذ بن عمرو بن عبد الله بن عامر بن يثرى بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . شاعر مشهور . ا هـ

واسم المرّار هذا زياد بن منقذ ، قاله الحُصْرِيُّ (في زهر الآداب) ، وإلى اسمه نسب الشعر . وفي الحماسة [قال شُرَّاحُ الحماسة (٢)] : هو لزياد بن منقذ ، وهو أحد بنى العدوية من تميم ، ولم يقل غير هذه القصيدة ، ولم يقل أحد مثلاً . وكان قد أتى اليمن فنزع إلى وطنه ببطن الرمة . قال أبو العلاء : الرمة : وادٍ بنجد ، يقال بتشديد الميم وتخفيفها . ا هـ

وصحّفه بعضهم وتبعه العيني فقال : ببطن الرّمث بالمثلثة .

وقد نسب الحُصْرِيُّ أيضاً هذا الشعر للمرّار ، قال : أنشد أبو عبيدة لزياد بن منقذ الحنظلي ، وهو المرّار العدوي ، نُسِبَ إلى أمّه العدوية ، وهي فُكَيْهَة بنت تميم بن الدُّلّ بن جَلّ (٣) بن عدى بن عبد مناة (٤) بن تميم بن أد بن طابخة ، فولدت لمالك بن حنظلة عدنياً ويربوعاً . فهؤلاء من ولده يقال لهم بنو العدوية (٥) .

(١) ط : « يازيد استها » ، صوابه في ش والشعراء والديوان . وأصل الزيد زيد الماء واللعباب والبحير والفضة ، وهو طفاهته وقذاه .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « جبلة » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح وجمهرة ابن حزم ٢٠٠ .

(٤) عبد مناة هذا هو ابن أد بن طابخة ، كما في الجمهرة وزهر الآداب ١٦٤ . و« تميم » هنا مقحمة .

(٥) وكذا في زهر الآداب ، لكن في جمهرة ابن حزم ٢٢٨ أن أبناء العدوية هم : زيد ، والصدى ،

ويربوع . وقد سبق ذكر « صدى » في ترجمة المرار .

وكان زيادٌ نزل بصنعاء فاجتواها ومنزلُهُ في نجد ، فقال في ذلك قصيدةً يقول فيها وذكر قومه :

لم ألقَ بعدهمُ حياً فأخبرهم إلا يزيدُهم حباً إلى هُم

وأراه أوّل من استثار هذا المعنى . وكان ابنُ عَرادة السَّعْدِي (١) مع سَلَم وابن زياد بخُراسان ، وكان مكرماً له ، وابن عَرادة يتجنّى عليه ، إلى أن تركه وصحب غيره فلم يحمده ، فرجع إلى سلم وقال :

عَتَبْتُ على سَلَم فلما فقدته وصاحبتُ أقواماً بكيت على سَلَم
رجعتُ إليه بعد تجرّبٍ غيره فكان كُبري بعد طُول من السُّقَم

ومنه قول أبي العتاهية في جعفر بن المنصور ، المعروف بابن الكردية ، وهو جعفر الأصغر :

جزى الله عني جعفرًا بوفائه وأضعف إضعافاً له بجرائه
بلوثُ رجالاً بعده في إخائهم فما ازددتُ إلا رغبة في إخائه

ومنه أيضاً لكنّه في الهجو ، لبعضهم :

ذممتُك أولاً حتى إذا ما بلوثُ سِوَاك عاد الذمُّ حمداً
ولم أحمدك من خيرٍ ولكن رأيتُ سِوَاك شراً منك جدّاً
كمضطرٌّ تحامى أكلٌ ميّت فلما اضطرَّ عاد إليه شدّاً

قال الصُّولي : وآخر من أتى بهذا المعنى أحمد بن أبي طاهر :

بلوثُ الناس في شرقٍ وغربٍ وميّزتُ الكِرَامَ من اللثام

(١) في النسختين «ابن عرادة السعدي وكان» والوجه تقديم «وكان» كما في زهر الآداب ، لكن

فيه : « بن أبي عرادة » تحريف . وانظر أمالي القائل ٣ : ٣١ وذيل سمط اللآلئ ص ١٧ .

فردّنى ابتلاى إلى علىّ بن يحيى بعد تجريب الأنام
وعندى فى هذا المعنى مقاطيعٌ جيّدة ، لولا خشية السّأم لسردّها .
وزعم أبو تمام فى الحماسة أن القصيدة التى منها البيت الشاهد لزياد بن
حمّل بن سعيد بن عُميرة بن حُرَيْث .
وأخطأ أبو عبيد^(١) البكرى (فى معجم مااستعجم) فى زعمه أن زياد
بن حمّل هو المزار العدوى .
وزعم الأصفهاني (فى الأغاني) والخالديان (فى شرح ديوان مسلم بن
الوليد) أن هذه القصيدة للمزار بن سعيد الفقعسى . والله أعلم . والصواب
أنها لزياد بن منقذ العدوى . قاله ياقوت (فى معجم البلدان) ، قال : والمزار
والحكم أخوان .

(تنمة)

ذكر الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) من يقال له المزار ستة . أولهم
المزار الفقعسى . وستأتى ترجمته إن شاء الله فى الكاف من حروف الجر^(٢) .
ثانيهم : المزار بن منقذ ، وتقدّمت ترجمته هنا .
ثالثهم : المزار بن سلامة العجلي ، وهو إسلاميٌّ .
رابعهم : المزار بن بشير السّدوسى .
خامسهم : المزار الكلبيّ .
سادسهم : المزار بن مُعَاذ الحَرَشِيّ .

(١) ط : «أبو عبيدة» ، صوابه فى ش .

(٢) هذا سهو من البغدادي ، فإن المزار بن سعيد الفقعسى تقدّمت ترجمته فى الخزانة ٤ : ٢٨٨

— ٢٨٩ فى شواهد الإضافة .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد سيبويه (١) :

٣٨٠ (فبيناهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قال قائلٌ

لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نَجِيبُ)

على أن واو (هو) قد يحذف ضرورة كما هنا ، فإنَّ الأصل : فبيناهُ هو يَشْرِي .

قال سيبويه (في باب ما يحتمل الشعر): اعلم أنَّه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام . إلى أن قال : وليس شيء يُضطرُّونَ إليه إلَّا هم يحاولون به وجهاً . وما يجوز في الشعر أكثر من أن أذكره لك ههنا ، لأنَّ هذا موضعُ جَمَلٍ . قال أبو الحسن : سمعت من العرب قولَ العَجِير السلولي :
فبيناهُ يَشْرِي رحله قال قائلٌ البيت

قال الأعلام : أراد : بيناهُ هو ، فسكن الواو ثم حذفها ضرورة ، فأدخل ضرورةً على ضرورة ، تشبيها للواو الأصليَّة بواو الصلة في نحو منه وعنه . وزعم ابن الأنباري (في ترك صرف ما ينصرف من مسائل الخلاف) : أنَّ الواو حذفت متحرِّكة . قال : إذا جاز حذف الواو المتحرِّكة للضرورة من فبيناهُ يَشْرِي ، فَلأنَّ يجوز حذف التنوين للضرورة من باب الأولى ، لأنَّ الواو من هو متحركة ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أنَّ حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك . اهـ

(١) ستأتى الإشارة إلى أن الشاهد وقع صدره في أكثر نسخ كتاب سيبويه ، وهو دليل على سقوطه من كثير من النسخ . ومهما يكن فهو من شواهد أبي الحسن الأخفش لا من شواهد سيبويه ، كما نص الشنتمري في سيبويه ١ : ١٣ — ١٤ بولاق . وانظر لهذا الشاهد الخصائص ١ : ٦٩ وابن الشجري ٢ : ٢٠٨ والإنصاف ٥١٢ وابن يعيش ٣ : ٩٦ وحواشي نشرقي من سيبويه ١ : ٣٢ .

و(بين) ظرفٌ ، لَمَّا وصلِ بالألفِ إشباعاً للفتحة جاز إضافتهُ إلى الجمل ، وحدث فيه معنى زائد وذلك ظرفُ الزمان ، كما حدث في مع لَمَّا أُشبعَت فتحتُها وحدث بعدها ألفٌ من قوهم : معاً . وهو مبتدأ وجملة يشرى خبره ، والمجموع في محل جر بإضافة بينا إليها . وإنما جاز هذا على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، والتقدير : بينا أوقاتٌ هو شارٍ رحلهُ فإنه يقول . وبيننا عند سيبويه لا تقع إلا للمفاجأة ، ولا تقع إلا في صدر الجملة ، جعلوها بمنزلة الظروف المبهمة ^(١) التي تقع في صدور الجمل ، فإذا أضفتها إلى الجملة التي بعدها جئت بالفعل الذي عمل فيها ، نحو قولك : بينا زيد قائم جاء عمرو . وأما الأصمعي فإنه يقول : إضافة بينا إلى المصدر المفرد جائزة ، ويروى لأبي ذؤيب :

٣٩٧

* بينا تعنقه الكُماة وروغِه *

بجر تعنقه . وقال ابن قتيبة : سألت الرياشي عن هذه المسألة فقال . إذا ولّى لفظة بينا الاسم العلم رفعت ، فقلت : بينا زيد قائم جاء عمرو . وإن وليها المصدر فالأجود الجر . وقومٌ من النحويين لا يجيزون إضافته إلى المصدر المفرد ولا إلى غير مصدر ، ويمضون على الأصل .

و(يشرى) هنا بمعنى يبيع ، وهو من الأضداد . والرحل : كل شيء يُعدّ للرحيل من وعاءٍ للمتاع ، ومركبٍ للبعير ، وحلّس ورَسَن . و(المِلاط) بكسر الميم : الجنب . ورنحو المِلاط : سهله وأملسه . كذا قال القالي ^(٢) . وقال

(١) ط : « المهمة » ، ووجهه ما أثبت من ش .

(٢) ط : « قال القائل » ، وأثبت ما في ش . ولأبي على القالي كتاب في اللغة ، هو « البارع » . ذكره البغدادي في ١/٥١٠ : ٣/٢٩٠ ، ٣٠١ ، ٣٤٣ بولاق . وقال ياقوت : « جمع فيه كتب اللغة ، يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة . قال الزبيدي : ولا نعلم أحداً من المتقدمين ألف مثله » . ثم نقل عن أبي محمد العفري قوله : « كتاب البارع لأبي على القالي يحتوي على مائة مجلد ، لم يصنف مثله » . معجم الأدباء ٧ : ٢٩ .

ابن حلف : الملاط : مقدّم السنّام ، وقيل جانبه . وهما ملاطان : العضدان ،
وقيل الإبطان . وقوله : (رخو) إشارة الى عظمه واتّساعه . قال الأعلم :
وصف بعيراً ضلّ عن صاحبه فيئس منه ، وجعل يبيع رحله ، فبينا هو كذلك
سمع منادياً يبشّر به ^(١) . وإنما وصف ماورد عليه من السُرور بعد الأسف
والحزن . والملاط : ماولى العَضُد من الجنب ، ويقال للعضدين : ابنا ملاط .
ووصف برخاوته لأنّ ذلك أشدّ لتجافى عضديه عن كركرته ، وأبعد له من أن
يصيبه ناكث ^(٢) أو ماسح ، أو حازّ ، أو ضبّ . وهذه كلها أعراض وآفات
تلحقه إذا حكّ بعضده كركرته . اهـ . و(النجيب) : الجيّد الأصيل ،
والصواب بدله (ذلول) فإنّ القصيدة لامية .

قال ابن خلف : وهذا البيت قد وقع صدره في أكثر نسخ كتاب
سيبويه ، وأنشده أبو الحسن الأحمش : «رخو الملاط نجيب» بالباء ، وأنشده
أيضاً (في كتاب القوافي) كذا ، وقال : سمعت الباء مع اللام والميم والراء ، كلّ
هذا في قصيدة واحدة ، وهى :

أبيات الشاهد

(ألا قد أرى إن لم تكن أمّ مالك
بمُلك يدي أنّ البقاء قليل
خليلى سيرا واتركا الرّحل إننى
بمهلكة والعاقبات تدور
رأى من رفيقيه جفاءً وغِلظةً
إذا قام يبتاعُ القلاصَ دميمٌ

(١) ط: «يبشّر به»، وفي ش: «ينشده» مع أثر تصحيح، والوجه ما أثبت من شرح الأعلم ١: ١٤.

(٢) الناكث ، بالتاء المثناة فى آخره ، وهو أن يحز مرفق البعير فى جنبه . ط : «الناكث» ، صوابه

فبيناه يشرى رحله قال قائل
لمن جمل رخوا المِلاط نجيب)

قال : والذي أنشده أعرابي فصيح لا يحتشم من إنشادها .

وقال أبو الفتح بن جنى : هكذا أنشده أبو الحسن ، وهو بعيد ، لأنَّ
حكم الحروف المختلفة في الروي أن يتقارب مخرجها كما أنشد سيبويه في كتاب
القوافي . والذي وجد في شعر العَجير السِّلولى :

فباتت هموم الصدر شتى يعدنه كما عِيدَ شِلوُ بالعراء قتيلُ
فبيناه يشرى رحله قال قائل لمن جمل رخوا المِلاط ذلولُ
محلّى بأطواق عتاق كأنها بقايا لجين جرسهن صليل . اهـ
وقال صاحب العباب : ألبت للعَجير السِّلولى ، ويرى للمُخلَّب
الهلالي ، وهو موجود في أشعارهما . والقطعة لامية ، ووقع في كتاب سيبويه
«نجيب» بدل : «ذلول» ، وتبعه النحاة على التحريف . وهي قطعة غراء . اهـ .

صاحب الشاهد

قال الأسود أبو محمد الأعرابي (في ضالة الأديب) : قال أبو الندى :
القصيدة للمُخلَّب الهلالي ، وليس في الأرض بدوى إلا وهو يحفظها ، وأولها :
وجدتُ بها وجد الذي ضلَّ نضوه بمكة يوماً والرفاق نزولُ (١)
بغى ما بغى حتى أتى الليلُ دونه وريحٌ تعلّى بالثراب جفولُ
أتى صاحبيه بعدما ضلَّ سعيه بحيث تلاقت عامرٌ وسلولُ
فقال : احملا رحلي ورحليكما معاً فقلا له : كلَّ السَّفاو تقولُ
فقال : احملاني واتركا الرّحل إته بمهلكة والعاقبات تُدولُ

٣٩٨

(١) ط : « وجدت لها » ، صوابه في ش .

فقالا : مَعَاذَ اللَّهِ ، واستَرَبْتَهُمَا وَرَحْلِيهَا عَيْرَانَةٌ وَذَمُولُ (١)
شكنا من خليليه الجفاء ونقدّه إذا قام يستلم الركاب قليل
فباتت همومُ النَّفْسِ شَتَّى يُعَدُّهُ كما عِيدُ شِلُوْ بِالْعَرَاءِ قَتِيلُ
فبيناهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قال قائل : لمن جَمَلُ رِخْوُ الملائِ ذُلُولُ
مَحْلَى بِأَطْوَقِ عِتَاقِ تَزِينِهِ أَهْلَسُهُ جَنَّ بَيْنَهُنَّ فَصُولُ
فهَلَّلَ حيناً ثم راح بنضوهِ وقد حَانَ من شمسِ النهارِ أَفُولُ
فما تَمَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى أَنَاخَهُ بَقَرِنِ وللمستعجلات زَلِيلُ
فلما طوى الشَّخْصِينَ وَاوَزَّ مِنْهُمَا وَوُطِّنَهُ بِالنَّقْرِ وهو ذُلُولُ (٢)
فقاما يَجْرانِ الثِيَابَ كِلَاهُمَا ، لما قد أَسْرَا بالخليل ، قَبِيلُ
فقال : ارفعا رَحْلَيْكُمَا وَتَرْفَعَا فَمَاءُ الْأَدَاوَى بِالْفَلَاةِ قَلِيلُ (٣)
وقد سلك العُجَيْرُ السُّلُولَى طَرِيقَةَ المَخْلَبِ الهَلَالَى ، وأدرج معاني قطعته

في شعره فقال :

أَلاَ قَدْ أَرَى إِنَّ لَمْ تَكُنْ أُمَّ خَالِدٍ يَمْلِكُ يَدِي أَنَّ البَقَاءَ قَلِيلُ (٤)
وَأَنَّ لَيْسَ لِي فِي سَائِرِ النَّاسِ رَغْبَةٌ وَلَا مِنْهُمْ لِي مَاعِدَاكِ خَلِيلُ

(١) يقال ربع الحجر يريعه ربعاً واربعه : شالاه ورفعاه ، وقيل حملاه ، وفي ش : « واسترجعتهما » .

(٢) النقر : صوت اللسان ، وهو أن يلرز طرفه بمخرج النون ثم يصوت به فينقر بالدابة لتسير .

ط : « بالنفر » ، صوابه بالقاف كما في ش .

(٣) الأدواى : جمع إداة ، وهى إناء صغير يتخذ للماء .

(٤) يقال هذا يملك يدي ومملكها بكسر الميم وفتحها ، كما في إصلاح المنطق ٧٠ واللسان (ملك)

وما وجدَّ النّهْدَى وجدّاً وجدته عليها ، ولا العُدْرَى ذاك جميل (١)
ولا عُرْوَةً اذْ مات وجدّاً وحسرة بعفراء لما أنْ أجَدَّ رحيلُ (٢)
ولا وجدُّ مُلْقٍ رحله ضلَّ نضوه بمكّة أمسى والرفاق نزولُ
سعى ماسعى حتى أقى الليلُ دونه وريحٌ تلهى بالتراب جفولُ

وساق هذا المساق حتى قال بعد سبعة أبيات :
فبيناهُ يشرى رحله قال قائلٌ لمن جملٌ رسلُ المِلاط طويلُ
كذا في شعر العجيز: «رسل المِلاط طويلُ» ، فعلم أن السبق للمُخَلَّب
الهلالي . شبه الشاعر حاله في هوى امرأةٍ يُحِبُّها وشدةً وجدّه بها ، بوجد هذا
الرجل الذى ضلَّ بعيره وفارقه أصحابه فباتت همومُ هذا الرجل شتى تذهب
عنه حيناً فيسكن ، وتجيئه حيناً فيعود إليه الألم ويأتيه ، كما يأتي العوائد إلى
المريض وإلى القليل ينظرنه ، فبينما هو يبيعُ رحل جملة الذى ضلَّ منه سمع من
يعرفُ الجمال ليردّه على صاحبه .

والشلو بالكسر : العضو . والعراء بالفتح : الفضاء . والأطواق : جمع
طوق . والعِتاق : الحسان . والجرس : الصوت . والصليل : صوتٌ فيه شِدَّة
مثل صوت الحديد والفضة وما أشبههما . والنضو ، بالكسر : البعير المهزول .
والريح الجفول : التى تلقى التراب شيئاً على شئٍ . والسفاه ، بالفتح : مصدر
سفِه فلان سفاهة وسفاهاً . وتدول بمعنى تدور . يقال دالت الأيام تدول مثل

٣٩٩

(١) النهدي هو عبد الله بن عجلان ، وهو شاعر جاهلي ، قال فيه الجنون :
فما وجدت وجدى بها أم واحد ولا وجد النهدي وجداً على هند
ولا وجد العُدري عروة في الهوى كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعدى
تزيين الأسواق ٧٦ .

(٢) ط : « إذ مان » ، صوابه في ش .

دارت تدور ، وزناً ومعنى . واستام : افتعل من السَّوم ، يقال سام المشتري السلعة واستامها ، إذا طلب بيعها ، والركاب : الإبل ، وهو مفعول ، وقليل خبر المبتدأ الذى هو تَقْدُهُ ، أى دراهمه . وقُرْنُ الثانى : موضع . وزليل : مصدر زَلَّ يَزِلُّ بالزى ، إذا مرَّ مرّاً سريعاً .

والعجير السلولى بضم العين وفتح الجيم ، قال ابن السيد (فى شرح العجير السلولى أبيات الجمل) : هو منسوب إلى بنى عُجَيْر ، وهو حىٌّ من أحياء العرب . أقول : العجير لقبٌ ، وليس فيه نسبة . على أَنَّ الصاغاني قال (فى العباب) : بنو عُجْرَة : قبيلة من العرب . وليس فيه بنو عجير . والعجير يحتمل أن يكون مصغر عُجْر ، مصدر عُجِرَ عُنْقُهُ ، إذا لواها ، ومصغَرُ عُجَر بفتحتين ، مصدر عُجِرَ بالكسر ، أى غُلُظَ وَسِمَن . ويحتمل أن يكون مصدر ترخيم أعجر ، يقال كبس أعجر ، أى ممتلئ^(١) ، وفحل أعجر أى ضخم . قال اللّخميّ (فى شرح أبيات الجمل) : اسم العجير عُجَيْر بالتصغير ، ابن عبد الله بن عَبِيدَة : بفتح العين وكسر الموحدة ، وقيل ابن عَبِيدَة بضمها . وهو من بنى سَلُول بن مرة بن صعصعة ، أخى عامر بن صعصعة . وأمُّ بنى مُرّة سلول بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، غلبت عليهم وبها يعرفون . ويكنى العجير أبا الفرزدق ، وأبا الفيل . وهو شاعرٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية . اهـ وقال الآمدى (فى المؤلف والمختلف) : أبو الفرزدق عُجَيْرُ السَّلُولى ، مولى لبنى هلال . ويقال هو العجير بن عبد الله بن عَبِيدَة بن كعب بن عائشة بن ضبيط بن رفيع بن جابر بن عمرو بن مرة بن صعصعة ، وهم سلول . اهـ وسَلُول : اسمٌ مرتجل غير منقول .

وتقدّمت ترجمته فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد الثلاثئة^(٢) .

(١) فى اللسان « وكيس أعجر وهيمان أعجر ، أى ممتلئ » .

(٢) انظر ص ٣٥ .

وأما المخَلَّبُ الهَلَالِي فهو بضم الميم وفتح الحاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحة اسم منقول . قال صاحب العباب : يقال ثوبٌ مَحَلَّبٌ ، إذا كانت نقوشه كمخالب الطير ، وقيل هو الكثير الوشئ من الثياب . وكُرسِيٌّ مَحَلَّبٌ : معمول بالليف . ومُحَلَّبُ الثُّور : طينه .

وهذا الشاعر لم أقف على نسبه ولا على شيء من أثره . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو من أبيات س ، وتقدّم عليه الكلام في الشاهد الثالث والثمانين (١) :

(دارٌ لسُعدَى إذِهِ من هَواكا)

على أنّ الأصل (إذهى) فحذفت الياء ضرورة . قال الفالّى (في شرح اللباب) أوله :

* هل تَعْرِفُ الدار على تِبراکا *

وهو بكسر التاء موضع .

وفى هذا ردٌّ على الكوفيين في زعمهم أنّ الضمير في هو وهى إنّما هو الهاء ، والواو والياء زائدتان .

قال ابن الأنبارى (في مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنّ الاسم من هو وهى الهاء وحدها . وذهب البصريون إلى أنّ الهاء والواو من هو ، والهاء والياء من هى ، هما الاسم بمجموعهما . أمّا الكوفيون فاحتجوا بأنّ قالوا : الدليل على أنّ الاسم هو الهاء أنّ الواو والياء يحذفان في التثنية، نحو : هما ؛ ولو كانت أصلاً لما حذفت . والذى يدلُّ عليه أنّهما يحذفان في الإفراد وتبقى الهاء قوله :

(١) الخزانة ٤:٢ . وانظر أيضاً العقد ١٨٥:٤ وابن يعيش ٩٧:٣ .

فبيناه يَشْرِي رحله البيت

وقال الآخر

بيناه في دارِ صديقٍ قد أقام بها حيناً يعللنا وما نعلله (١)

وقال الآخر :

إذاه سيم الحسَف آلى يَقَسَم بالله لا يأخذ إلّا ما احتكَم (٢)

وقال الآخر :

* دار لسُعْدَى إذه من هواكا *

فدَلَّ على أنَّ الاسم هو الهاء وحدها . وإنَّما زادوا الواو والياء تكثيراً للاسم ، كراهية أن يبقى على حرفٍ واحد .

وأما البصريُّون فاحتجوا بأن [قالوا : الدليل على أنَّ (٣)] الواو والياء أصلٌ أنَّه ضميرٌ منفصل ، والضمير المنفصل لا يجوز أن يُبنى على حرفٍ ، لأنَّه لابد من الابتداء بحرف والوقف على حرف ، فلو كان الاسم هو الهاء لكان يؤدّي أن يكون الحرف الواحد ساكناً متحركاً ، وهو محال . وأمَّا قولهم : إن الواو والياء يحذفان في التثنية . قلنا : إنَّهُما ليس تثنية ، وإنَّما هي صيغة مرتجلة للتثنية ، كأنَّما . وأمَّا ما أنشدوه من الأبيات فإنَّما حذفت الواو والياء لضرورة الشعر ، كقول الشاعر :

فلستُ بآتيه ولا أستطيعه ولاكِ اسقني إن كان مأوك ذا فضل
أراد : ولكن اسقني ، فحذفت النون للضرورة . وأمَّا قولهم : زادوا الواو

(١) سيبويه ١ : ١٢ والانصاف ٦٧٨ .

(٢) الانصاف ٦٧٨ واللسان (ها ٣٦٦) .

(٣) التكملة من الانصاف .

والياء تكثيراً للاسم كما زادوا الواو في ضربتهو ، قلنا : هذا فاسد ، لأنّ هو ضمير منفصل ، والهاء ضمير متّصل ، وقد بيّنا أنّ المنفصل لا يجوز أن يكون على حرف ، بخلاف المتّصل ، لأنّه لا يقوم بنفسه ، فلا يجب فيه ما وجب في المنفصل ، والواو في ضربتهو لازمة السكون ، بخلاف واو هو فإنّها جائزة السكون ، ولو كانا بمنزلة لوجب أن يسوّى بينهما في الحكم . والله أعلم .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثانون بعد الثلاثئة (١) :

٣٨١ (وإنّ لسانى شُهدَةٌ يُهتدى بها وهوّ على من صبه الله علقم (٢))

على أن همدان تشدّد واو (هو) كما في البيت ، وياء (هى) : ولم يمثّل له ، وهو في هذا البيت :

والنفس ماأمرت بالعنف آيةٌ وهىّ إن أمرت باللطف تأتمر

وهمدان ، بفتح الهاء وسكون الميم والبدال مهملة : قبيلة من اليمن ، وهو لقب ، واسمه أوْسَلَة بن ربيعة بن ليحيان بن مالك بن زيد بن كهلان .

وهمدان وصفٌ من الحمدة ، وهى السكّنة . وهمدت أصواتهم : سكّنت .

و(شهادة) بضم الشين : العسل بشمّعه . قال ابن هشام (في شرح شواهد) : هذا البيت أوردّه الفارسي (في التذكرة) عن قطرب والبغداديين ، وفيه أربعة شواهد : أحدها تشديد واو هو . الثانى : تعليق الجار بالجامد لتأويله بالمشتق ، وذلك لأنّ قوله هو علقم مبتدأ وخبر ، والعلقم هو الحنظل ، وهو نبت كرىه الطّعم ، وليس المراد هنا ، بل المراد شديداً أو صعباً ، فلذلك علّق به « على » المذكورة . ونظيره قوله :

(١) انظر ابن يعيش ٣ : ٩٦ وشرح شواهد المغنى ٢٨٥ والعينى ١ : ٤٥١ والتصریح ١ : ٤٨

والهمع ١ : ٦١ / ٢ : ١٥٧ والأشئوى ١ : ١٧٤ .

(٢) في هامش المطبوعة : « قوله يهتدى ، المعروف يشفى . كذا بهامش الأصل » .

« وكلُّ فؤادٍ عليك أمُّ (١) »

فعلَّقَ عَلَيَّ بَأْمَ ، لتأويله إياها بمشتق . وعلى هذا ففي علقم ضميرٌ كما
في قولك : زيد أسد ، إذا أوَّلته بقولك : شجاع ، إلا إذا أردت التشبيه . ومن
تعلَّقَ الظرف بالجامد لِمَا فيه من معنى الفعل قوله :

تركت بنا لَوْحاً ولو شئت جادنا بُعِيدَ الكرى ثلجٌ بكرمانٍ ناصح (٢)

منعت شفاء النفس من تركته به كالجوى مما تحنُّ الجوارح (٣)

٤٠١ لَوْحاً بفتح أوَّلِه ، أى عَطَشاً ، يقال لاح يُلُوح أى عطش . ويُعَيَّد
متعلِّقٌ بثلج ، لما فيه من معنى بارد ، وإذا كان ريقها بارداً في وقت تغيره من نومها
فما ظنُّك به في غير ذلك . وكَرَمَان بالفتح : مدينة معروفة . وناصر : خالص .
الثالث : جواز تقديم معمول الجامد المؤول بالمشتق ، إذا كان ظرفاً .

ونظيره في ذلك أيضاً في تحمُّل الضمير قوله :

« كلُّ فؤادٍ عليك أمُّ »

الرابع : جواز حذف العائد المحرور بالحرف مع اختلاف المتعلِّق ، إذ
التقدير : وهو علقم على من صَبَّه الله عليه . فعلى المذكورة متعلِّقة بعلقم ،
والمحذوفة متعلِّقة بصبَّه .

وهذين الوجهين الأخيرين أورده في مغنى اللبيب .

(١) صدره كما في الخصائص ٣ : ٢٧٢ :

« ماأملك اجتاحت المنايا »

(٢) لجرير في ديوانه ١٠٠ وشرح شواهد المغنى ٣١١ من قصيدة يمدح بها عبد العزيز بن مروان .

(٣) في الديوان وشرح شواهد المغنى : « الجوانح » ، وهو الأرفق ، كما أن هذا البيت فيهما سابق

لسابقه هنا .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثانون بعد الثلاثمة (١):

٣٨٢ (رَمَيْتِهِ فَأَقْصَدْتِ وَمَا أَخْطَأَتْ الرَّمِيَّةُ)

على إنَّ أبا عليّ قال : تلحق الياء تاء المؤنث مع الهاء . قال أبو عليّ (في الحجة) في توجيه قراءة حمزة : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيٍّ ﴾ (٢) : بكسر الياء المشددة من سورة إبراهيم عليه السلام (٣) : «والأكثر أن يقال رميته بكسر التاء دون ياء ؛ كما قال أقصدت بدون ياء » . وأقصدت بمعنى قتلت . قال صاحب الصحاح : وأقصد السهم أي أصاب فقتل مكانه . وأقصدته حيّة : قتلته . قال الأخطل :

فإن كنت قد أقصدتني أو رميتني بسهميك فالرامي يصيد ولا يدري (٤)
أي ولا يخيل . انتهى .

وهذه رواية أبي عليّ في كتابه (الهاذور) (٥) . ورواه (في الحجة) : «رميته فأصميت» (٦) . قال صاحب الصحاح : وأصميت الصيد ، إذا رميته فقتلته وأنت تراه . وقد صمى الصيد يصمى كرمى يرمى ، إذا مات وأنت تراه . والرمية : فاعل أخطأت ، وسكن آخره للقافية . وروى :

« وما أخطأت في الرمية »

(١) لم أجد له مرجعا آخر .

(٢) الآية ٢٢ من إبراهيم .

(٣) ط : « إبراهيم صلى الله وسلم على نبينا وعليه » .

(٤) في الديوان ١٢٨ : « بسهمك والرامي يصيب وما يدري » .

(٥) هو المعروف بنقض الهاذور ، وهو في الرد على ابن خالويه في رده كتاب الأغفال لأبي عليّ

الفارسي . انظر ماسبق في ٢ : ٢٨١ .

(٦) ط : « فأصمت » ، صوابه في ش .

بالخطاب أيضا . وبعده :

(بسهمين مليحين أعارتكيهما الظبية)

وأعارتكيهما مثل رميته ، بزيادة الباء من إشباع الكسرة . كذا أنشد البيت أبو حيان (في تذكّره) عن أبي الفتح بن جنى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الثلاثة :

٣٨٣ (فبتّ لدى البيت العتيق أريعه

ومطوّى مشتاقان له أرقان)

على أنّ بنى عقيل وبنى كلاب يجوزون تسكين الهاء ، كما في قوله «له» بسكون الهاء .

والذى نقله ابن السراج (في الأصول) ، وابن جنى (في الخصائص والمختسب وغيرهما) أنّ تسكين الهاء لغة لأزد السّرة . وجعله ابن السراج من قبيل الضرورة عندهم . قال : وقد جاء في الشعر حذف الواو والياء الزائدة في الوصل مع الحركة ، كما هي في الوقف سواء . قال رجل من أزد السّرة :
فظنّلت لدى البيت العتيق أخيله البيت .

وكذلك يشعر كلام أبى علىّ (في المسائل العسكرية) حيث قال : هذا من إجراء الوصل مجرى الوقف . وأما قوله :

* ما حَجَّ ربه في الدُّنيا ولا اعتَمرا (٢) *

(١) الخصائص ١ : ١٢٨ ، ٣٧١ والمختسب ١ : ٢٤٤ والمنصف ٣ : ٨٤ .

(٢) من شواهد سيويه في كتابه ١ : ١٢ والإنصاف ٥١٦ . وصدّره :

« أو معبر الظهر ينبي عن وليته »

٤٠٢

فهذا خارج عن حدّ الوقف والوصل جميعاً ، والصواب أنّه لغة لا ضرورة .
وإليه ذهب ابن جني في موضعين (من الخصائص) قال في الموضع الأول ،
وهو باب تعارض السماع والقياس : وما ضَعُف في القياس والاستعمال جميعاً
بيّث الكتاب :

له زجلٌ كأنّهُ صوتُ حادٍ إذا طلب الموسيقى أو زميرٌ (١)

فقوله « كأنّهُ » خَلَسَ بحذف الواو وتبقية الضمة ، ضعيف في القياس
قليلٌ في الاستعمال . ووجه ضعف قياسه أنّه ليس على حدّ الوصل ولا على
حدّ الوقف ، وذلك أنّ الوصل يجب أن تتمكن فيه واوه ، كما تمكنت في قوله
أول البيت : له زجل ، والوقف يجب أن تحذف الواو والضمة فيه جميعاً وتسكن
الهاء ؛ فضمُّ الهاء بغير واو منزلةٌ بين منزلتي الوصل والوقف .

وقال أبو إسحاق في نحو هذا : إنه أجري في الوصل مجرى الوقف .
وليس الأمر كذلك ، لما بيّناه ، لكنّ ما جرى من نحو هذا في الوصل على حدّ
الوقف قول الآخر :

فظلّت لدى البيت العتيق أُخيله البيت

على أنّ أبا الحسن حكى أنّ سكّون الهاء في نحو هذا لغة لأزد السراة .
ومثل هذا البيت مارويناه عن قطرب ، قول الشاعر (٢) :

وأشربُ الماء ماى نحوه عطشٌ إلا أنّ عيونهُ سيلٌ وإديها (٣) اهـ

(١) سيبويه ١ : ١١ . وهو للشماخ في ديوانه ٣٦ . وفي النسختين : « زميل » ، صوابه ما أثبت من
سيبويه والديوان والخصائص ١ : ١٢٧ / ٢ : ١٧ ، ٣٥٨ .

(٢) في الخصائص : « من قول الشاعر » .

(٣) مجهول القائل . وانظر المختص ١ : ٢٤٤ والجمع ١ : ٥٩ .

وقال مثله في سورة الأنعام ^(١) (من المحتسب) .

وقال في الموضوع الثاني ، (وهو باب الفصيح) : يجتمع في الكلام الفصيح لغتان فصاعداً من ذلك قوله : فظلت لدى البيت إلخ ، فهذان لغتان ، أعنى إثبات الواو في أخيله ، وتسكين الهاء في قوله «له» ؛ لأنَّ أبا الحسن زعم أنَّها لغة لأزد السَّراة . وإذا كان كذلك فهما لغتان . وليس إسكان الهاء في له عن حذفٍ لحق بصيغة الكلمة ، لكن ذلك لغة . وأما قول الشماخ :

له زجل كأثَّه صوتُ حاد البيت

فليس هذا لغتين ، لأنَّا لانعلم رواية حذف هذه الواو وإبقاء الضمة . قبلها ، فينبغي أن يكون ذلك ضرورةً وصنعةً ، لا مذهبا ولا لغة ^(٢) انتهى .

(تَمَمَة)

ذكر الشارح المحقق حذف واو الصلة وياثها ، ولم يذكر حذف الألف من نحو رأيَتها . قال ابن جنِّي (في سر الصناعة) : أمَّا الألف في نحو رأيَتها فزيدت علما للتأنيث . وَمَنْ حَذَفَ الواو من نحو : كأثَّه صوت حاد ، ومن نحو : له أرقان ؛ لم يَقُلْ في نحو رأيَتها ونظرت إليها إلَّا بإثبات الألف ، وذلك لخُفَّة الألف وثقل الواو . إلَّا أنا رويناه عن قطرب بيتاً حُذفت فيه هذه الألف ، تشبيهاً بالواو والياء ، لما بينهما وبينها من النسبة . وهو قوله :
أَعْلَقْتُ بِالذَّبِّ حَبلاً ثُمَّ قُلْتُ لَهُ الْحَقُّ بِأَهْلِكَ وَاسْلَمْ أَيُّهَا الذَّيْبُ ^(٣)

(١) هذا سهو من البغدادى ، وصوابه «الأعراف» الآية ١٩ عند قوله تعالى : « من هذى

الشجرة » بقرأة ابن مُحَيِّصين . انظر المحتسب ١ : ٢٤٤ .

(٢) في الخصائص : «لا مذهبا ولغة» .

(٣) البتتان في اللسان (ركب ٤١٤) بدون نسبة أيضا . وفي الثانى منهما إقواء ظاهر .

إِذَا تَقَوَّدَ بِهِ شَاةً فَتَأْكُلُهَا
أَوْ أَنْ تَبِيعَهُ فِي بَعْضِ الْأَرَاكِيبِ
يريد : تبيعها ، فحذف الألف . وهذا شاذ . انتهى .

وقوله: (فَبِتُّ) بات من أخوات كان ، التاء اسمها ، وجملة أريغُه خبرها .
وبات يفعل كذا معناه اختصاص ذلك الفعل بالليل ، كما اختص الفعل بالنهار
في نحو: ظَلَّ يفعل كذا . ومنه تعرف ضعف الرواية الأخرى ، وهى : «فَظَلَّتْ
لدى البيت » بفتح الظاء وأصله ظَلَلَتْ بلامين ، فحُفِّفَ بحذف إحدى
اللامين . وهى من أخوات كان أيضا . قال الخليل : لاتقول العرب ظَلَّ إلا لعمل
يكون بالنهار . (ولدى) بمعنى عند . و(البيت العتيق) : مكة شرفها الله تعالى .
والعتيق : الشَّرِيفُ والأصيل ، أو لأنه عُتِقَ من الطوفان . ٤٠٣

وروى : « البيت الحرام » بمعنى الممنوع ، من باب إطلاق المصدر
وإرادة اسم المفعول . يقال البيت الحرام ، والمسجد الحرام ، والبلد الحرام ، أى
لايجلُّ انتهاكه . و(أريغُه) بمعنى أطلبه ، يقال أرغت الصيد . وماذا تُريغ ، أى
ماذا تريد ، وهو بالراء المهملة والغين المعجمة . ويقال أريغُونى إراغتكُم ، أى
اطلبونى طلبتكم . قال خالد بن جعفر بن كلاب فى فرسه حَدَفَةً :
أريغُونى إراغتكُم فَإِنِّسى وَحَدَفَةً كالشجاء تحت الوريد

وقال عَبِيد بن الأبرص يرِدُّ على امرئ القيس :
أَتَوَعَدُ أُسْرِقُ وَتَرَكْتُ حَجْرًا يُرِيغُ سَوَادَ عَيْنِيهِ الْغَرَابُ

وقال زُهَيْر بن أبى سلمى فى ابنه سالم :
يَدِيرُونَنى عَنْ سَالِمٍ وَأَرِيغُهُ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ
وهذا المصراع الثانى أراد عبد الملك فى جوابه عن كتاب الحجاج : أنت

عندى كسالم : وقد أخطأ صاحب الصحاح خطأ فاحشاً في قوله : يقال للجلدة التي بين العين والأنف : سالم .

وأخطأ ابن خليف أيضاً (في شرح أبيات سيويه) في نسبة هذا البيت لعبد الله بن عمر ، قاله في ابنه سالم ، والصواب أنه تمثل به لا أنه قاله .
وأخطأ صاحب (العباب) أيضاً في زعمه أن هذا البيت لدارة أبي سالم ، والصواب أنه تمثل به أيضاً ، فإن البيت من أبيات لزهير بن أبي سلمى ثابتة في ديوانه .

قال شارح ديوانه : كان لزهير ابن يقال له سالم ، جميل الوجه حسن الشعر ، وبعث إليه رجل بردين ، فلبسهما الفتى وركب فرساً له جيداً ، وهو بماء يقال لها التئاء^(١) ، بضم النون بعدها مثناة فوقية بعدها ألف ممدودة ، فمرّ بامرأة من العرب فقالت : مارأيت كاليوم رجلاً ولا بردين ولا فرساً^(٢) ! فعثرت به الفرس فاندقت عنقه وعنق الفرس ، وانشق البدان ، فقال زهير يرى ابنه سالماً :

رأيت رجلاً لاقى من العيش غبطةً وأخطأه فيها الأمور العظامُ
وشب له فيها بنون وتوبعت سلامه أعوام له وغنائمُ
فأصبح محبوراً ينظر حوله بمغبطة لو أن ذلك دائمُ
وعندى من الأيام ما ليس عنده فقلت تعلم أنما أنت حالمُ^(٣)

(١) ط : « بماء » صوابه في ش . وفي ش : « التئاء » ، صوابه في ط . قال ياقوت : « وهو من التنوء ، وهو خروج الشيء عن موضعه من غير بينونة » .

(٢) في شرح الديوان ٣٤١ : « ولا فرساً أحسن » .

(٣) في شرح الديوان : « يخاطب ابنه يقول : ماأنت فيه من السرور والشباب بمنزلة الحلم » .

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُرَاعِيَ بِفَاجِعٍ كَمَا رَاعَنِي يَوْمَ الثَّتَاءِ سَالِمٌ ^(١)
يَدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ وَجِلْدَةً بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ
انتهى .

وروى جماعة بدل أُرِيغُهُ : « أُخِيلُهُ » بالخاء المعجمة ، يقال أُخِلْتُ
السَّحَابَةُ وَأُخِيلَتِهَا ، إِذَا رَأَيْتَهَا مُخِيلَةً لِلْمَطَرِ ، بضم الميم ، أَيْ تَحِيلُ مَنْ رَأَاهَا
أَنَّهُا مُمْطَرَةٌ . وَهُوَ مِنْ خَالَ أَيْ ظَنَّ . وَمَخِيلَةٌ أَيْضًا ، أَيْ مَوْضِعٌ لِأَنَّهُ يُخَالُ فِيهَا
الْمَطَرُ . كَذَا قَالَ الْمَعْرِيُّ (فِي شَرْحِ دِيْوَانِ الْبَحْتَرِيِّ) . وَأَنْشُدْ هَذَا الْبَيْتَ .

وروى صاحب الأغاني ، وعلى بن حمزة البصري بدله : « أَشِيمُهُ » ،
يَقَالُ شَامَ الْبَرْقِ ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ ، أَيْ إِلَى سَحَابَتِهِ أَيْنَ تَمُطِرُ . وَهَاءٌ فِي الرِّوَايَاتِ
الثَّلَاثِ ضَمِيرُ الْبَرْقِ فِي بَيْتِ قَبْلِهِ .

وقوله : (وَمِطْوَايَ) هُوَ مِثْنَى مِطْوٍ ، حَذَفَتْ نُونُهُ عِنْدَ الْإِضَافَةِ إِلَى يَاءِ
الْمِتْكِلمِ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْبَصْرِيُّ (فِي كِتَابِ التَّنْبِيهَاتِ عَلَى أَغْلَاطِ الرِّوَاةِ) :
الْمِطْوُ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَضَمِّهَا : الصَّاحِبُ . وَأَنْشُدْ هَذَا الْبَيْتَ وَقَوْلَ الشَّاعِرِ :
عَلَامٌ تَقُولُ الْأَسْعَدَانِ كَلَاهُمَا
وَمِطْوُهُمَا كَبِشٌ بِذِيورَةٍ مُعَبَّرٌ

وقال صاحب الصحاح : مِطْوُ الشَّيْءِ ، بِالْكَسْرِ : نَظِيرُهُ وَصَاحِبُهُ .
وَأَنْشُدْ :

نَادَيْتُ مِطْوَى وَقَدْ مَالَ النَّهَارُ بِهِمْ
وَعَبْرَةُ الْعَيْنِ جَارٍ دَمْعُهَا سَجِمٌ

(١) يخاطب زهير هذه المرأة التي حسدت ابنه سالما . وفي معجم البلدان : « ترَاعَ » ، تخويف
بخالف مافى التسخين والديوان .

وقال رجلٌ من أزدِ السَّراةِ يصفُ برقاً :
 فظنُّتُ لَدَى البيتِ العتيقِ أُخيله ومِطوًى مشتاقان لَه أرقانِ
 أَى صاحبائى . انتهى .
 وقوله : (مشتاقان) خبر مطوًى . وكذلك (أرقان) ، وضمير له للبرق
 أيضاً .

وروى صاحب الأغاني ، ومحمد بن حمزة العلوى (فى حماسته) :
 « ومطوًى من شوقٍ له أرقانٍ »
 وعليه لاشاهد فيه ، فأرقان خبر مطوًى ، ومن تعليلية متعلقة بأرقان ،
 وهو مثنى أرق بكسر الراء ، وهو وصف من الأرق بفتحها ، بمعنى السَّهَرِ .
 وهذا البيت من قصيدة لِيَعْلَى الأَحولِ الأزدى ، مطلعُها فى رواية أبى صاحب الشاهد
 عمرو الشيبانى :

(أَوْيَحْكُمَا يَاوَأَشِيئِي أُمَّ مَعْمَرٍ	بِمنِ وَإِلَى مَنْ جِئْتَا تَشِيانِ أَيْاتِ الشَّاهِدِ
بِمنِ لَوْ أَرَاهُ عَانِيًا لَفَدَيْتُهُ	وَمَنْ لَوْ رَأَى عَانِيًا لَفَدَانِي
أَرِقْتُ لِبَرَقٍ دُونَهُ شَدَوَانِ	بِمانِ وَأَهْوَى الْبَرَقِ كُلِّ بِيَانِ
فَبْتُ لَدَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَشِيمَهُ	وَمِطْوًى مِنْ شَوْقٍ لَهُ أَرِقَانِ
إِذَا قُلْتُ شِيمَاهُ يَقُولَانِ وَأَهْوَى	يَصَادِفُ مِنَّا بَعْضَ مَاتِرِيَانِ

إلى أن قال بعد أربعة أبيات :
 (أَلَا لَيْتَ حَاجَاتِي الْوَلَوَاتِ حَبَسْتَنِي
 لَدَى نَافِعٍ قُضِّيَنَ مِنْذُ زَمَانِ

ومابى بُغضٌ للبلادِ ولاقلى ولكن شوقا فى سواه دعانى
فليت القلاصَ الأدمَ قد وَخَدَت بنا بواي يمان فى رُباً ومَحَانِ
بواي يمانِ ينبت السُّدرَ صدره وأسفله بالمرخ والشَّهَانِ
يدافعنا من جانبيه كلاهما غريفان من طَرفائه هَدِبانِ
وليت لنا بالجُوز واللوز غيلةً جَناها لنا من بطن حَلية جاني
وليت لنا بالذِّيك مُكَّاءَ روضةٍ على فنن من بطن حَلية داني
وليت لنا من ماءٍ زمزم شربةً مُبرِّدةً باتت على طَهْيَانِ
الواشى : النِّمام ، وشى يشى وشيا . والعانى : الأسير . وشَدَّوان ، بفتح
الشين المعجمة والدال (١) ، قال أبو عبيد (فى المعجم) : هو موضعٌ ذكره أبو
بكر .

ونافع : الى مكة ، كان حبس الشاعر .

والقلاص : جمع قلوص ، وهى الناقة الشَّابة . والأدم : جمع أدماء .
والأدمة فى الإبل : البياض الشديد . وَوَخَدَت : أسرع . ورُباً : جمع روبة .
ومَحَانٍ : جمع محنية ، بفتح الميم وكسر النون ، وهو موضع الخناء الوادى .
والمرخ : شجرٌ سريع الورى . والشَّهَانُ بفتح الشين المعجمة وضم
الموحدة وفتحها : شجرٌ شائك ، وقيل هو النِّمام من الرياحين .
والغريف ، بالغين المعجمة : الشجر الكثير الملتف ، أى شجر كان .
والهدب بفتح فكسر : الشجر الذى له هَدَبٌ بفتحتين ، وهو كل ورق ليس
له عرض ، كورق الأثل والطرفاء والسرو .

٤٠٥

(١) قيده ياقوت بلفظ التننية . وذكر البكرى أنه على وزن فعلان .

والغيلة ، بكسر الغين المعجمة : ثمرة الأراك الرطبة . تَمَنَّى أن يأكل
الغيلة بدلَ الجوز واللوز .

وحلية : بفتح الحاء المهملة وسكون اللام بعدها مثناة تحتية ، قال أبو
عبيد (في المعجم) : أجممة باليمن معروفة ، وهى مأسدة .
وقوله : وليت لنا بالديك ، أى بدل الديك .

وطَهْيَان بفتح الطاء واهاء والمثناة التحتية ، وهو جبل . يريد أيضاً بدلا
من ماء زمزم . وهذا البيت يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى حروف الجر فى
الشاهد الخامس والسبعين بعد السبعائة .

ويعلى الأزديّ ، بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة واللام بعدها
ألف مقصورة . قال الأصبهاني (فى الأغاني) : يعلى الأحول الأزديّ ، هو ابن
مسلم بن أبى قيس ، أحد بنى يشكر بن عمرو بن فلان — وفلان هو يشكر^(١)
— ويشكر لقبٌ لَقَّبَ به — ابن عمران بن عمرو بن عدى بن حارثة بن لوزان بن
كهف الظلام — هكذا وجدته بخط المبرد — ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر . شاعر
إسلاميٍّ لصٍّ ، من شعراء الدولة الأموية . وقال هذه القصيدة وهو محبوسٌ بمكة عند
نافع بن علقمة الكنانى ، فى خلافة عبد الملك بن مروان . قال أبو عمرو
السيباني : كان يعلى الأحول الأزديّ لَصًّا فاتكا ، وكان خليعاً يجمع صعاليك الأزد
وخلعاءهم فيغير بهم على أحياء العرب ، ويقطع الطريق على السَّابِلة ، فشكَّى إلى
نافع بن علقمة بن مُحَرَّث^(٢) الكنانى ثم الفقيمي ، وهو

(١) فى الأغاني ١٩ : ١١١ : «بن رألان ، ورألان هو يشكر» .

(٢) فى الأغاني : «الحارث» ، وما هنا صوابه . و «محرت» نسبة الى جده الأعلى ، وهو كما فى البيان

٣٢٢ ، ٣٩٣ : نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرت . وقال الجاحظ : إنه كان خال مروان ، وكان
واليا على مكة والمدينة ، وكان شاهرا سيفه لا يغمده .

خال مروان بن عبد الملك ، وكان إلى مكة ، فأخذ به عشيرته الأزدية ، فلم ينفعه ذلك ، واجتمع إليه شيوخ الحى ، فعرفوه أنه خلع قد تبرّوا منه ومن جرائره إلى العرب ، وأنه لو أخذ به سائر الأزد ماوضع يده في أيديهم . فلم يقبل ذلك منهم وألزمهم إحضاره ، وضّم إليهم شرطاً ^(١) يطلبونه إذا طرّق الحى يجيئونه به ، فلما اشتدّ عليهم في أمره طلبوه حتى وجدوه ، فأتوه به فقيده وأودعّه الحبس ، فقال في محبسه هذه القصيدة . كذا قال المبرد ، وعمرو بن أبى عمرو الشيبانى عن أبيه ^(٢) . قال الشيبانى : ويقال إنها لعمرو بن أبى عمارة الأزدى ، من بنى حنيس . ويقال إنها لجؤاس بن حيان ، من أزد عُمان . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الثلاثمائة ^(٣) :
 ٣٨٤ (وما تُبالى إذا ما كنتِ جارتنا أن لا يُجاورنا إلّاكِ ديارُ)
 على أن وقوع الضمير المتصل بعد إلّا شاذّ ، والقياس وقوعه بعدها منفصلاً نحو : أن لا يُجاورنا إلّا إِيّاكِ ديار .
 وإنما استحقّ النصب لأنه استثناء مقدّم على المستثنى منه وهو ديار .
 وإنما استحقّ الفصل مع أنه معمول لإلّا على الصحيح ، لأنّه مانحو مالمقيت

(١) ط : « شرط » ، صوابه في الأغاني وفي ش مع أثر تصحيح . والشرط بضم ففتح : جمع شرطى .

(٢) ط : « عن أبى أبيه » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٣) الخصائص ١ : ٣٧ / ٢ : ١٩٥ وابن يعيش ٣ : ١٠١ ، ١٠٣ وشرح شواهد المغنى ٢٨٥ والعينى ١ : ٢٥٣ والتلخيص ١ : ٩٨ ، ١٩٢ والأخمينى ١ : ١٠٩ .

إلا إياك (١) ، لأنه معمول للفعل بالاتفاق فلا يصح اتصاله بغير عامله ، ثم حمل عليه غير المفرغ ليَجْرياً على سَنَنِ واحد .

وإنما سهّل وصله في الضّرورة لثلاثة أمور :

أحدها : أنَّ الأصل في الضمير الاتصال .

الثاني: أنَّ الأصل في الحرف الناصب للضمير أن يتّصل به ، نحو إنك ولعلّك .

الثالث : أجرى إلّا مجرى أختها فأجريت مجراها في الوصف بها . ٤٦

وزعم ابن مالك (في شرح التسهيل) أنَّ مافي البيت ليس بضرورة ، لتمكّن الشاعر من أن يقول :

« أن لا يكون لنا نخلٌ ولا جارٌ »

وإذا فتح هذا الباب لم يبق في الوجود ضّرورة ، وإنما الضرورة عبارة عما أتى في الشّعْر على خلاف ما عليه النثر . كذا قال ابن هشام في شرح شواهد .

وهذا البيت أنشدته الفراء (في تفسيره) (٢) ولم يعزه إلى أحد . قال شارح اللبّ : ورواية البصريين :

« أن لا يجاورنا حاشاك ديارٌ »

قال صاحب الكشف : ديار من الأسماء المستعملة في التّفى العام ، يقال مافي الدّيار ديارٌ (٣) ، ودَيُّور ، كَقَيَّامٍ وقَيُّوم. وهو فيعال من الدّور، أو من

(١) كذا وردت العبارة في النسختين . وكتب مصحح طبعة بولاق : «هكذا بالأصل ، ولعل العبارة : لأنّ إيا في نحو مالمقت إلا إياك معمول » .

(٢) لم يرد هذا الشاهد في سورة نوح عند كلمة « ديار » فعنله ساقط من النسخة المطبوعة من معاني القرآن .

(٣) كذا في النسختين ؛ وفي الكشف : « ما بالدار » ، وهو الوجه .

الدار ، أصله دَيَّوَار ، فُفِعِلَ به مافعل بأصل سيّد ؛ ولو كان فَعَّالاً لكان دَوَّار .

وقال ابن الحاجب (في أمالي المفصل) : معناه إذا حصلت مجاورتك فانتفاء مجاورة كلّ أحد مغتفرة غير مُبَالِي بها ؛ لأنّ مجاورتك هي المقصودة دون جميع المجاورات . وأن لايجاورنا في موضع مفعول ، إمّا على تقدير حذف حرف جر ، كقولك : ما باليت بزيد ، أو على التعدّي بنفسه كقولك : ما باليت زيدا . وديّار فاعل ليجاورنا . انتهى .

وقول العيني إلّا هنا بمعنى غير ، فاسدٌ يظهر بالتأمل .
وهذا البيت قلّما خلا عنه كتابٌ نحوى . والله أعلم بقائله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد س (١) :

٣٨٥ (كَأَنَّا يَوْمَ قُرَىٰ لِّئِمَّا نَقْتُلُ إِيَّانَا)

على أن (إيَّانا) فصل من عامله لوقوعه بعد معنى إلّا ، وهو شاذّ .
قال سيبويه في باب من أبواب المضمر : هذا بابٌ مايجوز في الشعر من أيّا ولا يجوز في الكلام . فمن ذلك قولُ حُمَيْدِ الْأَرْطُ :
* إِلَيْكَ حَتَّىٰ بَلَغْتَ إِيَّاكَ *

وقال الآخر ، لبعض اللصوص :
كَأَنَّا يَوْمَ قُرَىٰ لِّئِمَّا نَقْتُلُ إِيَّانَا . انتهى

(١) في كتابه ١ : ٢٧١ ، ٣٨٣ . وانظر الخصائص ٢ : ١٩٤ وأمالي ابن الشجري ١ : ٣٩ والإنصاف ٦٩٩ وابن يعيش ٣ : ١٠١ ، ١٠٢ .

قال الأعلام : الشاهد فى وضع إيانا موضع الضمير المتصل فى نقتلنا ،
وفى وضع إِيَّاكَ موضع الكاف ضرورة .

وقال الزجاج : أراد بَلَعْتَكَ إِيَّاكَ ، فحذف الكاف ضرورة . وهذا
التقدير ليس بشئ ، لأنَّه حذف المؤكّد وترك التوكيد مؤكّداً لغير موجود ،
فلم يخرج من الضّرورة إلّا إلى أقبح منها . والمعنى : سارت هذه الناقّة إليك
حتى بلغتكَ . انتهى .

وقبله :

(أَتَتَكَ عَنَسٌ تَقْطَعُ الْأَرَاكَ)

والعَنَس ، بسكون النون : الناقّة الشديدة ، أى تقطع الأرضى التى هى
منابت للأراك . وكان حقّ الكلام فى البيت الشاهد أن يقول : نقتل أنفسنا .
لأنّ الفعل لايتعدى فاعله إلى ضميره ، إلا أن يكون من أفعال القلوب ،
لا تقول ضربتني ، ولا أضربني ولا ضربتك ، بفتح التاء ، ولازيد ضربه ، على
إعادة الضمير إلى زيد ، ولكن : تقول ضربت نفسي ، وضربت نفسك ، وزيد
ضرب نفسه . وإنما تجبّوا تعدّي الفعل إلى ضمير فاعله كراهة أن يكون
الفاعل مفعولاً فى اللفظ ، فاستعملوا فى موضع الضمير النفس ، نزّلوها منزلة
الأجنبي ، واستجازوا ذلك فى أفعال العلم والظنّ الداخلة على جملة الابتداء
فقالوا : حَسِبْتُنى فى الدار ، ولم يأت هذا فى غير هذا الباب إلا فى فعلين
قالوا : عِدْمَتنى وفقدتني . ولَمَّا لم يمكن هذا الشاعر أن يقول : نقتل أنفسنا
ولانقتلنا ، وضع إِيَّانا موضع نا ، وحسّن ذلك قليلاً أن استعمال المتّصل
ههنا قبيح أيضاً ، وأنّ الضمير المنفصل أشبه بالظاهر من المتصل ، فإِيَّانا أشبه
بأنفسنا من نا . ولكن أقبح منه قول جُميد :

« إِلَيْكَ حَتَّى بَلَعْتُ إِيَّاكَ »

لأنَّ اتِّصال الكاف ببلَعَتْ حسنٌ .

صاحب الشاهد
أبيات الشاهد
والبيت من أبياتٍ لدى الإصبع العذواني ، وهي :
(لقينا منهمُ جمعاً فأوفى الجمعُ ماكانا ^(١))
كأنَّا يومَ قُرَى لم نَمَّا نقتُل إيانا
فَتَناننا منهمُ كلَّ فتى أبىضَ حُسانا
يُرى يرفلُ في بُردٍ من أبراد نَجْرانَا
كذا في أمالي ابن الشجرى .

ولم يرو ابنُ الأعرابي (في أماليه) البيتَ الأوَّل ، وأنشد بعد «نجران» :
(إذا يَسْرُحُ ضاناً مـ لائَةً أتبعها ضانا)

وقوله : «فأوفى الجمع» إلخ هو فعل ماضٍ من الوفاء ، ويجوز أن يريد
فأوفى بما كان عليه ، فحذف وأوصل . ويجوز أن يريد فوفى الجمع الذى لقيناه
ماكان عليه أن يفعلهُ من الإقدام على قتالنا .

وقوله : (كأنَّا يومَ قُرَى) إلخ بضم القاف وتشديد الراء المهملة بعدها ألفٌ
مقصورة . قال أبو عبيد البكرى وياقوت (في معجميهما) : قُرَى : موضعٌ في بلاد
بنى الحارث بن كعب . وزاد أبو عبيد : وقال أبو حنيفة الدِّينورى : قُرَى : ماءة
[قريبة ^(٢)] من تَبالة ، وتَبالة بفتح المثناة الفوقية بعدها باءٌ موحدة بعدها لام ،
على وزن فَعالة : بلدٌ، وهى التى يُضرب بها المثل فيقال : «أَهْوَنُ من تَبالة على
الحجاج» . أبو اليقظان : هى أوَّلُ عملٍ وليه الحجاج ، وهى بلدةٌ صغيرة من
اليمن ، فلما قرب منها قال للدليل : أين هى ؟ قال : تسترها عنك هذه الأكمة .
قال : أهْوَنُ علىَّ بعملٍ بلدةٍ تسترها عنى أكمة ! وكرَّر راجعا .

(١) ط : (مانا) ، صوابه فى ش وأمالي ابن الشجرى .

(٢) التكملة من معجم مااستعجم ١٦٢ .

قال ابن الشجرى : ومعنى قوله كأنا نقتل إيانا ، تشبيه المقتولين
بنفسه وقومه فى الحُسن والسيادة ، فلذلك وصفه بما بعده ، أى هم سادةٌ
يلبسون أبرادَ اليمن ، فكأننا بقتلنا إياهم قتلنا أنفسنا . انتهى
وقال ابن الأعرابى : أى لا ينبغى أن نقتل منهم لنفاسهم ، ولكن
أجفونا إلى ذلك .

وقال الأعلام : وصف قوماً أوقعوا بينى عمهم ، فكأنهم بقتلهم
قاتلون أنفسهم .

وقوله : « كل فتى أبيض حُسانا » هو بضم الحاء وتشديد السين :
وصف بمعنى الكثير الحُسن ، كالطُّوال بمعنى المفرط فى الطُّول ، والكُبار
بمعنى المفرط فى الكبر . واليباض هنا : نقاء العِرض عن كل ما يعاب به .
وهذا البيت أورده سيويه فى باب ما لا يكون الاسم فيه إلّا نكرة ،
قال : حدّثنى أبو الخطاب أنّه سمع من يوثق بعريته من العرب يُنشد هذا البيت :
قتلنا منهم كل فتى أبيض حُسانا
فجعله وصفاً لكل . انتهى

فأبيض وحُسان منصوبان على أنّهما نعتان . ويجوز عندى أن يكونا
صفتين لفتى ، وفتحتهما نائبة عن الكسرة لأنّهما ممنوعان من الصرف .

وتبع ابن الشجرى سيويه فقال : نصب حُسانا على الوصف لكل ،
ولو كان فى نثر لجاز حُسائين وصفاً ^(١) لكل على معناها ، لأنّ لفظها واحد
ومعناها جمع . قال : يقال حسنة وحسن ، فإذا بالغوا فى الحُسن قالوا حُسان
وحُسانة مخفّان ، فإذا أرادوا النّهاية فيه قالوا حُسان وحُسانة مشدّدان .

(١) ط : « وصف » .

وقوله: «يُرَى يَرْفُل» إلخ الأول بالبناء للمفعول ، يقال رَفُلَ (١) فلانٌ في ثوبه ، وذلك إذا طال الثوبُ على لابسِه وجَرَّه في مَشْيِه ، ويفعلون ذلك تكبُّراً. ونَعْجُران : بلدٌ باليمن يُنسَج فيها البرود الجيدة (٢) .

وذو الإصبع العَدَوَانِي : شاعرٌ معمرٌ من شعراء الجاهلية . قال أبو حاتم العدواني (في كتاب المعمرين) : عاش ذو الإصبع ، وهو حُرثان بن محرث ، من عَدَوَان بن عمرو بن قيس عيلان ، ثلثمائة سنة ، وقال :

أصبحتُ شيخاً أرى الشَّخصين أربعةً
والشَّخصَ شخصين لما مَسْنَى الكِبَرُ
لأسمعُ الصَّوْتِ حتى أستديرَ له
ليلاً وإنَّ هو ناغانى به القمرُ

وإنما قال ليلاً ، لأنَّ الأصوات هادئة ، فإذا لم يسمع بالليل والأصوات ساكنة كان من أن يسمع بالنهار مع ضجَّة الناس ولَقَطَهم أبعد (٣) . وإنما قيل له ذو الإصبع ، لأنه كانت له في رجله إصبعٌ زائدة .

وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء) : ذو الإصبع حُرثان بن عمرو ، من عَدَوَان بن عمرو بن قيس عيلان ، وكان جاهلياً . وسمي ذا الإصبع لأنَّ حيَّةً نهشت إصبعه فقطعها . انتهى .

وقال ابن الأنباري (في شرح المفضليات) : نسبَه أحمد بن عُبيد وغيره فقالوا: هو حُرثان بن الحارث. والأصمعيُّ يقول : ابن السمَّوئل بن محرث بن

(١) ط : (يرفل) ، وأثبت ماورد في ش مع أثر تصحيح .

(٢) ش : « تنسج » ، بالثناء .

(٣) ما بعده من الكلام لم يرد في كتاب المعمرين . وهو نهاية كتاب المعمرين .

شبابه^(١) بن ربيعة بن هُبيرة بن ثعلبة بن الظَّرب بن عمرو بن عِيَاذ بن يَشْكُر ابن عَدُوَان ، وهو الحارث^(٢) ، بن عمرو بن سَعْد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار . وإنما سمي ذا الإصبع لأن أفعى نهشت إبهامَ رجله فقطعَها . ويقال إنه كانت له إصبعٌ زائدة . انتهى

وقال علم الهدى السيد المرتضى (في أماليه غرر الفوائد ودرر القلائد): ومن المعمرين ذو الإصبع العدواني ، واسمه حُرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظَّرب بن عمرو بن عِيَاذ بن يَشْكُر بن عَدُوَان ، وهو الحارث ، بن عمرو بن قيس بن عيلان^(٣) بن مضر . وإنما سمي الحارث عدوان لأنه عدا على أخيه فهِم فقتله . وقيل بل فقأ عينه . وقيل : إنَّ اسم ذى الإصبع محرث بن حُرثان ، وقيل حُرثان بن حويرث ، وقيل حُرثان بن حارثة . ويكنى أبا عَدُوَان . وسبب لقبه بذي الإصبع أن حيَّة نهشته على إصبعه فشَلَّت فسمَّى بذلك . ويقال إنه عاش مائة وسبعين سنة . وقال أبو حاتم : إنه عاشَ ثلاثمائة سنة . وهو أحدُ حكام العرب في الجاهلية .

ثم أورد السيّد جملاً من أحواله الى أن أورد هذه الحكاية . وأوردها الزجاجي أيضا (في أماليه الصغرى)^(٤) بسندهما الى سعيد بن خالد الجَدَلِي ، أنه قال : لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مُصعب بن الزبير دعا الناس إلى فرائضهم ، فأتيناه فقال : ممَّن القوم ؟ قلنا : من جديلة . فقال : جديلةُ عَدُوَان ؟ قلنا : نعم . فتمثَّل عبدُ الملك :

(١) في شرح المفضليات ٣١٢ : « بن شباب » .

(٢) في شرح المفضليات : « بن عدوان بن الحارث » .

(٣) في أمالي المرتضى ١ : ٢٤٤ : « بن قيس عيلان » ، وكل صواب .

(٤) انظر ملحقات أمالي الزجاجي بتحقيق كاتبه ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

عَدِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدُوا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ
بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَلَمْ يُرْعُوا عَلَى بَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتْ السَّادَاتُ وَالْمُؤَفُونَ بِالْقَرْضِ (١)

ثم أقبل على رجلٍ كنّا قدّمناه أماننا ، جسيمٍ وسيمٍ ، فقال : أيُّكم يقول هذا الشعر ؟ فقال : لأأدرى . فقلت من خلفه : يقوله ذو الإصبع . فتركني وأقبل على ذلك الجسيم فقال : وما كان اسمُ ذى الإصبع ؟ فقال : لأأدرى . فقلت أنا من خلفه : اسمه حُرثان . فأقبل عليه وتركني . فقال : لم سمى ذا الإصبع ؟ فقال : لأأدرى . فقلت أنا من خلفه : نهشته حَيَّةٌ على إصبعه (٢) . فأقبل عليه وتركني . فقال : من أيُّكم كان ؟ فقال : لأأدرى . فقلت أنا من خلفه : من بنى ناج . فأقبل على الجسيم فقال : كم عطاؤك ؟ فقال : سبعمائة درهم . ثم أقبل على فقال : كم عطاؤك ؟ قلت : أربعمائة درهم . فقال لكاتبه (٣) حُطَّ من عطاء هذا ثلثمائة وزدّها في عطاء هذا . فَرُحْتُ وعطائي سبعمائة وعطاؤه أربعمائة . اهـ
وأورد له من شعره قوله :

أَكْأَشِرُ ذَا الضُّعْفَيْنِ الْمُبِينِ مِنْهُمْ وَأَضْحَكُ حَتَّى يَبْدُو النَّابُ أَجْمَعُ (٤)
وَأَهْدِنَهُ بِالْقَوْلِ هَذَا وَلَوْ يَرَى سَرِيرَةً مَا أَخْفَى لَبَاتٍ يَفْزَعُ

(١) بعده في أمالي المرتضى ١ : ٢٥٠ :

وَمِنْهُمْ حَكَمَ يَقْضَى فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضَى
وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْبِزُ النِّسَاءَ سَ فِي السَّنَةِ وَالْفَرَضِ

(٢) في الأمالي : « في أصبعه » .

(٣) في أمالي المرتضى : « فقال : يا أبا الزعيرة » ، وهو اسم كاتبه على ديوان الرسائل ، كما في تاريخ الطبري ٦ : ١٨٠ . وفيه ص ١٤٥ وقد قيل إن عبد الملك بن مروان لما خرج إلى الصلاة أمر غلامه أبا الزعيرة بقتل عمرو . وفي الأمالي : « يا ابن الزعيرة » ، تحريف .

(٤) ط : (أكأشِر كالضعفان) ، صوابه في ش وأمالي المرتضى والزجاجي .

ومعنى أهْدِنه : أسْكِنه . ومنه قوله :

إذا ما الدَّهْرُ جَرَّ على أناسٍ شَرَّاشِرُهُ أناسٌ بآخرينَا
فقلْ للشَّامِتِينَ بنا: أفيقُوا سيلقى الشامتون كما لقينا
ومعنى الشَّرَّاشِرُ، هنا: الثقل. يقال: ألقى على شرَّاشِرُهُ وجراميزه، أى ثقله.
ومن قوله أيضا (١) :

ذهبَ الدين إذا رأوفى مُقبِلًا هَشُوا إلى وَرَحَبُوا بالمقبل
وهم الذين إذا حملت حَمَالَةً ولقيتهم فكأُننى لم أحمل
والحَمَالَة بالفتح : تحملُ دية القتيل عن القاتل .
وَحُرَّتَان بضم الحاء المهملة وسكون الراء بعدها ثاء مثلثة . وحرَّث
بكسر الراء المشددة على زنة اسم الفاعل (٢) . وعَدَّوَان بفتح العين وسكون
الذال المهملتين . والسَّمَّوَل بفتح السين والميم وسكون الواو بعدها همزة
مفتوحة ولام . وشَبَّابَة بفتح الشين المعجمة بعدها موحدتان خفيفتان . وعِيَاذ
بكسر العين المهملة بعدها مثناة تحتية وآخره ذال معجمة . والظَّرَب بفتح
الطاء المعجمة المشالة وكسر الراء . وفَهَّم بفتح الفاء وسكون الهاء وثالثه ميم ،
وهو أَخو عَدَّوَان .

وأنشد بعده :

(تَرَاكِهَآ من إِبِل تَرَاكِهَآ)

وتقدم شرحه مستوفى فى الشاهد الحادى والستين بعد الثلاثة(٣).

(١) ط : « ومنه قوله أيضا » ، وأثبت ما فى ش ومالى المرتضى .

(٢) الذى فى اللسان والقاموس أنه كمحمَّد ، بزنة اسم المفعول .

(٣) انظر هذا الجزء ص ١٦٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الثلاثئة ^(١) :

٣٨٦ (ضَمِنْتُ إِيَّاهُمْ الْأَرْضُ)

هذا قطعة من بيت ، وهو :

(بالباعث الوارث الأموات قد ضَمِنْتُ

إِيَّاهُمْ الْأَرْضُ فِي ذَهْرِ الدَّهَارِ)

على أن فصل الضمير ضرورة ، والقياس ضَمِنْتُهُم الْأَرْضُ .

كذا أنشده ابن الشجري (في أماليه) وقال : ومثله في القُبْح ^(٢) ضمير

الرفع . قال طرفة :

أَصْرَمْتُ حَبْلَ الْوَصْلِ بَلْ صَرَمُوا يَاصَاحُ ، بَلْ قَطَعَ الْوِصَالَ هُمُ ٤١٠

وأنشده شراح الألفية ، وابن هشام (في شواهد) أيضاً ، بتقديم

الباعث على الوارث . والأنسب الرواية الأولى .

والباء في قوله (بالوارث) متعلّقة بحلفت في بيتٍ متقدّم ، وهو :

(إِنِّي حَلَفْتُ وَلَمْ أَحْلِفْ عَلَى فَنَدٍ فَنَاءَ بَيْتٍ مِنَ السَّاعِينَ مَعْمُورٍ)

وقوله : « ولم أحلف على فند » الجملة حال من التاء في حلفت . والفند ،

بفتح الفاء والنون : الكذب . وفناء البيت : ساحته ؛ وهو بكسر الفاء بعدها

نون ، وهو ظرف لقوله حلفت . وأراد بالبيت بيت الله الحرام ، زاده الله شرفاً .

ومن متعلقه بمعمور . والسّاعين : الذين يسعون إليه من جميع البلاد . ومعمور

صفة لبيت .

(١) الخصائص ١ : ٣٧ / ٢ : ١٩٥ وأمالى ابن الشجري ١ : ٤٠ والإنصاف ٦٩٨ والعينى

١ : ٢٧٤ والتصريح ١ : ١٠٥ والأشعوى ١ : ١١٦ وديوان الفرزدق ٢٦٦ .

(٢) ط : « في الفتح » ، صوابه في ش . وفي أمالى ابن الشجري : « .. قبيح ، ومثله في ضمير

الرفع ، .

و (الوارث) و (الباعث) : اسمان من أسماء الله الحسنى ، أفسَمَ بهما .
والوارث : الذى يرجع إليه الأملاك بعد فناء المُلُوك (١) . والباعث هو الذى
يبعثُ الخلق ، أى يُحييهم بعد الموت يوم القيامة . و (ضَمِنْتُ) بكسر الميم
بمعنى تضمَّنتُ عليهم ، أى اشتملت عليهم ، أو بمعنى كفلت ، كأنَّها
تكفلت بأبدانهم . و (الأرض) فاعل ضمنت . و (الدهر) : الزمان . ودهر
الدَّهَارِير : الزمان السالف ، وقيل أوَّل الأزمنة السالفة . وإذا قيل دهرٌ
دَهارِيرُ (٢) بالصفة فمعناه شديد ، كما يقال ليلةٌ ليلاء .

قال ابن هشام : و (الأموات) إمَّا منصوب بالوارث على أنَّ الوصفين
تنازعا وأعمل الثانى والأوَّل لاضمير فيه (٣) ، وإمَّا مخفوض بإضافة الأوَّل أو
الثانى ، على حد قوله (٤) :

* بين ذراعَيْ وجهَةِ الأسدِ *

وأما قوله : قد ضمنت إياهم الأرض ، فهو إمَّا حالٌّ من الأموات (٥) أو
وصفٌ ، لأنَّ أَل فيها للجنس .

والبيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها يزيد بن عبد الملك ، ويهجو يزيد صاحب الشاهد
ابن المهلب .

وقبله :

(ياخير حىٍّ وقَتَّ نعلٌ له قَدَمًا وميَّتَ بعدَ رُسُلِ الله مقبورٍ أبيات الشاهد

(١) ش : « الملك » .

(٢) ط : « دهر الدهارير » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « وإلا لأضمير فيه » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح بخط الناسخ لا الشنقيطى .

(٤) ط : « على حد قوهم » ، وأثبت ما فى ش .

(٥) ط : « إمَّا حال من الأرض » ، صوابه فى ش .

إِنِّي حَلَفْتُ وَلَمْ أَحْلِفْ عَلَى فَنَدٍ فَنَاءَ بَيْتٍ مِنَ السَّاعِينَ مَعْمُورٍ^(١)
 فِي أَكْبَرِ الْحِجِّ حَافٍ غَيْرَ مُتَعَلِّجٍ مِنْ حَالِفٍ مُحَرِّمٍ بِالْحِجِّ مَعْمُورٍ^(٢)
 بِالْبَاعِثِ الْوَارِثِ الْأَمْوَاتِ قَدْ ضَمِنْتُ إِيَّاهُمْ الْأَرْضُ فِي دَهْرِ الدَّهَائِرِ
 إِذَا يَثُورُونَ أَفْوَاجاً كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ رِيحٌ مِنَ الْأَجْدَاثِ مَنْشُورٍ
 لَوْ لَمْ يَشُرَّ بِهِ عَيْسَى وَبَيْنَهُ كُنْتُ النَّبِيَّ الَّذِي يَدْعُو إِلَى النُّورِ
 فَأَنْتَ إِنْ لَمْ تَكُنْ إِيَّاهُ صَاحِبُهُ مَعَ الشَّهِيدِينَ وَالصَّدِّيقِ فِي السُّورِ^(٣)

وَالْفَنَدُ ، بفتح الفاء والنون : الكذب . والمصبور : الذي صَبَرَ نفسه
 عَلَى أَفْعَالِ الْحِجِّ ، أَى حَبْسِهَا .

وَقَوْلُهُ : إِذَا يَثُورُونَ ، مُتَعَلِّقٌ بِالْبَاعِثِ ، يُرِيدُ : كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ نَشَرَتْهُ الرِّيحُ
 وَفَرَّقَتْهُ . وَمَنْشُورٌ كَانَ حَقُّهُ الرِّفْعُ ، لِأَنَّهُ نَعَتْ الْجَرَادَ ، وَلَكِنَّهُ خَفَضَهُ عَلَى
 الْمَجَاوِرَةِ .

وَقَوْلُهُ : لَوْ لَمْ يَشُرَّ بِهِ إِنْخُ ، هَذَا جَوَابُ الْقِسْمِ ، وَفِيهِ مَبَالِغَةٌ فَاحِشَةٌ .
 وَتَرْجُمَةُ الْفَرَزْدَقِ تَقَدَّمَتْ فِي الشَّاهِدِ الثَّلَاثِينَ^(٤) .

» « » « »

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ السَّابِعُ وَالْثَمَانُونَ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ^(٥) :

(١) فِي شَرْحِ الدِّيَّانِ ٢٦٤ : « وَنَصَبَ فَنَاءً لَمَّا تَرَكَ النِّصْفَ ، يُرِيدُ فِي فَنَاءِ بَيْتٍ » ، يَعْنِي نَصَبَ
 عَلَى نَزْعِ الْخَافِضِ . وَالْكَوْفِيُّونَ قَدْ يَسْمُونُ حُرُوفَ الْجَرِّ حُرُوفَ الصِّفَاتِ لِأَنَّهَا تَقَعُ صِفَاتٌ لَمَّا قَبْلُهَا مِنْ
 النِّكَرَاتِ . انْظُرْ ابْنَ يَعِيشَ ٨ : ٧ .

(٢) الْمَصْبُورُ هُنَا : الَّذِي صَبَرَ نَفْسَهُ عَلَى الْحِجِّ ، أَى حَبْسِهَا عَلَيْهِ .

(٣) فِي الدِّيَّانِ : « إِذْ لَمْ تَكُنْ » . وَالسُّورُ : جَمْعُ سُورَةٍ ، وَهِيَ أَعْلَى الْمَنَازِلِ .

(٤) فِي الْخَزَائِنَةِ ١ : ٢١٧ .

(٥) دِيَّانُ الْأَعْمَشِيِّ ١١٩ . وَأَمَّا ابْنُ الشَّجَرِيِّ ١ : ٣١٧ وَإِنْصَافُ ٥٨ .

٣٨٧ (وَإِنَّ أَمْرًا أُسْرَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ
 مِنَ الْأَرْضِ مَوْمَاءٌ وَيَبْدَأُ سَمَلُكُ
 لِمَحْقُوقَةٍ أَنْ تَسْتَجِيبَ لَصَوْتِهِ
 وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ مَوْفِقٌ)

عَلَى أَنَّ الْكُوفِيِّينَ أَجَازُوا تَرْكَ التَّأْكِيدِ بِالْمَنْفَصْلِ فِي الصِّفَةِ الْجَارِيَةِ عَلَى
 غَيْرِ مَنْ هِيَ لَهُ ، إِنْ أُمِّنَ اللَّبَسُ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ (لِمَحْقُوقَةٍ) خَبَرَ عَنْ اسْمِ إِنْ
 ٤١١ وَهُوَ فِي الْمَعْنَى لِلْمَرْأَةِ الْمُخَاطَبَةِ ، وَلَمْ يَقُلْ لِمَحْقُوقَةٍ أَنْتِ .

وَأَقُولُ : الظَّاهِرُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ (فِي أَمَالِيهِ) وَمِنْ كَلَامِ ابْنِ
 الْأَنْبَارِيِّ (فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ) وَمِنْ كَلَامِ غَيْرِهِمَا ، أَنَّ مَذْهَبَ الْكُوفِيِّينَ جَوَّزَ
 تَرْكَ التَّأْكِيدِ مطلقاً ، سواءَ أُمِّنَ اللَّبَسُ أَمْ لَا .

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: احْتَجَّ الْكُوفِيُّونَ لِمَذْهَبِهِم بِالشَّعْرِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَقَوْلِهِ:
 تَرَى أَرِيقَهُمْ مُتَقَلِّدِيهِمَا كَمَا صَدِىءَ الْحَدِيدُ عَلَى الْكِمَاءِ (١)
 وَلَوْ كَانَ إِبْرَازُ الضَّمِيرِ وَاجِباً لَقَالَ مُتَقَلِّدِيهَا هُمْ ، فَلَمَّا لَمْ يَبْرَزِ الضَّمِيرُ دَلَّ
 عَلَى جَوَازِهِ . وَأَجَابَ الْبَصْرِيُّونَ عَنْ هَذَا بِأَنَّهُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ ، أَيْ تَرَى
 أَصْحَابَ أَرِيقَهُمْ مُتَقَلِّدِيهَا . وَعَنِ الْأَوَّلِ بِمُجَوِّبِينَ : أَحَدُهُمَا مَانَقَلَهُ ابْنُ الشَّجَرِيِّ
 عَنْ أَبِي عَلِيٍّ ، وَهُوَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي قَوْلِهِ مَحْقُوقَةٌ ضَمِيرٌ ، لِأَنَّهُ مُسْتَدِلٌّ إِلَى الْمَصْدَرِ الَّذِي
 هُوَ أَنْ تَسْتَجِيبَ ، فَالْتَقْدِيرُ لِمَحْقُوقَةٍ اسْتِجَابَتِكَ ، فَجَعَلَ التَّأْنِيثُ فِي قَوْلِهِ لِمَحْقُوقَةٍ
 لِلْإِسْتِجَابَةِ لِلْمَرْأَةِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَوْ قَالَ لِحَقُوقٍ بِالتَّذْكِيرِ لَجَازَ ، لِأَنَّ تَأْنِيثَ الْإِسْتِجَابَةِ
 غَيْرُ حَقِيقِيٍّ . وَحَاصِلُهُ أَنَّ الْمَصْدَرَ الْمُؤَوَّلَ نَائِبُ الْفَاعِلِ لِقَوْلِهِ مَحْقُوقَةٌ . وَإِلَى هَذَا
 ذَهَبَ ابْنُ هِشَامٍ (فِي شَرْحِ شَوَاهِدِهِ) .

(١) فِي مَعَالِي الْفَرَاءِ ٢ : ٢٧٧ : « إِذَا صَدِىءَ الْحَدِيدُ » .

والجواب الثانى مذكوره ابن الأنبارى ، بأنَّ قوله أنَّ تستجيبى مبتدأ مؤخر ومحقوقه خبر مقدم ، والجملة خبر اسم إنَّ ، والرباط الضمير فى لصوته .

ويحتمل هذين الجوابين مانقله العسكرى ^(١) (فى كتاب التصحيح) قال : أخبرنى أبى قال : أخبرنا عسل بن ذكوان قال : قال أبو عثمان المازنى : سألتى الأصمعى لم أنتَّ محقوقة ^(٢) ؟ قلت : لأنَّه موضع مصدر مؤنث ، لأنَّ معناه استجابتك لصوته ؛ وأنَّ تستجيبى هى استجابتك . فلم يردَّ على شيئاً . اهـ .

وأجاب صاحب اللباب بأنَّ هذا لضرورة الشعر ، ولم يرتض الجوابين المذكورين . قال فيما أملاه على اللباب : قوله لمحقوقة إنَّما جرى على غير من هو له ، لأنَّ التقدير وإنَّ امرأ محقوقة بالاستجابة . لا يقال جاز أن يكون أن تستجيبى فاعل محقوقة ، أو مبتدأ خبره محقوقة مقدماً ، لأنَّه يقال زيد حقيق بالاستجابة ، فيسند إلى الذات ، ولا يقال الاستجابة حقيقة بريد . ولذلك يتأول قوله تعالى : ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ ﴾ ^(٣) ، كما هو مذكور (فى الكشف) . اهـ .

وأجاز شارحه الفالى ^(٤) مامنعه ، وأجاب عما أورده فقال : ويمكن أن

(١) ط : « السكرى » ، صوابه فى ش

(٢) فى التصحيح ٣٦ : « سألتى الأصمعى عنها لم أنتَّ المحقوقة » .

(٣) الأعراف ١٠٥ .

(٤) فى النسختين : « الفالى » بالقاف ، صوابه بالفاء ، كما سبق التنبيه فى مواضع كثيرة . وفى بغية الوعاة : « محمد بن سعيد بن محمد بن أبى الفتح السيرافى المعروف بالفالى بالفاء ، صاحب شرح اللباب لم أقف له على ترجمة » . لكن ذكر الميمنى فى الإقيد أن اسمه إسماعيل الفالى ، وأنه يوجد من كتابه كثير من النسخ بالهند .

يُقال إنَّ قوله أنَّ تستجيبى مبتدأ مؤخر ^(١) ومحقوقة خبر مقدم ، والجملة خبر إنَّ، فقد جرت على من هي له . ومحقوقة بمعنى جدية . يقال أنتَ حقيقٌ أنَّ تفعل كذا، وزيد حقيقٌ به ومحقوقٌ به ، أي خليقٌ له . وكان حقه أنَّ يسند إلى الذات فيقال زيد حقيقٌ بالاستجابة ، لا أنَّ الاستجابة حقيقةٌ بزيد . ونظير ذلك ما استشكل من قوله تعالى : ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ فيمن قرأ بغير تشديد الباء من على . وتأول بتأويلات أحدها : أنَّه على القلب . والثاني : أنَّ ما لزمك فقد لزمته . والثالث : أنَّ المراد حقيقٌ على ترك القول إذ أكون أنا قائله ، ولا يرضى إلاَّ بمثلٍ ناطقاً به ^(٢) . اهـ

والبيت الأول من هذين البيتين قد أنشده الشارح في الشاهد الرابع بعد المائتين ، من باب الحال ، وتقدّم الكلام عليه مع أبياتٍ من أول القصيدة هناك ^(٣) .

صاحب الشاهد

والقصيدة للأعشى ميمون .

وقبله :

<p>إذا خَبَّ آلٌ وَسَطَهُ يَتَرَقُّرُقُ مَجُوفٌ عِلَافٌ وَقِطْعٌ وَثْمَرُقُ أَلَمَ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجَنِّ أَوْلَقُ وَسَهَبَ بِهِ مُسْتَوْضِحُ الْآلِ يَبْرِقُ</p>	<p>(وَتَحْرِقُ مَخْرُوفٌ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ هِيَ الصَّاحِبُ الْأَدْنَى وَيُنَى وَبَيْنَهَا وَتَصْبِحُ مِنْ غَبِّ السَّرَى وَكَأَنَّمَا وَإِنَّ أَمْرًا أَسْرَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ وَكَمْ دُونَهُ مِنْ حَزَنٍ قُفِّ وَرَمْلَةٍ</p>
---	---

أبيات الشاهد

٤١٢

...
البيتين ^(٤)

(١) كلمة « مؤخر » ساقطة من ش .

(٢) ش : « الا بمثل ناطقاً به » .

(٣) الخزائن ٢ : ٢٥٢ .

(٤) في الديوان ١٤٩ : « وكم دون ليلى من عدو وبلدة » .

وأَصْفَرَ كَالْحِثَاءِ ذَاوِ جِمَامِهِ متى ما يذقه فارطُ القوم يَبْصُقُ (١)
به تُنْفَضُ الْأَحْلَاسَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَتُعْقَدُ أَطْرَافُ الْحِبَالِ وَتُطْلَقُ (٢)
وإنَّ عَتَاكَ الْعَيْسِ سَوْفَ يَزُورُكَ ثَنَاءً عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مَعْلُوقُ (٣)
وَلَا بَدَّ مِنْ جَارٍ يُجِيرُ سَبِيلَهَا كَمَا سَلَكَ السَّكِيُّ فِي الْبَابِ فَيَتَّقِي (٤)

قوله : « وخرق » بفتح الخاء المعجمة : القفر ، والأرض تنحرق فيها الرياح ، وهو مجرورٌ برَبِّ المقدرة بعد الواو . والجسرة ، بفتح الجيم وسكون السين المهملة : الثاقة القوية على السير . وخبٌّ بمعنى خدع . والآل : السراب في أول النهار ووسطه ، ويترقق أى ينصبُّ خبره ، والجملة صفة آل ، والعائد الضمير . يقال رَقِرَ الماءُ وغَيِرَ ، إذا صبَّ رقيقاً . والسراب هكذا يرى للنَّاظر إليه .

وقوله : « هى الصاحب » إلخ الأدنى : الأقرب . والجوف بالجيم : الرِّحْل . والإِلافى منسوب إلى علاف ، بكسر المهملة ، وهو رجلٌ من قُضَاعَة كان يعمل الرِّحال . والقِطْع ، بكسر القاف : طنفسة ، أى بساطٌ ، يجعله الراكب تحته ، ويغطِّي كَتْفَيْ البعير . والتُّمْرُق : الوسادة ، وهى هنا وسادةٌ فوق الرِّحْلِ .

وقوله : « وتصبح من غيب » إلخ الغيب بالكسر : عاقبة الشيء . وألَمْ بمعنى نزل ، وفاعله أَوْلَقَ ، وهو الجنون . يريد أنَّها شديدةٌ جداً لا يحصل لها إعياء كالجنون .

وقوله : « وإنَّ امرأً أسرى » إلخ ، هذا انتقالٌ من وصف ناقته إلى خطاب امرأة . وأراد بالمرءِ نفسه . وأسرى : لغةٌ فى سرى . ودونه بمعنى أمامه وقُدَّامه .

(١) فى الديوان : « طام جمامه اذا ذاقه مستعذب الماء » .
(٢) فى الديوان : « وتعد أنساع المطى » .
(٣) ط : « تزورك » ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح .
(٤) فى الديوان : « يميز سبيلها كما يجوز السكى » .

والمَومة ، بفتح الميم : الأرض التي لا ماء فيها . والبيداء : القفر . والسَّمْلَق : الأرض المستوية .

وهذا البيت رُوى (في ديوانه وغيره من كتب الأدب) كذا :
وإنَّ امرأً أهداكِ بينى وبينه فيأفٍ تُثَوِّفُ وَيَهْمَاءُ سَمْلَقُ
فالمراد من المرء ممدوحه ، والخطاب لناقته المذكورة . وكان ممدوحه أهداها له ،
فالكلام على هذه الرواية من أوله إلى هنا خطابٌ لناقته . ومنه يظهر أنَّ
المناسب في الرواية الأولى أيضا كونُ المراد بالمرء ممدوحه والخطاب لناقته ، وأنَّ
أسرى بمعنى حُيِّل على السُّرى ، وإلى بمعنى على ، ليكون الكلام على وتيرةٍ
واحدة . وفيأفٍ : جمع فَيَافٍ ^(١) ، وهى الفلاة . و(تثوفات) : جمع تنوفة ،
وهى القفر . واليَهْمَاءُ بفتح المثناة التحتية : الأرض التى لا يُهْتَدَى فيها . وروى
« خيفق » بدل « سملق » بفتح الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتية وفتح
الفاء ، وهى الفلاة الواسعة .

وقوله : « أَنَّ الْمُعَانَ مُوَفَّقٌ » كلاهما اسم مفعول من الإعانة والتوفيق .
قال السيد المرتضى (في أماليه) : فيه قلبٌ ^(٢) ، يريد أن الموفق معان . وقال
المرزبانى (في الموشح) : ينبغى للشاعر أن يتفقد مصراع كل بيت حتى يشاكل
ماقبله ، فقد جاء من أشعار القدماء ما يختلف مصاريعه ، كقول الأعشى :
« وَأَنْ تَعْلَمِى أَنَّ الْمُعَانَ مُوَفَّقٌ » ^(٣)

(١) يقال فيفاء وفيفاء ، كلاهما بمعنى الصحراء الملساء .

(٢) في ط : « قلت » موضع « فيه قلب » ، صوابه في ش . والذي في أمالى المرتضى ١ : ٤٦٦
« يريد أن الموفق معان » فقط .

(٣) ط : « وَأَنْ تَعْلَمِى » ، صوابه في ش والموشح ٥٤ .

غير مشاكل لما قبله . وكذلك قال صاحب (تهذيب الطبع) .
وقوله : «وكم دونه» إلخ ، الضمير للمرء . والحزن ، بالفتح : الأرض
الوعرة . والقُف بضم القاف : ما ارتفع من الأرض . والسَّهْب بالفتح :
الفلاة والأرضُ المتسعة .

وقوله : «وأصفرَ كالحناء» يعنى ماءً أصفر كالحناء . وذإو : متغير .
والجمام بكسر الجيم : جمع جَم بفتحها ، وهو الماء الكثير . وفارط القوم ،
بالفاء ، هو الذى يتقدمهم إلى الوَرْد لإصلاح الحوض والدلاء . يقال فرط
القومَ يفرطهم فرطاً ، إذا تقدمهم لما ذكرنا . وإنما يبصقُ عند ذوقه لمرارة
الماء وتغيره .

وقوله : « به تُنفض » إلخ ، المجلس بكسر المهملة : كساء على ظهر
البعير تحت البردعة ^(١) ويبسط في البيت تحت حرّ الثياب . وإنما تُنفض
للرحيل .

وقوله : «وإن عتاق العيس» إلخ ، هذا المعنى أوّل من اخترعه
الأعشى ، وأخذَه من جاء بعده . قال القطامي :
لأعلّقن على المطى قصائدأ أذر الرواة بها طويلى المنطق ^(٢)
وقال نُصيب :

فعايجوا فائتوا بالذى أنتَ أهله

ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

(١) ط : «البردعة» بالذال المعجمة ، وكلاهما صحيح . وفي اللسان : « البردعة : المجلس الذى
يلقى تحت الرحل . قال شمر : هى بالذال والذال » . وكلاهما بفتح الباء .
(٢) ط : « أزر » ، صوابه فى ش ودبوان القطامى ٣٥ . وفى النسختين : « طويلى المنطق » ،
صوابه من الديوان .

ومن هنا أخذ أبو العتاهية قوله :

فإذا وردن بنا وردن خفائفاً وإذا صدرن بنا صدرن ثقالا
وقوله : «ولا بد من جارٍ» إلخ ، الجار له معان ، والمراد هنا المجير ، ويقال
أيضاً للمستجير^(١) ، وللحليف ، وللناصر ، وللمجاور الذي أجرته من أن
يُظلم . والسكّي ، بفتح السين المهملة وتشديد الكاف والياء ، وهو
المسمار ، ويقال له السكّي أيضاً بدون الياء . والفيتق ، بفتح الفاء وسكون
المثناة التحتية وفتح المثناة الفوقية : النجار ، والحداد .
وترجمة الأعشى تقدمت في الشاهد الثالث والعشرين من أوائل
الكتاب^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الثلاثئة^(٣) :

٣٨٨ (فلا تطمع أبيت اللعن فيها ومنعكها بشيء يُستطاع)
على أن ما بعد الضمير المحرور إذا كان أنقص تعريفاً جاز فيه الانفصال
والاتصال ، فإنه كما جاز (منعكها) يجوز منعك إياها . وكاف المخاطب محلها
الجر بإضافة المصدر إليها وهو المنع ، وضمير الغائب أنقص تعريفاً من ضمير
المخاطب .

قال ابن هشام (في شواهد) : هذا مما اتفق على أن فصله أرجح .
وأورده ابن الناظم والمرادى (في شرح الألفية) على أن هذا ، أعنى وصل
ثاني ضميرين عاملهما اسم واحد ، ضعيف ، والقياس : ومنعك إياها . كذا نقل

(١) ط : « المتسجير » ، صوابه في ش .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٣) شرح شواهد المغنى ١١٦ والعينى ١ : ٣٢٢ والأشئوني ١ : ١١٨ ، ١٢٠ وشرح المرزوق

للحماسة ٣١١ .

العيني عنهما هذا . والمنقول في اللغة أنَّ منع مما يتعدى إلى المفعول الثاني تارةً بنفسه وتارةً بحرف الجر ، يقال منعك كذا ، أو منعك عن كذا أو من كذا . ففى تصوير الفصل ينبغى أن يقيّد المفعول الثانى بحرف الجر . وفاعل المصدر هنا محذوف ، أى منعيك ^(١) عنها . والهاء ضمير راجع لسكاب ، وهو اسم فرس . والباء فى قوله : (بشيء) زائدة فى خبر المبتدأ الذى هو منعكها . وبه استشهد ابن هشام (فى المغنى) . قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : قد جاء زيادة الباء فى الخبر ، ألا ترى إلى قول أئى الحسن فى قول الله تعالى : ﴿ جزاء سيئة بمثلها ^(٢) ﴾ : إن تقديره جزاء سيئة مثلها ، اعتباراً لقوله عز اسمه ^(٣) : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ^(٤) ﴾ ، فكأنه قال : ومنعكها شيء يستطيع ، أى أمر مطاق غير باهظ ولا معجز ، أى فاله عنها ولا تعلق فكرك بها . ويجوز وجه آخر وهو أن يريد: ومنعكها بمعنى من المعانى ممّا يستطيع ، وذلك المعنى إمّا غلبة ومُعَاوَة ، وإمّا بقاء نفديها به منك ، أو غير ذلك ، فيكون المعنى قريباً من الأوّل ، إلا أنه ^(٥) ألين جانباً منه . فالباء على هذا متعلقة بنفس المنع . ويجوز أيضاً أن تعلق يستطاع ، أى يستطيع بمعنى من المعانى ويُقدّر عليه به . اهـ .

وهذا البيت آخر أبيات أربعة أوردها أبو تمام فى الحماسة ، ونسبها إلى رجل من بنى تميم ^(٦) وقد طلب منه ملك من الملوك فرسا يقال لها سكاب ، فمنعه إيّاها وقال :

٤١٤

صاحب الشاهد

(١) ص : «منعك» ، صوابه فى ش .

(٢) يونس ٢٧ .

(٣) وكذا فى إعراب الحماسة ٣٨ (لقوله عن اسمه) .

(٤) الآية ٤٠ من الشورى .

(٥) ط : «لا أنه» ، صوابه فى ش وإعراب الحماسة .

(٦) هو عبيدة بن ربيعة بن قحطان ، كما فى خيل ابن الأعرأى ٦٢ . ونسبت الأبيات فى الحماسة

البصرية إلى القحيف العجلى .

(أُبَيَّتَ اللَّعْنَ إِنْ سَكَابِ عِلْقُ نَفِيسٍ لَا يُعَارُ وَلَا يُبَاغُ (١) أُبَيَاتُ الشَّاهِدِ
مَفْدَاةٌ مُكْرَمَةٌ عَلَيْنَا يُجَاعُ هَا الْعِيَالُ وَلَا تَجَاعُ
سَلِيلَةٌ سَابِقَيْنِ تَنَاجَلَاهَا إِذَا نُسِبَا يَضُمُّهُمَا الْكُرَاعُ
فَلَا تَطْمَعُ أُبَيَّتَ اللَّعْنَ فِيهَا الْبَيْتُ
وَكَفَى تَسْتَقِلُّ بِحَمَلِ سَيْفِي وَفِي مَمَّنْ تَهَضَّمْنِي امْتِنَاعُ
وَحَوْلَى مِنْ بَنَى قُحْفَانَ شَيْبُ وَشَبَّانُ إِلَى الْهَيْجَا سِرَاعُ
إِذَا فَرَعُوا فَأَمْرُهُمْ جَمِيعُ وَإِنْ لَاقَوْا فَأَيْدِيَهُمْ شِعَاعُ

وقوله : «أُبَيَّتَ اللَّعْنَ» اطلع ، أَى أُبَيَّتَ الأَمْرَ الَّذِي تُلْعَنُ عَلَيْهِ إِذَا
فَعَلْتَهُ . قَالَ الْمَرْزُوقُ (فِي شَرْحِ الْحِمَاسَةِ) : أُبَيَّتَ اللَّعْنَ : تَحِيَّةٌ كَانَ يَسْتَعْطِفُ بِهِ
الْمَلُوكَ (٢). وَأَصْلُ اللَّعْنَ ؛ الطَّرْدُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَكُلُّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةَ (٣)

يَعْنَى إِلَّا أَنْ يُقَالَ لِي : أُبَيَّتَ اللَّعْنَ ؛ لِأَنَّهُ تَحِيَّةُ الْمَلُوكِ ، وَكَأَنَّهُ قَالَ :
نَلْتُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْمَلِكَ . وَسَكَابِ : فَرَسٌ ، إِذَا أُعْرِبَتْ مِنْعَتُهُ الصَّرْفُ لِأَنَّهُ
عَلِمَ ، فَلِحَصُولِ التَّعْرِيفِ فِيهِ وَالتَّائِيثِ مَعَ كَثْرَةِ الْحُرُوفِ يَمْنَعُ الصَّرْفُ ،
وَالشَّاعِرُ تَمِيمِي وَهَذِهِ لُغَةُ قَوْمِهِ . وَإِذَا بَنِيَتْهُ عَلَى الْكُسْرِ أُجْرِيَتْهُ مَجْرَى حَذَائِمٍ لِأَنَّهُ
مَوْثُوثٌ مَعْدُولٌ مَعْرِفَةٌ . فَلِمِشَابَهَتِهِ هَذِهِ الْأَوْصَافُ : دَرَاكِ وَنَزَالِ بَنِيٍّ ، وَهَذِهِ اللَّغَةُ

(١) فِي الْحِمَاسَةِ : « لَا تَعَارُ وَلَا تَبَاغُ » .

(٢) وَكَذَا فِي شَرْحِ الْحِمَاسَةِ لِلْمَرْزُوقِ ، وَالْمَرَادُ : هَذَا التَّعْبِيرُ . وَفِي شِمْعٍ مَعِ أَثَرِ تَغْيِيرٍ : « يَسْتَعْطِفُ

بِهِ الْمَلُوكُ » .

(٣) لَزْهَرِ بْنِ جَنْتَابٍ ، فِي الْمُعْمَرِينَ ٢٦ .

حجازية . واشتقاق سَكَاب من سَكَبْتُ ، إذا صَبَبْتُ (١) . ويقال في صفة
الفرس بحرٌ وسَكَب .

وقوله : «علق نفيس» أى مالٌ يُبخل به ، وهذا كما يقال هو علق مَضِينَةٌ
بالكسر . يقول : إِنَّ فرسى نفيسٌ لا يُبذل للإعارة ، ولا يُعرض للبيع .

وقوله : « مفدأة مكرمة » ، إلخ يقول : هى لعزتها على أربابها تفدى
بالآباء والأمهات ، وتؤثر تكريماً لها على العيال ، عند الإضافة والإقتار ،
فيجوع العيال ولا تجوع هذه .

وقوله : « سليلة » إلخ يقول : هى ولد فرسين سابقين ، إذا نُسبا ضمَّ
مَناسِبُهُما الكراع ، وهو بالضم فحل كريم معروف . وأصل الكراع أنفٌ يتقدم
من الجبل ، فسمي هذا الفحل به لعظمه . وسليلة ألحق الهاء بها وإن كان
فعيلاً فى معنى مفعول لأنه جُعِلَ اسماً ، كما تقول هى قتيلة (٢) بنى فلان .
ومعنى سُلُّ نزع . ويقال نجلاً ولدهما وتناجلاه بمعنى واحد ، ومنه النجل بمعنى
الولد (٣) .

وقوله : « وفيها عِزَّة » إلخ نُحِيدُها بالحاء المهملة ، أى نجعلها حائدة .
وَحَرَّ بالمهملتين ؛ أى اشتد . والقِرَاع : مصدر قارعه ، أى ضاربه .
وقوله : (فلا تطمع) إلخ قال المرزوق : يقول ارفع طمعك فى تحصيل هذه

٤١٥

(١) ط : « صبت » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « قبيلة » ، والوجه ما أتت .

(٣) ما بعده من التفسير يبدو أنه متعلق ببيت ساقط من الأبيات هنا . كما تنبأ الى ذلك مصحح
المطبعة الأولى نقلاً عن هامش الأصل . . ومما يجدر ذكره أن المراجع التى بين يدي لم يرد فيها الا الأبيات
الأربعة الأولى من هذه المقطوعة .

الفرس ، أبيت أن تأتي ماتستحق به اللعن ، ودفعك عنها يقدر عليه بوجه ما
وبحيلة ما . والمعنى : إئتى لأسعفك بها إن استوهبتا ، ما وجدت إلى الرد
طريقا . فلا تطمع مادامت لي هذه الحالة .

وقوله : « وكفى تستقل » الخ يقال تهضم حقه ، أى ظلمه . وقحفان
بضم القاف وسكون الحاء المهملة بعدها فاء .. والشيب ، بالكسر : جمع
أشيب ، وهو الذى حصل له الشيب .

وقوله : « إذا فرعوا » الخ الشّعاع بفتح الشين : المتفرق . يقول : إن فرعوا من
أمر فكلمتهم واحدة ، وإذا لاقوا العدو فأيديهم متفرقة عليه بالظعن والضرب .
وعبيدة بن ربيعة : مصغر عبدة بالتأنيث ، وهو شاعر فارس جاهلي^(١) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الثلاثئة ، وهو من
شواهد س (٢) :

٣٨٩ (وقد جعلت نفسى تطيب لضغمة

لضغيمهما يقرع العظم نابها)

على أن الضمير الثانى إذا كان مساويا للأول شدّ وصله كما هنا ، فإنه
جمع بين ضميرى الغيبة فى الاتصال ، وكان القياس لضغيمها إياها .
قال سيبويه فى باب إضمار المفعولين : إذا ذكرت مفعولين كلاهما غائب
قلت^(٣) أعطاهوها وأعطاهاه^(٤) ، جازّ وهو عرى ؛ ولا عليك بأيهما بدأت ، من

(١) فى حواشى المطبوعة الأولى : « قوله وعبيدة بن ربيعة انظره فإنه لم يتقدم له ذكر . اهـ من
هامش الأصل » . ويبدو أن البغدادى أراد أن يذكره فى نسبة أبيات الحماسة ، ولكنه لم يفعل .
(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٤ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٨٩ / ٢ : ٢١ وابن يعيش ٣ : ١٥
والعيني ١ : ٣٣٣ .

(٣) كذا فى النسختين . والذى فى سيبويه : « فقلت » .

(٤) هذا فى سيبويه . ورسمت فى النسختين : « أعطاهها هو » .

قَبِلَ أَنَّهُمَا كَلَامُهُمَا غَائِبٌ . وهذا أيضاً ليس بالكثير في كلامهم ، والكثير في كلامهم :أَعْطَاهُ إِيَّاهَا ^(١) . على أَنَّ الشاعر قال :

وقد جعلت نفسى تطيب لضغمة البيت اه
قال النحاس والأعلم : إنما كان وجه الكلام لضغمتيهما إِيَّاهَا ، لأنَّ المصدر لم يستحكم في العمل والإضمار استحكامَ الفعل .

وجَعَلَ هنا من أفعال الشُّروع ، ونفسى اسمها ، وجملة تطيب خبرها .
والضُّغْمَةُ ، بفتح الضاد وسكون الغين المعجمتين : العَضَّةُ .

وقد اختلف الناس في معنى هذا البيت ، وأَصَوَّبُ مَنْ تَكَلَّمَ عليه ابنُ الشَّجَرى (في أماليه) في موضعين منها ، وتبعه صاحب اللباب (في تعليقه على اللباب) قال : يقول : جعلت نفسى تطيب لأنَّ أضغمتيهما ضغمة يقرع لها النابُّ العظم . وصف ضغمةً بالجملة ، والمصدر الذى هو الضَّغْمُ مضاف إلى المفعول وفاعله محذوف ، التقدير : لضغمتي إِيَّاهَا . والهاء التى فى قوله لضغمتيهما عائدة إلى الضُّغْمَةِ ؛ فانتصابها إذن انتصابُ المصدر ، مثلها فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فى المَدِينَةِ ^(٢)﴾ . وأضاف الناب إلى ضمير الضغمة ، لأنَّ الضغْمَ إنما هو بالناب . واللام فى قوله لضغمتيهما متعلقة بيقْرَع ، أى يقرع عظمتهما نابى ؛ لضغمتي إِيَّاهما ضغمةً واحدة . اه
وعلى هذا الضُّغْمَتان والْقَرَعُ والناب جميعُهما للمتكلم ، واللام الأولى متعلّقة بقوله : تطيب .

وينبغى أن نورد الأبيات التى منها هذا البيت وسببها ، حتى يتَّضح المعنى ويُرَوَّل الإشكال ، فإنَّ غالب مَنْ تَكَلَّمَ عليه لم يقف على ما ذكرنا .

(١) فى سيبويه : « أعطاه إياه » .

(٢) الآية ١٢٣ من الأعراف .

قال أبو محمد الأسود الأعرابي (في ضالة الأديب ، وهو ماكتبه على سبب الشعر نادر ابن الأعرابي) : إِنَّ مُعَلِّسَ بْنَ لَقِيطٍ ؛ وهو من ولد مَعْبُدِ بْنِ نَضْلَةَ ، كان رجلاً كريماً حليماً شريفاً ، وكان له إخوة ثلاثة : أحدهم أَطِيطُ ، بالتصغير ، وكان أَطِيطُ به باراً ، والآخران وهما مُدْرِكٌ ومُزَّةٌ مُمَاطِظِينَ ^(١) ، فلما مات أَطِيطُ أظهرها له العداوة ، فقال :

(أَبَقْتُ لَكَ الْآيَاتُ بِعَدِكَ مُدْرِكَا وَمُزَّةٌ ، وَالْدُّنْيَا قَلِيلٌ عَتَابُهَا ^(٢) آيات الشاهد
قَرِينِينَ كَالذَّبَّيْنِ يَتْتَدِرَانِي وَشُرَّ صَحَابَاتِ الرِّجَالِ ذُنَابُهَا ٤١٦
وَأَنَا رَأِيسًا لِي غِرَّةً أَغْرِيَا بِهَا أَعَادَى ، وَالْأَعْدَاءُ كَلْبَى كَلَابُهَا ^(٣)
إِذَا رَأَيْتَنِي قَدْ نَجَوْتُ تَلَمَّسَا لِرَجُلِي مُعَوَّاةً هَيَاماً تَرَابُهَا
وَأَعْرَضْتُ أَسْتَبْقِيَهُمَا ثُمَّ لَا أَرَى خُلُومَهُمَا إِلَّا وَشِيكاً ذَهَابُهَا
لَعَلَّ جَوَازِي اللَّهِ يَجْزِيَنَّ مِنْهُمَا وَمُرُّ اللَّيَالِي صَرَفُهَا وَانْقِلَابُهَا
فِي شِمْتٍ بِالْمَرَّاتِ مَرَّةً تَخْطِئَا إِلَيْهِ قَرَابَاتٍ شَدِيداً حَجَابُهَا ^(٤)
وَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي تَطِيبُ لَضَغْمَةٍ أَعْضَاهُمَا يَقْرَعُ الْعِظَمُ نَابُهَا ^(٥)
وَلَا مَثَلَ يَوْمٍ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ نُوْفَلٍ يَفْرَتَا جَ إِذْ تُوفِي عَلَى هَضَابُهَا
لَأَجْعَلَ مَا لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَامَرِيٍّ وَأَكْتَبَ أُمُوالاً عَدَاءَ كِتَابُهَا
خَرَجْتُ خُرُوجَ الثَّوْرِ قَدْ عَصَبْتُ بِهِ سَلَوَقِيَّةُ الْأَنْسَابِ خُضْعُ رِقَابُهَا

(١) المماظة : المخاصمة والمشائمة والمنازعة . ش : «مماضين» ، تحريف .

(٢) في معجم الرزائي ٣٩٠ : «كره عتابها» .

(٣) وكذا في الحماسة البصرية ١ : ١٩٩ . وفي معجم الرزائي ٣٩١ : «تعوى كلابها» .

(٤) ط : «تخطفا» ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٥) جعلت في ش : «لضغمها» .

حَبِثْتُ بِغُمَى غَمْرَةٍ فَتَرَكْتُهَا وَقَدْ أَتَرَكَ الْغُمَى إِذَا ضَاقَ بِأُفْهَاهَا^(١)
 ثُمَّ رَأَى أَطِيطًا فَقَالَ :
 (ذَكَرْتُ أَطِيطًا وَالْأَدَاوَى كَأَنَّهَا كُلِّي مِنْ أَدِيمٍ يَسْتَشْنُ هَزْوُمُهَا
 لَعَمْرِي لَقَدْ خَلَّيْتَنِي وَمَوَاطِنًا تُشِيبُ النَّوَاصِي لَوْ أَتَاكَ يَقِينُهَا
 وَأَبَدْتُ لِي الْأَعْدَاءَ بَعْدَكَ مِنْهُمْ تَرَى دِمْنِي مَا كَانَ يَبْدُو دَفِينُهَا)
 انتهى ما أورده أبو محمد .

وقوله : «والدنيا قليل عتابها» أراد أن عتاب الدنيا غير نافع ، فمُعاتبها
 غير مُستكثر منه .

وقوله : «قرنين كالذئبين» شبههما بالذئبين لأنَّ الذئباب أخبث السباع .
 وقوله : «وإن رأيا لي غرة» إلخ روى بدله :
 * إذا رأيا لي غرة أسدا لها *

أى أفسدا قلوب أعدائى حتى جعلوا أخلاقهم كأخلاق الأسود .
 والكلى: جمع كلب ، كزمنى جمع زمن .

وقوله : «إذا رأياي قد نجوت» إلخ تلمسا ألفه ضمير الاثنين . والمُعَوَّاة ،
 بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الواو : حُفْرَةٌ كَالزُّبْيَةِ . يقال : «مَنْ حَفَرَ
 مُعَوَّاةً وَقَعَ فِيهَا» . وَالْهَيَامُ بفتح الهاء ، لا بكسرها كما زعمه العينى ، بعدها مشاة
 تحتية: الرَّمْلُ الذى لا يتاسك أن يسيل من اليد للينه. ونقل العينى عن أبى على
 (فى التذكرة) أَنَّ الرواية عنده «هَيَالَى تُرَابُهَا»، قال: وهذا يدلُّ على

(١) ط : « جلست » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) بين البيتين وسابقتها ما يسمى بالإكفاء ، وهو اختلاف الروى بحروف متقاربة .

أَنَّ التُّرابَ جمعُ تُرْبٍ ، ولو كان مفرداً لقال هائلُ ترابها . قال صاحب العين :
الهائل : الرمل الذي لا يُثْبِت . وضَرَبَ هذا مثلاً لكثرة معرفتهما بالشر ،
والتَّحِيلُ في جلب أنواع الضَّرَر . وفَرَّجَ ، بفتح الفاء ^(١) : موضع .
والخُضْع : جمع أخضع ، وهو الذي في عنقه تطامنُ حلقة .
والعَمْرَة ، بالفتح : الشَّدَّة . والعُمَى ، بفتح المعجمة وضمها :
الغامة ^(٢) أى المُبْهَمَة ^(٣) الملتبسة . وروى السيرافي بعد قوله هيأماً ترابها :
(فلولا رجائي أن تؤوبوا ولا أرى عُقُولَكُمْ إِلَّا شديداً ذهابها
سَقَيْتُكُمْ قَبْلَ التَّفَرُّقِ شَرِبَةً يَمُرُّ عَلَى باغِي الظَّلامِ شَرَابُهَا
وقد جعلت نفسي تطيب... .. البيت).
والظَّلام ، بالكسر : جمع ظَلَمَ بالضم .
وقد أنشد البيت الشاهد أبو الحسن علي بن عيسى الرِّبْعِي هكذا :
فقد جعلت نفسي تُهَمُّ بضَغْمَةٍ على عَلٍّ غِيْظٍ يَقْصِمُ العَظْمَ نَابُهَا
والْعَلُّ بفتح المهملة : التَّكْرُّر . والقَصْمُ بالقاف : كَسْرٌ مع فصل .
وعلى هذا لا شاهد فيه ، والمشهور الرواية الأولى .
وقد اختلف العلماء في معناه فقال الخوارزمي : الضَّغْمَةُ : العَضَّة ،
ولضغْمهما بدلٌ من قوله لضغْمَةٍ ، والضمير الأول لسُبعين ، أمَّا الثاني
فلضغْمَةٍ ، والضمير في نابها لضغْمَةٍ . يقول : لكثرة ما ابتليت [به] من الحن قد طابت
نفسى أن يعصني سبعان ناباهما يضريان العَظْمَ . وقرعُ النَّابِ العَظْمَ كنايةٌ عن
الصَّوْت . هذا كلامه . وقال الأَعلَم : هذا الشاعر وصف شدَّةً أصابه بها
رجلان ، فيقول : قد جعلت نفسي تطيب لإصابتهما بمثل الشَّدَّة التي أصاباني بها .

٤١٧

(١) وضبطه ياقوت والبكري بكسر الفاء .

(٢) ط : (الغامة) بالعين المهملة ، صوابه في ش .

(٣) ط : « المهمة » ، صوابه في ش .

وضَرَب الضَّغْمَةَ مثلاً ، ثم وصف الضَّغْمَةَ فقال : يقرع العظم نَابُهَا ، فجعل لها ناباً على السَّعَةِ . والمعنى : يصل النابُ فيها إلى العظم فيقرعُه . اهـ .
وقال الأندلسي (في شرح المفصل) : قيل إنَّ معنى البيت أنَّ نفسه طابت لإصابة الشَّدَّة ، من أجل أنَّ هذين القاصدين له بالشَّدَّة أصابتهما مثلها . وفي البيت إشكالٌ ، فإنَّ الضَّغْمَ عبارةٌ عن الشَّدَّة ، فإذا قدَّرت إضافتها إلى المفعول وهو الظاهر وجَبَ أن يكون ضميرُها فاعلاً في المعنى ، فلا يستقيم لوجهين : أحدهما : أنَّها ليست من ضمائر الرفع . والآخر : أنَّ ضمائر الرفع لاتأق بعد ضمير المفعول ^(١) . فالوجه أن يقال إنَّ الضَّغْمَ بمعنى الإصابة ، أضيف إلى الفاعل الذي هو ضمير التشية ، ثم ذكر بعد ذلك المفعول ، فكانه قال : لإصابة هذه الشدة التي عبرَ عنها بالضَّغْمَةُ أولاً . هذا كلامه .

ونقل ابن المستوفى (عن حواشي المفصل) أنه قال في الحواشي : هما عائدان للأسد والضبع ، وقيل للأسد والذئب ، و«ها» للضغمة ^(٢) . ووجدت في موضع آخر من الحواشي قال : الضمير الأول يرجع إلى الذئب والضبع ، والثاني إلى النفس . وهذا أشبه من الأول ، إلا أنَّه مع وجود ما يعود إليه ضمير الاثنين من قوله قرنين كالذئبين ، لاجابة إلى أن يذكر ما ذكره من الأسد والضبع ، أو الأسد ^(٣) والذئب ؛ لعدم ^(٤) ذكرهما في الشعر . والذي أراه أن معنى البيت : إنَّ نفسى قد طابت أن تصيبها ضغمةٌ بهذه الصِّفَّة لأجل ضغمتها

(١) ط : «أحدهما أنها ليست من ضمائر الرفع لأنها لاتأق بعد ضمير المفعول» . وقد تنبه ناشر الأولى لهذا النقص . والتكملة هنا من ش .
(٢) ش : «وهما للضغمة» ، صوابه في ط .
(٣) ط : «والأسد» ، صوابه في ش .
(٤) ط : «تقدم» ، صوابه في ش .

إياها ، إذ ليسا من نظرائى وأشكالى . فيكون موضع لام لضغهماها نُصِبَ على أنه مفعول له ، وموضع هما رُفِعَ بالفاعلية ، وموضع ها نصب بالمفعولية . هذا كلامه .

وقال ابن الحاجب (فى أماليه) ، ونقله شارح (اللباب) : يقول : طابت نفسى للشدة التى أصابتنى لوقوع القاصد لى بها فى أعظم منها . والضغمة عبارة عن الشدة ، وهما اثنان قصدها بسوء فوقها فى مثل ماطلباه له . وجعل من أفعال المقاربة ، ولضغمة معمول لتطيبُ إعمال الفعل فى مفعوله ، وليست بمعنى المفعول من أجله ، لأنه لم يُرِدْ ^(١) أنها لأجل الضغمة ، وإنما طابت بها . والتعليل هو قوله لضغهماها ، أى طابت نفسى لما أصابنى من الشدة لإصابة مَنْ قصدنى بمثلها . والضغمة : العضة ، فكنى بها عن المصيبة . ويقال ضَغَمَ الشَّدةَ وضَغَمْتَهُ . وجاء البيت على الوجهين . فقوله : لضغمة من قولهم عضَّته الشدة ، لقوله : يقرع العظم نأها . وقوله : لضغهماها من قولهم : عضضت الشدة ، لأنَّ الفاعل ههنا ضمير مَنْ أصابها ، وضمير المفعول ضميرها ، أى لضغهما إياها ، فهى معضوضَّة لاعاضة ، لحيثها مفعولة لا فاعلة . ويجوز أن يكون الموضعان من ضَغَمْتُ الشَّدةَ لا ضَغَمْتَنى ، ويكون قوله : يقرع العظم نابها مبالغة فى أنه عض الشدة عضاً قوياً بليغاً ، منتهى مايلغىه العَضُّ . وكنى ببلوغ الناب العظم عن ذلك .

٤١٨

وموضع استشهاده مجئ الضميرين الغائبين متصليين وليس أحدهما فاعلاً وهما ضمير الفاعلين ، وهو قوله له ، وضمير الضغمة وهو قولك ها . وهو شاذ ، والقياس فى مثله لضغهما إياها ، كراهة اجتماع ضمائر الغائبين البارزة من

(١) ط : « لا يروى » صوابه فى ش .

جنس واحد ، بخلاف مالمو اختلفا . والضمير الأول في موضع خفضي بالإضافة ، وهو فاعلٌ في المعنى ، والضمير الثاني في موضع نصب على المفعولية بالمصدر ، أى لأنَّ ضَعَمَها . ويقرَع العظم ناهيا في موضع صفة ، إما لِضَعْمَةٍ الأولى وفصل للضرورة بالجاءَ والمجرور الذى هو لضعفهماها ، ويضعف لأجل الفصل بين الصفة والموصوف بالأجنبي ، وهو غير سائغ . وإمّا في موضع صفةٍ لمعنى قولك ها ، إذ معناه لضعفهما مثلها ، إذ الأولى لم تصب هذين وإمّا أصابهما مثلها ؛ فهو في المعنى مُراد . ومثل نكرة وإنَّ أُضيفت الى المعرفة ، فجاز أن توصف بالجملة . ويجوز أن يكون يقرَع العظم ناهيا جملة مستأنفة لتبيين أمر الضعمة في الموضعين جميعا ، فلا موضع لها من الإعراب ؛ لأنَّها لم تقع موضع مفرد . وما يُتَوَهَّم من أنَّ لضعفهماها مضاف إلى المفعول وها في المعنى فاعل ، فيؤدى إلى أنَّه أضاف إلى المفعول وأتى بعده بالفاعل بصيغة ضمير المنصوب — مندفعٌ بما تقدّم ، من أنَّه لم يرد أن الشدة عضت ، وإمّا أراد أنهما عضتا الشدة ، إذ لا يستقيم ^(١) أن يضاف المصدر إلى المفعول ويؤتى بالفاعل بصيغة ضمير المنصوب باتّفاق ، فوجب حمّله على ما ذكرناه ، دفعاً لما يلزم مما أجمع على امتناعه . ا هـ كلامه .

وهذا كلّهُ مبنى على خلاف التحقيق ، ومنشؤه عدم الاطلاع على الآيات وسببها ، وكذلك قول بعض فضلاء العجم (في شرح شواهد المفصل) إن قوله لضعفهماها بدلٌ من قوله لِضَعْمَةٍ .

والضمير الأول في لضعفهماها للسبّعين .

وأما الثانى فقال صاحبُ (التحجير) ^(٢) ، والإيضاح ^(٣) : لضعمة . ووافقهما

(١) في النسخين : (إذ يستقيم) ، والوجه ما أثبت . وقد تنبه إلى هذا مصحح المطبوعة الأولى .

(٢) ش : (التحجير) . وقد ورد بهذا اللفظ في الخزانة ٤ : ١١٩ ، ٢٦٣ بولاق . وهو نصير الأفاضل الخوارزمي .

(٣) الإيضاح شرح لابن الحاجب على المفصل .

فى ذلك صاحب (الإقليد^(١))، والموصل^(٢) . وقال صاحب (المقتبس^(٣)) :
هو لنفسى . وتابعه فى ذلك صاحب (المقاليد^(٤)) .

وقوله : لضغهماها مصدر مضاف إلى الفاعل على الوجهين ، إلا أن
المفعول فى الوجه الأول يكون محذوفاً وهو النفس ، وفى الثانى يكون مذكوراً .
هذا كلامه .

وأغرب من هذا كله قول (شارح اللب السيّد عبد الله) لضغمة مفعول
تطيب على أنّه مفعول به لا مفعول له . وقوله : لضغهماها ، هو المفعول له .
أى جعلت تطيب لضغمة سبع يقرع العظم نابٌ تلك الضغمة ، لضغمة
هذين السبعين النفس . والمراد به أن ضغمة سبع واحدٍ أهونٌ من ضغمة
سبعين . اهـ

وقد لحّص ابن هشام (فى شرح شواهد) هذه الأقوال فقال : وفى
معنى البيت وتوجيهه أوجه :

أحدها: أن الضغمة الأولى له والثانية لهما ، أى نفسه طابت لأن يوقع بهما
مصيبة عظيمة لأجل ضغهما إياه مثلها . واللام من لضغمة تتعلق بتطيب، وهى
لام التعدية، واللام من لضغهما متعلق بضغمة أو بجعلت أو بتطيب، وهى لام
العلّة . وضمير التثنية فاعل، وضمير المؤنث مفعول مطلق . والمعنى

٤١٩

(١) الإقليد شرح على المفصل ، للناج أحمد بن محمود بن عمر الخجندى .

(٢) الموصل من شروح المفصل . قال الميمنى فى الإقليد ١١٧ : « لعله كما فى الكشف لحسام

الدين حسين بن على الصغناقى ؟ المتوفى سنة ٧١٠ جمع فيه بين الإقليد والمقتبس » .

(٣) المقتبس هذا من شروح المفصل ، واسمه «المقتبس» ، فى توضيح ما التبس ، وهو للفخر

الإسفيدرى المتوفى سنة ٦٩٨ .

(٤) لعله هو الإقليد ، أو هما كتابان .

لضغمتها إِيَّاي ضغمةً مثلها ، فحذف المفعول به والموصوف وأَناب عنه صفته ، ثم حذف المضاف وأَناب عنه المضاف إليه ووصله شذوذاً .
الثاني : أَن يكون المعنى كذلك ، لكن يكون ضمير المؤنث عائداً على الصفة المتقدِّمة في اللفظ ، والمراد غيرها ، على حدِّ قولهم : عندي درهم ونصفه .

الثالث : أَن الضَّغْمَتَيْنِ كلتيهما من فعل المتكلم ، أَى جعلت نفسى لأجل إيذائهما لى تطيب لإيقاع ضغمةٍ بهما يقرع العظم نأبها ، لشدة ضغمتها ^(١) إِيَّاهما ، فحذف المضافين : الشدَّة المضافة إلى الضغمتين ، وياء المتكلم المضاف إليهما الضغمتان ، وهى فاعل المصدر . فاللامُ الأولى متعلقة بتطيب ، والثانية متعلقة بيقرع .

الرابع : أَن الضَّغْمَتَيْنِ للمتكلِّم وأَنَّ الثانية على تقدير ياء المتكلم كما تقدَّم ، ولكن الثانية بدل من الأولى بإعادة الجارِّ . فاللامان للتعدية ، والتقدير لأنَّ أضغمتها ضغمة يقرع العظم نأبها .

الخامس : أَن الضَّغْمَةَ الأولى لأجنبيٍّ والثانية لهما ، أَى تطيب لأنَّ يضغمنى ضاغماً ضغمةً يقرع العظم نأبها لضغمتها إِيَّاي مثلها ، كما تقول : طابت نفسى بالموت لما نالنى من أذى فلان . واللام الأولى للتعدية والثانية للتعليل .

وراجعُ الأوجهِ الثالثُ ؛ لأنَّ السِّيرافى روى : «تَهْمُ بضغمةٍ على عَلى غيظٍ» ، ولأنَّ بعضَهم روى : « لضغمة أعضَّهماها » . وضمير نأبها راجعٌ للضَّغْمَةِ إمَّا على أَنه جعل لها نأباً على الاتساع ، والمراد صاحبها ، أو على أَنَّ التقدير نأبُ صاحبها ، ثم حذف المضاف . اهـ

(١) ط : «ضغمتها» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقال ابن يَسْعُون^(١) (في شرح^(٢) شواهد الإيضاح) : استشهد به أبو عليّ على وقوع الضمير المتصل موقع المنفصل ، لأن مجيء الضمير المنفصل مع المصدر أحسن ، والمصدر هو لضعفهما ، وهو مضاف إلى هما ، وهما في المعنى فاعلان ، والمفعول المضغوم محذوف . ولو ذكره مع ها المتصلة العائدة على ضغمة لقال لضعفهما إيتاى . ولو أتى بضمير الضغمة منفصلاً على الوجه الأحسن لقال لضعفهما إيتاى إيتاها ، فكان يتقدم لوجهين : أحدهما لأنه ضمير المخاطب وهو أولى بالتقدم من ضمير الغائب . والوجه الثانى أن إيتاى ضمير المفعول به ، وإيتاها ضمير المصدر ، وهى فضلة مستغنى بما هو آكد منها ، وكان الأصل لضعفهما إيتاى مثلها ، أى مثل تلك الضغمة ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامة ، فكان ينبغى أن يأتى بالضمير المنصوب المنفصل . وحذف المفعول مع المصدر إذا كان معه الفاعل كثير ، كما قد يحذف معه الفاعل أيضاً .

هذا ماوقفت عليه .

ومغلّس بن لقيط : شاعرٌ من شعراء الجاهلية ، وهو بضم الميم وفتح مغلس بن لقيط الغين المعجمة وكسر اللام المشددة . ولقيط بفتح اللام وكسر القاف . ومُعَبَّد بفتح الميم الموحدة وسكون العين المهملة .

وكون الشعر لمغلّس بن لقيط المذكور هو ماقاله الأعلام . قال : واسم هذا الشاعر مغلّس بن لقيط الأسدى . والرجلان من قومه ، وهما مدرك ، ومرة . وكذا قال السيرافى ، لكنّه قال : هو لمغلّس بن لقيط الأسدى ، من ولد معبد بن

(١) اسمه يوسف بن يقيى بن يوسف بن يسعون النجيبى الباجلى المتوفى فى حدود ٥٤٠ . وكتابه هو « المصباح » ، فى شرح ماأعتم من شواهد الإيضاح .
(٢) كلمة « شرح » ساقطة من ط . وإبائها من ش .

نَضْلَةٌ ، يعاتب فيه مُدْرِكُ بن حصن ، ومُرة بن عَدَاء ، ويذكر أخاه أُطَيْطُ بن لقيط .

وقال العَيْنِي : هو لمغلس بن لقيط بن حبيب بن خالد بن نضلة الأسدِيّ ، جاهليّ ، هو وأخواه : بَعَثَرُ ونافع ابنا لقيط شعراء . وهو من قصيدة هائية يرثى فيها أخاه أُطَيْطَا (١) ، ويشتكى من قرينين له يُؤذيانه . وقيل هما ابنا أخيه ، وهما مدرك ، ومرة . اهـ

٤٢٠

ونسب ابنُ الشجري (في أماليه) ، وتبعه شارح (اللباب) ، هذا الشعرَ إلى لقيط بن مُرة ، قال : رثى فيه أخاه أُطَيْطَا ، وهجا مُرة بن عَدَاءِ ومُدْرِكُ بن حصن الأسدِيّين .

نسبة أخرى
للشاهد

وقال ابن هشام (في شرح شواهده) : هو لمغلس (٢) بن لقيط السَّعْدِي لا الأسدِيّ ، وكان له ثلاثة أخوة : مُرة ، ومدرك ، وأطيط وكان أبرهم به ، فمات وأظهر الأخوانِ عداوته وآذياه ، فقال يرثيه ويشتكى من أخويه . وقيل هما ابنا أخيه المذكور ، وقيل أجنبيّان . هذا ماوقفْتُ عليه ، والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد الثلاثئة (٣) :

٣٩٠ (لئن كان إِيَّاهُ لقد حالَ بَعْدَنَا

عن العهدِ ، والإنسانُ قد يتغيّرُ)

على أنّ المختار في خبر كان وأخواتها إذا كان ضميرا ، الانفصال كما هنا ؛ لأنّه خبر ، والأصل في الخبر الانفصال .

(١) ش : «شعراء يرثى أخاه أُطَيْطَا» بسقوط «فيها» و «وهو من قصيدة هائية» .

(٢) ط : «هو لمغلس» ، وأثبت ما في ش .

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٨٦ وابن يعش ٣ : ١٠٧ والمقرب ١٦ والعينى ١ : ٣١٤ والتصریح

١ : ١٠٨ والأشعرى ١ : ١١٩ .

وقال بدر الدين (في شرح ألفية والده) : الصحيح اختيار الاتصال
لكثرته في النظم والنثر الفصيح .

وهذا البيت من قصيدة لعمّر بن أبي ربيعة . وقبله :
صاحب الشاهد
(أَلِكْنِي إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ فَإِنَّهُ يُشَهَّرُ لِأَمَامِي بِهَا وَيَنْكَرُ أَيْبَاتِ الشَّاهِدِ
بَايَةَ مَا قَالَتْ غَدَاةً لَقِيَتْهَا بِمَدْفَعِ أَكْنَانٍ : أَهَذَا الْمَشْهُرُ
قَفَى فَاَنْظُرِي أَسْمَاءُ هَلْ تَعْرِفِينِي أَهَذَا الْمُغِيرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذَكَّرُ
أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتِ ذِكْرًا فَلَمْ أَكُنْ وَعَيْشِيكَ أَنْسَاءُ إِلَى يَوْمٍ أَقْبَرُ
فَقَالَتْ: نَعَمْ لَأَشْكُ غَيْرَ لَوْ أَنَّ سُرَى اللَّيْلِ يُحْيِي نَصَّهُ وَالتَّهْجُرُ
لَنْ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا ... البيت)

قوله : «أَلِكْنِي» أى كن رسولى وتحمل رسالتى إليها .

وقوله : «قَفَى» أمرٌ من الوقوف ، والآمرة هى نُعْمَ محبوبَةُ الشاعر .
« وَأَسْمَاءُ » : صاحبة نُعْم . وَأَسْمَاءُ مُنَادَى بِحَرْفِ النَّدَاءِ الْمَحذُوفِ . وَرَوَى
أَيْضًا: «قَفَى فَاَنْظُرِي يَا أَسْمَ» وهو مرثمٌ أَسْمَاءُ . وَهَذَا عَلَى طَرِيقَتِهِ ، فَإِنَّهُ كَثِيرًا
مَا يَتَغَوَّلُ بِنَفْسِهِ ، زَعَمًا مِنْهُ أَنَّ الْمَخْذَرَاتِ يَعِشِقُنَهُ لِحَسَنِهِ وَجَمَالِهِ ، وَقَدْ عِيبَ
عَلَيْهِ . وَهَلَاءُ فِي «تَعْرِفِينِي» ضَمِيرُ الشَّاعِرِ وَهُوَ عَمْرٌ ، كَمَا أَنَّ الْمُغِيرِيَّ عِبَارَةٌ عَنْهُ .
قَالَ الْخَوَّازِمِيُّ : الْمُغِيرِيُّ مَنْسُوبٌ إِلَى الْمُغِيرَةِ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ ^(١)
وَهُوَ مِنْ أَجْدَادِهِ .

وقوله : «وَعَيْشِيكَ أَنْسَاءُ» ، الْوَائِلُ لِلْقَسَمِ ، وَالْجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ لَمْ أَكُنْ
وَبَيْنَ خَبَرِهِ وَهُوَ جُمْلَةُ أَنْسَاءُ . وَسُرَى اللَّيْلِ فَاعِلٌ غَيْرٌ ، وَالتَّهْجُرُ مُعْطُوفٌ عَلَيْهِ ،

(١) ش : « ابن عمرو بن مخزوم » ، صوابه فى ط وجمهرة ابن حزم ١٤٤ وكتاب نسب قريش

للزبيرى ٢٩٩ .

وهو السَّير في الهاجرة . ويُحيى : مضارعٌ معلوم من الإحياء ، وفاعله ضمير المغيرى ، ونصّه مفعوله .

وقوله : «قفى فانظري» إلى آخر البيتين من مقول قالت : وزعم بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) أنَّ البيتين من مقول الشاعر ، فإنّه قال : والمعنى قلت لحبيبتى أسماء : قفى يا أسماء فانظري وتأملى هل تعرفين هذا الرجل الذى تريئه ؟ يريد به نفسه . ولما قال لها ذلك توهمته فقالت متعجبة متفكرة لفرط تغيّره : الذى تراه عمرُ المُغيرى الذى كان يذكر عندنا ؟ والله لئن كان المغيرى إياه لقد حال وتغيّر عما عهدناه ، فإنّه (١) عهدناه شاباً وقد كبر ، وعهدناه ناضراً طرياً وقد حال عن ذلك ! ثم قالت تسلياً له : والإنسان قد يتغيّر عن حالٍ إلى حال ، فلا تحزن . ويجوز أن يكون هذا مقول الشاعر ، قال ذلك نفيّاً لتعجبها مما استعظمت من تغيّره بعدها . أى إنّ الإنسان يتغيّر فلا تتعجبنى . اهـ . وفيه مالا يخفى .

٤٢١

وقوله : (لئن كان) إلخ اللام موطئة للقسم ، واسم كان ضمير المغيرى وإياه خبرها ، وجملة (لقد حال) إلخ جواب القسم المحذوف ، وقد سدّ مسدّد جواب الشرط . وحال بمعنى تغيّر ، من قوهم : حالت القوس ، أى انقلبت عن حالها التى عمّرت عليها ، وحصل فى قلبها اعوجاج . و(بعدنا) متعلّق بحال . وكذلك قوله : (عن العهد) ، أى عمّا عهدنا من شبابه وجماله . وجملة (والإنسان قد يتغيّر) حالية . ومثله قول كثير عزة :

وقد زعمتُ أنّى تغيّرتُ بعدها

ومن ذا الذى ياعرّ لايتغيّر

وهذه القصيدة عدة أبياتها ثمانون بيتاً أوردها القائل (في أماليه^(١))،
ومحمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (في منتهى الطلب من أشعار العرب) .
وقد أنشد المبرد أبياتاً منها (في الكامل)^(٢) وقال : يروى من غير وجه
أن ابن الأزرق^(٣) أتى ابن عباس رضي الله عنه يوماً ، فجعل يسأله حتى
أملّه ، فجعل ابن عباس يُظهر الضَّجَر ، وطلع عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة
على ابن عباس وهو يومئذ غلام ، فسلم وجلس ، فقال له ابن عباس : ألا
تنشدنا شيئاً من شعرك ؟ فأنشده :

أَمِنْ آلِ نَعِيمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكَّرُ
غَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَائِحٍ فَمُهَجَّرُ

حَتَّى أَتَمَّهَا، وهي ثمانون بيتاً ، فقال له ابن الأزرق : لله أنت يا ابن
عباس، أنضرب إليك أكبادَ الإبل نسألك عن الدين فتُعْرِضُ ، ويأتيك غلامٌ
من قريش فينشدك سفهاً فتسمعه ! فقال : تالله ما سمعت سفهاً . فقال ابن
الأزرق : أما أنشدك :

رَأَتْ رَجُلًا أَيَّمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ
فِيخَزَى وَأَمَّا بِالْعَشَى فَيُخَسِّرُ

فقال : ما هكذا قال ، إنما قال :
« فيضحي وأما بالعشى فيخصر »

(١) انظر الأمالي ٣ : ١٤١ حيث ذكر صدر مطلع القصيدة .

(٢) الكامل ٥٧٠ . وانظر ديوان عمر ٨٤ — ٩٥ .

(٣) هو نافع بن الأزرق الحروري ، الذي تنسب إليه طائفة الأزارقة ، وله أسئلة عن ابن عباس
مجموعة في جزء من روايته ، وأخرج الطبراني بعضها في مسند ابن عباس من المعجم الكبير ، وكان مقتله
سنة ٦٥ . لسان الميزان .

قال : أو تحفظ الذى قال ؟ قال : والله ماسمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أردّها لرددتها . قال : فاردّها . فأنشده إياها . وروى الزبيرون أن نافعا قال له : مارأيت أروى منك قط ! فقال ابن عباس : مارأيت أروى من عمر ، ولا أعلم من على . انتهى كلام المبرد .

وفى هذه القصيدة أبيات شواهد فى هذا الشرح وغيره ، لا بأس بإيرادها هنا . وهى هذه :

قصيدة الشاهد	(أَمِنْ آلِ نَعِيمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكَّرُ	غَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمَهْجَرُ ^(١)
	بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا	فَتَبْلَعُ عُذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعْذِرُ
	تَهْنِئُ إِلَى نَعِيمٍ فَلَا الشَّمْلُ جَامِعٌ	وَلَا الْحَبْلُ مُوصُولٌ وَلَا الْقَلْبُ مُقْصِرُ ^(٢)
	وَلَا قَرُبُ نَعِيمٍ إِذْ دَنْتَ لَكَ نَافِعٌ	وَلَا نَائِيهَا يُسَلِّى وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ
	وَأُخْرَى أَتَتْ مِنْ دُونِ نَعِيمٍ وَمِثْلُهَا	نَهَى ذَا النِّهَى ، لَوْ تَرَعَوَى أَوْ تَفَكَّرُ ^(٣)
	إِذَا زَرْتُ نَعِيمًا لَمْ يَزَلْ ذُو قَرَابَةٍ	لَهَا كُلَّمَا لَاقَيْتَهَا يَتَنَمَّرُ
	عَزِيزٌ عَلَيْهِ إِنْ أَلَمَّ بِبَيْتِهَا	مُسِيرٌ لَى الشَّحْنَاءِ ، لِلْبَغْضِ مَظْهَرُ ^(٤)

(١) ط : «أورائح» ، وأثبت ما فى الديوان وش مع أثر تصحيح .

(٢) فى الديوان والكمال : « نهيم » بالتاء .

(٣) ط : «لو يرعوى أو تفكر» ، والوجه توحيد حرف المضارعة كما فى ش . وفى الديوان والكمال : «لو يرعوى أو يفكر» .

(٤) فى الديوان : « والبغض يظهر » . وفى الكامل : « والبغض مظهر » .

- ٢٤٢ أَلِكُنَى إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ فَإِنَّهُ
 عَلَى أَثْنِهَا قَالَتْ غَدَاةً لَقِيْتَهَا
 قَفَى فَاَنْظُرِي يَا أَسْمَ هَلْ تَعْرِفِينِي
 أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتِ نَعْتًا فَلَمْ أَكُنْ
 لَعْنُ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا
 فَقَالَتْ : نَعَمْ لَاشْكُ غَيْرَ لَوْثَهُ
 رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ
 أَخَا سَفَرٍ جَوَابَ أَرْضٍ تَقَاذَفَتْ
 قَلِيلٌ عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّهُ
 وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ
 وَوَالِ كَفَاها كُلَّ شَيْءٍ يُهْمُّهَا
 وَلَيْلَةٌ ذِي دَوْرَانٍ جَشْمَتْنِي السُّرَى
 فَبْتُ رَقِيْبًا لِلرَّفَاقِ عَلَى شَفَا
 إِلَيْهِمْ ، مَتَى يَسْتَأْخِذُ النَّوْمُ فِيهِمْ
 وَبَاتَتْ قَلَوُصِي بِالْعَرَاءِ وَرَحْلُهَا
 يُشَهِّرُ الْمَامِى وَبِهَا وَيَنْكُرُ
 بِمَدْفَعِ أَكْنَانٍ : أَهَذَا الْمَشْهَرُ
 أَهَذَا الْمَغْيَرِ الَّذِي كَانَ يَذْكُرُ
 وَعَيْشِيكَ أَنْسَاهُ إِلَى يَوْمٍ أَقْبَرُ (١)
 عَنْ الْعَهْدِ ، وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ
 سُرَى اللَّيْلِ يُحْيِي نَصَّهُ وَالتَّهَجُّرُ
 فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصُرُ
 بِهِ فَلَوَاتٌ فَهُوَ أَشْعَثُ أَغْبُرُ
 سَوَى مَائِقَى عَنْهُ الرَّدَاءُ الْمُحَبَّرُ
 وَرِيَّانٌ مَلْتَفٌ الْحَدَائِقِ أَنْضُرُ (٢)
 فَلَيْسَتْ لَشَيْءٍ آخَرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ
 وَقَدْ يَجْشَمُ الْهَوْلُ الْحَبُّ الْمَغْرُرُ (٣)
 أَرَاقُبُ مِنْهُمْ مَنْ يَطُوفُ وَأَنْظُرُ (٤)
 وَلِي مَجْلِسٌ لَوْلَا اللَّبَانَةُ أَوْعُرُ (٥)
 لَطَارِقِ لَيْلٍ أَوْ لَمِنْ جَاءَ مُعَوِّرُ

(١) ط : « فَنِمَ أَكْد » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي شِ وَالِدِيَّانِ وَالْكَامِلِ .

(٢) فِي الدِّيَّانِ : « أَحْضَرُ » .

(٣) ط وَالِدِيَّانِ : « جَشْمَتْنِي السُّرَى » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي شِ .

(٤) فِي الدِّيَّانِ : « أَحَاذِرُ مِنْهُمْ » .

(٥) الدِّيَّانِ : « مَتَى يَسْتَمَكِنُ » .

فَبْتُ أَنَا جِي النَّفْسَ أَيْنَ يَجَاؤُهَا وَأَتَى لَمَّا تَأْتَى مِنَ الْأَمْرِ مَصْدَرُ (١)
 فَدَلَّ عَلَيْهَا الْقَلْبَ نَارٌ عَرَفَتْهَا بِهَا ، وَهَوَى الْحُبَّ الَّذِي كَانَ يَظْهَرُ (٢)
 فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئْتُ مَصَابِيحُ شُبْتُ بِالْعِشَاءِ وَأُنُورُ (٣)
 وَغَابَ قُمْمِي كُنْتُ أَهْوَى غِيوبَهُ وَرُوحَ رُعيَانٍ وَنَوْمَ سُمَّرُ (٤)
 وَنَفَضْتُ عَنِّي النَّوْمَ أَقْبَلْتُ مَشِيَّةَ الدَّ حُبَابٍ وَلَكِنِّي مِنَ الْقَوْمِ أَرْوَرُ (٥)
 فَحَيَّيْتُ إِذْ فَاجَأَتْهَا فَتَوَلَّاهُتُ وَكَادَتْ بِمَرْفُوعِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ (٦)
 فَقَالَتْ وَعَضَّتْ بِالْبَنَانِ : فَضَحْتَنِي وَأَنْتِ امْرُؤُ مَيْسُورُ أَمْرِكَ أَعَسَّرُ (٧)
 أَرَيْتَكَ إِذْ هُنَا عَلَيْكَ أَلَمْ تَخَفْ رَقِيْبَا وَحَوْلِي مِنْ عَدُوِّكَ حُضِرُ (٨)
 فَقُلْتُ : كَذَاكَ الْحُبُّ قَدْ يَحْمِلُ الْفَتَى عَلَى الْهَوْلِ حَتَّى يُسْتَقَادَ فَيُنْحَرُ (٩)
 فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَتُعْجِلُ حَاجَةً سَرَتْ بِكَ أَمْ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتُ تَحْذَرُ
 فَقُلْتُ لَهَا : بَلْ قَادَنِي الْحُبُّ وَالْهَوَى إِلَيْكَ ، وَمَا نَفْسٌ مِنَ النَّاسِ تَشْعُرُ (١٠)
 فَقَالَتْ وَقَدْ لَانَتْ وَأَفْرَخَ رُوعُهَا : كَلَّاكَ بِحَفِظِ رَيْكَ الْمَتَكَبِّرُ
 فَأَنْتِ أَبَا الْخَطَابِ غَيْرَ مُنَازَعٍ عَلَى أَمِيرٍ مَا مَكُنْتُ مُؤَمَّرُ (١١)

(١) الديوان : « وكيف لما آتى من الأمر » .

(٢) في الديوان : « ربا عرفتها لها وهوى النفس الذى كاد » .

(٣) في الديوان : « وأنور » بالهمز .

(٤) في الديوان : « عنى الصوت » و « وشخصى خشية الحى أزر » .

(٥) الديوان : « بمخفوض التحية » .

(٦) في الديوان : « لم تخف ، وقبت » .

(٧) هذا البيت لم يرد في الديوان .

(٨) الديوان : « بل قادنى الشوق والهوى » .

(٩) الديوان : « غير مدافع » .

فَبِتُّ قَرِيرَ الْعَيْنِ أُعْطِيتُ حَاجَتِي
 فَيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طَوْلُهُ
 وَيَالِكَ مِنْ مَلْهَى هُنَاكَ وَمَجْلَسِ
 يَمِجُّ ذِكَى الْمَسْكِ مِنْهَا مُفْلَجٌ
 يَرِفُّ إِذَا تَفَتَّرَ عَنْهُ كَأَنَّهُ
 وَتَرَنُو بَعِينِيهَا إِلَى كَمَا رَنَا
 فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ
 أَشَارَتْ بَأَنَّ الْحَىَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ
 فَمَا رَاعَنِي إِلَّا مَنَادٍ : تَحْمَلُوا
 فَلَمَّا رَأَتْ مِنْ قَدْ تَنَوَّرَ مِنْهُمْ
 فَقُلْتُ : أَبَادِيهِمْ فَإِمَّا أَفَوْتُهُمْ
 فَقَالَتْ : أَتَحْقِيقُ لَمَّا قَالَ كَاشِحٌ
 فَإِنْ كَانَ مَا لَا بَدَّ مِنْهُ فَغَيْرُهُ
 أَقْصُ عَلَى أُخْتَيَّ بَدَاءَ حَدِيثِنَا
 لَعَلَّهُمَا أَنْ تَبْغِيَا لَكَ مَخْرَجاً
 فَقَامَتْ كَثِيباً لَيْسَ فِي وَجْهِهَا دَمٌ

أُقْبِلُ فَاهَا فِي الْخَلَاءِ فَأَكْثُرُ
 وَمَا كَانَ لَيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ
 لَنَا لَمْ يَكْدِّرْهُ عَلَيْنَا مَكْدَرُ
 نَقَى الثَّنَايَا ذُو غُرُوبٍ مُؤَشِّرٌ (١)
 حَصَى بَرْدٍ أَوْ أَقْحَوَانُ مَنُورٌ (٢)
 إِلَى ظَبْيَةٍ وَسَطَ الْخَمِيلَةِ جَوْدُرُ
 وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَغُورُ
 هُبُوبٌ وَلَكِنْ مَوْعِدٌ لَكَ عَزُورُ
 وَقَدْ شَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الصُّبْحِ أَشْفَرُ
 وَأَيْقَازُهُمْ قَالَتْ : أَشِيرُ كَيْفَ تَأْمُرُ (٣)
 وَإِمَّا يَنَالُ السَّيْفُ ثَاراً فَيَثَارُ
 عَلَيْنَا، وَتَصْدِيقٌ لَمَّا كَانَ يُوْتَرُ (٤)
 مِنَ الْأَمْرِ أَدْنَى لِلْخَفَاءِ وَأَسْتُرُ
 وَمَا بَيَّ مِنْ أَنْ تَعْلَمَا مَتَأَخَّرُ (٥)
 وَأَنْ تَرْجُبَا سِرِّيَّاً بِمَا كُنْتُ أَحْصَرُ (٦)
 مِنَ الْحُزْنِ تُذْذِرِي عَبْرَةً تَحْدَرُ (٧)

(١) الديوان : « ذكى المسك منها مقبل » .

(٢) الديوان : « تراه إذا ما فتر عنه » .

(٣) الديوان : « من قد تنبه » .

(٤) الديوان : « أتحيقها » و « وتصديقها » .

(٥) الديوان : « ومالي من أن تعلمنا » .

(٦) الديوان : « أن تطلبها لك مخرجاً » .

(٧) ط : « تذني » ، صوابه من الديوان ومن ش مع أثر تصحيح .

فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا : أَعَيْنَا عَلَى فَتَى
فَأَقْبَلَتَا فَارْتَاعَتَا ثُمَّ قَالَتَا
فَقَالَتْ لَهَا الصُّغْرَى : سَاعِطِيهِ مُطْرَفِي
يَقْرُؤُ فِيمَشَى بَيْنَنَا مَتَنَكِّراً
فَكَانَ مَجِيئِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ قُلْنَ لِي :
وَقُلْنَ : أَهَذَا دَائِبُكَ الدَّهْرَ سَادِراً
إِذَا جِئْتَ فَاْمَنْعُ طَرْفَ عَيْنِكَ غَيْرَنَا
عَلَى أَنَّنِي يَا نَعْمُ قَدْ قُلْتُ قَوْلَةً
هَبِيئاً لِبَعْلِ الْعَامِرِيَةِ تَشْرُهَا إِلَه
فَقَمْتُ إِلَى حَرْفٍ تَخَوَّنَ نَيْهَا
وَحَبَسِي عَلَى الْحَاجَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا
وَمَاءٌ بِمَوْمَاةٍ قَلِيلٍ أَنْسِيَهُ
بِهِ مُبْتَنًى لِلْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ
وَرَدْتُ وَمَأْدَرِي : أَمَّا بَعْدَ مَوْرَدِي

أَتَى زَائِراً ، وَالْأَمْرُ لِلْأَمْرِ يَقْدَرُ
أَقْلَى عَلَيْكَ اللَّوْمُ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ
وَدِرْعِي وَهَذَا الْبُرْدُ ، إِنْ كَانَ يَحْذَرُ
فَلَا سُرْنَا يَفْشُو ، وَلَا هُوَ يَظْهَرُ
ثَلَاثُ شَخْصٍ : كَاعْبَانٍ وَمُعْصِرُ
أَمَّا تَتَقَى الْأَعْدَاءَ وَاللَّيْلُ مُقِمِرُ
أَمَّا تَسْتَحِي أَوْ تَرَعُو أَوْ تَفَكِّرُ
لَكِي يَحْسِبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ
لَهَا ، وَالْعَتَاقُ الْأَرْحَبَاتُ تُزْجَرُ (١)
سَلْدِيدُ وَرَيَّاهَا الَّذِي أَتَذَكَّرُ
سُرَى اللَّيْلِ حَتَّى لَحْمُهَا يَتَحَسَّرُ (٢)
بَقِيَّةُ لَوْحٍ أَوْ شَجَارٍ مُؤَسَّرُ
بَسَاسٍ لَمْ يَحْدُثْ بِهَا الصَّيْفُ مَحْضَرُ (٣)
عَلَى بَشْرِفِ الْأَرْجَاءِ خَامٌ مَنَشَّرُ (٤)
مِنَ اللَّيْلِ أَمْ مَا قَدْ مَضَى مِنْهُ أَكْثَرُ

(١) الديوان : (سَوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ يَا نَعْمُ قَوْلَةٌ) .

(٢) الديوان : (مَتَحَسَّرُ) .

(٣) الديوان : (لَمْ يَحْدُثْ بِهِ) .

(٤) الديوان : (عَلَى طَرَفِ الْأَرْجَاءِ) .

فطافت به مغللة أرضي تخالها إذا التفتت مجنونة حين تنظر^(١)
تُنَازِعُنِي حِرْصاً عَلَى الْمَاءِ رَأْسَهَا وَمِنْ دُونِ مَاتَهْوَى قَلِيبِ مُعَوَّرِ
مُحَاوِلَةٍ لِلوَرْدِ لَوْلَا زِمَامُهَا وَجَذْبِي لَهَا كَادَتْ مَرَاراً تُكْسِرُ^(٢)
فلما رأيت الضر منها وأنتى ببلدة أرضي ليس فيها مُعَصَّر ٤٢٤
قَصَرْتُ لَهَا مِنْ جَانِبِ الْحَوْضِ مُنْشَأً صَغِيراً كَقَيْدِ الشَّبْرِ أَوْ هُوَ أَصْغَرُ
إِذَا شَرَعْتُ فِيهِ فَلَيْسَ لِمُلْتَقَى مَشَافِرِهَا مِنْهُ قِدَى الْكَفِّ مَسَارُ^(٣)
وَلَا ذَلُّوْا إِلَّا الْقَعْبُ كَانَ رِشَاءَهُ إِلَى الْمَاءِ نِسْعٌ وَالْجَدِيلُ الْمَضْفَرُ
فَسَافَتْ وَمَاعَافَتْ وَمَاصَدٌ شَرِبَهَا عَنِ الرَّيِّ مَطْرُوقٌ مِنَ الْمَاءِ أَكْدُرُ
هذا آخر القصيدة . وقد شرح العيني ألفاظها اللغوية إجمالاً .

وقوله : « رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت » البيت ، أورده
الشارح المحقق في حروف الشرط من أواخر الكتاب ؛ ويأتى إن شاء الله شرحه
هناك .

وقوله : « فكان مجئى دون من كنت أتقى » . البيت ، أورده أيضاً في
باب العدد .

وقوله : « إذا جئت فامنع طرف عينك غيونا » البيت ، أورده ابن
هشام (في المغنى) في حرف الكاف برواية : « كما يحسبوا » .

(١) الديوان : « فقامت الى مغللة أرض كانها » .

(٢) في النسختين : « كانت » ، صوابه من الديوان .

(٣) قدى الشيء ، بكسر القاف وفتح الدال : قدره ومقداره . ش : « قدى » تصحيف صوابه

في ط والديوان .

وعمر بن ربيعة قد تقدّمت ترجمته في الشاهد السابع والثمانين من أوائل الكتاب (١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الثلاثئة ؛ وهو من شواهد س (٢) :

٣٩١ (ليت هذا الليل شهرٌ لا ترى فيه عريباً

ليس إيبأى وإيبأ لك ولا نحشأ رقيباً)

لما تقدّم قبله ، من أن الفصل هو المختار في خبر كان وأخواتها كما قال (لَيْسَ إِيَّايَ) ، ولو وصل لقال: ليسنى .

قال سيويه : ومثل ذلك كان إيبأه ، لأنّ كانه قليلة ، لاتقول : كائننى وليسنى ، ولا كائنك ؛ فصارت إيبأهنا بمنزلتها في ضربى إيبأك . قال الشاعر :

* ليت هذا الليل شهر * إنلخ

وبلغنى عن العرب الموثوق بهم أنّهم يقولون : لئسنى ، وكذلك كائبنى . اهـ

قال الأعلام: الشاهد في إتيانه بالضمير بعد ليس منفصلاً ، لوقوعه موقع خبرها والخبر منفصلٌ من المخبر عنه، فكان الاختيار فصلَ الضمير إذا وقع موقعه. وأصله بليس جائزٌ لأنّها فعل وإن لم تقوَ قوّة الفعل الصحيح. و«ليس»

(١) الخزانة ٢ : ٣٢ .

(٢) في كتابه ١ : ٣٨١ . وانظر المقتضب ٣ : ٩٨ والمنصف ٣ : ٦٢ وابن يعيش ٣ : ٧٥ ،

١٠٧ وأصح ١ : ٦٤ .

فى هذا البيت تحتل تقديرين : أحدهما أن تكون فى موضع الوصف للاسم قبلها ، كائنه قال : لانرى فيه عريباً غيرى وغيرك . والتقدير الآخر : أن تكون استثناءً بمنزلة إلا . وعريب بمعنى أحد ، وهو بمعنى مغرب ، أى لانرى فيه متكلمًا يخبر عنّا ويُعرب عن حالنا . اهـ

وقوله : (ليت هذا الليل شهر) قال أبو القاسم سعيد الفارق فيما كتبه (فى تفسير المسائل المشككة) فى أول (المقتضب للمبرد) : وقد روى فى «شهر» الرفع والنصب جميعا ؛ وهو عندى أشبه بمعنى البيت . وكلاهما حسن . وقد قضينا هذا فى كتابنا (تفسير أبيات كتاب سيبويه) . اهـ
ولم يظهر لى وجه النصب (١) .

و(نرى) من رؤية العين . و(عريب) من الألفاظ الملازمة للنفى ، واسم ليس ضمير مستتر راجع إلى عريب ، وإيأى خبرها بتقدير مضاف ، أى ليس عريبٌ غيرى وغيرك ، فحذف غير وانفصل الضمير وقام مقامه فى النصب . تمنى أن تطول ليلته بمقدار شهر . وجملة (لانرى فيه) خبر ثان لليت (١) . وجمله (لانخشى رقبيا) معطوف عليه ، والرباط محذوف أى فيه . ويجوز أن يكون جملة لانرى صفة لشهر .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصل) : يقول لحبيته ٢٥ :
ليت هذا الليل الذى نجتمع فيه طويل كالشهر ، لا تبصر فيه أحداً ليس إيأى

(١) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله ولم يظهر لى وجه النصب ، أقول: يمكن أن يوجه نصبه على أنه خبر لكان مقدرة أو منصوب على الظرفية متعلق بمقدر . والله أعلم. اهـ من هامش الأصل. »

وإيّاك ، أى ليس فيه غيرى وغيرك أحد . وهو استثناء لنفسه كما قال
إلّاك^(١) ، ولا نخاف فيه رقيبا .

صاحب الشاهد

وهذا الشعر نسبّه خَدَمَةُ كتاب سيبويه إلى عُمر بن أبى ربيعة المذكور آنفاً .
ونسبه صاحبُ الأغاني ، وتبعه صاحب الصحاح إلى العرجى ، وهو عبد الله
ابن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفّان . نُسِبَ إلى العرج ، وهو من نواحي
مَكَّة ، لأنّه ولد بها ، وقيل بل كان له بها مال ، وكان يقيم هناك . والله أعلم .
وتقدّمت ترجمة العرجى فى الشاهد السادس من أوائل الكتاب^(٢) .

العرجى

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الثلاثئة :

٣٩٢ (عَدَدْتُ قَوْمِي كَعَدِيدِ الطَّيْسِ إِذْ ذَهَبَ الْقَوْمُ الْكَرَامُ لَيْسِي)

على أنّه جاء متّصلاً . قال الزّنجاني : هذا الشعر أنشده السيّرافى ،
وفيه شذوذٌ من وجهين : الأوّل : أنّه أتى بخبر ليس متّصلاً . والثانى : أنّه
أسقط نون الوقاية ، وحقّه أن يقال : ليسني . اهـ

وأنشده شُرّاح الألفية على أن حذف نون الوقاية منه ضرورةٌ .

وكذلك حكم ابن هشام بأنّه ضرورة ، فى قد ، وفى النون^(٤) (من
المغنى) وقال^(٥) فى (شرح شواهد) : والذى سهّل ذلك مع الاضطراب أمور :

(١) يشير إلى الشاهد المعروف ، وهو الشاهد ٣٨٤ من هذا الجزء :

وما نبألى إذا ماكنّ جارتنا ألا مجاورنا إلّاك ديار
(٢) الخزانة ١ : ٩٨ .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١٠٨ وشرح شواهد المغنى ١٦٧ والتصريح ١ : ١١٠ واللسان (طيس) وديوان
رؤية ١٧٥ .

(٤) ط : «بأنّه ضرورة فإنّه قد ذكره فى النون» ، وأثبت ما فى ش . وانظر المغنى فى (قد) ، وفى (النون) .

(٥) ش : «قال» ، بدون واو .

أحدها : أنَّ الفعل الجامد يشبه الأسماء ، فجاء ليسى كما تقول غلامى وأخى ، ومن ثمَّ جاز : إنَّ زيدا لعسى يقوم كما جاز لقائمٌ ، ولا يجوز إنَّ زيدا لقام . وجاز أيضاً نحو : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ^(١) ، كما جاز : علمت أنَّ زيدا قائم ^(٢) ولا يجوز علمت أنَّ قام ولا أنَّ يقوم والثاني : أنَّ ليس هنا للاستثناء ، فحقَّ الضمير بعدها الانفصال ، وإلما وصله للضرورة كقول الآخر : « أَنْ لَا يَجَاوِرَنَا إِلَّا كَيْ دِيَارٌ »

والنون ممتنعة مع الفصل ، فتركها مع الوصل التفاتا إلى الأصل .
الثالث : أنَّ ليس ^(٣) بمعنى غير ، ولا نون مع غير . اهـ
واسم ليس هنا ضمير اسم الفاعل المفهوم من ذهب ، والتقدير : ليس هو إيتاى ، أى ليس الذاهب إيتاى .
وقال (شارح أبيات الموشح) : اسم ليس مضمَر يرجع إلى الكريم المستفاد من الكرام . وفيه مالا يخفى .
وقال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصل) : كذا أنشد العلماء هذا البيت . ويروى :
« عَهْدِي بِقَوْمِي كَعَهْدِ الطَّيْسِ »

وهو الصحيح . وأنشده الخليل (فى كتاب العين فى طيس) لرؤية ، صاحب الشاه
قال : الطَّيْس : العدد الكثير . وأنشد البيتين لرؤية .
واختلفوا فى تفسير (الطَّيْس) فقال بعضهم : هو كل ماعلى وجه الأرض من خلق الأنام . وقال بعضهم : بل هو كلُّ كثير النسل نحو الثمل والدُّباب والهوام .

(١) الآية ٣٩ من النجم .

(٢) ش : « أَنْ زيدا قائم » .

(٣) ط : « ليسنى » ، صوابه من ش مع أثر تغيير .

وقال غيره : الطَّيس : الكثير من الرمل والماء وغيرهما . وأراد به رؤية هنا الرمل . اهـ

وكذلك أنشده ابن الأعرابي (في نوادره) : «عهدت قومي» . ورواه بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : «عهدى بقوم» ، وقال : أراد بقوم المنكر قومه ، بدليل رواية قومي ، واللام في القوم إشارة إليهم ، وهذا من باب وضع الظاهر موضع المضمر ، والأصل : إذ ذهبوا . وفائدته التوصل إلى وصفهم بالكرم . وقوله : «عهدى بقوم» مبتدأ خبره محذوف ، وهو حاصل . وقوله : (ليسى) استثناء لنفسه من القوم الكرام الذاهبين . يفتخر بقومه ويتحسر على ذهابهم فيقول : عهدى بقومي الكرام الكثيرين مثل كثرة الرمل حاصل إذ ذهبوا إلا إياي . فإني بقيت بعدهم خلفاً عنهم . ولايعد أن يريد قوماً غير كرام ، فيكون المعنى : أرى قوماً كثيراً غير كرام إذ ذهب الكرام غيري . انتهى كلامه .

٤٢٦

وهذا المعنى هو الظاهر دون الأول ، وهو معنى قول العيني : والمعنى عددت قومي وكانوا بعدد الرمل ، ومع تلك الكثرة ما فيهم كريم غيري . وعليه فيكون العامل في إذ : عددت ، أو عهدت ، أو عهدى ، على الروايات .

وقال شارح (أبيات الموشح) : قوله : «كعديد الطيس» : حال من قومي . وقوله : إذ ذهب ظرف ليسى . يقول : عهدى بقومي الكرام الكثيرين مثل كثرة الرمل حاصل ، وليس فيهم الآن كريم غيري ، إذ ذهب القوم الكرام وبقيت بعدهم خلفاً عنهم . هذا كلامه فتأمل .

وقال العيني : عديد الطيس صفة مصدر محذوف ، تقديره : عدداً كعدد الطيس . والعديد بمعنى العدد . يقال هم عديد الحصى والثرى في الكثرة .

وترجمة رؤية تقدّمت في الشاهد الخامس من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الثلاثئة ، وهو من شواهد س (٢) :

٣٩٣ (فإن لا يَكُنْها أو تَكُنْه فَإِنَّه أَخوها غَذَّه أُمُّه يَلْبِازِها)

لما تقدّم قبله من وصل الضمير المنصوب بكان ؛ والقياس : فإن لا يَكُنْ إِيّاها أو تَكُنْ إِيّاه .

وأنشده سيبويه (في أوائل كتابه) في باب الفعل الذي يتعدّى اسم الفاعل إلى اسم المفعول ، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد ، قال فيه :
وتقول: كُنّاهم كما تقول: ضربناهم . وتقول : إذا لم نكنهم فمن ذا يكونهم (٣) كما تقول : إذا لم نضربهم فمن يضربهم . قال أبو الأسود الدؤلي :

فإلّا يَكُنْها أو تَكُنْه فَإِنَّه . . . البيت

قال الأعلام : أورد سيبويه أن كان لتصرفها تجرى مجرى الأفعال الحقيقية في عملها ، فيتصل بها ضمير خبرها اتصال ضمير المفعول بالفعل الحقيقي في نحو ضربته وضربني وما أشبهه . اهـ

وقبل هذا البيت :

دع الخمر تشربها العَوَاةُ فَإِنِّي رَأَيْتُ أَخاها مُجْزئاً لِمَكَانِها (٤)

(١) الخزنة ١ : ٨٩ .

(٢) في كتابه ١ : ٣١ . وانظر المقتضب ٣ : ٩٨ والإنصاف ٨٢٣ وابن يعيش ٣ : ١١٧ والمقرب ١٦ والعيني ١ : ٣١٠ والأشعري ٣ : ١١٨ وديون أبي الأسود الدؤلي ٨٢ .

(٣) في النسختين : « إذا لم تكنهم » بالباء ، وكذلك فيما يأتي « إذا لم تضربهم » ، صوابه من

سيبويه .

(٤) وكذا في اللسان (كون) والديوان . لكن في الإنصاف والعيني : « بمكانها » .

سبب الشعر

قال شُراح أبيات سيبويه ، وشرح أبيات أدب الكاتب : سببُ هذا الشعر أنَّ مولىً لأبي الأسود الدؤلي كان يحمل تجارة إلى الأهواز ، وكان إذا مضى إليها تناول شيئاً من الشراب ، فاضطرب أمر البضاعة ، فقال أبو الأسود هذا الشعر ينهيه عن شرب الخمر . فاسم يكنها ضمير الأخ و «ها» ضمير الخمر ، وهو خبر يكن ، واسم تكنه ضمير الخمر ، والهاء ضمير الأخ ، وهو خبر تكن . وأراد بأخى الخمر الزبيب . يقول : دع الخمر ولا تشربها ، فإن رأيت الزبيب الذى هو أخوها ومن شجرتها مُغنياً مكانها ^(١) ، وقائماً مقامها ، فلا يكن الزبيب الخمر أو تكن الخمر الزبيب فإن الزبيب أخو الخمر ، غدت أمه بلبانها . يعنى أنَّ الزبيب شرب من عروق الكرمة كما شرب العنب الذى عُصِر خمرًا . وليس ثمة لبان وإنما هو استعارة . كذا قال جماعة ، منهم الجوالقي ، قال (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : نهيه عن شرب الخمر ، وقال له : إنَّ الزبيب يقوم مقامها . فإن لم تكن الخمر نفسها من الزبيب فهى أختها ، اغتذتا من شجرة واحدة .

٤٢٧

ومنه ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) قال : أراد بقوله أخاها الزبيب ، وجعله أخا الخمر لأنهما من شجرة واحدة .

ومنه ابن هشام (فى شرح شواهد) قال : زعم مولى أبى الأسود أنه يشرب الخمر لحرارتها ، فأمره بأكل الزبيب فإنه أخوها ، أى ارتضَعَ معها من ثدي واحد ، أى إنَّه شرب من عروق الكرمة كما شرب العنب الذى هو أصلها .

وقال جماعة: أراد بأخى الخمر نبيذ الزبيب، منهم الأعلام قال: وصَفَ نبيذ الزبيب وأطلقه على مذهب العراقيين فى الأنبذة، وحثَّ على شربه وترك الخمر

(١) ط : « مكانها » .

بَعَيْنِهَا ، للإجماع على تحريمها . وجعلَ الزبيب أصلاً للخمر لأنَّ أصلَهُما
الكَرْمَةُ . واستعار اللُّبان لما ذكره من الأخوة .

ومنه ابن السيد (في شرح أبيات أدب الكاتب) قال : يعنى بأخيها
نبيذ الزبيب . يقول : إن لم يكن الزبيبُ الخمرَ أو تكن الخمر الزبيبَ فإنهما
أَخَوَانِ غُذِيَا بِلَبَنٍ واحد ، ينوب أحدهما مناب الآخر .

ومنه صاحب (فرائد القلائد) . قال : إنَّ أخاها نبيذ الزبيب ، يريد به
الماء الذى نُبِذَ بزبيب ليصير حلواً من غير أنَّ تشوُّبه حرمة ، فإنه أخوها ، إلا
أنه حلال وهى حرام .

وقد أنشده الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ ﴾^(١) ، قال : الخمر المَجْمُوعُ عليه . وقياسُ كُلِّ ما عمل عملُها أن يقال له
خمر ، وأن يكون فى التحريم بمنزلتها ، لأنَّ إجماع العلماء أنَّ القِمَارَ كُلَّهُ حرامٌ ، وإنما
ذكر الميسر من بينه . وجعل كله حراماً^(٢) قياساً على الميسر ، والميسر إنما كان
قِمَاراً فى الجُرْزِ خاصَّةً . فكذلك كُلُّ ما كان كالخمر فهو بمنزلة . وتأويل الخمر فى
اللغة : أنَّه ماستَرَّ على العقل ، يقال لكل ماستر الإنسان من شجرٍ وغيره خَمَرٌ
بالتحريك . وماستره من شجر خاصَّةً ضَرّاً^(٣) ، مقصور . يقال : دخل فى خُمَارِ
الناس^(٤) ، أى فى الكثير الذى يستتر فيهم . وخُمَارُ المرأة قِنَاعُهَا ، وإنما قيل له
خمار لأنه يغطُّها . والخمرة بالضم : التى يُسَجَّدُ عليها إنَّما سُمِّيَتْ بذلك لأنها

(١) البقرة ٢١٩ .

(٢) كلمة « حراماً » ساقطة من ش .

(٣) رسمت فى ش « ضرى » بالياء . ولم يذكر القصر فى كل من اللسان والقاموس ، بل جعلاه
ممدوداً « الضَّرَّاء » .

(٤) يقال بفتح الخاء وضمها كما فى القاموس . ومثله غمار الناس بضم الغين وفتحها .

تستر الوجه عن الأرض . وقيل للعجين : قد اختمر ، لأنَّ فطورته قد غَطَّأها الخمر ، أعنى الاختمار . يقال قد أحمّرت العجين وخمرته وفطرته . فهذا كُلُّه يدلُّ على أنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ خمرٌ ، وكلُّ مُسْكِرٍ مُخالِطُ العقل ^(١) ومغَطٌّ عليه . وليس يقول أحدٌ للشَّارِبِ إلا مخمورٌ، من كل مسكر ؛ وبه خُمار . فهذا بيِّنٌ واضح . وقد لُبِّسَ على أبي الأسود الدؤلي فقليل له : إنَّ هذا المسكر الذى سَمَّوه بغير الخمر ^(٢) حلال ، فظنَّ أنَّ ذلك كما قيل ، ثم رَدَّه طبعُه إلى أن حَكَمَ بأنَّهما واحد ، فقال :

دع الخمرَ يشربها الغواةُ البيتين

وما ذكره خلاف المعنى الذى ذكره الجماعة . وقد وافقه فى هذا المعنى أبو القاسم عبد الرحمن السعدى الأندلسى — وتُوفِّيَ بمصر فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة — (فى كتاب مساوى الخمرة) ، وهو كتاب ضخم ، وهو عندى فى جلدَيْنِ ، قال فيه : وقد حرَّم الخمرَ والقمار والزَّنى على نفسه فى الجاهلية عُفُيفٌ بن معد يكرب ^(٣) الكندى بقوله :

وقالت لى : هلُمَّ إلى التَّصَابِى فقلتُ : عَفَفْتُ عَمَّا تعلمينا
وودَّعْتُ القِدَاعَ وقد أُرَانِى لها فى الدَّهرِ مشغوفاً رهينا
وحرَّمْتُ الخمرَ علىَّ حتَّى أَكُونَ بقعرِ ملحودٍ رهينا ^(٤)

أنت ترى كيف تفهَّم ما فى القمار من المشاركة للزنى والخمر، فى سوء

٤٢٨

(١) ط : « يخالط » ، والوجه ما أثبت من ش للتناسق .

(٢) ط : « بغير الخمر » ، صوابه من ش .

(٣) ذكره ابن حبيب فى المحر ٢٣٧ ، ٢٣٩ فىمن حرم فى الجاهلية الخمر والسَّكْر والأزلام . وذكر أن اسمه كان « شراحيل » ثم سَمِيَ عُفُيفًا لتحريمه على نفسه ذلك . وانظر القاموس (عفف) حيث ضبطه .

(٤) فى المحر : « لقعر ملحود رهينا » . والملحود : اللحد ، وهو القبر .

الذكر . ولاتنس قوله: « وحرمت الخمر » فأق بها بلفظ الجمع ، إشارة إلى اختلاف أجناسها ، كالخمر المتخذة من ماء العنب ، ونبذ الزبيب والتمر والشعير والحنطة والعسل ، وأمثال هذه ، إذ الكل خمورٌ مختلفة الألوان والطعوم والأمزجة . وقد قال ابن شبرمة ^(١) منبها على اشتراك هذه كلها في المعنى :

يأخلاء إنما الخمر ذيبٌ وأبو جعدة الطلاء المريب
ونبذ الزبيب ما اشتد منه فهو للخمر والطلاء نسب

وقال عبيد بن الأبرص :

وقالوا هي الخمر تُكنى الطلاء كما الذئب يكنى أبا جعدة ^(٢)

وقد قال أبو الأسود الدؤلي ^(٣) :

دع الخمر يشربها الغواة ... البيت

ف قيل له : فنبذ الزبيب ؟ فقال :

فإلا يكتننها أو تكنه فإنه أخوها غذته أمه بلبانها . اهـ

وقوله : (دع الخمر) ، أى اترك . و (الغواة) : جمع غاوٍ ، وهو الضال .

وقوله : (مجزئاً) قال ابن الأنباري (في الزاهر) : يقال أجزأت الشيء يُجزئني ، إذا

كفاني . وأنشد هذا البيت ، وروى بدله : « مغنيا » بمعناه .

(١) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبي الكوفي ، القاضي . ولد سنة ٧٢ وتوفي سنة

١٤٤ . تهذيب التهذيب : وكان شاعرا فقيها ورعا .

(٢) وقالوا ، في أول البيت ، ساقطة من النسختين ، وإثبات من الديوان ٣ وبستان

(جعد، طلاء) . ط : « يكنى » ، وهى في ش مهمة نقط الحرف الأول . نحوه ما ثبت .

(٣) ط : « الدؤلى » .

وقوله : «فإلا يكنها» إلخ الفاء للتفريع والتفسير . وإن شرطية ، ولا نافية وتكنه معطوف على تكنها فهو منفى أيضاً ، وجملة فإنه أخوها جوابُ الشرط . وجملة غذته أمه إلخ لاجلها من الإعراب ، لأنها مفسرة للأخوة ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ ^(١) . وقال العيني : هي خبرٌ بعد خبر ، ويجوز أن تكون حالا من الهاء في أخوها ، والعامل فيها إن . هذا كلامه .

و(اللبان) بكسر اللام قال الأعلم : هو للآدميين ، واللبن لغيرهم ، وقد يكون جمع لبن في هذا الموضع . اهـ

قال ابن السكيت : يقال هو أخوه بلبان أمه ولا يقال بلبن أمه ، إنما اللبن الذي يشرب . قال الكميث يمدح مخلد بن يزيد :
تري الندى ومخلداً حليفين كانا معاً في مهده رضيعين ^(٢)
« تنازعا فيه لبان النديين »

وقال الحريري (في درة الغواص) ^(٣) : اللبان : مصدر لابنه . قال ابن بري (في حاشيته عليه) : اللبان مصدر لابنه ، أى شاركه في اللبن ، ليس بإجماع بل الأكثر على جواز غير ذلك . قال بعضهم : اللبان بمعنى اللبن ، إلا أنه مخصوص بالآدمي ، وأما اللبن فعام في الآدمي وغيره . وقال آخرون : اللبان جمع لبن . فمما جاء فيه اللبان للمشاركة في اللبن قولهم : هو أخوه بلبان أمه . كذا فسره يعقوب ، أى هو أخوه لمشاركته في الرضاع . وعليه قول الكميث

(١) آل عمران ٥٩ .

(٢) لم يرد هذا الرجز في ديوان الكميث جمع داود سلوم .

(٣) درة الغواص ص ٩٩ .

المذكور . وقال أبو سهل الهروي : لَبَانٌ هُنَا جَمْعُ لَبَنٍ ، وَعَلَى قَوْلِ غَيْرِهِ هُوَ لُغَةٌ فِي اللَّبَنِ . وَكَذَلِكَ بَيْتُ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ . انْتَهَى كَلَامُهُ .
وترجمة أبي الأسود قد تقدمت في الشاهد الأربعين ^(١).

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الثلاثمائة ^(٢) :
٣٩٤ (لَوْلَاكَ فِي ذَا الْعَامِ لَمْ أَحْجُجْ)

على أنه يجوز ورود الضمير المشترك بين النصب والجر على قلة بعد لولا . و «لولا» حرف جر عند سيبويه كما ذكره الشارح ، ويأتى نص كلامه في البيت الذى بعد هذا .

وأنشده الزمخشري في سورة ص ، مستشهداً به على أَنَّ لَا تَجْرُ الأحيان كما أَنَّ لَوْلَا تَجْرُ الضمائر .

وهو عجزٌ ، وصدره :

« أَوَمْتُ بِعَيْنَيْهَا مِنَ الْهُودَجِ »

وبعده :

(أَنْتَ إِلَى مَكَّةَ أَخْرَجْتَنِي وَلَوْ تَرَكْتَ الْحَجَّ لَمْ أَخْرُجْ)

وروى :

« حُبًّا وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَخْرُجْ »

وهما من شعر عمر بن أبي ربيعة. (أَوَمْتُ): أشارت. والكاف في

(١) الخزائن ١ : ٢٨١ .

(٢) أمالي ابن الشجري ١ : ١٨١ والإنصاف ٦٩٣ وابن يعيش ٣ : ١١٨ ، ١٢٠ والعيني ٣ :

٢٦٤ والهمع ٢ : ٣٣ وملحقات ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤٧٩ .

(لولاك) مفتوحة ، كما أن التاء من أنت كذلك . خاطبته حبيبته ومنّت عليه
بتحمّل المشاقّ لأجله .

صاحب الشاهد وزعم الخطيب التبريزي (في شرح ديوان أبي تمام) أن البيت الشاهد
للعرجي المذكور آنفا . ولم يوجد في ديوانه ، والذي رواه العلماء أنه لعمر بن
أبي ربيعة ، وهو موجود في شعره . وسبب توهمه : أن للعرجي أبياتاً على هذا
النمط رواها الزجاجي (في أماليه الوسطى^(١)) بسنده إلى إسحاق بن سعد بن
عمرو بن سعيد بن العاص، قال : كان العرجي ، وهو عبد الله بن عمر بن
عمرو بن عثمان بن عفان ، يشبّ بامرأة محمد بن هشام . وقال غيره : إنه
يشبّ بامرأته الحارثية :

أبيات الشاهد عوجى علينا ، بهّ الهودج إنك إن لا تفعلى تُخرجى
أيسر ماقال محبّ لدى بين حبيب قوله : عرج (٢)
يقضى إليكم حاجة أو يقل هل لى مما بى من مخرج (٣)
من حيكم بنتم ولم ينصرم وجد فؤادى الهائم المنضج (٤)
فما استطاعت غير أن أوماث بطرف عينى شادن أدعج (٥)
تذود بالبرد لها عبوة جاءت بها العين ولم تنشج (٦)

(١) انظر ملحقات أمالي الزجاجي بتحقيق كاتبه ص ٢٣٠ وديوان العرجي ١٧ والأغاني ١ : ١٥٦ .

(٢) في النسختين : «عرجى» ، الوجه ما أثبت من الديوان والأغاني .

(٣) الديوان : « نقض اليه حاجة » وفي الأغاني : «نقض إليكم حاجة أو نقل » .

(٤) الديوان . «وجد فؤاد الهائم » .

(٥) الديوان : « نحوى بعينى شادن » .

(٦) أصل الديوان : لالتجود بالبرد و «جادت بها العين » .

مخافةً الواشين أن يَفْطِنُوا بشأنها والكاشح المزعج (١)
أقول لماً فانتسى منهم ما كنت من وصلهم أرتجى
أنى أتيسحت لى يمانيةً إحدى بنى الحارث من مذجج
نمكت حولاً كاملاً كله لالتقى إلاً على منهج
فى الحجج إن حجت وماذا منى وأهله إن هى لم تحجج
فقال عطاء (٢) : الكثير الطيب ياخييث .

وروى أيضاً صاحب الأغاني بسنده أن مما قال العرجى فى الجيداء أم
محمد بن هشام المخزومي ، وهى من بنى الحارث بن كعب :
« عوجى علينا ربةً الهودج »

الآيات الأربعة :

فلما سمع البيت الأخير عطاءً بن أبى رباح قال : الخير والله كله فى
منى وأهله ، حجت أم لم تحجج .

ولقى ابن سريج عطاءً فى منى وهو راكب على بغلته فقال له : سألتك
بالله إلا ماوقفت حتى أسمعك شيئاً . قال : ويحك دعنى . فقال : امرأتى
٤٣ طالق إن لم تقف ، مختاراً للوقوف ، لأمسكن بلجام بغلتك ثم لا أفارقها ولو
قطعت يدى ، حتى أغنيك وأرفع صوتي . فقال : هات وعجل . فغناها :
فى الحجج إن حجت وماذا منى ... البيت

(١) الديوان : «لشأنها» .

(٢) هو عطاء بن أبى رباح ، كما سيأتى .

فقال : الخير والله كله في مني وأهله ، لاسيما وقد غيَّبها الله عن مشاعره ، نحلَّ سبيل البغلة. اهـ^(١)

وقوله : « نلبث »^(٢) حولا كاملا كله البيت ، هو من شواهد الكوفيين استدلُّوا به على جواز تأكيد النكرة المحدودة . وقد نقله عنهم ابن هشام (في مغنى اللبيب) ، ولأجله أوردت هذه الأبيات .
وترجمة عمر بن أبي ربيعة تقدَّمت في الشاهد السابع والثمانين^(٣).

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الثلاثمائة ، وهو من شواهد س^(٤) :

٣٩٥ (وكم موطن لولاي طِحت كما هوى

بأجرامه من قلة النقي مُنْهوى)

لما تقدَّم قبله . قال سيبويه في باب ما يكون مضمرًّا فيه الاسم متحوِّلاً عن حاله إذا أظهر^(٥) بعده : وذلك لولاك ولولاي ، إذا اضْمَرَ فيه الاسم جُرَّ ، وإذا أظهر رفع . ولو جاءت علامة الإضمار على القياس لقلت لولا أنت ، كما قال الله تعالى : ﴿لولا أنتم لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾^(٦) ، ولكنهم جعلوه مجروراً .

(١) رمز الانتهاء هذا من ش فقط .

(٢) كتب مصحح المطبوعة الأولى : « قوله نلبث ، لعله رواية ، والا فالذى تقدم تمكث » .

(٣) الخزانة ٢ : ٣٢ .

(٤) في كتابه ١ : ٣٨٨ . وانظر المقتضب ٣ : ٧٣ والخصائص ٢ : ٢٥٩ والمنصف ١ : ٧٢

وأما القالى ١ : ٦٨ والإنصاف ٦٩١ وابن يعيش ٣ : ١١٨ / ٩ : ٢٣ والمقرب ٤١ والعينى ٣ : ٢٦٢

والجمع ٢ : ٣٣ والأخمينى ٢ : ٣٦ / ٤ : ٥٠ ويس على التصريح ١ : ٣١٠ .

(٥) ط : « أظهر » صوابه في ش . وفي سيبويه : « إذا أظهر بعده الاسم » .

(٦) الآية ٣١ من سورة سبأ .

والدليل على ذلك أنّ الياء والكاف لا تكونان علامة مضمّر مرفوع ، قال يزيد بن الحكم :

وكم موطن لولاي طِحتَ البيت

وهذا قول الخليل ويونس . وأمّا قولهم : عسّاك ، فالكاف منصوبة . قال الراجز :

« يَا أَبَتَا عَلَّكَ أَوْ عَسَّاسَا »

والدليل على أنها منصوبة إنك إذا عنيت نفسك كان علامتك «ني» ، قال عمران بن حِطَّان :

ولى نفسٌ أقول لها إذا ما تُنازعني لعلى أو عسانى ^(١)

فلو كانت الكاف مجرورة لقال: عسّاي ، ولكنهم جعلوها بمنزلة لعلّ في هذا الموضع . فهذان الحرفان لهما في الإضمّار هذا الحال ، كما كان للذّن حال مع غدوة ليست مع غيرها ، وكما أنّ لات إذا لم تُعملها في الأحيان لم تعملها فيما سواها ، فهي معها بمنزلة ليس ، فإذا جاوزتها فليس لها عمل ^(٢) .

ورأى أبى الحسن أنّ الكاف في لولاك في موضع رفع على غير قياس ، كما قالوا: ماأنا كانت ولأنت كأننا ، وهذان ^(٣) علم الرفع، كذلك عسانى . ولايستقيم أن تقول :وافق الجرّ في لولاي كما وافقه النصب ، إذ قلت معك وضربك ؛ لأنك إذا أضفت إلى نفسك فالجرّ مفارق للنصب في هذه الأشياء . ولاتقل وافق الرفع النصب في عسانى كما وافق النصب الجرّ في

(١) هو الشاهد ٣٩٧ فيما سأتى .

(٢) التعيقة التالية لأبى الحسن الأحفش ليست في جميع نسخ سيبويه . وانظر سيبويه ٢ : ٣٧٥

من تحقيق كاتبه .

(٣) ط : « وهذا ان » ، صوابه في ش .

ضَرَبَكَ وَمَعَكَ ، لَأَنَّهُمَا إِذَا أَضْفَتَ ^(١) إِلَى نَفْسِكَ اخْتَلَفَا . وَزَعَمَ نَاسٌ أَنَّ مَوْضِعَ الْيَاءِ فِي لَوْلَايَ ، وَفِي فِي عَسَانِي ، فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ ، جَعَلُوا لَوْلَايَ مُوَافَقَةً لِلْجَرِّ . وَفِي مُوَافَقَةٍ لِلنَّصَبِ ، كَمَا اتَّفَقَ النَّصَبُ وَالْجَرُّ فِي الْهَاءِ وَالْكَافِ . وَهَذَا وَجْهٌ رَدِيءٌ لَمَّا ذَكَرْتُ ، وَلَأَنَّكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكْسِرَ الْبَابَ وَهُوَ مَطْرُودٌ وَأَنْتَ تَجِدُ لَهُ نِظَائِرَ . وَقَدْ يُوْجِّهُ الشَّيْءَ عَلَى الشَّيْءِ الْبَعِيدَ إِذَا لَمْ يُوجَدْ لَهُ غَيْرُهُ . وَرَبَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ ، وَقَدْ يُبَيِّنُ بَعْضُ ذَلِكَ وَسْتَرَاهُ فِيمَا يَسْتَقْبَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . هَذَا نَصُّ سَبِيوِيهِ بِرُمَّتِهِ .

قال الأعلم : الشاهد في هذا البيت إتيان ضمير الخفض بعد لولا التي يليها المبتدأ ، ولَمَّا كَانَ مَبْتَدُوهَا مَحْذُوفٌ الْخَبَرُ أَشْبَهَ الْمَجْرُورَ لِانْفِرَادِهِ ، وَالْمُضْمَرُ لَا يَتَّبِعِينَ فِيهِ الْإِعْرَابَ ، فَوَقَعَ مَجْرُورُهُ مَوْضِعَ مَرْفُوعِهِ ، وَالْأَكْثَرُ لَوْلَا أَنْتَ كَالظَّاهِرِ . وَرَدَّ هَذَا الْمَبْرَدُ وَسَفَّهُ قَائِلُهُ تَحَامُلًا مِنْهُ وَتَعَسُّفًا . اهـ

٤٣١

وقد رأيت كلام المبرد (في الكامل) فإنه بعد أن نقل كلام سبيويه قال : والذي أقول أن هذا خطأ ، ولا يصلح أن تقول إلا لولا أنت ، قال تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) . وَمَنْ خَالَفَنَا يَزْعُمُ أَنَّ الَّذِي قُلْنَا أَجُودَ وَيَدَّعِي الْوَجْهَ الْآخَرَ وَيُجِيزُهُ عَلَى بَعْدِ . اهـ

وقد فصل ابن السجري (في أماليه) الأقوال فقال في وقوع المضمر بعد لولا التي يرتفع الاسم بعدها بالابتداء : وللنحويين في ذلك ثلاثة مذاهب : فذهب سبيويه أنه يرى إيقاع المنفصل المرفوع بعدها هو الوجه ، كقولك : لولا أنت فعلت كذا . ولا يمتنع من إجازة استعمال المتصل بعدها كقولك :

(١) ط : «إِذَا أَضْفَتُهُمَا» ، وأثبت ما في ش . والذي في سبيويه : «لَأَنَّهُمَا مَخْتَلِفَانِ إِذَا أَضْفَتَ إِلَى نَفْسِكَ» .
(٢) الآية ٣١ من سورة سبأ .

لولاي ولولاك ولولاه ، ويحكم بأن المتصل بعدها مجرورٌ بها فيجعل لها مع المضمير حكماً يخالف حكمها مع المظهر .

ومذهب الأخفش أن الضمير المتصل بعدها مستعارٌ للرفع ، فيحكم بأن موضعه رفع بالابتداء وإن كان بلفظ المضمير المنصوب أو المجرور . فيجعل حكمها مع الضمير موافقاً حكمها مع المظهر .

ومذهب المبرد أنه لا يجوز أن يليها من المضمرات إلا المنفصل المرفوع . واحتج بأنه لم يأت في القرآن غير ذلك . ودفع الاحتجاج بهذا البيت وقال : إن في هذه القصيدة شذوذاً في مواضع ، وخروجاً عن القياس ، فلا معرّج على هذا البيت .

وأقول : إن الحرف الشاذ أو الحرفين أو الثلاثة ، إذا وقع ذلك في قصيدة من الشعر القديم لم يكن قادحاً في قائلها ، ولا دافعاً للاحتجاج بشعره . وقد جاء في شعر لأعرابي :

« لولاك في ذا العام لم أحجج »

وللمحتجّ لسيبويه أن يقول : إنه لما رأى الضمير في لولاي ونحوه خارجاً عن حيز ضمائر الرفع ، وليست لولا من الحروف المضارعة للفعل فتعمل النصب كحروف النداء ، ألحقها بحروف الجرّ . وحجة الأخفش أن العرب قد استعارت ضمير الرفع المنفصل في قولهم : لقيتك أنت ، وكذلك استعاروه للجرّ (١) في قولهم : مررت بك أنت ، أكدوا المنصوب والمجرور بالمرفوع . وأشدُّ منه إيقاعهم إياه بعد حرف الجر في قولهم : أنا كانت وأنت كآنا فكما استعاروا المرفوع للنصب والجر كذلك استعاروا المنصوب للرفع في قولهم : لولاي ولولاك ولولاه . اهـ

وقد نسب ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) مذهب الأخفش إلى

(١) جعلها التنقيط في نسخته : «لنصب» . وليس بشيء .

الكوفيين ، وذكر حجج الفريقين ، وصَحَّحَ مذهب الكوفيين ، وردّ كلام سيبويه بأنّ قوله إن الياء والكاف لا يكونان علامة مرفوع غير مسلم ؛ فإنّه يجوز أن يستعار للمرفوع علامة المخفوض . كما يستعار له علامة المنصوب في نحو : عساک .

ثم قال : والذي يدلّ على أن لولا ليس بحرف خفض أنّه لو كان كذلك لوجب أن يتعلّق بفعل أو معنًى ، وليس هنا ذلك . وقول البصريين إنّهم قد يكون الحرف في موضع مبتدأ لا يتعلّق بشيء ، قلنا : الأصل في حروف الخفض أن يجوز الابتداء بها ، وأن تقع في موضع مُفِيد^(١) ، وإنما جاء ذلك نادراً ، في قولهم : بحسبك زيد وما جاءني من أحد ، لأنّ الحرف في نية الاطّراح ، إذ لا فائدة له ، بخلاف لولا فإنّه حرفٌ جاء لمعنى وليس بزائد . ألا ترى أنّك لو حذفها لبطل ذلك المعنى الذي دخلت من أجله ؛ بخلاف الباء ترى أنّك لو حذفها لبطل ذلك المعنى الذي دخلت من أجله ؛ بخلاف الباء ومن . فبانّ الفرق بينهما . انتهى كلامه .

٤٣٢

وما نسبته ابن الأنباريّ للكوفيين نسبته النحّاس (في شرح أبيات سيبويه) للفراء قال : مذهب سيبويه عند المبرد خطأ ، لأنّ المضمر يعقّب المظهر فلا يجوز أن تقول المظهر مرفوعاً والمضمر مجروراً . وأبو العباس المبرد لا يميز لولاك ولولاه ، وإنما يقول لولا أنت . قال أبو العباس : وحُدِّثُ أن أبا عمرو اجتهد في طلب مثل لولاك ولولاي بيتاً يصدّقه ، أو كلاماً مأثوراً عن العرب ، فلم يجده . قال أبو العباس : وهو مدفوعٌ لم يأت عن ثقة . ويزيد بن الحكم ليس بالفصيح . وكذلك عنده قول الآخر :

«لولاك هذا العام لم أحجج»

قال: إذا نظرت إلى القصيدة رأيت الخطأ فيها فاشياً^(٢). وقول سعيد

(١) في النسختين : «مفيد» بالقاف ، والتصحيح للشنقيطي في نسخته بقلبه .

(٢) ط : «فاحشاً» ، وأثبت ما في ش .

الأخفش^(١) في لولاك : وافق ضمير الخفض في لولاى ؛ ليس هذا القول بشيء، ولا يجوز هذا . وقال الفراء : لولاى ولولاك المضمّر في موضع رفع ، كما تقول : لولا أنّك ولولا أنت . قال : فإنما دعاهم أن يقولوا هذا لأنّهم يجدون المكنىّ يستوى لفظه في الخفض والنصب والرفع ، فيقال ضربنا ، ومّر بنا ، وقمنا ، فلما كان كذلك استجازوا أن تكون الكاف في موضع أنت رفعاً إذ^(٢) كان إعراب المكنىّ بالدلالات لا بالحركات . قال أبو الحسن بن كيسان : الوجه لولا أنت ، ولا يجوز أن يكون المضمّر خلاف المظهر في الإعراب وهو بدلٌ منه وموضوعٌ موضعه ، ولكنّ المكنىّ مستغني عن دلالة بالحرف الذى يوجب فيه الرفع ولا يقع منصوب ولا مخفوض ؛ واكتفى بدلالة الحرف من دلالة المكنى ، وكان حرفٌ أخصر من حروف . قال : وهذا الذى اخترته هو مذهب الفراء .

ثم قال النحاس : وأما أبو إسحاق فجرى على عادته^(٣) في الاحتجاج عن سيبويه والتصحيح عنه ، فقال : إنّ خبر المبتدأ الذى بعد لولا لا يظهر ، فأشبهت لولا حروف الجرّ لوقوع اسم بعدها ، وكان المضمّر لا يتبين فيه إعراب ، فجعل موضع الجرور . وهذا احتجاجٌ لطيف لم نر أحداً يحسن مثل هذا . وزاد عليه هذا أنه احتجّ بقول رؤية ، وهو ممن لا تدفع فصاحته :

« لولاكمّا قد خرجت نفساهما »

انتهى ما أورده النحاس مختصراً .

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط تلميذ سيبويه .

(٢) ط : (إذا) ، صوابه في ش .

(٣) ش : « عادته » ، بالإنفراد .

قال ابن الأنباري : وأما إنكار أبي العباس المبرد جوازَه فلا وجه له ؛
لأنّه قد جاء كثيراً في كلامهم وأشعارهم . قال الشاعر :
وأنت امرؤ لولائي طِحتَ كما هوى ... البيت

وقال الآخر :

أُتْطَمِعُ فينا من أراقَ دماءنا ولولاك لم يعرض لأحسابنا حسنٌ (١)

وقال بعض العرب :

« لولاك هذا العام لم أحجّج »

وأما مجيء الضمير المنفصل بعده فلا خلاف أنه أكثر وأفصح ، وعدم
مجيء الضمير المتصل في التنزيل لا يدل على عدم جوازه .

وقد أنشد المبرد (في الكامل) في الموضع الذي نقلنا منه آنفاً بيتاً في
وقعة للخوارج ، وهو :

ويومٌ بجي تلاقيتُهُ ولولاك لاصطَلِمَ العسكرُ (١)
وجي (١) : اسم مدينة .

(١) أي ياحسن . يعنى الحسن بن علي بن أبي طالب . وفي النسختين : « لم تعرض لأحسابنا
عبس » ، صوابه في الإنصاف وابن يعش ٣ : ١٢٠ والعينى ٣ : ٢٦٠ . وقبل البيت كما في العين :
معاوى إلى لم أباعك فلتة ومازال مأسورث منى كما علن
والأبيات عند العينى ثمانية على روى النون من قصيدة لعمر بن العاص ، يخاطب بها معاوية بن
أبي سفيان .

(٢) ط : « ويوم بجي » ، صوابه في ش والكامل ٦٥٠ ومعجم البلدان ، وأوله فيه : « ويوما »
بالنصب . وجي ، بالفتح وتشديد الياء : اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة . قال ياقوت : « وتسمى الآن
عند العجم : شهرستان » . وفي النسختين : « تلاقيته » بالقف ، وصوابه بالفاء كما في معجم البلدان ،
مع نسبة البيت إلى أعشى همدان .

(٣) ط : « وجي » ، صوابه في ش .

وقوله : (وكم موطن) كم ^(١) هنا لإنشاء الكثير ، وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره : لك . والموطن، قال صاحب الصحاح : هو المشهد من مشاهد الحرب . وقد استشهد صاحب الكشف بهذا البيت عند قوله تعالى : ٤٣٣ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ ^(٢) ، على أن المراد بالمواطن مواقف الحروب ، كما في البيت . ولولا هنا عند سيبويه حرف جر لا يتعلق بشيء . وعند غيره الياء مبتدأ ، استعير لفظ غير المرفوع للمرفوع ، وخبره محذوف تقديره حاضر . وجملة (طاحت) في موضع النعت لموطن ، والرباط محذوف تقديره فيه ، وهو قد سُدَّ مسدَّ جواب لولا عند من يجعلها على بابها ، وتكون معترضة بين النعت والمنعوت . قال ابن الشجري : والجملة التي هي « لولاي طحت » محلها جر على النعت لموطن ، والعائد محذوف . انتهى . وهذا باعتبار مذهب سيبويه .

و(طاح) يطوح ويطيح أيضاً بمعنى هلك وسقط، وكذلك إذا تاه في الأرض.

وقوله : (كما هوى) إلخ مفعول مطلق لطحت من غير لفظه ، أى طحت طيحاً ^(٣) كهوى الساقط؛ فما مصدرية، وقيل كافة . وهوى بالفتح هوى بالكسر هوىً بضم فكسر فتشديد ، أى سقط إلى أسفل . و(الأجرام) : جمع جرم بالكسر ، وهو الجسد . قال المبرد (في الكامل) بعد إنشاده هذا البيت : جزم الإنسان : تخلقه . والنبيق : أعلى الجبل . وهذا مثل « شابت مفارقة »؛ كأنه جعل أعضائه أجراماً توسعا .

وقد زلّ قلم ابن الشجري فقال : بأجرامه أى بذنوبه، جمع جرم.

(١) ط : « وكم » بزيادة واو .

(٢) الآية ٢٥ من التوبة .

(٣) في النسختين : « طحوا » ، تحريف .

ويروى: «بإجرامه» مصدر أجرم ، بقال جرم وأجرم ، لغتان ، إذا أذنب . وأجرم لغة القرآن . انتهى .

ولا يخفى أن جعل الأجرام جمع جُرم بالضم ، وتفسيره بالذنب ، لا وجه له هنا .

و(النَّيِّق) بكسر النون : أرفع الجبل . وقُلَّتْهُ : ما استدق من رأسه .

و(منهوى) : ساقطٌ ، وهو فاعل هَوَى . ويُقل عن المبرد الطعن في هذه أيضاً ، قال : انفعِل لايجىء مطاوع فَعَلْ إلا حيث يكون علاجٌ وتأثير . وقال ابن جنى (في شرح تصريف المازني) . اعْلَمْ أَنَّ انفعَلَ إنما أصله من الثلاثة ، ثم تلحقها الزيادتان ، نحو قطعته فانقطع ، ولا يكاد يكون فعلٌ منه متعدياً حتَّى تمكِّن المطاوعة والانفعال . وقد جاء فعلٌ منه غير متعدٍّ ، وهو «وَم موطن لولاي طحت» البيت . فإنَّما هذه مُطاوِغُ هَوَى ، إذا سقط ، وهو غير متعدٍّ كما ترى . وقد جاء في هذه القصيدة «مُنْعَوَى» قال أبو علي : إنما بنى مِن هوى وغوى ^(١) منفِعلاً ، لضرورة الشعر . انتهى .

وقال صاحب الصحاح : هوى وانهوى بمعنى . وقد جمعهما الشاعر في قوله . وأنشد هذا البيت .

صاحب الشاهد

وهو من قصيدة طويلة ليزيد بن الحكم ، يعاتب بها ابن عمِّه ، وقيل أخاه . وقد تقدَّمت مشروحة في الشاهد الثامن بعد المائة ^(٢) .

(١) ط : «إنما بنى منهوى ومنغوى» وهو تصحيف سَمْع ، صوابه من ش مع أثر تصحيح ،

ومن سر الصناعة ١ : ٧٣ .

(٢) الخزانة ٣ : ١٣٠ — ١٣٩ .

وهذا البيت مع شهرته لم يعرفه شارح (شواهد التفسيرين) خضر الموصلي، حتى إنه قال: هو بيت لم يعرفه أحد إلى قائله.

٣٤ ٣٥ ٣٦

وأنشد بعده، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الثلاثمائة (١):

٣٩٦ (لعلك يوماً أن تُلم مُلَمَّةً)

على أنه قد بجىء خبر لعل مضارعاً مقروناً بأن، حملاً لها على عسى.

قال الزمخشري (في المفصل): قد جاء في الشعر:

(لعلك يوماً أن تُلم مُلَمَّةً)

عليك من اللأى يدَعْنَك أَجدعا

٤٣٤ قياساً على عسى.

وقال ابن هشام (في المغنى): ويقرن خبر لعل بأن كثيراً، حملاً على

عسى. كقوله:

«لعلك يوماً أن تلم ملَمَّةً»

وبحرف التنفيس قليلاً كقوله:

فقولاً لها قولاً رقيقاً لعلها سترحمنى من زفرة وعويل

انتهى. فلم يخصه بالشعر.

وأما كثرة الاقتران بأن فهو بالنسبة إلى اقترانه بحرف التنفيس. وأما بالنسبة

إلى التجرد فهو قليل قطعاً. ويؤيده أن المبرد قال (في الكامل)، عند إنشاده هذا

البيت: إن التجرد من أن هو الجيد، والاقتران بها غير جيد. فلم يقيده بالشعر.

(١) المقتضب ٣: ٧٤ والكامل ١١١، ٢٥١ وابن يعيش ٨: ٨٦ وشرح شواهد المغنى ٣٢٧

والمفضليات ٢٧٠.

وقال بعضهم : الخبر في هذا البيت محذوف، تقديره: لعلك مُعَدُّ لأن تلمّ ملّمة ، أو نحوه .

قال الخطيب التبريزي (في شرح المفضليات) قوله : « لعلك يوما أن تلم » ملح ، أظنك أن ألم بك ملّمة من الملّمات التي تتركك ذليلاً مجدوع الأنف والأذن ^(١) . وخبر لعل محذوف مع حرف الجر من أن تلم ، ويكون تقدير الكلام ومعناه : لعلك لأرجوك لأن تلمّ بك ملّمة . قال سيبويه : لعل طمع وإشفاق . يريد أنه يكون للأمرين جميعاً . فإذا كان هذا المعنى فكأنه يرجو الشر ^(٢) له ، ويطمع فيه . انتهى .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدة لمتهم بن نورية الصحابي ، رثى بها أخاه مالك بن نورية لما قتله خالد بن الوليد بتهمة ^(٣) الرّدة . وقد تقدم الكلام على قصّة قتله مع شرح أبيات من هذه القصيدة ، في الشاهد السادس والثمانين ^(٤) .

وهذه أبيات قبل البيت المذكور :

أبيات الشاهد (ألم تأت أخبار المحلّ سرائكم

فيغضب منكم كل من كان موجعا

بمشمته إذ صادف الحنف مالكا

ومشاهده ماقد رأى ثم ضيعا ^(٥)

أآثرت هدماً بالياً وسوية

وجئت بها تعدو بريداً مقرّعا

(١) ط : «والآذان» ، وثبت الألف من ش .

(٢) ط : « يرجو البتر » ، صوابه في ش .

(٣) ط : «التهمة» .

(٤) الخزينة ٢ : ٣٤ .

(٥) ط : «بمشمته» ، صوابه في المفضليات وش مع أثر تصحيح فيها .

فلا تَفْرَحَنَّ يوماً بنفسِكَ إني أرى الموتَ وقاعاً على من تشجّعاً
لعلك يوماً أن تلتمَ ملمة . . . البيت
نعيّتَ امرأً لو كان لحُمكُ عنده لآواه مجموعاً له أو ممرّعا
فلا يَهْنِئُ الواشينَ مقتُلَ مالك فقد آبَ شانيه إياباً فودّعا (١)
وهذا آخر القصيدة :

وقوله : « ألم تأت أخبارَ المُجَلِّ إلخ هو بضم الميم وكسر الحاء
المهملة ، هو رجلٌ من بني ثعلبة ، مرَّ بمالك مقتولا كأنه شامِتٌ ، فذمّه
متمم . وقال ابن الأنباري : المحلّ بن قدامة مرَّ بمالك فلم يُواره . والسرّة :
الأشراف . وروى : « فيغضبُ مِنْهُمْ » و « منها » أى من الأخبار . وقوله :
« بمشمتيه » متعلق بموجعا ، وهو مصدر شَمِتَ به شماتة ومَشَمَتاً (٢) .

ويروى : « أن صادف الحتفَ مالك » . ورفع الحتف أجود من نصبه .
ومشهده معطوف على مشمتيه ، والضّمائر كلها للمُجَلِّ .

وقوله : « آثرت » استفهامٌ توبيخي ، والخطاب للمُجَلِّ . والهدم
بالكسر : الثوب الخلق . والبالى : الفانى . والسّوية بفتح المهملة وكسر الواو : كساء
محمّسٌ بثمام أو نحوه ، يُجعل على ظهر الإبل كالحلقة لأجل السنام .

(١) ط : « فلا يهنأ » ، هنا وفي التفسير في آخر الكلام ، وصواب الرواية من ش والمفضليات . وهما لغتان ، يقال هنأى الأمر يهنؤى ويهنئ . والأُسْتِيرُ في الشعر « يهنئ » ، قال أعشى باهلة :

أصبت في حرم منا أحبا ثقة همد بن أسماء لايهنئ لك الظفر
وقال الأخطل :

إلى إمام تغاديننا فواضله أظفره الله فاجهنئ له الظفر

(٢) ط : « ومشممة » ، صوابه في ش .

قال أبو جعفر : أُعْطِيَ المحلُّ سَلْبَ مالِكٍ ففرح به ، وأقبلَ راجعاً . وقَرَّع الرجلُ ، بالقاف والزاي المُعْجَمَة ، إذا أسرع في سيره . وقَرَّع القومُ رسولاً إذا أرسلوا ^(١) . أراد : إنك تسعى بخبره مسرعاً كمجىء البريد .

٤٣٥

وقوله : « فلا تفرحَن يوماً » إنلخ هذا دعاءً عليه ، أى لافرحتَ بنفسك .
وقوله : « وقأعا على من تشجَّعا » أى لايفلُتُ من الموت أحدٌ . يقول : آثرت الثَّيابَ وجئتَ تعدو بشيراً تُرى الناسَ أنَّكَ قد فرغتَ لمقتله ، وإنما ذاك شِمةٌ منك وسرورٌ به .

وقوله : (لعلَّكَ يوماً) إنلخ ، الإلمام : النزول . و (الملمَّة) : البليَّةُ النازلة . و(الأجدع) : المقطوع الأنف والأذن ، ويستعمل في الدليل ، وهو المراد هنا . يقول : أيها الشامثُ ، لاتكنْ فرحاً بموت أخى ، عسى أن تنزلَ عليك بليَّةٌ من البليَّاتِ اللاتي يتركُنكَ ذليلاً خاضعاً .

وقوله : « نعيَتَ امرأً » إنلخ النَّعى : الإخبار بالموت . والممزَّع : الممزَّق والمفترَّق . يقول : لو كنتَ أنت القَتيلَ لآوى لحَمَكِ بدفنه ، سواء كان مجموعاً أو ممزَّقاً .

وقوله : « فلا يهينِءَ الواشين ^(٢) » إنلخ هذا دعاءً عليهم في صورة النَّهى .

(١) في شرح ابن الأنباري للمفضليات ٥٤٣ : «أرسلوه» .

(٢) ط : (فلا يهناً) . وانظر التعليق السابق .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الثلاثئة ، وهو من

شواهد سيبويه ^(٢) :

٣٩٧ (ولى نفسٌ أقولُ لها إذا ما

تُنازعنى لعلّى أو عسائى)

على أن سيبويه استدلَّ على كون الضمير ، وهو الياء ، منصوباً بدخوق
نون الوقاية فى عسائى . قد تقدّم نصرُ سيبويه قبل هذا بيتين .

قال النحاس : قال سيبويه فى قولهم عساك : الكاف منصوبة . واستدلَّ
على ذلك بقولهم : عسائى ، ولو كانت الكاف مجرورةً لقال : عسائى . قال :
ولكنهم جعلوها بمنزلة لعلَّ فى هذا الموضع . قال : فهذان الحرفان لهما فى
الإضمار هذا الحال ، كما كان للذُنْ مع غدوةٍ حالٌ ليست مع غيرها .
قال محمد بن يزيد المبرد : هذا غلطٌ منه ، يعنى جَعَلَهُ عسى بمنزلة
لعلَّ . قال : لأنَّ أفعال الرجاء لا تعمل فى المضمر إلّا كما تعمل فى المظهر .
قال : تقديره عندنا أنَّ المفعول مقدّم والفاعل مضمر ، كأنَّه قال : عساك
الخيرُ والشرُّ .

أراد المبرد أنَّ عسى ككان ، لأنَّهما فعلاان . وذهب أبو إسحاق إلى صحّة
قول سيبويه ، واحتجَّ له بأنَّ عسى ليس بفعلٍ حقيقى ، بل هو شبهةٌ بلعلَّ .
ووجدتُ بخطّى عن أبى إسحاق : يجوز أن يكون الضمير فى موضع نصبٍ بعسى
فى عساك والمرفوع محذوف ، أى عسى الأمرُ إِيَّاكَ . وليس هذا بناقضٍ ^(٢) لما
أُخذته عنه ، لأنَّه قال : يجوز . فذاك عنده الأصل . وأجاز قول المبرد . انتهى .

(١) فى كتابه ١ : ٣٨٨ . وانظر المقتضب ٣ : ٧٢ والخصائص ٣ : ٢٥ وابن عيش ٣ : ١٠ ،

١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ / ٧ : ١٢٣ والمقرب ١٨ والعينى ٢ : ٢٢٩ .

(٢) ط : « تناقضا » ، صوابه فى ش .

وزعم الأَخفش تبعاً ليونس أنَّ عسى باقيةٌ على عملها عملٌ كان ، ولكن
استُعير ضمير النَّصب مكان ضمير الرفع .
قال ابن هشام (في المعنى) : ويردُّه أمران : أحدهما : أنَّ إنابة ضمير
عن ضميرٍ إنَّما ثبت في المنفصل ، نحو ما أنا كَأنت ولا أنت كَأنا . والثاني :
أنَّ الخبر قد ظهر مرفوعاً في قوله ^(١) :
فقلْتُ عساها نارٌ كاسٍ وعلَّها تَشْكِي فآتي نحوها فأعوذُها
انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لعمران بن حِطَّان الخارِجِي . وقبلة :
(وَمَنْ يَقْصِدُ لِأَهْلِ الْحَقِّ مِنْهُمْ فَإِنِّي أَتَّقِيهِ كَمَا اتَّقَانِي
عَلَى بِذَاكَ أَنَّ أَحْمِيهِ حَقًّا وَارْعَاهُ بِذَاكَ كَمَا رَعَانِي
يقال : قصدته وقصدت إليه . وضمير منهم للخوارج . ومن للبيان .
٤٣٦ جعل الخوارج بزعمه أهل حقٍّ . أى من قصد لأهل الحق من الخوارج بمكروه
فإنِّي أدافعه وأحاربه ، واتَّقِيهِ كَمَا يَتَّقِينِي .

وقوله : (ولى نفسٌ تُنازعنى) إلخ يقول : إذا نازعتنى نفسى في حملها
على ما هو أصلح لها أقول : لها طأوعينى لعلى أجد المراد والظفر ، أو قلت لها :
لعلى أفعل هذا الذى تدعونى إليه . فإذا قلت لها هذا القول طأوعتنى .

عمران بن حطان

وعمران بن حِطَّان ، هو على مافى الجمهرة : عمران بن حِطَّان بن
ظَبْيَان بن شَعْل بن معاوية بن الحارث بن سدوس بن شَيْبَان بن ذُهَل بن ثعلبة
ابن عُكَّابَةَ بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل السَّدُوسِي ، البصرى ، التابعى
المشهور ، أحد رءوس الخوارج من القعدية بفتحيتين ، وهم الذين يرون الخروج
ويحسِّنونه لغيرهم ، ولا يباشرون بأنفسهم القتال . وقيل القعدية لا يرون الحرب
وإن كانوا يُزَيِّنُونَهُ ^(٢) .

(١) هو صخر بن الجعد الحُضْرَى ، كما فى معجم الشواهد .

(٢) الحرب مؤنثة ، وحكى ابن الأعرابى فيها التذكير ، كما هنا .

وفي الأغاني : إنما صار ابنُ حِطَّانَ من القَعْدَةِ لأنَّ عمره طال وكبر
وعَجَزَ عن الحرب وحُضورها ، فاقْتَصَرَ على الدعوة والتحريض بلسانه . وكان
أولاً مشمراً لطلب العلم والحديث ، ثم يُلَيِّ بِذلك المذهب . وقد أدرك صدرًا
من الصحابة ، وروى عنه أصحابُ الحديث .

قال ابن حجر (في الإصابة) : وقد أخرج له البخاري وأبو داود ،
واعْتَذَرَ عنه بأنه إنما خَرَّجَ عنه ما حَدَّثَ به قبل أن يبتدع . واعتذر أبو داود
عن التخريج بأنَّ الخوارج أصحُّ أهل الأهواء حديثًا عن قتادة . وكان عمرانُ
لا يَتَّبِعُهُم في الحديث . وكان سبب ابتلائه أنَّه تزوَّج امرأةً منهم فكلَّمُوهُ فيها ؛
فقال : سأردُّها عن مذهبها . فأضلَّته .

وفي الإصابة أنَّها كانت بنتَ عمِّه ، بلغه أنَّها دخلت في رأى
الخوارج . فأراد أن يردَّها عن ذلك فصرفته إلى مذهبها . وذكر المدائني أنَّها
كانت ذات جمال ، وكان دميما قبيحا ، فقالت له مرَّةً : أنا وأنت في الجنة .
قال : من أين علمت ذلك ؟ قالت : لأنَّك أعطيت مثلي فشكرت ، وابتليتُ
بمثلِكَ فصبرت . والشاكر والصابر في الجنة . ومن شعره في مدح عبد الرحمن
ابن ملجَم المرادي قَبَحَهُمَا اللهُ تعالى ، قَاتِلِ أمير المؤمنين وقائِد الغرِّ المحجلين ،
زُوجِ البتول وصهرِ الرسول رضى الله عنه :

لله دُرُّ المرادى الذى سفكت كَفَاهُ مُهْجَةً شَرَّ الخلق إنسانا
أَمْسَى عَشِيَّةً غَشَّاهُ بضرته مُعْطَى مُنَاهُ من الآثام غُرِيَانَا
يا ضربةً من تقيٍّ ما أَرَادَ بها إلَّا لِيَبْلُغَ من ذى العرشِ رِضْوَانَا
إِنِّي لَأَذْكُرُهُ حِينًا فَأُحْسِبُهُ أَوْفَى الرِّبَاةِ عِنْدَ اللهِ مِيزَانَا

قال أبو محمد بن حزم : إنَّ ابنَ ملجَمٍ عند الخوارج النُصيرية (١)
أفضلُ أهلِ الأرض ، لأنَّه خلَّصَ روحَ اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره .
وعند الشيعة أنَّه أشقى الخلق في الآخرة . انتهى .

وقد أجابه من القدماء بكرُ بن حمَّاد التَّاهَرتي من أهل القيروان ،
وأجابه عنها السيّد الحميريّ الشيعي ، وهي :

قُلْ لابنِ مُلْجَمٍ والأقدارُ غالبَةٌ هَدَمْتَ وِيْلَكَ للإسلام أركاناً
قتلتَ أَفْضَلَ من يمشي على قدَمٍ وأوَّلَ الناسِ إسلاماً وإيماناً
وأعلمَ النَّاسِ بالإيمانِ ثُمَّ بما سَنَّ الرسولُ لنا شَرعاً وتبياناً
صِهْرَ الرَّسُولِ ومولاه وناصِرُهُ أَصْحَتَ مَنَاقِبِهِ نوراً وبرهاناً ٤٣٧
وكانَ مِنْهُ على رَعَمِ الحَسودِ لَهُ مَكَانَ هَارُونَ من موسى بنِ عِمْرانِ
وكانَ في الحربِ سِيفاً مَاضِياً ذَكَراً لَيْثاً إِذَا لَقِيَ الأَقْرانُ أَقْراناً
ذَكَرْتُ قَاتِلَهُ والدمعُ منحدراً فَقُلْتُ: سُبْحَانَ رَبِّ العرشِ سُبْحاناً
إِتي لأَحْسِبُهُ ما كانَ من بشرٍ يَخْشَى المعادَ وَلَكِنْ كانَ شَيْطاناً
أَشَقَى مرادٍ إِذا عُدَّتْ قبائلُها وَأَخْسَرُ النَّاسِ عندَ اللَّهِ مِيزاناً
كَعاقِرِ الناقَةِ الأولى التي جَلَبَتْ على ثَمودٍ بأَرْضِ الحِجَرِ حُسْراناً
قد كانَ يُخبرُهُم أَنَّ سوفَ يَخْضِيها قَبْلَ المِنيَةِ أَزْماناً وَأَزماناً (٢)

(١) ط : « النصيرية » صوابه في ش . وفي الملل والنحل ٢ : ٢٤ أن النصيرية والإسحاقية من غلاة الشيعة . وذكر السمعاني في الأنساب ٥٦٢ أن النصيرية من غلاة الشيعة ، ينتسبون إلى رجل اسمه « نصير » . كان في زمن علي عليه السلام ، وكان مع جماعته يزعم أن علياً هو الله . وذكر له قصة طويلة .
(٢) في طبقات الشافعية : « أزماناً فأزماناً » . ويروى : « قبل المنية أشفاها وقد كانا » .

فلا عفا الله عنه ماتحمّله ولاسقى قبر عمران بن حِطّانا
لقوله في شقيّ ظلّ مجترماً ونال ماناله ظلما وعدوانا
«ياضربة من تقى ماأراد بها إلا ليلع من ذى العرش رضوانا»
بل ضربة من غوى أوردته لظى فسوف يلقي بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يردّ قصداً بضربه إلا ليصلّى عذاب الخلد نيرانا

قال ابن السبكي (في طبقات الشافعية^(١)) : لقد أحسن وأجاد بكر
بن حمّاد في معارضته ، فرضى الله عنه وأرضاه ، وأخزى الله عمران بن حطان
وقبحه ولعنه ، ماأجرأه على الله !

قال : وقال القاضي أبو الطيّب الطبري :

إنّي لأبرأ مما أنت ذاكره عن ابن ملجم الملعون بهتانا
إنّي لأذكره يوماً فألعنه ديناً وألعن عمران بن حِطّانا
عليك ثمّ عليه من جماعتنا لعائنٌ كثرت سراً وإعلانا
فأنتما من كلاب النار جاء به نصّ الشريعة إعلاناً وتبياناً

وقد أجاب أيضاً الإمام طاهر بن محمد الأسفرائني (في كتاب الملل
والنحل ، المسمّى بالتبصير في الدين) :

كذبت وآيم الذي حجّ الحجيح له وقد ركبت ضلالاً منك بهتانا
لتلقين بها ناراً موججة يوم القيامة لا زلّفى ورضوانا

(١) طبقات الشافعية ١ : ٢٨٧ — ٢٩٠ تحقيق الطناحي والخلو .

تَبَّتْ يَدَاهُ لَقَدْ خَابَتْ وَقَدْ خَسِرَتْ وَصَارَ أَبْخَسَ مِنْ فِي الْحَشْرِ مِيزَانَا
هَذَا جَوَابِي فِي ذَا النَّذْلِ مُرْتَجِلًا أَرْجُو بِذَاكَ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَانَا
وَنَقْلُ الْإِمَامِ الْبَاقِلَانِيِّ أَنَّ السَّيِّدَ الْحَمِيرِيَّ نَقَضَهَا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ (١) :

لَادِرُّ دُرُّ الْمَرَادِيِّ الَّذِي سَفَكْتُ
كَفَّاهُ مَهْجَةً خَيْرِ الْخَلْقِ إِنْسَانًا
أَصْبَحَ مِمَّا تَعَاظَاهُ بِضَرْبَتِهِ
مِمَّا عَلَيْهِ دَوُّو الْإِسْلَامِ عُرْيَانَا (٢)
أَبْكَى السَّمَاءَ لِبَابٍ كَانَ يَعْمرُهُ
مِنْهَا وَحَنَّتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ تَحْنَانَا
طَوْرًا أَقُولُ : ابْنُ مَلْعُوَيْنِ مُلْتَقِطٌ
مِنْ نَسْلِ إِبْلِيسَ ، لِأَبْلِ كَانَ شَيْطَانَا (٣)
وَيُلْمُهُ أَيَّمَاذَا أُمُّهُ وَلَدَتْ
لَا إِنْ كَمَا قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَا (٤)
عَبْدٌ تَحْمَلُ إِثْمًا لَوْ تَحْمَلُهُ
تَهْلَانُ طَرْفَةً عَيْنٍ هَذَا تَهْلَانَا
انتهى ما أورده ابن السبكي .

٤٣٨

وَنَقْلُ الذَّهَبِيِّ (فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ) أَنَّ شَعْرَ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانِ الْمَذْكُورِ
لَمَّا بَلَغَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَدْرَكَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَنَذَرَ دَمَهُ (٥) ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ الْعَيُونَ ،

(١) القصيدة في ديوان السيد الحميري ٤٢١ — ٤٢٦ . ونص الباقلاني التالي في كتابه « مناقب الأئمة » كما في طبقات الشافعية ١ : ٢٩٠ .

(٢) ط : « عما تعاطاه » ، صوابه في ش وطبقات الشافعية .

(٣) في الديوان : « بل قد كان شيطاناً » .

(٤) في الديوان والطبقات : « أيما لعة ولدت » .

(٥) ط : (وهذر دمه) ، صوابه في ش وتاريخ الإسلام : ٢٨٥ .

واجتهد الحجاج في أخذه . وقيل : لما اشتهر بمذهبه أرادَه الحجاج ليقنتله ، فهرب فلم يزل ينتقل من حيّ إلى حيّ إلى أن مات في ثَوَابِهِ ، في سنة أربع وثمانين .

قال المبرد : (في الكامل) : وكان من حديث عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ ، فيما حدثني العباس بن الفرّج الرّياشي ، عن محمد بن سلام ، أنه لما أطْرَدَه الحجاج كان ينتقل في القبائل ، فكان إذا نزل في حيّ انتسب نسباً يقرب منه ^(١) ، ففى ذلك يقول :

نزلنا في بنى سعد بن زيد وفي علكٍ وعامرٍ عويثان ^(٢)
وفي لحيمٍ وفي أدَدَ بن عمرو وفي بكرٍ وحى بنى العدان ^(٣)

ثم خرج حتى نزل عند ^(٤) رُوح بن زنباع الجذامي ، وكان رُوحٌ يقري الأضياف ، وكان مسامراً لعبد الملك بن مَرْوَانَ أثيراً عنده ، فانتضى له من الأزد ^(٥) . وكان رُوح بن زنباع لا يسمع شعراً نادراً ولا حديثاً غريباً عند عبد الملك فيسأل عنه عمران بن حِطَّانٍ إلّا عرفه وزاد فيه ^(٦)

فذكر ذلك لعبد الملك فقال: إن لي جاراً من الأزد ما أسمع من أمير المؤمنين خيراً ولا شعراً إلّا عرفه وزاد فيه .

فقال: خبرني ببعض أخباره . فخبره وأنشده ، فقال: إن اللغة عدنانية ،

(١) وكذا في الكامل ٥٣١ . ش : « بقرب منه » .

(٢) في النسختين : « عويثان » ، صوابه من الكامل وجمهرة ابن حزم ٢٥٤ والقاموس (عبث).

(٣) ش : « وفي بنى العدان » ، تحريف .

(٤) ش فقط : « على » ، وأثبت ما في ط والكامل .

(٥) ط فقط : « إلى الأزد » .

(٦) الكلام بعده الى « فيه » التالية ساقط من ش .

وإني لأحسبه عمران بن حِطَّان . حتى تذاكروا ليلة قول عمران بن حطان :
ياضربةً من تقى* ماأراد بها إلاَّ ليلع من ذى العرش رضوانا
إننى لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا
فلم يدر عبدُ الملك لمن هو . فرجع رَوْحُ فسأل عمرانَ بن حطان ،
عنه ، فقال عمران : هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن مُلجَم
قاتل على بن أبى طالب ، «رحمة الله عليه ! فرجع رَوْحُ إلى عبد الملك فأخبره ،
فقال عبد الملك : ضيفك عمرانُ بن حطان اذهب (١) فجئني به . فرجع إليه
فقال : إنَّ أمير المؤمنين قد أحبَّ أن يراك . فقال عمران : قد أردتُ أن
أسألك هذا فاستحييت منك (٢) فامضِ فإنِّي بالأثر . فرجع إلى عبد الملك
فخبره (٣) فقال له عبد الملك : أما إنك سترجع فلا تجده . فرجع فوجد
عمران قد احتمل وخلف رقعة فيها :

يارَوْحُ كم من أخى مثوى نزلتُ به
قد ظنَّ ظنَّكَ ، من لخمٍ وغَسَّانِ
حتى إذا خِفْتُهُ فارقتُ منزله
من بعدِ ما قيل : عمران بن حِطَّانِ
قد كنت جاركَ حولاً ماتروعنى
فيه روائعُ من إنسٍ ومن جَانِ

(١) هذا ما فى ش والكمال . وفى ط : « فاذهب » .

(٢) الكامل : « فاستحييت منك » بياءين . وكلمة « فامض » بعده ساقطة من ش .

(٣) الكامل : « فأخبره » .

حتى أردت بى العظمى فأدركنى
 مأدرك الناس من خوف ابن مروان
 فاعذر أخاك ابن زنباع فإن له
 فى النائبات خطوباً ذات ألوان
 يوماً يمان إذا لقيت ذا يمين
 وإن لقيت معدياً فعدناني
 لو كنت مستغفراً يوماً لطاغية
 كنت المقدم فى سري وإعلاني^(١) ٤٣٩
 لكن أبث لى آيات مطهرة
 عند الولاية فى طه وعمران

ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحارث الكلابى ، أحد بنى عمرو بن
 كلاب ، وانتسب له أوزاعياً . وكان عمران يطيل الصلاة ، وكان غلماناً من
 بنى عامر يضحكون منه ، فأتاه رجل يوماً ممن رآه عند روح بن زنباع ، فسلم
 عليه فدعاه زفر فقال : من هذا ؟ فقال : من الأزد ، رأيت ضيفاً لروح بن
 زنباع . فقال له : زفر : يا هذا ، أزدياً مرةً وأوزاعياً مرةً ، إن كنت خائفاً
 أمثاك ، وإن كنت فقيراً جبرناك^(٢) . فلما أمسى خلف فى منزله رقعة
 وهرب ، فيها :

إن التى أصبحت يعياً بها زفر
 أعيت عيأ على روح بن زنباع^(٣)

(١) ط : « لطاعته » صوابه فى ش والكامل .

(٢) ش : « أجبرناك » ، صوابه فى ط .

(٣) ش فقط : « أصبحت يعنى بها » مع أثر تغيير .

ما زال يسألني حولاً لأخبره
والناس ما بين مخدوع وتخداع
حتى إذا انقطعت عني وسائله
كفّ السؤال ولم يولع بإهلاع
فاكفف كما كفّ عني إنني رجل
إما صميم وإما فقعة القاع
واكفف لسانك عن لومي ومسألتي
ماذا تريد إلى شيخ لأوزاع
أما الصلاة فإنني لست تاركها
كلّ امرئ للذي يُعنى به ساعى
أكرم بروح بن زباج وأسرته
قوم دعا أوليهم للعلا داغ
جاورثهم سنة فيما أسر به
عرضي صحيح ونومي غير تهجاج
فاعمل فإنك منعي بواحدة
حسب اللبيب بهذا الشيب من ناعي

ثم ارتحل حتى أتى عُمان ، فوجدهم يعظّمون أمر مرداس أبي بلال^(١) ويظهرونه ،
فأظهر أمره فيهم ، فبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى عامل عُمان فيه^(٢) فهرب عمران
حتى أتى قوماً من الأزد ، فلم يزل فيهم حتى مات . وفي نزوله يقول^(٣) :

(١) في النسختين : « أمر مرداس بن أبي بلال » ، صوابه من الكامل . وأبو بلال هو مرداس بن
أدية الخارجي ، كما سيأتي .

(٢) كلمة « فيه » ليست في ش ولا في الكامل . وفي الكامل : « إلى أهل عمان » .

(٣) الكامل : « وفي نزوله بهم يقول » .

نزلنا بحمد الله في خير منزل
 نُسِّرَ بما فيه من الأنس والخَفَرِ
 نزلنا بقوم يَجْمَعُ الله شَمْلَهُمْ
 وليس لهم أصلٌ سوى المجدِ يُعْتَصَرُ (٣)
 من الأزْدِ إِنَّ الأزْدَ أَكْرَمُ معشرٍ
 يمانية طابوا إذا نُسِبَ البشرُ
 فأصبحتُ فيهم آمناً لا كمعشرٍ
 أتوني فقالوا : مِن ربيعة أو مضرٍ
 أم الحَيِّ قَحْطَان ، وتلكُمُ سفاهةٌ
 كما قال لي رَوْحٌ وصاحبُه زفرُ
 وما منهما إلا يُسَرُّ بنسبةٍ
 تقرَّبني منه وإن كان ذا نَفَرٍ
 فنحنُ بنو الإسلام والله واحدٌ
 وأولَى عبادِ الله بالله مَنْ شَكَرُ

وكان عمران رأس القَعْدية من الصُّفْرية ، وفقِيهِهُم وخطِيهِم
 وشاعَرَهُم . وقال ، لما قتل أبو بلال ، وهو مرداسُ به أَدِيَّةٌ ، وهي جدَّتُه ، وأبوه
 حُدَيْر (٢) ، وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :
 لقد زادَ الحَيَاةَ إلى بغضاً وحبّاً للخروج أبو بلال
 أحاذرُ أن أموتَ على فراشي وأرجو الموتَ تحت دُرَى العوالى (٣)

(١) الكامل : «وليس لهم عود» .

(٢) ط : «حدبر» صوابه في ش والكامل ٥٣٠ .

(٣) بعده في الكامل بين هذا البيت وتاليه :

ولو أُنَى علمت بأن حنفي كحتف أبي بلال لم أبال

فمن يك همُّه الدُّنيا فإِنِّي لها واللهِ ربُّ البيتِ قالى
وفيه يقول :

ياعينُ بكى لمرداسٍ ومصرعه ياربُّ مرداسٍ آلِحِقْنِي بِمرداسٍ (١)
تركنتى هائما أبكى لمرزئتى فى منزلٍ موحشٍ من بعدِ إيناسٍ
أنكرتُ بعدك ماقد كنت أعرفه مالناسُ بعدك يامرداسُ بالناسُ
إمّا شربت بكاسٍ دارَ أوّلها على القرون فذاقوا جرعة الكاسِ
فكلُّ من لم يذقها، شاربٌ عجلاً منها بأنفاسٍ ورِدٍ بعد أنفاسٍ
هذا ماأورده المبرد (فى الكامل) .

وقال المرزبانى : كان عمرانُ شاعراً مُفلقاً مُكثراً . وقال الفرزدق : كان
عمرانُ من أشعر الناس ، لأنه لو أراد أن يقول مثلنا لقال ، ولسنا نقدر أن
نقول مثله .

ويروى أن امرأته قالت له يوماً : أمّا زعمت أنك لم تكذب فى شعرك
قطُّ ؟ قال : أوقع ذلك ؟ قالت : نعم ، ألم تقل :
فهناك مَجْزأةٌ بن ثورٍ كان أشجعَ من أسامه
أفيكون رجلاً أشجعَ من أسد . قال : أمّا رأيت مجزأة بن ثور فتح
مدينةً والأسد لايقدر على ذلك .

وروى عن قتادة أنه قال : لقينى عمران بن حِطّان فقال : ياعمى ؛
احفظ عني هذه الأبيات :

حتى متى تُسقى النفوسُ بكأسِها ريبُ المنون ، وأنت لاهٍ ترتعُ
أفقدُ رضيت بأن تُعللَ بالمُنَى وإلى المنية كلَّ يومٍ تُدفعُ

(١) فى الكامل : « يارب مرداس اجعلنى كمرداس » .

أحلامٌ نوم أم كظَلَّ زائل إنَّ اللبيبَ بمثلها لا يُخدَعُ (١)
وفي تاريخ الإسلام للذهبي : أنَّ سفيان الثوري كان يتمثل بأبيات
عمران بن حِطَّان هذه :

أرى أشقياءَ الناس لا يسأمونها على أنهم فيها عُرَاةٌ وجُوعُ
أراها وإن كانت تُحَبُّ فإنها سحابة صيف عن قليل تَقَشَّعُ
كركبٍ قَضَوْا حاجاتهم وترحلوا طريقَهُم بادی الغيبة مهيعُ (٢)

ومن شعره السائر :

أيُّها المادح العبادَ لِيُعْطَى إنَّ لِلَّهِ ما بأيدي العبادِ
فَسَلِّ اللَّهُ ما طلبتَ إليهم وارْجُ فَضْلَ المهيمن العَوادِ
ومن شعره ، وأورده أبو زيد (في النوادر) ، وقال : إنها قصيدة طويلة :
وليس لعيشنا هذا مَهَاءٌ وليست دارنا هائًا بدارٍ (٣)
وإن قلنا لعلَّ بها قراراً فما فيها لحيٍّ من قرارٍ
لنا إلا ليالي هَيْبَاتٍ وُبلغتنا بأيامٍ قصارٍ
أرانا لا نملُ العيشَ فيها وأولعنا بحرصٍ وانتظارٍ
ولا تَبْقَى ولا نَبْقَى عليها ولا في الأمر نأخذ بالخيارِ

(١) بعده في تاريخ الإسلام ١ : ٢٨٥ :

فغروذٌ ليومٍ ففرك دائباً واجمع لنفسك لا لغريك تجمع

(٢) الغيبة ، كذا وردت في النسختين . والغيبة الهبطة من الأرض . والذي في تاريخ الإسلام :

«بادی العلامة» .

(٣) ط : «مهاة» ، وأثبت ما في ش مع أثر تغيير ، وانظر اللسان (معه ٤٣٩) وما سيأتي في

تفسير البغدادى . وفي ملحقات نوادر أبي زيد ٣١٠ من نسخة عاطف أفندى : «قال أبو الحسن : يروى

مهاة ومهاه » .

ولكِتَا الْعَدَاةَ بنو سبيل عَمَلَى شَرْفٍ يُسَّرُ لَانْحَادٍ (١)
 كَرَكِبَ نَازِلِينَ عَلَى طَرِيقٍ حَثِيثٍ رَائِحٌ مِنْهُمْ وَسَارِ ٤٤١
 وَغَادٍ إِثْرَهُمْ طَرِبًا إِلَيْهِمْ حَثِيثَ السَّيْرِ مُؤْتَنَفَ النَّهَارِ
 والبيت الأول من شواهد سيبويه ، أورده على أن هاتا اسم إشارة
 للمؤنث بمعنى هذه .

والمهأه ، بهاءين وفتح الميم : الصفاء والرقّة . والصّفريّة ، بضم الصاد
 وسكون الفاء : جنسٌ من الخوارج ، نسبوا إلى زياد بن الأصفر رئيسهم .
 وزعم قومٌ أنَّ الذي تُسبوا إليه هو عبد الله بن الصفّار ، وأنَّ الصّفريّة بكسر
 الصاد . كذا في الصحاح . ويقال للخوارج الشّرّة بالضم ، والواحد شارٍ ،
 سُمُّوا بذلك لقولهم : إِنَّا شَرَرْنَا أَنْفُسَنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، أَيْ يَعْناها بالجنة ، حين
 فارقنا الأئمة الجائرة . يقال منه . تشرّى الرجل .

وقد أطنب المبرّد (في أواخر الكامل) في الكلام على الخوارج وفرّقهم
 ووقائعهم . ومن أراد الاطلاع عليه فليرجع إليه .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الثلاثئة ، وهو من
 شواهد س (٢) :

٣٩٨ يَا أَبَتَا عَلِّكَ أَوْ عَسَاكَ *

(١) ط : «ولكن» ، صوابه في ش .

(٢) في كتابه ١ : ٣٨٨ / ٢ : ٩٩ . وانظر ٣ : ٧١ والخصائص ٢ : ٩٦ والمختضب ٢ : ٢١٣

وأملأ ابن السجري ٢ : ٧٦ ، ١٠٤ والإنصاف ٢٢٢ وابن يعيش ٢ : ١٢ / ٣ : ١٢٠ / ٧ : ١٣٢ وشرح
 شواهد المغنى ١٥١ والتصريخ ١ : ٢١٣ / ٢ : ١٧٨ والجمع ١ : ١٣٢ والأشتموني ١ : ٢٦٧ / ٣ : ١٥٨
 ومنهقت ديوان رؤية ١٨١ .

على أن الكاف [خبر] منصوب المحل ، واسم عسى ضمير مستتر على أحد قولى المبرّد . وقد تقدم نص سيبويه قبل هذا بثلاثة أبيات (١) .

وقد أنشد أبو على (فى إيضاح الشعر) هذا البيت والذى قبله عن سيبويه ، ونقل عنه أن الكاف منصوبة ، ولو كانت مجرورة لقال عساي . قال أبو على : وجه ذلك أن عسى لما كانت فى المعنى بمنزلة لعل ، ولعل (٢) وعسى طمع وإشفاق ، فتقاربا ، أجرى عسى مجرى لعل إذ كانت غير متصرفة كما أن لعل كذلك ، فوافقتها فى العمل حيث أشبهتها فى المعنى والامتناع من التصرف .

فإن قلت : إذا صارت بمنزلتها لهذا الشبه فما المرفوع بها ، وهى إذا صارت بمنزلة لعل تقتضى مرفوعاً لا محالة ، لأنه لا يكون المنصوب فى هذا النحو بلا مرفوع . قيل : إن ذلك المرفوع الذى تقتضيه محذوف ، ولم يمتنع أن تحذفه ، وإن كان الفاعل لا يحذف ، لأنها إذا أشبهت لعل جاز أن تحذف خبر هذه الحروف ، من حيث كان الكلام فى الأصل الابتداء والخبر ، فحذفت كما تحذف أخبار المبتدآت . وكذلك المرفوع الذى يقتضيه عسى حُذِفَ على هذا الحد ، كما حُذِفَ الخبر من لعل فى قوله : « علك أو عساكا » ، وقوله : « لعلّى أو عسائى »

وكما حُذِفَ فى :

« إن محلاً وإن مرتحلاً (٣) »

وكما حذف الخبر فى قوله سبحانه : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ

(١) انظر ماسبق فى ص ٣٣٧ .

(٢) ش : « وقال لعل » بإقحام « وقال » .

(٣) للأعشى فى ديوانه ١٥٥ . وعجزه : « وإن فى السفر ماضى مهلاً »

سبيل الله (١) ، لا كما يحذف الفاعل . ويقوّى ذلك أنهم قالوا : « عسى
الغَوِيرُ أبُوساً » ، فجعلوها بمنزلة ما يدخل على الابتداء والخبر . ومما يقوّى
حذف ذلك لهذه المشابهة وأنّ حذفه لا يمتنع من حيث امتنع حذف الفاعل ،
أنّ ليس لمّا كانت غير متصرّفة صارت عينها بمنزلة ليت في السكون ، ولم
يكن في يائها الكسر والسكون ، ويكون ذلك المحذوف غائباً ، كأنه عساك
الهالك ، أو عساك هو .

فإن قلت : فإن جاء شيء بعد شيء من هذه الأبيات التي تشبه ما ذكر
من عساك تفعل ، ولعلّ أو عسائي أخرج ، فما يكون الفاعل على قوله ؟
قيل : أمّا على ما ذهب إليه من أنّه بمنزلة لعل فلا نظر فيه ، ويكون
بمنزلة لعلّك تخرج ، والقول فيه كالقول فيه . وأمّا على القول الآخر الذي رأيناه
غير ممتنع فهو أشكل ، لأنّ الفاعل لا يكون جملة . فإن شئت قلت : إنّ الفعل
في موضع رفع بأنّه فاعل ، وكأنّه أراد عسائي أن أخرج ، فحذف أن ، وصار
[الفعل مع] أن المحذوفة (٢) في موضع رفع بأنّه فاعل ، كما كان في موضع
رفع بالابتداء ، في قولهم : « تسمع بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه » ، وكقول أبي
دُوَاد :

٤٤٢

« لولا تجاذبه قد هرب » (٣)

وقد جاء ذلك في الفاعل نفسه . أنشد أحمد بن يحيى :
وماراعنا إلّا يسيرُ بشرطٍ وعهدى به قيناً يفشُ بكير (٤)

(١) الآية ٢٥ من الحج .

(٢) ش : « وصار أن المحذوفة » فقط . وإكالة من ط .

(٣) وكذا أورد في ديوانه ٢٩٣ بدون صدر ، لكن برواية : « لولا تجاذبه » بالنون .

(٤) لمعاوية الأسدي . وفي ط : « يفش بكير » ، صوابه في ش والخصائص ٢ : ٤٣٤ وابن يعش

٤ : ٢٧ والعينى ٤ : ٤٠٠ واللسان (فرج) .

فكما أنَّ هذا على حذف أن ، وتقديره ماراعنا إلا سيره بشرطة ،
كذلك يكون فاعل عسى في نحو عسى يفعل إنما هو على عسى أن يفعل ،
كقوله تعالى : ﴿ عسى أن تكرهوا شيئاً ﴾^(١) ، فتحذف أن وهى في حكم
الثبات .

ولو قال قائل إنَّ عسى في عسانى وعساك قد تضمَّن ضميراً مرفوعاً ،
وذلك الضمير هو الفاعل ، والكاف والياء في موضع نصبٍ على حدِّ النصب
في قوله : «عسى الغوير أبؤسا» لاعلى حدِّ تشبيهه بلعلَّ ولكنَّ على أصل هذا
الباب ، كأنه عدَّاه إلى المضمر على حدِّ ماعدَّاه إلى المظهر الذى هو أبؤس —
كان وجهاً . فأما فاعلها فإنه لا يخلو من أحد أمرين : إمَّا أن يكون قد جرى
له ذكر ، أو لم يجر له ذكر . فإن كان ذكره قد جرى فلا إشكال في إضماره .
وإن لم يجر له ذكر فإنَّما تُضمِّره لدلالة الحال عليه ، كما ذكر من قولهم : إذا
كان غداً فأتنا ، فكذلك يكون إضمار الفاعل في عسى ، وتكون على بابها ولا
تكون مشبهة بلعلَّ . والأوَّل الذى ذهب إليه كأنَّه إلى النفس أسبق . انتهى
كلام أئى على .

وقد استشهد لما ذكره^(٢) الشارح المحقق جماعةً ، منهم الزنجشى (في
المفصل) ، وابن هشام (في المغنى) . وفيه شاهدان آخران :
أحدهما ما ذكره سيبويه من أنَّ فيه تنوين الترم . قال : وأما ناسٌ كثير
من بنى تميم فإنهم يُبدلون مكان المدة النونَ فيما ينونَ ومالا ينونَ لما لم يريدوا
التنم ، ثم أبدلوا مكان المدة نونا ، ولفظوا بتمام البناء وماهو منه ، كما فعل أهل
الحجاز ذلك بحروف المدِّ ، سمعناهم يقولون ، للعجاج :

(١) البقرة ٢١٦ .

(٢) ش : « بما ذكره » .

« يَأْبَتَا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكَنْ »

ثانيهما : مذكروه شارح اللباب وغيره ، من أن في يَأْبَتَا الجمع بين عَوَظِينَ ، فَإِنَّ التَّاءَ عَوْضٌ من ياء المتكلم ، وَإِنَّمَا جاز الألف دون ياء المتكلم ، لأنَّ التَّاءَ عوض من ياء المتكلم ، فيمتنع الجمع بين العوض والمعوَّض بخلاف الألف ، فَإِنَّ غايته أن يذكر عَوْضَانِ ، وهو غير ممتنع ، وليس فيه الجمع بين العوض والمعوَّض ، كما زعم العيني وتبعه السيوطي (في شواهد المغنى). وقد خَطَأَ أبو محمد الأعرابي الأسود رواية : « يَأْبَتَا » ، وقال : إِنَّمَا الرواية « تَأْتِيَا » . وهو من التأتى كما يحىء بيانه .

وقد ذكر جميع شراح الشاهد أن ما قبله :

« تقول بنتى قد أتى إناكا »

وَأَتَى : فعلٌ ماضٍ بمعنى قَرُبَ . والإِيتَى بكسر الهمزة والقصر : الوقت . قال تعالى : ﴿ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِيَّاهُ ﴾^(١) على أحد قوليهِ . وَأَتَى إِيَّاهُ : حَانَ حِينُكَ أَى حِينُ ارْتِحَالِكَ إِلَى سَفَرٍ تَطْلُبُ رِزْقًا ، فَسَافِرٌ لَعَلَّكَ تَجِدُ رِزْقًا . أو حَانَ رَحِيلُكَ إِلَى مَنْ تَلْتَمِسُ مِنْهُ شَيْئًا تَنْفِقُهُ عَلَيْنَا .

و(عَلَّكَ) بمعنى لَعَلَّكَ ، والخبر محذوف . وزعم العيني وتبعه السيوطي أن أناك بفتح الهمزة . قال : أصله أناءك . والأناء على فعال : اسمٌ من الفعل المذكور .

٤٤٣

وقد نازع أبو محمد الأعرابي في كون هذا ما قبله ، وقال : هما من أرجوزتين . وردَّ ردًّا شنيعا على ابن السَّيرافي ، فإنه قال (في شرح أبيات سييويه) : قوله : يَأْبَتَا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكَنْ ، قبله :

(١) الآية ٥٣ من الأحزاب .

« تقول بنتى قد أتى إناكا »

وفى شعره :

« فاستعزم الله ودع عساكا »

وقوله : قد أتى إناكا ، أى من تلتمس منه مالا تنفقه . وقوله : يأبنا
علك أو عساكا ، أى لعلك إن سافرت أصبحت محتاج إليه . وقوله : « فاستعزم
الله » إلخ ، أى استخره فى العزم على الرحيل والنصر ، ودع قولك عساي لأفوز
بشيء إذا سافرت وبحصل بيدي التعب .

قال أبو محمد الأعرابي (فى فرحة الأديب) : خلط ابن السيرافى ههنا
من حيث أن النوى أشباه . وصحف فى كلمة من البيت أيضاً ، وهو قوله
يأبنا ، وإنما هو :

« تأتياً علك أو عساكا »

وسياتيك بيانه . وذلك أن قوله :

« فاستعزم الله ودع عساكا »

من أرجوزة ، وقوله :

« تأتياً علك أو عساكا »

من أرجوزة أخرى . فالتى فيها فاستعزم الله ، هى قوله يمدح بها الحارث
ابن سليم الهجيمى ، يقول فيها :

(تقول بنتى قد أتى إناكا فاستعزم الله ودع عساكا
ويُدرِك الحاجة مُختطاكاً قد كاد يطوى الأرض مُرتقاكا

تُخْشَى وَتُرْجَى وَيُرى سَنَاكَ فَقُلْتُ : إِنْ عَائِلُكَ مَعَاكَ (١)
عَيْشاً وَلَا تَنْتَجِعَ الْأَرَاكَ فَايْلُغُ بَنَى أُمِيَّةَ الْأَمْلَاكَ (٢)
بِالشَّامِ وَالْخَلِيفَةَ الْمَلَاكَ وَبِخِرَاسَانَ فَأَيُّنَ ذَاكَ
مَنْى وَلَا قُدْرَةَ لِي بِذَاكَ أَوْ سِرُّ لِكِرْمَانَ تَجِدُ أَخَاكَ
إِنْ بِهَا الْحَارِثُ إِنْ لَا فَاكَ أَجْدَى بِسِيِّ لَمْ يَكُنْ رِكَكَ

والأرجوزة الأخرى يمدح فيها إبراهيم بن عربي ، وهى :

(لَمَّا) وَضَعْتُ الْكُورَ وَالْوَرَاكَ عَنْ صَلْبٍ مُلَا حَكٍ لِحَاكَ
أَسْرَ مِنْ إِمْسِيهَا نِسْعَاكَ أَصْفَرُ مِنْ هَجَمِ الْهَجِيرِ صَاكَ (٣)
تَصْفِيرِ أَيْدِي الْعُرْسِ الْمَدَاكَ تَأْتِيَا عَمَّكَ أَوْ عَسَاكَ (٤)
يَسْأَلُ إِبْرَاهِيمَ مَا لَهَاكَ مِنْ سَنْتَيْنِ أَتَتْكَ دِرَاكَ
تَلْتَحِيَانِ الطَّلَحَ وَالْأَرَاكَ لَمْ تَدْعَا نَعْلًا وَلَا شِرَاكَ (٥)

هذا ما أورده ، والله أعلم بالصواب . والأكثر من على أن هذا الرجز لرؤية
ابن العجاج ، لا للعجاج . وقد تقدّم ترجمتهما فى أوائل الكتاب (٦) .

(١) عاك معاشه يعوك عوكا ومعاك : كسبه وأصلحه . وفى النسختين : « عانك » صوابه من
فرحة الأديب مخطوطة الدار .

(٢) فى فرحة الأديب : « غيثا » .

(٣) فى النسختين : « أصغر من هجم الهجير » ، صوابه من فرحة الأديب .

(٤) ط : « تصغير » ، وأثبت ما فى ش وفرحة الأديب .

(٥) فى النسختين : « يلتحيان » ، صوابه من فرحة الأديب . والضمير للسنتين فى
الشرط السابق .

(٦) الخزانة ١ : ٨٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الثلاثئة (١) :

٣٩٩ (هَلْ تُبْلِغُنِي دَارَهَا شَدْنِيَّةٌ

لُعْنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصْرَمٌ)

على أَنَّ النون الأولى في تُبْلِغُنِي نون التوكيد الخفيفة ، والنون الثانية نون الوقاية .

وهذا البيت من معلقة عنترة بن شداد العبسي . وقبلة : صاحب الشاهد

(تُمْسِي وتصبحُ فوقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ وَأَيْتُ فوقَ سِرَاةٍ أَدْهَمَ مُلْجَمٍ
وَحَشِيَّتِي سَرَجٌ عَلَى عَبْلِ الشَّوَى تَهْدِي مَرَاكُلَهُ نَبِيلَ الْحَزْمِ ٤٤٤
هَلْ تُبْلِغُنِي دَارَهَا شَدْنِيَّةٌ الْبَيْتِ
حَطَّارَةٌ غَبَّ السَّرَى زَيَّافَةٌ تَقْصُ الْإِكَامَ بِذَاتِ خُفٍّ مَيْتَمَ)

قوله : «تَمْسِي وتصبح» الضمير المؤنث لحبيته ، وهي عبلة . وَالْحَشِيَّةُ :
الفرش المحشو . وَالسَّرَاةُ ، بفتح السين : أعلى كُلِّ شَيْءٍ ، وأراد به هنا ظهر فرسه .
يقول : تَمْسِي وتصبح فوق فراشٍ وطِيءٍ ، وَأَيْتُ أنا فوق ظهر فرسٍ أَدْهَمَ مُلْجَمٍ .
يعني أنها تَتَنَعَّم وأنا أَقَاسِي شِدَائِدَ الْأَسْفَارِ والحروب .

وقوله : «وَحَشِيَّتِي سَرَجٌ» مبتدأ وخبر . يريد أنه مستوطىءٌ بِسَرَجِ الْفَرَسِ
كَمَا يَسْتَوْطِيءُ غَيْرُهُ الْحَشِيَّةَ والاضطجاع عليها . ثم وصف الفرس بأوصاف
محمودة ، وهي غلظ القوائم ، وانتفاخ الجنين ، وسمنهما . وَالْعَبْلُ ، بالفتح :
الغليظ . وَالشَّوَى بالفتح : القوائم ، جمع شَوَاةٍ . أَيْ عَلَى فَرَسٍ غَلِيظِ الْقَوَائِمِ

(١) من معلقة عنترة بن شداد .

والعظام ، كثير العَصَب . والنهد بفتح النون: الضَّخْم المشْرِف . والمراكل : جمع مَرَكَل كجعفر ، وهو الموضع الذى يصيب رجلَ الفارس من الجبين إذا استَوَى على السَّرَج . والنبيل : العظيم . والحزيم : موضع الحِزام .

وقوله : (هل تُبلغُنِي) إلخ استبعد الوصولَ إليها لشدة بعدها ، فاستفهم عنه . وأبلغه المنزل ، إذا أوصله إليه . و(دارها) أى دار عبلة . و(شدنيّة): ناقة منسوبة إلى شدَنٍ بفتحين ، وهو حَيٌّ باليمن ، وقيل أرض فيه .

وقوله : (لُعِنْتَ) بالبناء للمفعول ، قال التبريزي فى شرح المعلقة : دَعَا عليها ^(١) بانقطاع لبنها ، أى بأن يُحرم ضرعُها اللبنَ فيكون أقوى لها ، وأُسمِنَ وأصْبَرَ على معاناة شدائد الأسفار ، لأنَّ كثرة الحمل والولادة يُكسبها ضعفا وهزالاً . ويجوز أن يكون غير دعاء ويكون خبراً . وأصل اللعن البعد .

وقوله : (بمحروم الشَّراب) أى بضرعٍ ممنوع شرابه . وأصل حُرِم مُنِع : وقيل بمحروم الشراب ، أى فى محروم الشراب . وقال خالد بن كلثوم : لُعِنْتَ : نُحِيتَ عن الإبل ، لما عُلِمَ أنها معقومة ، فجعلت للركوب الذى لا يصلح له إلّا مثلها . و(المصرم) : الذى أصاب أخلافه شئٌ فَقَطَعَهُ ، من صرارٍ أو غيره .

وقال أبو جعفر : المُصْرَمُ : الذى يُلَوَى رأسُ خِلفه حتى ينقطع لبنه . وهو هنا مثل ، يريد : أنَّها معقومة ولا لبن لها . انتهى .

وقال الأعلام (فى شرح الأشعار الستة): قوله لعنت ، أى سُبَّت بضرعها كما يقال : لعنَ الله ماأدهاه وماأشعره ! وإنما يريد أن ضرعها قد حُرِم اللبن

(١) ط : «دعاء عليها» ، وأثبت ما فى ش . وفى شرح التبريزي : « يدعو عليها » .

فذلك أوفر لقوتها وأصلب لها ، فتلّعن ويدعى عليها على طريق التعجّب من قوتها . والمصرّم : المقطوع اللبن . وقيل معنى لعنت أنّه دعا عليها بأنّ ضرعها يكون مقطوع اللبن ، إذ كان أقوى لها . والمعنى الأول أحسن وأبلغ . انتهى .

وقوله : « خطّارة غبّ » إلخ ، هو صفة لشذنية . والخطّارة : التي تخطّر بذنها يمنة ويسرة ، لنشاطها . والسرى : سير الليل . وغبّ الشيء : بعّده . يقول : هي خطّارة بعد السرى ، فكيف بها إذا لم تسر . والزبافة : التي تزيف في سيرها ، كما تزيف الحمامة ، تسرع . وقوله : « تقصّ الإكام » أى تكسرهما بأخفافها ، لشدة وطئها وسرعة سيرها . يقال وقصّ يقصّ بالقاف والصاد المهملة . ويروى : « تطسّ » بمعناه . يقال وطس يطس ، إذا كسر . والإكام ، بالكسر : جمع أكم بفتحتين ، كجبال جمع جبل ، وهو ما ارتفع من الأرض . والميثم : الشديد الوطء . يقال وثم الأرض يثمها بالمثلثة ، إذا وطئها وطئاً . وقوله : « بذات حُفّ » ، أى بقوائم ذات أخفاف .

٤٤٥

وقد تقدّم في الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب شرح أبيات من هذه القصيدة ، مع ترجمته عنتره (١) .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الموفى الأربعمائة، وهو من شواهد سيبويه (٢) :

٤٠٠ (تراه كاللثغام يُعلّ مسكاً

يسوء الفاليات إذا فلّينى)

(١) الخزانة ١ : ١٢٢ .

(٢) فى كتابه ٢ : ١٥٤ . وانظر ابن يعيش ٣ : ١٩ والعينى ١ : ٣٧٩ واهمى ١ : ٩٥ واللسان

(فلا) والحامسة بشرح المروزقى ٢٩٤ .

عَلَى أَنَّهُ قَدْ جَاءَ حَذْفُ نُونِ الْوَقَايَةِ مَعَ نُونِ الضَّمِيرِ لِلزُّرُورَةِ ، كَمَا هُنَا . وَالْأَصْلُ : إِذَا فَلَيْنَنِي ، بَنُونِينَ .

قَالَ سِيبَوَيْهٍ : وَإِذَا كَانَ فِعْلُ الْجَمِيعِ مَرْفُوعاً ثُمَّ أُدْخِلْتَ فِيهِ النُّونَ الْخَفِيفَةَ أَوْ الثَّقِيلَةَ حَذَفَتْ نُونُ الرَّفْعِ ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ : لَتَفْعَلَنَّ ذَلِكَ وَلَتَذْهَبَنَّ ، لِأَنَّهُ اجْتَمَعَتْ فِيهِ ثَلَاثُ نَوَاتٍ ، فَحُذِفُوا اسْتِثْقَالاً . وَقَوْلُكَ : هَلْ تَفْعَلَنَّ ذَاكَ ، بِحَذْفِ نُونِ الرَّفْعِ ، لِأَنَّكَ ضَاعَفْتَ النُّونَ ، وَهَمَّ يَسْتِثْقِلُونَ التَّضْعِيفَ ، فَحُذِفُوا إِذْ كَانَتْ تَحْذِفُ ، وَهَمَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَشَدُّ اسْتِثْقَالاً لِلنَّوَاتِ ، وَقَدْ حُذِفُوا فِيمَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ ذَا (١) . بَلَّغْنَا أَنَّ بَعْضَ الْقُرَاءِ قَالَ : ﴿ تَحَاجُّونِي ﴾ (٢) ، وَكَانَ يَقْرَأُ : ﴿ فَبِمَ تَبَشِّرُونِي ﴾ (٣) خَفِيفٌ ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ اسْتِثْقَلُوا التَّضْعِيفَ . قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ : تَرَاهُ كَالْثَّغَامِ يُعْلَلُ مِسْكَاً يَسُوءُ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَيْنَنِي

يُرِيدُ : إِذَا فَلَيْنَنِي . انْتَهَى .

قَالَ الْأَعْلَمُ : الشَّاهِدُ فِي حَذْفِ النُّونِ فِي قَوْلِهِ فَلَيْنَنِي ، كِرَاهَةٌ لِاجْتِمَاعِ النُّونَيْنِ ؛ وَحُذِفَتِ الْيَاءُ دُونَ جَمَاعَةِ النُّسُوءِ لِأَنَّهَا زَائِدَةٌ لَغَيْرِ مَعْنَى . انْتَهَى . وَهَذَا مُوَافِقٌ لِمَا قَالَهُ الشَّارِحُ .

وَأَخَذَ ابْنُ مَالِكٍ بِظَاهِرِ كَلَامِ سِيبَوَيْهٍ (فِي التَّسْهِيلِ) أَنَّ الْمَحْذُوفَ هُنَا نُونُ النُّسُوءِ ، وَقَالَ : هُوَ مَذْهَبُ سِيبَوَيْهٍ . وَوَجَّهَهُ فِي شَرْحِهِ بِأَنَّهُمْ حَافِظُوا عَلَى بَقَاءِ نُونِ الْوَقَايَةِ مُطْلَقاً لِمَا كَانَ لِلْفِعْلِ بِهَا صَوْنٌ وَوَقَايَةٌ .

(١) يَعْنِي حَذْفُ نُونٍ مِنْ نُونَيْنِ لَا مِنْ ثَلَاثَةٍ .

(٢) الْأَنْعَامُ ٨٠ .

(٣) الْحَجَرُ ٥٤ .

والبيت من أبيات ثمانية لعمرو بن معديكرب ، قالها في امرأةٍ لأبيه ، أبيات الشاهد تزوجها بعده في الجاهلية . وهى :

(تقول حليلتى لما قلتنى شرائجُ بين كُدرى وجُون
تراه كالثغام يُعلُّ مسكاً يسوء الفاليات إذا فلينى^(١)
فزيتك في شريطك أم عمرو وسابغة وذو النونين زنى
فلو شمرن ثم عدون رهوا بكل مُدجج لعرفت لوى
إذا ماقلت إن على دينا بطعنة فارس قضيت دينى
لقعقة اللجام برأس طريف أحبُّ إلى من أن تنكحني
أخاف إذا هبطن بنا خباراً وجدَّ الركض أن لاتحملينى
فلولا إحقوق وبنى منها ملأت لها بذى شطب يمينى)

الحليلة : الزوجة . وقلتنى ، من القلى ، وهو البغض . وشرائج خبر
مبتدأ محذوف ، أى شعرك شرائج . والجملة مقول القول . وشرائج : جمع شريح
بفتح^(٢) الشين المعجمة وآخره جيم : الضرب والنوع . قال ابن دريد فى
(الجمهرة) : كل لونين مختلفين هما شريحان . وأنشد هذا البيت . ٤٤٦

وقوله : « بين كُدرى وجُون » أى بعض الشرائج كدرى ، أى أغبر
وبعضها جُون . والكدرى : منسوب إلى الكدرة . وجُون بضم الجيم : جمع
جَوْنَة ، وهو مصدر الجون بالفتح ؛ وهو من الأضداد ، يقال للأبيض جُون
وللأسود جُون .

وقوله : (تراه كالثغام) إلخ الضمير المستتر للحليلة ، والضمير البارز
المنصوب لشعر الرأس المفهوم مما قبله . ورواه الفراء وابن دريد : (رأته)

(١) فى هذه القافية والثلاثة بعدها مايسمى بسناد الخذو .

(٢) فى النسختين : « بضم » ، وهو تحريف ظاهر .

بالماضى ، وهو من رؤية العين . وكالثغام حالاً من الهاء ، وكذلك قوله يُعَلُّ .
والثَّغام ، بفتح المثلثة والغين المعجمة ، قال الأعلم : هو نبتٌ له ثَوْرٌ أبيض
يشبّه به الشيب . وقال صاحب الصحاح : هو نبتٌ يكون فى الجبل ، يبيضُ
إذا يبس ، يقال له بالفارسية دِرْمَنَةُ إِسْبِيدَ ، يشبه به الشيب ، الواحدة
ثَغَامَةٌ . وَعَلَلْتُهُ مَاءً عَلَلاً ، من باب طلب : سقيته السَّقى الثانية . وَعَلَّ هو
يَعْلُ ، من باب ضرب ، إذا شرب . قال الأعلم : ومعنى يُعَلُّ يطيب شيئاً بعد
شئ . وأصل العلل الشرب بعد الشرب . وهذا غير مناسب ، فإنه هنا متعديٌّ إلى
مفعولين : أحدهما نائب الفاعل وهو الضمير المستتر العائد إلى ما عاد إليه الهاء
من تراه ، والثانى مسكاً . وقوله : (يسوءُ الفاليات) فاعله ضمير الشعر ،
والفاليات مفعوله ، وهو استئناف ، وهو دليل جواب إذا . والفالية هى التى
تفلى الشعر ، أى تخرج القملَ منه .

وقوله : «فَزينك في شريطك» إلخ هذا خطابٌ لها . وأمَّ عمرو منادى .
والزَّين : نقيض الشين ، مصدر زائنه بمعنى زينته ، إذا جعل له زينته . والشريط ،
قال جوامع ديوانه : هو العيبة الصغيرة . والعيبة . بالفتح : ما تجعل فيه الثياب .
وقوله : وسابغةٌ ، خبر مقدم ، وزينى مبتدأ مؤخر . والسابغة : الدرع الواسعة
الطويلة . وذو النونين : السيف ، والنون : شفرته .

وقوله : «فلو شمرن ثم عدون» إلخ يعنى النساء الفاليات . وشمرَّ إزاره
تشميراً : رفعه . والرهو : السير السهل ، مصدرٌ رها يرهو فى السير ، أى رفق .
والمُدَجَّج بجيمين ، على صيغة اسم المفعول ، هو ^(١) اللابس آلة الحرب والسلاح .

(١) ط : «وهو» بالواو .

وقوله : «إذا ماقلت» إنلخ هو بضم التاء فى الموضوعين . والظرف ، بالكسر : الفرس الجواد . والخبار بفتح الخاء المعجمة بعدها موحدة : الأرض الرخوة . وذو شُطَب ، هو السيف ، وشُطَب السيف : طرائقه التى فى منته ، الواحدة شُطْبَة .

وترجمة عمرو بن معديكرب تقدّمت فى الشاهد الرابع والخمسين بعد المائة (١) . وهو من الصّحابة رضى الله عنهم .

٢٥ ٢٦ ٢٧

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد الأربعمئة ، وهو شواهد س (٢):

٤٠١ (كُمْنِيَّة جَابِرٍ إِذْ قَالَ لَيْتَى
أَصَادِفُهُ وَأَفْقَدُ جُلٍّ مَالِي)
على أنّ حذف نون الوقاية من (ليتى) ضرورة عند سيبويه .
قال سيبويه : وقد قالت الشعراء ليتى إذا اضطُّروا ، كأنَّهم شَبَّهوه
بالاسم حيث قالوا الضارى ، والمضمر منصوب . قال زيد الخيل :
كمنية جابر إذ قال ليتى أصادفه وأتلف بعض مالى
انتهى

وهذا مِنْ أبياتٍ لزيد الخيل رضى الله عنه ، وأولها :
(تَمَنَّى مَزِيدٌ زَيْدًا فَلَاقَى أَحَا ثَقَةً إِذَا اخْتَلَفَ الْعَوَالِي أَيْتِ الشَّاهِدِ)

(١) الخزائن ٢ : ٤٤٤ .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨٦ . وانظر نوادر أبى زيد ٦٨ ومجالس ثعلب ١٢٩ والمقتضب ١ : ٢٥٠ .

والمقرب ١٩ وابن يعش ٣ : ٩٠ ، ١٢٣ ، والعينى ١ : ٣٤٦ والأشمونى ١ : ١٢٣ واللسان (ليت) .

كمنية جابر إذ قال لبتى . . . البيت

وقد اقتصر عليهما أبو زيد (في نوادره) وبعدهما :

(تلاقينا فما كُنَّا سواءً ولكن خَرَّ عَنْ حَالِ الْحَالِ
ولولا قَوْلُهُ يَا زَيْدُ قَدْ نَى لَقَدْ قَامَتْ نُؤِيرَةٌ بِالْمَالَى
شَكَكْتُ ثِيَابَهُ لَمَّا التَقِينَا بِمَطَرِ الْمَهْرَةِ كَالْخِلَالِ)

وقوله : «تمنى مزيد» إلخ ، مزيد بفتح الميم وسكون الزاء المعجمة بعدها
مشاة تحتية ، قال ابن السيرافي وغيره : هو رجلٌ من بنى أسد ، كان يتمنى أن
يلقى زيد الخليل ، فلقبه زيد الخليل فطعنه فهرب منه . وقوله : «أخا ثقه» أى
صاحب وثوق بشجاعته وصبره فى الحرب . والعوالى : جمع عالية ، والعالية من
الرحم : مايلى الموضع الذى يركب فيه السنان . يعنى وقت اختلاف الرماح
ومجيئها وذهابها للطعان .

وقوله : (كُمنية جابر) إلخ ، هو فى موضع المفعول المطلق ، أى تمنى
مزيد تمنياً كنمنى جابر . والمنية بالضم : اسم للتمنى ، وفى الأصل الشيء
الذى يُتمنى . وإنما قال تمنى مزيد زيدا ، ولم يقل تمنانى مزيد ، للتهويل والتفخيم
فإن زيدا قد اشتهر بالشجاعة ، فلو أتى بالضمير لفات هذا . وجابر : رجلٌ
من غطفان تمنى أن يلقى زيدا حتى صبحه زيد ، فقالت له امرأته : كنت
تمنى زيدا فعندك ! فالتقيا فاختلعا طعنتين وهما دارعان ، فاندق رح جابر ولم
يُغن شيئا ، وطعنه زيد برمح له كان على كعبٍ من كعابة ضبة من حديد ،
فانقلب ظهره لبطن ، وانكسر ظهره ، فقالت امرأته وهى ترفعه منكسراً ظهره :
كنت تمنى زيدا فلاقيت أخا ثقة . ومعنى البيتين أن مزيدا تمنى أن

يلقى زيدا كما تمنى جابر ، وكلاهما لقي منه ما يكره .

وقال (١) أبو جعفر النحاس فى قول زيد الخيل :

ألا أبلغ الأقياسَ قيسَ بنَ نوفل

وقيسَ بنَ أهبانٍ وقيسَ بنَ جابر

قال : قيس بن جابر هو الذى يقول فيه زيد :

* كمنية جابر إذ قال لبتى *

فسماه باسم أبيه ، كما قال الآخر :

* يحملن عباس بن عبد المطلب *

وإنما يريد عبد الله بن عباس . انتهى .

وروى أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل : « كمنية حائن » بالنون ،

أى هالك ، والمراد به جابر المذكور . وقوله (وأفقدَ جلَّ مالى) فقد يَفْقِدُ من

باب ضرب ، بمعنى عَدِم . وروى بدله : « وأتلف » من الإتلاف . وجُلَّ

الشيء : معظمه . وهذه رواية الجوهري ، وروى غيره : « بعض مالى » . قال

العيني : والأوَّل أحسن . ومن زعم أن بعضا يَرِدُ بمعنى كلٍّ وخرَجَ عليه قوله

تعالى : ﴿ يُصِيبُكُمْ بِعَضُّ الذِّى يَعِدُكُمْ ﴾ (٣) ، وقول الأعشى (٤) :

قد يُدركُ المتمنى بعضَ حاجته

وقد يكونُ مع المستعجل الزللُ

(١) ط : « قال » بدون واو .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس الماردى ، المعروف بالنحاس أو ابن النحاس .

(٣) الآية ٢٨ من سورة غافر .

(٤) ط : « قال الأعشى » ، وأثبت مالى ش .

— صحَّ عنده حملُ رواية الجماعة على ذلك ، فيكون أبلغ من رواية الجوهري .
إلا أن هذا القول مردود . انتهى .

و(إذ) ظرفٌ عامله مُنية ، وجمله (أصادفه) خبر ليت . و(أفقدَ)
منصوبٌ بإضمار أن ؛ فإنَّها تضمَر بعد واو المعية الواقعة بعد التمني . قال
بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : قال صدرُ الأفاضل : وأفقدَ
بالنصب كما لو كان مكان الواو الفاء ، كأنَّه قال : ليتني أصادف زيدا وأن
٤٤٨
أفقدَ بعض مالى ، أى يجتمع ^(١) هذا مع فقدان بعض المال .

وقال العيني : أفقد بالرفع جملة فعلية ، عطفُ على أصادفه . كذا
قيل ، وفيه نظر ، لأنَّه يلزم أن يكون فقد بعض ماله متمنى ، وليس كذلك ،
والصحيح أنَّه مرفوع على أنَّه خبر مبتدأ محذوف تقديره : وأنا أفقد بعض مالى
وتكون الواو للحال . انتهى .

أقول : لا مانع على الوجه الأول من جعل الواو للمعية .

ثم قال : ويقال أفقد منصوب لأنَّه جوابُ التمني . وهذا لا يتمشى إلا
إذا قرئ بالفاء : «أفقد» . انتهى .

أقول : كأنَّه لم يطرق أذنه أن المضارع ينصب بإضمار أن بعد واو
المعية كما ينصب بعد فاء السببية في جواب أحد الأشياء الثمانية .

وقُلْ لِمَنْ يَدْعَى فِي الْعِلْمِ فَلِسْفَةً

حَفِظْتَ شَيْئاً وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

(١) هـ : « أو يجتمع » ، وأثبت ما في ش .

ثم قال : ولكن يجوز نصبه بإضمار أن .

أقول : كأن هذا الإضمار عنده من القسم السماعى الذى لم يطرد .
وفيما قلنا غنية عن هذا . فتأمل .

وقوله : «تلاقينا فما كنا سواء» إلخ ، تحرّ بالخاء المعجمة : سقط .
والحال بالخاء المهملة : موضع اللبّد^(١) من ظهر الفرس . والحال الثانية :
الوقت الحاضر . أى سَقَطَ عن ظهر الفرس بطعن في الحال .

وقوله : «ولولا قوله» أى لولا قول جابر . وقدنى : اسمُ فعلٍ بمعنى
حسبى . وتؤيرة ، بضم النون : امرأة جابر . قال بعض فضلاء العجم (في
شرح أبيات المفضل) : والمآلى : جمع مثلاة^(٢) ، وهى الخرقه التى تكون مع
النائحة تأخذ بها الدمع . أى لولا قول جابر حسبى يازيدُ من الطعن قامت
امراته ملتبسةً بالخرق تنوحُ عليه وتبكى . أى قتلتُه .

وقوله : «بمطرّد المهرة» أراد به الرمح ، فإنه إذا هزّ باليد يطرد . والخلال
بكسر الخاء المعجمة : العود الذى يُخلَّلُ به ، وربما يُخلَّلُ^(٣) به الثوب
أيضاً . أراد أن الرمح كان سنانهُ دقيقاً مثل الخلال .

وزيد الخليل ، هو كما قال صاحب الاستيعاب : زيد بن مُهلَّه بن زيد
ابن مُنْهَب^(٤) الطائى ، قدم على رسول الله ﷺ ، فى وفد طيئ

(١) فى النسختين : «الكبد» ، صوابه مأثبت . وانظر اللسان (حول ٢٠٤) .

(٢) ط : «مثلاء» ، صوابه فى ش .

(٣) ش مع أثر تغيير : « يخلل » بلامين .

(٤) منهب كمحسن ، بضم الميم وكسر الهاء ، كما فى القاموس .. وانظر ترجمة زيد فى الشعراء

٢٤٤ وأسد الغابة ٢ : ٢٤١ والإصابة ٣ : ٣٤ والأغانى ١٦ : ٤٦ .

سنة تسع فأسلم ، وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير ، وقال له : « ماؤصف لي أحد في الجاهلية فرأيت في الإسلام إلا رأيت دون الصفة غيرك » . وأقطع له أرضين في ناحيته . ويكنى أبا مكيف ، وكان له ابنان : مكيف ، وحريث وقيل حارث . أسلما وصحبنا النبي ﷺ ، وشهدا قتال الردة مع خالد بن الوليد . وكان زيد الخيل شاعراً محسناً خطيباً ، لسيناً شجاعاً ، بهمة كريماً . وكان بينه وبين كعب بن زهير هجاء ، لأن كعباً اتهمه بأخذ فرس له . قيل مات زيد الخيل منصرفه من عند النبي ﷺ محموراً ، فلما وصل إلى بلده مات . وقيل بل مات في آخر خلافة عمر . وكان قبل إسلامه قد أسر عامر بن الطفيل وجر ناصيته .

هذا ماأورده صاحب الاستيعاب .

وقيل له زيد الخيل الخمسة أفراس كانت له (١) .

وكان طويلاً جسيماً ، موصوفاً بطول الجسم وحسن القامة ، وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخط رجلاه في الأرض ، كأنه راكب حماراً (٢) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني بعد الأربعمائة (٣) :

٤٠٢ (أيها السائل عنهم وعنني

لست من قيس ولا قيس مني)

(١) في الأغاني ١٦ : ٤٦ أنها ستة أفراس ، وهي : الهطال ، والكميت ، والورد ، وكامل ، ودعول ، ولاحق . وقد ذكرها جميعاً في شعره .

(٢) ش : « راكب حمار » بالإضافة . وفي الأغاني : « كأنه على حمار » .

(٣) انظر العيني ١ : ٣٤٢ .

على أَنَّ حذف النون ضرورة عند سيبويه ، والقياس : عَنَى وَمَنَى ،
بتشديد النون فيهما .

قال ابن هشام (في شرح شواهد): إِذَا جُرَّتِ الياء بمن أو عن وجبت
النون، حِفْظاً للسكون ؛ لأنه الأصل فيما يينون . وقد يترك في الضرورة. قال:
أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْهُمْ وَعَنَى ... البيت

وفي النفس من هذا البيت شيء ، لأنَّنا لم نعرف له قائلًا ولا نظيرًا ؛ لاجتماع
الحذف في الحرفين . ولذلك نسبته ابن الناطم إلى بعض النحويين ولم ينسبه إلى
العرب . وفي التحفة : لم يجيء الحذف إلَّا في بَيْتٍ لَا يُعْرَفُ قَائِلُهُ . اهـ
ووقع فيه قيسٌ في موضع الضمير مرتين . وارتفاع الثاني بالابتداء ، لأنَّ
لَا لَا تَعْمَلُ إلَّا في النكرات . انتهى كلام ابن هشام .

وقيسٌ في الموضعين غير منصرفٍ للعلمية والتأنيث المعنوي ، لأنَّه
بمعنى القبيلة . وهو أبو قبيلة من مُضَرَ ، ويقال له قيس عيلان ، واسمه الناس
بن مضر بن نزار ، بهمزة وصل ونون ، وهو أخو الياس بمشاة تحتية . قال ابن
الكلبي (في الجمهرة): إِنَّمَا عِيلَانُ عَبْدٌ لِمُضَرَ حَضَنَ النَّاسَ وَرِيَّاهُ ، فغلب عليه
وُتِسِبَ إِلَيْهِ . وقال صاحب القاموس^(١): وقيس عيلان تركيب إضافيٌّ لأنَّ عِيلَانَ
اسمُ فرسٍ قيس ، لا اسم أبيه كما ظَنَّنَه بعض الناس. اهـ . يقال تَقَيَّسَ فلانٌ، إذا
تشبَّه بهم أو تَمَسَّكَ منهم بسبب، إمَّا بِجِلْفٍ أو جَوَارٍ أو وِلَاءٍ. قال رؤية:
« وَقَيَّسَ عِيلَانَ وَمَنْ تَقَيَّسَا »^(٢) .

(١) النص التالي لم يرد في القاموس بهذا النص في كل من مادتي (قيس، عيل) . وفي هامش
أصل المطبوعة : «لم أر هذا النص في القاموس ، فلعله نقل بالمعنى » .

(٢) قبله في ديوان العجاج ١٣٨ :

وإن دعونا من تميم أرضنا والرأس من خزيمة القرندسا

وقال الجواليقي (في شرح أدب الكاتب): قيس عيلان بن مضر ، ويقال قيس بن عيلان ، واسمه النَّاس بالنون ، وأخوه الياس بالياء . وكان الناس بالنون متلافاً ، وكان إذا نَفِدَ ماعنده أُنِيَ أخاه الياس ، بالتحتيّة ، فيناصفه أحياناً، ويؤيسه أحياناً، فلما طال ذلك عليه وأتاه كما يأتيه قال له الياس: غلبت عليك العيلةُ فأنت عِيلان. فسَمِيَ لذلك عيلان، وجُهِل الناس. ومن قال قيس بن عيلان فإنَّ عيلان كان عبداً لمضر حضن ابنه الناس فغلب على نسبته . اهـ

وقد تقدم هذا الكلام في الشاهد السادس عشر^(١) من أوائل الكتاب . والقبيلة المنسوبة إلى قيس هي خَصَفَة بن قيس ، بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة والفاء . وخَصَفَة أيضاً : أبو قبيلة ، وهي محارب بن خَصَفَة بن قيس .

❦ ❦ ❦

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س (٢) :

٤٠٣ (قَدْ نَى مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبِ قَدَى
ليس الإمام بالشَّحِيجِ الْمَلْحِدِ)

على أنَّ هذا ضرورة ، والقياس قَدْ نَى بالنون .

قال سيبويه: وسألته رحمه الله، يعنى الخليل بن أحمد، عن قولهم قطنى ومِنّى وعَنّى ولُدُنّى ، ما بالهم جعلوا علامة المجرور ههنا كعلامة المنصوب؟ فقال:

(١) الصواب أنه الخامس عشر . انظر الخزانة ١ : ١٣٨ .

(٢) في كتابه ١ : ٣٨٧ . وانظر نوادر أبي زيد ٢٠٥ وخط الآلى ٦٤٩ واحتسب ٢ : ٢٢٣

وأما ابن الشجرى ١ : ١٤ / ٢ : ١٤٢ والإنصاف ١٣١ وابن يعيش ٣ : ١٢٤ / ٧ : ١٤٣ وشرح شواهد المغنى ١٦٦ والمعنى ١ : ٣٧٥ والتصريح ١ : ١١٢ واهممع ١ : ٦٤ والأشعرى ١ : ١٢٥ واللسان (لحد) . وسأنى و ٣ : ٣٤ بولاق .

إنَّه ليس من حرفٍ تلحقه ياء الإضافة إلا كان متحرِّكاً مكسوراً ، ولم يريدوا أن يحركوا الطاء ولا النونات ، لأنها لاتذكر أبداً إلاً وقبلها حرفٌ متحرك مكسور ، وكانت النون أولى ، لأنَّ من كلامهم أن تكون النون والياء علامةً المتكلم ، فجاءوا بالنون لأنها إذا كانت مع الياء لم تخرج هذه العلامة من علامات الإضممار ، وكرهوا إن يجيئوا بحرف غير النون فيخرجوا من علامات الإضممار . وإنما حملهم على أن لم يحركوا ^(١) الطاء والنونات كراهية أن يشبه الأسماء نحو : يد وهن . وأمّا ما يحرك آخره فنحو مَعَ وَلَدٌ ، كتحرريك أواخر هذه الأسماء ، لأنه إذا تحرك آخره فقد صار كأواخر الأسماء ، فمن ثم لم يجعلوها بمنزلتها . فمن ذلك : معى وليدى في مَعَ وَلَدٌ ^(٢) . وقد جاء في الشعر قَدِي . قال الشاعر :

« قَدْنِي من نصر الحُبَيْبِي قَدِي »

لما اضْطُرَّ شَبَّهه بِحَسْبِي وَهْنِي ، لأنَّ ما بعد حسب وهن مجرور ، كما أن ما بعد قَطْ مجرور ^(٣) ، فجعلوا علامة الإضممار فيهما سواء ، كما قال : ليتى حيث اضْطُرَّ . انتهى كلام سيبويه .

ورَدَّه صاحب الكشاف والْبَيْضَاوِي عند قوله تعالى : ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ ^(٤) على قراءة نافع ، بتحريك نون لدن والاكتفاء بها عن نون الوقاية ، كما في :

« قَدْنِي من نصر الحُبَيْبِي قَدِي »

(١) في سيبويه : « على أن لا يحركوا » .

(٢) في سيبويه وش : « وليدى في لد » فقط .

(٣) سيبويه : « كما أن ما بعد قد مجرور » .

(٤) من الآية ٧٦ في سورة الكهف .

وعند ابن مالك نون الوقاية في قَدْنِي وقطني غير لازمة ، بل يجوز ذكرها وحذفها . واستشهد لِقَطْ بما روى في الحديث من قوله : « قَطِي قَطِي بعزَّتكَ ^(١) » ، يروى بسكون الطاء وبكسرها مع الياء وبدونها . وقال في الألفية :
وفي لَدْنِي لَدْنِي قَلَّ وفي

قَدْنِي وقطني الحذف أيضاً قد يفي

قال الشاطبي : قوله ؟ « قَلَّ » دليل على أن هذا جائز عنده في الكلام لا يختص بالشعر . وهذا دأبه في النظم . إنما يعبر بلفظ القلة عما جاء في النثر . وهو ثابت بقراءة نافع وأى بكر . ونبه بذلك على مخالفة ظاهر كلام سيبويه .

قال (في شرح التسهيل) : وزعم سيبويه أن عدم لحاقها من الضرورات . وليس كذلك ، بل هو جائز في الكلام الفصيح ، كقراءة نافع : ﴿ قد بلغت من لَدْنِي عُذْرًا ﴾ بالتخفيف . ثم قال الشاطبي : وقوله : وفي قَدْنِي وقطني الحذف أيضاً قد يفي ، يريد أن حذف نون الوقاية فيهما قد يأتي . وإتيائه بقَدْ يفي ، إشعاراً بأنه مسموع في الكلام ، بل قد يكثر كثرة ما ، إذ معنى يفي يكثر ، أي إنه يكثر في السماع ^(٢) ، فلا يكون معدوداً في الشواذ ولا في الضرائر . وهذا تنكيت منه على سيبويه ومن قال بقوله : إن عدم اللحاق يختص بالشعر . اهـ

وقد تبعه ابن هشام (في شرح شواهد) قال: إِذَا جُرَّتِ الْيَاءُ بِلَدْنٍ أَوْ قَطٍّ أَوْ قَدٍّ، فَالْغَالِبُ إِثْبَاتُ النُّونِ، حِفْظاً لِلْسَّكُونِ، وَقَدْ يَتْرَكُ. ودليله في لدن قوله

(١) هو من حديث النار حين تمتلئ فتقول ذلك لربها . انظر اللسان (قطط ٢٥٦ جبر ١٨٢)

ونهاية ابن الأثير (قط) .

(٢) ش : (يكثر أنه يكثر في السماع) بإسقاط «أى» .

تعالى : ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ قرىء مخففاً ومشدداً . وأما قول سيبويه :
 إِنَّ تَرَكَ النون مع لدن ضرورة فمردود بالقراءة ، ولا يقال إنها جاءت على من
 يقول لَدْ ، وتكون النون للوقاية ، لأنه لا وجه حينئذ لدخول النون ؛ إذ لا
 سكون فيحفظ . ودليله في قد قوله :

« قدنى من نصر الحُبَّيين قدى »

وفي هذا نظرٌ واضح .

وقد أغرب الجوهريُّ في زعمه أنَّ لحاق النونِ لَقَدنى على خلاف
 القياس . قال : فأما قولهم قَدْكَ بمعنى حسبك فهو اسم ، تقول : قدى وقدنى
 أيضاً بالنون على غير قياس ؛ لأنَّ هذه النون إنما تزد في الأفعال . واضح
 البطلان^(١) .

وقال ابن هشام (في المغنى) : قد الاسمى على وجهين :

اسم مرادفٌ لحسب ، والغالب فيها البناء ، يقال قَدْ زيدٌ درهمٌ وقدنى
 بالنون ، حرصاً على السكون . وتُعَرَّب بقلةً ، يقال قَدْ زيدٌ درهمٌ بالرفع كما
 يقال حَسَبُهُ درهمٌ بالرفع ، وقدى بغير نون كما يقال حَسَبِي .

والوجه الثاني : اسم فعل مرادفة ليكفى ، يقال : قَدْ زيداً درهمٌ ، وقدنى
 درهمٌ كما يقال : يكفى زيداً درهم ، ويكفينى درهم .

وقوله : « قدنى من نصر الحُبَّيين قدى » يحتمل قد الأولى أن تكون مرادفةً

لحسب على لغة البناء ، وأن تكون اسم فعل . وأما الثانية فتحتمل الأول
 وهو واضح ، والثاني على أنَّ النون حذفت ضرورة ، ويحتمل أنَّه اسم

٤٥١

(١) واضح البطلان ، من كلام البغدادى ، لا من كلام الجوهري .

فعل لم يذكر مفعوله ، فالياء للإطلاق والكسر للساكنين . اهـ
وفيه أمور :

أحدها : قال الدماميني : لو كانت مرادفة ليكفى لكانت فعلا ،
واللازم باطل . ولا أدري لم جعلها بمعنى المضارع مع أن مجيء اسم الفعل بمعناه
فيه كلام ^(١) ، وابن الحاجب يأباه . وقد صرح ابن قاسم أنها بمعنى
كفى . اهـ

والصواب ما قاله الشارح في باب اسم الفعل أن معنى قدك اكتف ،
ومعنى قدنى لأكتف . فيكون الأول أمراً للمخاطب ، والثاني أمراً للمتكلم
نفسه . وهذا كلام في غاية الوضوح .

وثانيها : إذا كانت قد في الموضعين بمعنى يكفى فأين فاعلها ؟

ثالثها : يرُدُّ على قوله إنَّ الياء للإطلاق والكسرة للساكنين ، قولُ
شارحه الدماميني : إنَّ حرف الإطلاق حرف مدّ يتولد من إشباع حركة
الروى ، فلا وجود له إلا بعد تحريك الروى ، فإذا لم يلتق ساكنان . اهـ

وقد أعاد ابن هشام هذا الكلام (في شرح شواهد) فقال : الشاهد في
قوله قدنى بالحق النون . وأما قدى فقال الشارح — يعنى ابن الناظم —
وغيره : إنَّه شاهد على ترك النون . وليس كما قالوا ، لجواز أن يكون أصله قد ،
ثم ألحق ياء للقفافية ، وكسر الدال للساكنين . وإنما شاهد الحذف قوله :
« قدى الآن من وجد على هالك قدى ^(٢) »

(١) ش : « مع أن في مجيء اسم الفعل بمعناه كلاما » .

(٢) من بيت في الحماسة ٣١ بشرح المازوق ص ٨٩٦ . وصدده .

« فأقسمت لا آسى على إثر هالك » .

والشاهد في قد الأولى . فأمّا الثانية فمحتملة لما ذكرنا. اهـ

ولا يخفى فساد قوله : «ثم ألحق ياء للقافية» ، فإنها دالية لا يائية .

وقوله : (من نصر الحبيبين) من متعلقة بقَدْنِي ، لأنه بمعنى لأكتف كما حققه الشارح في باب اسم الفعل . وذهب بعضهم إلى أن قدني مبتدأ بمعنى حسبي ، والجارّ والجورور خبره ، وأنّ المعنى حسبي من نصره هذين الرجلين ، أى لا أنصرهما بعد ^(١) . قال ابن هشام (في شرح الشواهد) : ويجوز أن يكون النصر هنا بمعنى العطية ، كقول بعض السوّال : «من ينصُرني ينصره الله» وخرج عليه قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ ^(٢) . وعلى هذا فالإضافة للفاعل : ويرجع الأوّل أنه لم يفرد أبا حبيب بالذكر ، وإنما يكون العطاء غالباً من وليّ الأمر . اهـ

و (الحبيبين) قيل مثنيّ حبيب وقيل جمع حبيب . فعلى الأوّل الباء الثانية مفتوحة ، وعلى الثاني مكسورة . وحبيب ، بضم الحاء المعجمة وفتح الموحدة : مصغر حَبٍّ . وحبيب هو ابن عبد الله بن الزبير . وكان عبد الله يكنى بأبي حبيب . قال بعض فضلاء العجم (في شرح شواهد المفصل) : وكنيته المشهورة أبو بكر ، وكانوا إذا أرادوا ذمّه كنّوه بأبي حبيب . وفي حاشيته : لعله للإشعار بكونه منقولاً من مصغر الحَبِّ بالكسر ، وهو الرُّجُل الخَدَّاع . وقال ابن المستوفى (في شرح أبيات المفصل) : أراد بالحبيبين مثنيّ : عبد الله ومُصعباً ابني الزبير . وخالف ماجاء للعرب من نحوه ، مثل العُمَريّين ، يريدون أبا بكر

(١) ش : «أى لأنصره بعد» .

(٢) الآية ١٥ من الحج .

وعمر ، للبخفة ، والقمرين للشمس والقمر ، لتغليب المذكر ، لأن عبد الله بن الزبير يكنى أبا حبيب باسم ولده ، وأبا بكر ، فإذا ذمّوه قالوا : أبو حبيب . قال فضالة بن شريك :

أرى الحاجات عند أبي حبيب

نَكِدْنَ ولا أُمَيَّةً بالبلاد (١)

فعلى ما ذكره الشاعر ينبغي أن يريد به خبيباً واحد إخوته من بنى عبد الله بن الزبير ، وهم (٢) : حمزة ، وثابت ، وعبد ، وقيس ، وعامر ، وموسى . اهـ . ولا يخفى أن هذه الإرادة غير مناسبة لما سيجيء .

٤٥٢

وأورد المبرد هذا البيت عند ذكر الخوارج وقال : يريد خبيبا ومن معه . وقال الإمام أبو الوليد الوقشي (٣) (في حاشيته على الكامل) : هذا خطأ ، إنما يريد أبا حبيب وهو عبد الله بن الزبير . وأنشده المبرد (في أوائل الكامل أيضاً) وقال : أراد عبد الله ومُصعباً ابني الزبير ، وإنما أبو حبيب عبد الله .

وكتب أبو الوليد (في حاشيته) هنا أيضاً : أنشده في ذكر الخوارج : « الخبيبين » جمعاً ، وقال : يريد خبيبا ومن معه ، كقراءة

(١) هو الشاهد ٢٦٢ . الخزانة ٤ : ٦١ . وقد اختلف في قائله .

(٢) ط : « وهو » ، صوابه في ش .

(٣) ط : « أبو الوليد الوقشي » ش : « أبو الوليد أبو علي » . والصواب ما أثبت . وأبو الوليد هذا هو هشام بن أحمد بن هشام الكنانى الحافظ ، المتوفى سنة ٤٨٨ . ونسبته إلى وقش بفتح الواو وتشديد القاف على وزن بقم ، وهى مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة . ومن تأليفه : نكت الكامل للمبرد . انظر معجم البلدان ، وبغية الوعاة .

من قرأ : ﴿ سلام على الياسين ﴾ . قال : فإتما يريد الياس ومن كان معه على دينه . كذا وقع هنا يريد خُبيبا ، وإنما هو يريد أبا خبيب على كنيته الأخرى المشهورة ، ذهاباً إلى نسبة الخبِّ إليه . اهـ

ونقل ابن المستوفى عند شرح قوله :

* بصير بما أعيا النطاسيَّ جَذِيماً ^(١) *

والأصل ابن جَذِيم . عن الخوارزمي : أن هذا ليس من باب الحذف ، إنما هو من باب تعدى اللقب من الأب إلى الابن ، كما في قوله :

* كراجي الندى والعُرف عند المذلق ^(٢) *

أي ابن المذلق . ألا ترى أنه يقال : «أفلس من ابن المذلق» . ومنه :

* قدنّي من نصر الخبيبين قدي *

ونقل ابن هشام (في شرح الشواهد) عن ابن السيّد (فيما كتبه على الكامل) ردّ رواية التثنية ، بأنّ الشاعر قال هذا الشعر عند حصار طارق ، ومصعب مات قبل ذلك بسنين . اهـ

ولم أر لابن السيّد شيئاً من شرحه على هذا البيت في الموضعين من الكامل .

وذكر العيني للتثنية وجهين: أحدهما: أن المراد عبد الله وأخوه مصعب.

(١) الصافات ١٣ .

(٢) لأوس بن حجر ، وهو الشاهد ٣١٤ في الخزانة ٤ : ٣٧٠ .

(٣) سبق الكلام عليه في حواشي ٤ : ٣٧٢ . وصدره :

* فأنك إذ ترجو تميما ونفعها *

وثانيهما : أنَّ المراد عبد الله وابنه خُبيب المذكور . وعلى هذا الثاني لا يردُّ الرَّدُّ المذكور عن ابن السيد .

ورواه جماعة بلفظ الجمع ، ومنهم أبو زيد (في نوادره) قال : أراد الخبيبيين ، فحذف ياء النسبة . وأورد له نظائر .

ومنهم يعقوب بن السكيت (في إصلاح المنطق) قال ابن السيرافي (في شرح شواهد) : الخبيبين جمع ، يريد به عبد الله بن الزبير وأصحابه ، وجعلهم كأنَّ كل رجل منهم خُبيب . ومثل هذا يُفَعَّل كثيراً ، يقولون الأشعرون إذا نسبوا إلى الأشعر ، كأنَّهم جمعوا رجالاً كل اسم رجل منهم أشعر ، وإنما أشعر الذي أضيفوا إليه ، فصار الخبيبين في موضع الخبيبيين ، والأشعرون في موضع الأشعريين ، فحذفوا ياء النسبة وجعلوا الاسم كأنَّه لكل واحد من المنسوين . اهـ

ومنهم أبو عبيدة ، نقله عنه أبو الحسن الأخفش (فيما كتبه على نوادر أبي زيد) .

ومنهم أبو جعفر النحاس (في تفسير القرآن) قال : إنما يريد أبا خبيب عبد الله بن الزبير ، فجمعه على أنه من كان معه على مذهبه داخل فيه .
ومنهم ابن جنى (في المحتسب، في سورة الصافات) عند قراءة ابن محيصن : ﴿وَإِنَّ الْيَاسَ (١)﴾ بغير همز ، ﴿سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ﴾ بغير همز . قال : فأما الياس موصول الألف فإن الاسم منه ياسٌ بمنزلة باب ودار ، ثم لحقه لام التعريف . والياسين على هذا كأنَّه على إرادة ياء النسب ، كأنَّه الياسيين ، كما

حكى عنهم صاحب الكتاب : الأشعرون والهميرون ، يريد الأشعريين والهميريين . وروينا عن قطرب عنهم ^(١) : هؤلاء زيدون منسوبون إلى زيد بغير ياء النسبة . وقال أبو عمرو : هلك اليزيدون ^(٢) يريد : ثلاثة يزيديين . وقد يجوز أن يكون جعل كل واحد منهم من أهل الياس ياساً ، فقال الياسين ، كقوله : « قدنى من نصر الحبيبين قدى »

يريد أبا حبيب وأصحابه ، كأنه جعل كل واحد منهم خبيباً . اهـ
٤٥٣ يفهمُ صنيعة أنه إذا جعل كل واحد منهم خبيباً لا يكون على تقدير ياء النسبة ، وإذا كان على قدرها يراد أصحابُ أبنى حبيب فقط ، ولا يدخل أبو حبيب فيهم . كما قال أبو محمد التَّوَزَّى : من أنشدته بالجمع يريد أصحاب ابن الزبير ، كما يقال المهالبة . وحقه الحبيبين بالتشديد ؛ ولكنه حذف ياء النسبة ، نقله عنه صاحب كتاب (التفسيح في اللغة) . وإليه ذهب ابن هشام (في شرح شواهد) قال : يروى الحبيبين مثني على إرادة عبد الله وأخيه مُصْعَب ، ويروى على الجمع على إرادة عبد الله ومن على رأيه ، وكلاهما تغليب . ويحتمل على الجمع أن يريد مجرد أصحاب عبد الله ، على أنَّ الأصل الحُبيبين ، ثم حذفت الياء كقولهم : الأشعريين . اهـ

وهذا خلاف ماتقدم عن ابن السيرافي، وخلاف قول أبي علي (في الإيضاح الشعري) قال: من أنشدته على الجمع أراد الحبيبين ^(٣) وتسب إلى

(١) كلمة «عهم» ساقطة من ش ثابتة في المختص : ٢ : ٢٢٣ .

(٢) ش : « اليزيدون » ، صوابه في ط والمختص .

(٣) ط : « الحبيبين » ، صوابه بياءين في آخره كما في ش .

أبى خبيب ، يريد به ويريد شيعة^(١) . وعلى هذا قراءة من قرأ : ﴿ سلاماً على الياسين ﴾ أراد النسب إلى الياس . ومن أنشد على التثنية أراد عبد الله ومصعباً ، فثناهما كما قالوا : العجاجان^(٢) . اهـ

ويؤيد كلام ابن جنى ومن تبعه ، صنيع المبرد (في الكامل) قال عند ذكر الخوارج : باب للنسب^(٣) وهو أن يسمّى كل واحد منهم باسم الأب إذا كانوا إليه ينسبون . ونظيره المهالبة والمسامعة والمناذرة ، ويقولون : جاءني التّميرون والأشعرون ، جعل كل واحد منهم ثميراً وأشعر . فهذا يتصل في القبائل . وقد تنسب^(٤) الجماعة إلى الواحد على رأي أو دين ، فيكون له مثل نسب الولادة ، كما قلت أزرق لمن كان على رأي ابن الأزرق ، كما تقول تميمي وقيسي لمن ولده تميم وقيس . ومن قرأ : « سلاماً على الياسين^(٥) » فإنما يريد الياس عليه السلام ومن كان على دينه ، كما قال : « قدنى من نصر الخبيبيين قدى »

يريد أباً خبيب ومن معه^(٦) . اهـ

وقوله : (قدى) تأكيد للأوّل . و (ليس الإمام) إلخ ، أراد بالإمام الخليفة ، وعرض بعبد الله بن الزبير ، فإنه كان بخيلاً . والشّح : البخل . وشّح يشّح من باب قتل ، وفي لغة من باى ضرب وتعب ، فهو شحيح من

(١) ش : ، فيريد شيعة » .

(٢) يعنون العجاج وابنه رؤية .

(٣) ش : « باب النسب » . والذي في الكامل ٣٢٣ : « فأما قولهم الأزارقة فهذا باب من النسب آخر . وهو ... إلخ » .

(٤) هذا ما في ط والكامل . وفي ش : « وقد نسب » .

(٥) الصافات ١٣١ .

(٦) بدل هذا كله في ش : « خبيبا ومن معه » ، نقص وتحريف .

قَوْمٌ أَشْحَاءُ . و(الملحد) قال صاحب المصباح : مِنْ أَلْحَدَ فِي الْحَرَمِ بِالْأَلْفِ ،
إِذَا اسْتَحَلَّ حَرَمَتَهُ وَانْتَهَكَهَا . وَأَلْحَدَ إِحْدَادًا : جَادَلَ ^(١) وَمَارَى . وَلَحَدَ بِلَا أَلْفٍ
بِمَعْنَى جَارٍ وَظَلَمَ .

والبيتان من أرجوزة لَحْمِيدِ الْأَرْقُطِ . قال ابن المستوفي ^(٢) : ويروى : صاحب الشاهد

« ليس أميري بالظَلُومِ الملحد »

ولم أر البيت الأول في ديوانه : وَأَوَّلَهَا :

(ليسَ الإمامُ بالشَّحِيحِ الملحدِ

ولا بوئرٍ بالحجاز مُقَرِّدِ

إن يُرَ بالأرض الفَضاء يُصْطَدِ

وينجِرُ فالجحر شرُّ محكِدِ ^(٣)

وهي أربعة أبيات . اهـ

وكذلك أورد الأبيات القالِيَّ (في أماليه) ولم يورد بيت قدنى . وأورد أبو
عُبَيْدٍ البكرى (في شرح أمالي القالِي) أبياتاً ثلاثة قبلها ، قال : يمدح الحجاج ،
وهي :

(قلت لعنسي وهي عَجُلِي تعتدى

لأنوم حتى تُحْسِرِي وتُلْهِي ^(٤)

(١) ط: « حاول » ، صوابه في ش .

(٢) هو المبارك بن أحمد بن أبي البركات الإربلي ، ولد سنة ٥٦٤ ، وتوفي سنة ٦٣٧ . ومن كتبه
« إثبات المحصل في نسبة أبيات المفصل » . وهو الذي يعنيه البغدادي في مواضع كثيرة .

(٣) ط : « وينجحر » ، صوابه بتقديم الجيم ، كما في ش وكما سيأتي في الشرح .

(٤) سبط اللآلي ٦٤٩ — ٦٥٠ .

أو تَرِدِي حَوْضَ أَبِي مُحَمَّدٍ
ليس الأميرُ بالشحيح المَلْحِدِ)

إلى آخر الأبيات وقال : هذا تعريضٌ بابين الزبير في قوله : « بالشحيح المَلْحِدِ » ، يريد أنه ألحد في الحرم .

[وفي قوله : « ولا بَوَّزَ بالحجاز مُقَرِّدٍ » . والبَّوْزُ ، بفتح الواو وسكون الموحدة وآخره راء مُهملة : دَوِيَّةٌ مثل السَّنَوْر طحلاء اللون ، حسنة العينين لاذتَبَ لها ، تُوجد في البيوت . والمُقَرِّدُ : اللاصق من جَزَع أو ذَلَّ . وقوله : « حتى تُحْسِرِي وتُلْهَدِي » يقال لُهد البعير يُلْهد ، إذا عَضَّ الحِمْلُ غاربه وسنامَه حتى يؤلمه ^(١)] . انتهى .

وقوله : « قلت لعنسي » إلخ ، العنس بفتح العين وسكون النون : الناقة الصُّلبة . وعجَلَى : مؤنث عجَلان . وتعتدِي ، من العدُو . وتحسِرِي : مضارع حَسَرَ بالفتح يحسِر بالكسر حُسورا ، إذا أعبَا . وتُلْهَدِي ، يقال لُهد البعير يُلْهد ، إذا عَضَّ الحِمْلُ غاربه وسنامَه حتى يؤلمه . ولَهْدُ الحمل ، أى أثقله . قال الأصمعي : لَهْدُ القَوْمِ دَوَابَّهُمْ : أجهدوها وأتعبوها .

وقوله : « أو تَرِدِي » إلخ أو بمعنى إلى أو إلَّا . وتَرِدِي ، من الوَرْدُ ، منصوب بحذف النون بأن مضمرة بعد أو . وأبو محمد : كنية الحجاج بن يوسف الثقفي .

وقوله : « ولا بَوَّزَ » إلخ : قال ابن الأثير (في النهاية) : البَوَّزُ بسكون الباء: دَوِيَّةٌ على قدرِ السَّنَوْر غبراء أو بيضاء، حسنة العينين، شديدة الحياء

(١) ما بين المعقفين تكملة من ش ساقطة من ط .

حجازية ، والأنثى وثرة . ويشبه بها تحقيراً . اهـ . وضبطه العيني وتبعه السيوطي (في شرح شواهد المعنى) بفتح الواو وسكون التاء المثناة من فوق وفي آخره نون ، بمعنى واتن . يعنى : ولابدائهم ثابت بأرض الحجاز . ويقال للماء المَعِين الدائم الذى لا يذهب : واتن ، وكذلك بمعناه واتن بالمثلثة . هذا كلامه ، وهذا تحريف منه قطعاً . ومُقَرَّد : اسم فاعل من أقرد بالقاف ، بمعنى ذلّ وخضع . وقال الجوهريّ : أقرد ، أى سكن وتماوت . وروى : «مُقَرَّد» بالفاء على أنه اسم مفعول من أقردته ، إذا عزلته .

وقوله : «إن ير يوماً» إلخ الجملة الشرطية صفة لوبر ، ونائب الفاعل فى «ير» ضمير الوبر . والفضاء بالفاء . ويُصطد بالبناء للمفعول .

وقوله «وينحجر» إلخ قال صاحب الصحاح : النُحْجَر بضم الجيم : واحد النُحْجَرَة والأجحار . وأُجْحَرْتِه ، أى أُلْجَأْتِه إلى أن دخل جحره ، فانحجر . وفاعل ينحجر ضمير الوبر أيضاً . والمحكد ، بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الكاف : الأصل ، ويقال له المَحْكِد أيضاً بكسر المثناة الفوقية .

وحَمِيدُ الأَرْقَط : شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، وهو مُعاصر حميد الأرقط الحجاج . وهو حميد بن مالك بن ربيع بن مُحَاشِن بن قيس بن نَضْلَة بن أَحِيم^(١) بن بهذلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وقيل هو أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهم ربيعة الجوع . وسُمِّي الأَرْقَط لآثار كانت بوجهه . والرُّقَط : النقطة . والرُّقْطَة : سواد يشوبه نقط . والأَرْقَط من الغنم : مثل الأَبْغَث . والأَرْقَط : النمر .

(١) فى الاشتقاق ٢٥٤ بتحقيق كاتبه : « وأما بهذلة فمنهم أحيم وكان شريفاً » .

ولم أر ترجمة حميد هذا (في كتاب الشعراء لابن قتيبة) ، ولا (في المؤتلف والمختلف للآمدى) ولا (في الأغاني) ، فيما يحضرني منه . وإنما نقلت ترجمته من الأنساب ^(١) .

وقيل قائل الشعر المذكور أبو بجلة ^(٢) ، قاله ابن يعيش (في شرح المفصل) . ولا أعرف هذا . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(إذ ذهبَ القَوْمُ الكَرَامُ لَيْسَى)

وأوله :

* عددتُ قومي كعديد الطَّيْسِ *
وتقدَّم الكلام عليه قريباً ^(٣) .

* * *

وأنشد بعده :

(وليس حامِلِنِي إِلَّا ابْنُ حَمَّالٍ)

أوله :

* أَلَا فَتَى من بنى ذبيان يحملني *

وتقدم شرحه في الشاهد الخامس والتسعين بعد المائتين من باب الإضافة ^(٤)

* * *

(١) انظر أيضا سبط اللآلى ٦٤٩ ومعجم الأدباء ١١ : ١٤ .

(٢) ش : « أبو بجلة » ، وأثبت ماق ط . والذي في شرح المفصل « أبو بجدلة » . وقال

اليمنى : « وفي العينى ١ : ٣٥٨ والسيوطى ١٦٦ ونقلوا عن ابن يعيش أنه نسبها لأبى بجدلة » .

(٣) في الشاهد ٣٩٢ من هذا الجزء ص ٣٢٤ .

(٤) الخزائن ٤ : ٢٦٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد الأربعمئة (١) :

٤٠٤ (وكائن بالأباطج من صديق

يرانى لو أُصِيتُ هو المُصَابَا)

على أنّه ربّما وقع ضميرُ الفصل بلفظ الغيبة بعد حاضر ، لقيامه مقام
مضاف غائب ، أى يَرَى مُصَابَى هو المصاب .

بيانه : أنّ هو فصلٌ وقع بعد ضمير الحاضر ، أى المتكلم ، فكان
حقّه فى الظاهر أن يقول : يرانى أنا المصاب ، لأنّ ضمير الفصل يجب أن
يكون وَفْق ما قبله فى الغيبة والخطاب والتكلم ، لأنّ فيه نوعاً من التوكيد ،
تقول : علمت زيدا هو المنطلق ، وعلمتك أنت المنطلق ، وعلمتنى أنا
المنطلق . وحيث يتوجّه عليه سؤالان : أحدهما كيف وقع ضمير الغيبة بعد
ضمير المتكلم ، وحقّ الفصل أن يكون وَفْقاً لما قبله ؟ وثانيهما : أنّ المفعول
الثانى فى باب علم يجب أن يكون موافقاً للمفعول الأول فى الماصدق ، فكيف
يصحّ حمل المصاب الذى هو بمعنى المصيبة على الياء فى يرانى ؟

وأجاب الشارح المحقق عنهما بما ذكره ، وهو أنّ الضمير الحاضر ، وهو
الياء ، قائم مقام المضاف الغائب ، أى يرى مُصَابَى هو المُصَاب . والمعنى
يرى مُصَابَى هو المُصَاب العظيم ، ويسقط بهذا الجواب السؤالان .

ووجه قيام الياء مقام المضاف أنّ مفعول يرى فى الحقيقة هو المضاف
المحذوف ، والياء مضاف إليه ، فلمّا حذف المضاف قام الياء المجرور محلاً مقام

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٦ وابن يعيش ٣ : ١١ / ٤ : ١٣٥ والمقرب ٢٢ وشرح شواهد

الغنى ٢٩٦ والجمع ١ : ٦٨ ، ١٥٦ / ٢ : ٧٦ والأشئوى ٤ : ٨٧ وديوان جرير ١٧ .

ذلك المضاف المنصوب على المفعولية ، فالفصل مطابق للمحذوف لا للقائم مقامه . وإنما وصف المضاف بالغائب لأنه اسم ظاهر ، وهو في حكم الغائب ، ولهذا يعود ضمير الغيبة إليه . والمصاب على هذا مصدر ميمي ، كقولهم : جبر الله مُصابك ، أى مصيبتك . وإنما وصّف المصاب بالعظيم لتحصيل الفائدة . ومثله في حذف الصفة : ﴿الآن جِئْتُ بِالْحَقِّ﴾^(٢) ، أى بالواضح . وإلا لكفروا بمفهوم الظرف ، إذ يكون المعنى : وقبل الآن لم يحىء بالحق ، فيكون إنكاراً لما جاء به أولاً . ويجوز أن لاتقدّر الصفة ، ويكتفى بالفائدة الحاصلة من الحصر . والمعنى: لو أصبت يرى مُصِيتى هى المصيبة ، ولايعدّ غيرها مصيبة ، وذلك من تأكّد صداقته ، لا يكثر بمصيبة غيرى ولا يهتم لها .

ولصحة المعنى هنا لم يقدر الشارح المحقق الصفة . فُلله دَرُه ، مأدق نظره ! وهذا الذى ذكره فى هذا البيت أحد تخريجين لأبى على الفارسي ، ذكرهما (فى إيضاح الشعر) قال : يجوز أن يكون التّقدير فى يرائى : يرى مصابى أى مصيبتى ومانزل لى ، المصاب ، كقولك : أنت أنت ومصيبتى المصيبة . أى ماعداه جَلَلٌ هين ، فيكون هو فصلاً بين المضاف المقدر وبين الظاهر . واقتصر على هذا التخرىج ابن السجى (فى أماليه) ثم قال : ولو أنه قال يراه لو أصبت هو المصابا ، فأعاد الهاء من يراه إلى الصديق ، والمعنى يرى نفسه ، كما جاء فى التنزيل : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾^(٣) — لَسَقَطَ الاعتراض، واستغنى عن تقدير المضاف، وكان المصاب اسم مفعول من قولك :

(١) ط : «وصفنا» ، والوجه ما أثبت من ش .

(٢) الآية ٧١ من البقرة .

(٣) العلق ٦ ، ٧ .

أصيب زيد ، فهو مصاب . ولكن المروى : «يرانى» . انتهى .
أقول : لم يرو الأئحفش (فى كتاب المعاياة) إلا : « يراه لو أصيبت هو
المصابا » بالمشناة التحتىة وضمير الغائب .

وقال ابن هشام (فى المعنى) : ويروى : « يراه » أى يرى نفسه ، و « تراه »
بالخطاب ، ولا إشكال حينئذ ولا تقدير . والمصاب حينئذ اسم مفعول
لامصدر . ولم يطلع على هاتين الروائتين بعضهم فقال : ولو أنه قال يراه ،
لكان حسناً ، أى يرى الصديق نفسه مُصاباً إذا أصبت . اهـ

والتخريج الآخر الذى ذكره أبو على : أن يكون تأكيداً لمستتر فى يرانى
لافصلا . قال : موضع هو رفع لكونه تأكيداً للضمير الذى فى يرانى ، لأنَّ
هو للغائب ، والمفعول الأوّل فى يرانى للمتكلم ، والفصل إنما يكون الأوّل فى
المعنى ، كقوله سبحانه : ﴿ أَنَا أَقَلُّ مِنكَ مَالًا وَلَوْلَدًا ^(١) ﴾ . ألا ترى أن أنا
هو المفعول الأوّل المعبر عنه ببنى . والمعنى يرانى هو المصابا ، أى يرانى لاصداقة
المصاب ، لغلظ مُصِيبَتِي عليه للصدقة ، وليس كالعِدْو أو الأجنبى الذى
لا يُهمُّه ذاك . اهـ

فالمصاب على هذا اسمُ مفعول لا مصدر .

وبقى تخريجُ ثالث نقله ابن هشام عن بعضهم (فى المعنى) ، وهو أن
يجعل هو فصلاً للياء . ووجهه بأنّه لما كان عند صديقه بمنزلة نفسه حتى كانَ
إذا أُصيب كأنَّ صديقه قد أُصيب ؛ فجعل ضمير الصديق بمنزلة ضميره ،
لأنّه نفسه فى المعنى . اهـ

وزعم ابن الحاجب (فى أماليه) أن الرواية : «لو أُصيب هو المصابا»

(١) الاية ٣٩ من الكهف .

وقال : شرط الفصل أن يأتى على طَبَق الخبر ، فكان ينبغي أن يكون أنا ، لأنَّ المصاب مفعول ثان ليرانى ، والمفعول الأوّل الباء وهى للمتكلم ، والمفعول الثانى هو الأوّل فى المعنى ، فكان يجب أن يكون الفاصل على القياس أنا . ووجهه أنه ليس على الفصل ، بل هو تأكيد للضمير المستتر فى يرانى ، أو للضمير فى أصيب . وأمّا إن قُدِّر لو أُصِيبَ لم يستقم المعنى ، إذ تقديره يرانى مصاباً إذا أصابتنى مصيبة . ولا يخبر بمثل ذلك عاقل ، إذ لا يُتَوَهَّم خلافه . اهـ

فالمصاب المذكور عنده اسم مفعول ، لامصدر .

وقد خفىَ هذا على ابن هشام فقال (فى المعنى) بعد نقل كلامه : وعلى ماقدّمناه من تقدير الصفة لايُتَّجِه الاعتراض .

قال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : الصفة التى أشار إليها إنّما قدّرها على جعل المصاب مصدراً لا اسم مفعول ، وكلامُ ابن الحاجب فيما إذا كان المصاب اسم مفعول لامصدراً ، ولذلك جعله مفعولاً ثانياً ليرى ، والمفعول الأوّل هو الباء ، ولولا ذلك لما صحَّ بحسب الظاهر . والاعتراض الذى أشار إليه ابن الحاجب غير متّجه مع الإعراض عن تقدير الصفة ، وذلك لأنَّ مبناه على أن يكون مصاباً اسم مفعول نكرة ، والواقع فى البيت ليس نكرةً ، بل هو معرّف بأل ، والخصر مستفاد من التركيب كقولك : زيد هو الفاضل لاغيره . وكذا المعنى فى البيت ، أى لو أُصِيبَ رآنى المصاب ، بمعنى أنه لا يرى المصاب إلا إياى دون غيرى ، كأنه لعظم مكانه عنده وشدة صداقته له ، تتلاشى عنده مصائبُ غير صديقه ، فلا يرى غيره مصاباً ، ولا يرى المصاب إلا إياه ؛ مبالغة . فالمعنى صحيح متجه كما رأيت ، بدون تقدير صفة . اهـ

وقوله (لو أُصِيبْتُ) جملة معترضة بين مفعولٍ يرى ، وجواب لو محذوف يدلُّ عليه ما قبله . ويرافى بمعنى يعلمنى ، وفاعله ضمير صديق ، والجملة خبر كائن . و(بالأباطح) كان فى الأصل صفة لصديق ، فلما قُدِّم عليه صار حالاً منه . و(من صديق) تمييز لكائن ، وتمييزها مجرورٌ بمن فى الغالب . و(كائن) هنا خبرية لإفادة التأكيد ككم الخبرية . ورواه الأخفش (فى المعاينة) :

* وكَم لى فى الأباطح من صديق (١) *

وأورده الزجاج (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿وَكَائِنَ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ (٢) . قال : وكائن على وزن فاعل ، وأكثر ماجاء الشعرُ على هذه اللغة . ثم أنشد هذا البيت مع أبيات أخر .

و(الأباطح) : جمع أبطح ، وهو مسيلٌ واسعٌ للماء فيه دُقاق الحصى .

وهذا البيت من قصيدة لجريز بن الخطمى ، مدح بها الحجاج بن صاحب الـ يوسف الثقفى . وبعده :

(وَمَسْرُورٍ بِأَوْتِنَا إِلَيْهِ وَآخِرَ لَايْحُبُّ لَنَا إِبَابَا)

ومنها :

(إِذَا سَعَرَ الْخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ)

(رَأَى الْحَجَّاجَ أَثَقَبَهَا شَهَابَا)

(١) الكلام التالى لهذا الشطر إلى « بأوتينا إليه » فى س ١٤ ساقط من ط . وإثباته من ش .

(٢) الآية ١٤٦ من آل عمران . وهى قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبى عمرو .

ومطلع القصيدة :

(سُمْتُ مِنَ الْمَوَاصِلَةِ الْعَتَايَا

٤٥٧

وَأَمْسَى الشَّيْبُ قَدْ وَرِثَ الشَّبَابَا)

ومعنى وراثته الشيب الشبابَ حلوله محله ، فإنَّ الوارث يحل محلَّ الموروث .

وترجمة جرير قد تقدَّمت في الشاهد الرابع من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد الأربعمئة (٢) :

٤٠٥ (هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْحَزَائِقُ)

تمامه :

(وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ)

على أنه قد يخبر عن ضمير الأمر المستبهم تقديراً بالمفرد ، كما أخبر بالبين هنا عن هو ، كأنه قيل : أَيْ شَيْءٌ وَقَعَ مِنَ الْمَصَائِبِ ؟ فقال : هو البين .

وقوله : (حَتَّى مَا تَأْتِي) مبنًى على ما يفهم من استعظام أمر البين المستفاد من الضمير ، أَيْ ارْتَقَى أَمْرُ الْبَيْنِ فِي الصُّعُوبَةِ حَتَّى لَا تَأْتِيَ جَمَاعَاتُ الْإِبِلِ أَيْضاً .

وفي هذا ردٌّ على الواحدى في زعمه أنَّ هذا الضمير من قبيل مافسّر بجملة . وهذه عبارته : هو كناية عن البين ، يسمُّون ما كان من مثل هذا الإضممار على شريطة التفسير ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

(١) الخزائن ١ : ٧٥ .

(٢) ديوان المتنبي ١ : ٤٥١ شرح العكبرى .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾^(١) ، وقول الشاعر :

« هِيَ النَّفْسُ مَاحِلَتَهَا تَتَحَمَّلُ »

ومثله كثير . اهـ

وقال المبارك بن المستوفى (فى النظام) : قال أبو القاسم عبد الواحد بن على : يقول : الحقُّ والشأن هو الفرق لا الاجتماع ، كأنه نظر فيه إلى قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾^(٢) ، فقدم الموت لأنَّ الانتهاء إليه ، والأمور بخواتمها . وهذا تفسيرٌ بعيدٌ من معنى البيت ، وتقدير ضمير الشأن بما قدَّره به يغاير ماقدَّره النحويون . اهـ .

و(تأنى) أصله تتأنى بتأين ، مضارع من التأنى ، وهو التلبث .
و(الحزائق) : جمع حَزِيقٍ بالخاء المهملة والزاي المعجمة ، قال صاحب القاموس : الحزيق والحزيقة والحزاقة : الجماعة ، والجمع الحزائق . والظاهر أنه بمعنى الجماعة مطلقاً لا بمعنى جماعة الإبل ، كما صرح به الشارح . ويدلُّ لما قلنا كلامُ شُرَّاحه . قال ابن جنى : تأنى : تَمَكَّثَ . والحزائق : جمع حَزِيقٍ ، وهو الجماعة . وقال أبو اليُمن الكِنْدِىّ : أى هذا الذى تشتكيه هو البين ، حتى لأمكثَ للجماعات فى التفرُّق ، بل لها إسراعٌ وعجلة . ثم التفتَ إلى خطاب قلبه ، أى أنت أيضاً مع علقتك فى الموجبة لقربك أنت مفارق .
و(حتى) فى الموضعين ابتدائية . وأشار إليه ابن جنى بقوله : معناه يفارقنى كلُّ أحدٍ حتى أنت مفارقى ، كما قال الفرزدق :

(١) سورة الحج ٤٦ .

(٢) الآية الثانية من سورة الملك .

* فياعجبا حتى كليبٌ تسبُّنى ^(١) *

أى يسبُّنى كل أحد حتى كليبٌ تسبُّنى .

قال ابن هشام (في المغنى) : حتى الابتدائية حرفٌ يبدأ بعده الجمل ،
أى يُستأنف . فيدخل على الجملة الاسمية والفعلية ، قال الفرزدق :
* فياعجبا حتى كليبٌ تسبُّنى *

ولابد من تقدير محذوف قبل حتى من هذا البيت يكون مابعد حتى
غاية له ، أى فواعجبا يسبُّنى الناس حتى كليبٌ تسبُّنى . اهـ

قال الواحدى : ومعنى البيت : هو البين الذى فرَّق كلَّ شيء ، حتى
لايتمهل ولا يتأنى الجماعات أن يتفرقوا إذا جرى حكم البين فيهم . ثم
خاطب قلبه : وأنت أيضاً على مالك من علائق القرب من أفاقه . يعنى :
الأحبة ، إذا فارقتنى ذهب القلب معهم ، ففارقتنى وفارقتهم . اهـ

وهذا البيت مطلع قصيدة لأبى الطيّب المتنبى ، مدح بها الحسين بن
صاحب الشاهد
إسحاق التتوخى . ٤٥٨

وترجمة المتنبى تقدّمت فى الشاهد الواحد والأربعين بعد المائة ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد الأربعمائة ، وهو من شواهد
المفصل ^(٣) :

(١) من شواهد سيبويه ١ : ٤١٣ والخزانة ٤ : ١٤١ بولاق . وصدره فى ديوانه ٥١٨ :

° فياعجبا حتى كليب تسبني °

(٢) الخزانة ٢ : ٣٤٧ — ٣٦٣ .

(٣) ابن يعيش ٣ : ١١٧ . وانظر الخصائص ٢ : ١٧٠ وشرح شواهد المغنى ١٤٤ وديوان الهذليين

٢ : ١٥٨ .

٤٠٦ (على أنّها تعفو الكلوم وإنّما
توكّل بالأدنى وإنّ جلّ مايمضى ^(١)
على أنّ الضمير في (أنّها) ضمير القصّة .

في التسهيل وشرحه لابن عقيل : وإفراذه لازم ، لأنّ مفسّره مضمون
الجملة . وهو مفرد . وكذا تذكيره . والمنقول عن البصريين جواز التانيث لإرادة
القصّة ، وعن الكوفيين المنع ما لم يله مؤنث ، نحو : إنّها جاريتك ذاهبتان ،
وإنّما نساؤك ذاهبات ، أو مذكر شبّه به مؤنث ، نحو : إنّها قمرّ جاريتك ، أو
فعلٌ بعلامة تانيث ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ ﴾ فيرجّح تانيثه
باعتبار القصّة على تذكيره باعتبار الشأن . فيجوز في هذه المسائل الثلاث :
التذكير والتانيث ، لكن الراجح التانيث ؛ لأنّ فيه مشاكلة تحسّن اللفظ ولا
يختلف المعنى بذلك ، إذ القصّة والشأن بمعنى واحد . اهـ

و(تعفو) هنا فعل لازم بمعنى تدّرس وتبرأ . و(الكلوم) فاعله ، جمع
كَلَم ، وهو الجرح والخزّة ، والجملة خبر ضمير الشأن . ولم يحتاج إلى رابط
لأنّها نفس المبتدأ في المعنى . اهـ

والبيت من أبيات لأبي خراش الهذلي ، أوردها السكّري (في أشعار صاحب الشاهد
الهذليين) ؛ وكذلك المبرد (في الكامل) ، وأبو تمام في أول باب المراثي (من
الحماسة) . وكذلك الأصبهاني أوردها (في الأغاني) ، والقالبي (في
أماليه) ، وهي :

(١) ط : «توكّل» ش : «يوكّل» . والأخيرة رواية أجازها البغدادي في تفسيره التالي . والرواية
الغالبية بالنون كما أثبت من الديوان والأغاني ٣١ : ٤٣ والقالبي ١ : ٢٧١ والكامل ٣٣٧ . وهو الذي لا
يتعارض مع نص البغدادي .

أبيات الشاهد

(حَمِدْتُ إلهي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا
خِرَاشٌ ، وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فَوَاللَّهِ مَا أُنْسَى قَتِيلًا رُزْنَتُهُ
بِجَانِبِ قَوْسَى مَامَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكَلُومَ وَإِنَّمَا
تُوكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي^(١)
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِذَاءَهُ
عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضٍ
وَلَمْ يَكْ مَثْلُوجَ الْفَوَادِ مَهَبَّجًا
أَضَاعَ الشَّبَابَ فِي الرِّبِيلَةِ وَالْخَفْضِ^(٢)
وَلَكِنَّهُ قَدْ نَازَعْتَهُ مَجَاوِعُ
عَلَى أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ النَّهْضِ)

عُرْوَةٌ : أَخُو أَيْ خِرَاشٌ ، وَخِرَاشٌ : ابْنُهُ . وَأَخْطَأُ بَعْضَ فَضْلَاءِ الْعَجَمِ
(فِي شَرْحِ أَبِياتِ الْمَفْصَلِ) ، وَتَبِعَهُ شَارِحُ أَبِياتِ الْمَوْشَحِ ، فِي زَعْمِهِ أَنَّ عُرْوَةَ
ابْنُ الشَّاعِرِ .

وِخِرَاشٌ بِالرَّاءِ لَا بِالذَّالِ .

أبو خراش الهذلي

وَأَبُو خِرَاشٍ اسْمُهُ نُحْوَيْلِدُ بْنُ مُرَّةٍ ، وَتَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الشَّاهِدِ الثَّانِي
وَالسَّبْعِينَ^(٣) . وَكَانَ لِأَبِي خِرَاشٍ تِسْعَةُ إِخْوَةٍ ، مِنْهُمْ عُرْوَةُ بْنُ مُرَّةٍ ، وَزُهَيْرُ بْنُ
مُرَّةٍ

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) ط : « مَهَبَّجًا » بِالْيَاءِ ، صَوَابُهُ بِالْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ كَمَا فِي ش وَسَائِرِ الْمَرَاجِعِ .

(٣) الخزنة ١ : ٤٤٣ .

قال المبرد (في الكامل) : جاور عروة بن مرة أخو أبي خراش الهذلي
ثمالة من الأزد^(١) فجلس يوماً بفناء بيته آمناً لا يخاف شيئاً ، فاستدبره رجل
منهم بسهم فقصم صلبه ، ففى ذلك يقول أبو خراش :

لعنَ الإلهَ وجوهَ قومٍ رُضِعَ
غَدروا بعروةَ من بنى بَلالٍ

وَأَسْرَتِ ثَمَالَةُ خِرَاشَ بْنَ أَبِي خِرَاشٍ ، فَكَانَ فِيهِمْ مَقِيمًا ، فَدَعَا آسِرُهُ
رَجُلًا مِنْهُمْ لِلْمُنَادِمَةِ ، فَرَأَى ابْنَ أَبِي خِرَاشٍ مُوثِقًا فِي الْقَيْدِ^(٢) فَأَمَهَلَ حَتَّى قَامَ
الْأَسْرَ لِحَاجَةٍ ، فَقَالَ الْمَدْعُو لَابْنَ أَبِي خِرَاشٍ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا ابْنُ أَبِي
خِرَاشٍ . فَقَالَ : كَيْفَ دَلِيلَاكَ ؟ قَالَ : قِطَاةٌ . قَالَ : فَقُمْ فَاجْلِسْ وَرَأَى .
وَأَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ ، وَرَجَعَ صَاحِبُهُ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَصْلَتَ لَهُ السِّيفَ ، فَقَالَ :
أَسِيرِي ! فَفُتِرَ الْحَجِيرُ كِنَانَتَهُ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَرْمِيَنَّكَ إِنْ رُمْتَهُ ؛ فَإِنِّي قَدْ أَجْرْتُهُ !
فَحَلَّى عَنْهُ ، فَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَجَارَكَ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُهُ . فَقَالَ ٤٥٩
أَبُو خِرَاشٍ :

* حَمِدْتَ إلهي بعد عروة إذ نَجَا * الأبيات

وَتَزَعَمُ الرُّوَاةُ أَنَّهَا لَا تَعْرِفُ رَجُلًا مَدَحَ مِنْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ أَبِي خِرَاشٍ .
وَقَوْلُهُ : «وَجَوْهَ قَوْمٍ رُضِعَ» هُوَ جَمَاعَةٌ رَاضِعٌ ، وَقَوْمٌ يَقُولُونَ : هُوَ تَوْكِيدٌ لِلتَّيْمِ

(١) ط : «ابن الأزد» ، صوابه في ش والكامل ٣٣٧ . وهو ثمالة بن أسلم بن كعب بن الحارث
بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، كما في جمهرة ابن حزم ٣٧٧ .
(٢) القيد ، بالكسر : سُيُورٌ تَقْدَمُ مِنْ جِلْدِ فَطِيرٍ غَيْرِ مَدْبُوعٍ فَتَشَدُّ بِهَا الْأَقْتَابُ وَالْحَمَالُ وَنَحْوُهَا .
ط : (القيد) صوابه في ش والكامل .

كما يقولون : جائع نائع ^(١). وقوم يقولون : الراضع : الذى يرتضع من الضرع
لئلا يسمع الضيف والجار الحلب منه ^(٢). وقوله : كيف دليلاك ، فهو كثرة
الدلالة . والفعل يلى إنما تستعمل فى الكثرة . اهـ

وقال صاحب الأغاني : خرج زهير بن مروة ، أخو أبى خراش ، معتمراً
حتى ورد ذات الأقير من نَعْمَان ^(٣) ، فبينما هو يسقى إبلاً له إذ ورد عليه قوم
من ثَمَالَة . فقتلوه ، فغزاهم أبو خراش وقتل منهم أهل دارين ، أى جَلتين ، من
ثَمَالَة . ثم إن عروة وخراشاً خرجا مُغِيرِينَ على بطنيين من ثَمَالَة ، يقال لهما : بنو
رِزَام وبنو بَلَال — بتشديد اللام الأولى — فظَفَرَ بهما الثماليون ، فأما بنو رزام
فَنَهَوْا عن قتلهم ، وأبى بنو بلال عن قتلهم ، حتى كاد يكون بينهم شرٌّ ،
فألقي رجلٌ منهم ثوبه على خراش حين شُغِلَ القوم بقتل عروة ثم قال : انجُ .
وانحرف القوم بعد قتلهم عروة إلى الرجل وكانوا أسلموه إليه ^(٤) فقالوا : أين
خراش ؟ فقال : أفلت منى فذهب . فسعى القوم فى أثره فأعجزهم ، فقال
أبو خراش فى ذلك يَرْتِي أخاه عروة ويذكر خلاص ابنه خراش :

حمدتُ إلهى بعد عروة إذ نجا الأبيات اهـ

وذكر التبريزى (فى شرح الحماسة) بعد نقل هذين القولين عن المبرد
أيضاً ، أن مُلْقَى الرِّدَاءِ كان مجتازاً بعروة ، فرآه بادية العورة مصروعاً ،

(١) بعده فى الكامل : «وحسن بسن ، وعطشان نطشان ، وأجمع أكنع » .

(٢) الكامل : « لئلا يسمع الضيف أو الجار صوت الحلب فيطلب منه » .

(٣) فى النسختين : « ذات الأقير » بالباء ، صوابه بالياء مع هيئة التصغير ، كما فى معجم البلدان
« الأقير » .

(٤) فى الأغاني ٢١ : ٤٣ : « وكانوا أسلموه اليه » .

ففعّل به ذلك . قال التبريزي : قد رُوي فيما حُكي عن الأصمعي وأبي عبدة
أنهما قالا : لانعرف من مدح من لايعرفه غير أبي خراش .

وقد سلك من شعراء الإسلام مسلكه أبو نواس ، في أبيات أولها :
ودارٍ ندّامى عطّلوها وأدجلوا بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارسُ
مَساحِبُ من جرّ الرِّقاق على الثرى وأضغاثُ رِجَاحٍ جَنىٌ ويابسُ
ولم أدِر من هم غيرَ ماشهدتْ لهم بشرقُ ساباط الديار البساسُ

وقوله : « حدث إلهي بعد عروة » إلخ قال ابن جنى (في إعراب
الحماسة) : إذ بدل من بعد عروة ، والمعنى : أشكر الله بعد ما اتفق من قتل
عروة على تخلّص خراش ، وبعض الشرّ أخف من البعض ، كأنه تصوّر قتلها
جميعاً لو اتفق ، فرأى قتل أحدهما أهون .

قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) وأخذه التبريزي (في شرحها) :
فإن قيل : ليس في الشرّ هين ، وأفعل هذا يستعمل في مشتركين في صفة (١)
زاد أحدهما على الآخر ، فكيف يجوز هذا ولا هين في الشرّ ؟ وجوابه أنّ هذا
كلامٌ محمول على معناه دون لفظه ، وذلك أنه إن كان هناك حالٌ تهوّن الشرّ
من صبرٍ عليه أو احتساب ، أو طلب ذكر أو ثواب ، فإنه أيضاً مراتبٌ ،
وليس بجاري على سنن واحد .

وقال التبريزي : قلت (٢) : إنّ للشرّ مراتب ، فإذا جئت إلى آحادها

(١) ط : « وأفعل هذا في مشتركين يستعمل في صفة » ، صوابه في ش كما هو في شرح الحماسة
للتبريزي ٢ : ٢٨٢ . وفي إعراب الحماسة الورقة ١١٠ : « إنما يقال هذا أفعل من هذا في الصفة يشترك فيها
الموصوفان ثم يزيد فيها أحدهما على صاحبه » . والنص هنا بعده مطابق لنص ابن جنى في
إعراب الحماسة .

(٢) في النسختين : « قال » ، والوجه ما أثبت من شرح التبريزي .

وقد تصوّرتَ جملها ورُتّبَ الآحادِ فيها ، وجدتَ كلّ نوعٍ منها بمضامّته للغير له حالٌ في الخفة والثقل . وإذا كان كذلك فلا يمنع أن يوصّف منه شيء بأنّه أهونٌ من غيره .

٤٦٠

وقوله : « فوالله ما أنسى » إلخ رواه القارى ^(١) : « فوالله لا أنسى » .

وقوسى بالقاف والقصر ، قال المبرد (في الكامل) : هو بلدٌ تحلّه ثمانية بالسّراة : وقال القالى (في المقصور والممدود) وتبعه أبو عبيدة (في معجم مااستعجم) : هو موضعٌ ببلاد هُذيل ، وفيه قتل عروة . وأنشد هذا البيت .
وهذا خلاف الصواب .

وأخطأ أبو عبيدة في قوله : عروة أخو أبى كبير . وقال أبو عبيد أيضاً (في شرح أملى القالى) : إن قوسى رواه أبو على القالى بفتح القاف ، وغيره يأتى إلّا ضمّها . وقال (في معجم مااستعجم) : بفتح أوله وضمه معا .

وقال ياقوت (في معجم البلدان) : إن قوسى بفتح القاف وسكون الواو وسين مهملة ثم ألف مقصورة ، تكتب ياء : بلد بالسّراة ، وبه قتل عروة أخو أبى خراش الهذلى .

ورزئته بالبناء للمفعول ، أى أصبت به . قال المرزوقى وتبعه التبريزى : تعلق الباء من قوله بجانب بقتيلاً ، كأنه قال : ما أنسى قتيلاً على الأرض بجانب قوسى رزئته ، ورزئته وبجانب جميعاً صفة للقتيل ، وقد دخله بعض الاختصاص بذكرهما . اهـ . فأراد بالتعلّق التعلّق المعنوى ، وهو كونه صفة كما صرّح به فى آخر الكلام .

(١) انظر ماسبق فى حواشى الجزء الأول من الخزانة ص ٢٧٥ . وللقارى هذا شرح على ديوان

الهذليين .

وقد غفل عنه الدماميني (في الحاشية الهندية) فقال : قال المرزوقي في الباء من قوله بجانب : يتعلّق بقتيلا . الظاهر أنه لايعنى قتيلا المذكور ؛ لأنّ وصفه مانع من إعماله ، وإنّما يعنى قتيلاً محذوفا . أى رزئته حالة كونه قتيلاً بجانب قوسى . هذا كلامه .

وقوله : « مامشيئ على الأرض » قال ابن جنى (في إعراب الحماسة) ، وأخذه التبريزى : مامع الفعل في تقدير مصدر ، وحذف اسم الزمان معه ، كأنه قال : مدّة مشيى على الأرض ، وإن أمش على الأرض . وفي الكلام نيّة الشرط والجزاء ، كأنه : قال لأنسى قتيلا رزئته إن مشيت على الأرض . ومعناه إن بقيت حياً . فلذلك وقع الماضى فيه في موضع المستقبل ، لأنّ مامشيت على الأرض في موضع مأمشى على الأرض .

وقوله : (على أنها تعفو الكلوم) إنلخ قال التبريزى : هذا يجرى مجرى الاعتذار منه ، والاستدراك على نفسه فيما أطلقه من قوله : لأنسى قتيلا رزئته . والضمير للقصة ، وخبر إنّ الجملة بعدها . ولو قال على أنه لجاز ، وكان الضمير للشأن . ويعنى بالكلم الحزّة عند ابتداء الفجعة . اهـ
(وتعفو) : تتمحى وتذهب وتبرأ ، من عفا المنزل يعفو عفواً وعُفواً وعَفَاءً بالفتح والمد ، بمعنى درس وانمحى . ويأتى متعدّياً ، يقال عفّته الريح بمعنى مَحّته . وليس بمراءٍ هنا .

وقوله : (نوكل^(١)) بالبناء للمفعول ، يروى بالنون وبالمشناة التحتية ، من وكّلته بأمر كذا توكيلا ، إذا فوّضته إليه ، أى الزمّته به إلزاما . والأدنى : الأقرب ، أى الرزى الأقرب . قال القارى^(٢) : يقول : إنّما نحزن على الأقرب

(١) انظر ماسبق في حواشى ٤٠٥ .

(٢) ش : «القالى» مع أثر تغيير . وانظر الحاشية السابقة في ٤١٠ .

فالأقرب ، وَمَنْ مضى نسيناه ولو عظم ماضى . ومثله :

حادثُ مأمِنِي يَعُولُكُ والـ أقدمُ تنسأهُ وإنْ هُوَ جَلَّ (١)

انتهى .

قال أبو عُبيد البكرى (٢) (في شرح أمالي القالى) : قال الأصمعى :
هذا بيت حكمة (٣) .

وقد أَلَمَّ بهذا البيت أبو بكر بن دريد من قصيدة أُردها القالى فى ذيل
أماليه :

بلى ، غير أنَّ القلبَ ينكوهُ الأسى الـ حُلُمٌ وإنْ جَلَّ الجوى المتقدِّمُ (٤)

وضدَّ هذا قول هشام فى أخويه : أوفى ، وغيلان ذى الرمة :

٤٦١

تَعَزَّيْتُ عن أوفى بَعِيلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفُنُ العَيْنِ مَلَّانَ مُتَرَعِّ

ولم يُنْسِنِي أوفى المصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكَاءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أَوْجَعُ (٥)

قال التبريزى : موضع (٦) (على أنها) نصبٌ على الحال ، والعامل فيه

مأأنسى . وهذا كما تقول: ما أترك حقَّ فلان على ظُلُوعِ لى ، كأنَّ التقدير :

(١) ش : « حادث ما يثنى بعولك » . ومنى ، أى قُدِّر . بعولك : يغلبك ويثقل عليك ويهزمك .

(٢) سمط اللآلء ٦٠١ .

(٣) فى النسختين : « أبو بكر » فقط ، والتصحيح للشنقيطى فى المخطوطة .

(٤) فى النسختين : « ينكوه الأسى » ، صوابه من ذيل أمالي القالى ٣ : ١٢ .

(٥) ط : « ولكن نكاء » ش : « ولكن نكا » ، كلاهما محرف .

(٦) ط : « قال التبريزى فى موضع » .

أؤديه ظالعا . فعلى هذا يحىء : ماأنسى قتيلا رُزئته على عفاء الكلوم ، أى أذكرو عافياً جُرحى كسائر الجراح ^(١). اهـ

قال ابن الحاجب (فى أماليه على أبيات المفصل) : إن «على» هذه تقع فى شعر العرب وكلامهم كثيراً ، والمعنى فيها استدراك وإضراب عن الأول . ألا ترى أنك إذا قلت لايدخل فلان الجنة لسوء صنيعه ، على أنه لايبأس من رحمة الله ، كان استدراكاً لما تقدّم وإضراباً عن تحقيقه . وكذلك قوله فى البيت الذى قبله :

« فوالله ماأنسى قتيلا رُزئته » البيت

ثم قال : على أنها تعفو الكلوم . لأنّ المعنى : على أن العادة نسيان المصائب إذا تطاولت ، والحرز ^(٢) على ماكان من المصاب قريب العهد . وهذا إضراب واستدراك لما تقدّم من قوله:أنسى . وكذلك قوله ، وهو أيضاً فى الحماسة :

وقد زعموا أنّ المحبّ إذا دنا
يُملّ وأنّ النأى يشفى من الوجد ^(٣)
بكلّ تداوينا فلم يُشَفْ ما بنا
على أنّ قرب الدار خير من البعد
على أنّ قرب الدار ليس بنافع
إذا كان من تهوّه ليس بذى وِدّ

(١) الذى فى التبريزى : « عافيا كلى كسائر الكلام » . والكم : الجرح .

(٢) ط : « والجزاء » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) من الحماسيه ٥٠٣ بشرح المرزوق ص ١٢٩٩ . وهى لابن الدُّمينة :

فقلوه : « بكّل تدأونا فلم يشف مابنا » ثم قال « على أن قرب الدار خير من البعد » كالإضراب عن الأول ، لأن المعنى : فلم يحصل لنا شفاء أصلا ، وإذا كان قرب الدار خيراً في المعنى المراد ، ففيه شفاء أو بعض شفاء أصلا . وكذلك قوله : « على أن قرب الدار خير من البعد » ، فاستدرك أنه لا يكون خيراً إلا مع الود ، فأبطل العموم المتقدم في قوله قرب الدار خير من البعد . هذا معناها ، وأما تعلقها على الوجه الإعرابي فيحتمل أمرين : أحدهما أن تتعلق بالفعل المتقدم قبلها كما تعلق حاشا الاستثنائية بما قبلها لكونها أوصلت معنى ما قبلها إلى ما بعدها على وجه الإضراب والإخراج . وأظهر منه أن يقال إنها في موضع خبر محذوف ^(١) ، كأنه قيل : والتحقيق على أن الأمر كذا . فتعلقها بمحذوف كما يتعلق كل خبر جارٍ ومجرور ، لأن الجملة الأولى وقعت عن غير تحقيق ، ثم جرى بما هو التحقيق فيها . وحذف المبتدأ لوضوح المعنى . اهـ

وقد لخص ابن هشام (في المغني) هذا الكلام في على . والعجب من ابن هشام فإنه ذكر (في شرح شواهد) مقاله التبريزي من كون على أنها تعفو حال وعامله لأنسى ، وغفل عن كلام المغني هذا .

والذي رواه أبو بكر القاري (في أشعار الهذليين) ، والمبرد (في الكامل) ، وأبو على القالي (في أماليه) ، وابن جني (في المحتسب) : « بلى ^(٢) إنها تعفو الكلوم وإنما » .

(١) كذا في النسختين ، أي خبر مبتدأ محذوف .

(٢) ط : « لتعلقها » ، صوابه في ش .

(٣) هو أحمد بن محمد بن عاصم الحلواني القاري ، تميز المبرد والسكري . وتوفي سنة ٣٣٣

كما في تاريخ بغداد ٥ : ٧٦ . وانظر فهرست ابن النديم ١١٩ وإنباه الرواة ١ : ٩٨ ومعجم الأدباء ٤ :

١٨٧ .

(٤) ط : « على » ، صوابه ما أثبت من ش ، وهو الثابت فيما ذكر من المراجع .

قال أبو عبيد البكري (فيما كتبه على أمانى القالى) : هذا رجوعٌ من قوله الأوّل إلى ما هو أصحّ .

وقال ابن جنى عند توجيه قراءة الأعرج وغيره : ﴿ يا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ ﴾ ^(١) من سورة يس ، ساكنة الهاء : قالوا فى تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤْخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ ^(٢) : هو كقولك : لا والله ، وبلى والله ، فأين سرعة اللفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من الثبوت فيه والإشباع له ، والمماثلة عليه ^(٣) من قول الهذلى : .

٤٦٢

« فوالله لأنسى قتيلاً رزئته » البيت

أفلا ترى إلى تَطْعَمُكَ ^(٤) هذه اللفظة فى النطق هنا بها ، وتمطّيك لإشباع معنى القسم عليها . وكذلك أيضاً قد ترى إلى إطالة الصوت بقوله من بعده :

بلى إنَّها تعفو الكلوم البيت .

أفلا تراه لمّا أكذب نفسه وتدارك ما كان أفرط فيه لفظه ، أطال الإقامة على قوله بلى ، رجوعاً إلى الحق عنده ، وانتكاثاً عما كان عقد عليه يمينه . فأين قوله هنا فوالله ، وقوله بلى ، منهما فى قوله : لا والله وبلى والله . وعليه قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ ^(٥) ، أى وكذمتوها وحققتموها . انتهى كلامه .

(١) الآية ٣٠ من سور يس . وانظر المختص ٢ : ٢٠٨ .

(٢) البقرة ٢٢٥ والمائدة ٨٩ .

(٣) عليه ، ساقطة من ش .

(٤) تطعمك الكلام : تذوقه . ش « تطعمك » ومأثبت من ط يطابق ما فى المختص .

(٥) المائدة ٨٩ .

وقوله : « ولم أدرِ مَنْ ألقى عليه رداءه » إلخ ، قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : مَنْ هنا استفهام ، وخبرها ألقى . ويجوز أن تكون موصولة فتكون منصوبة الموضع بأدرى على حدّ قولك : ما ذريت به ، ثم تحذف حرف الجر ^(١) . ولا يحسن أن تكون نكرة وألقى صفة لها ؛ لأنه يصير المعنى لم أدر إنساناً ألقى عليه رداءه ^(٢) ، وهذا ربما أوهم أنه لم يلقى أحدٌ منهم رداءه . والأمرُ بضدّ ذلك . اهـ

وقوله : « على أنّه قد سئل » قال التبريزى : موضع على نصبٌ على الحال كأنّه قال : لا أدريه مسلّولاً عن ماجد محض . وروى فى الحماسة : « سيوى أنّه » وهو استثناءٌ منقطع ، والمعنى لأعرف اسمه ونسبه ، لكنّه ولدٌ كريم بما ظهر من فعله .

قال القارى : لما صُرِعَ خِرَاشٌ ألقى عليه رجلٌ ثيابه فواراه ، وشُغِلوا بقتل عروة فنجا خِرَاشٌ . والرجل الذى ألقى عليه ثوبه من أزد شَنُوءة ، فقال : لأدري مَنْ ألقى عليه ثيابه ولكنّه سئل عن ماجدٍ مَحْضٍ ، يعنى الرداء . والماجد المحض ، أى خالص النسب ، هو الذى ألقى عليه ثوبه . اهـ

فالمسلول على هذا هو الرداء ، لا الولد كما قال التبريزى .

وقال أبو عبيد البكرى (فيما كتبه على أمانى القالى) : فى هذا البيت ثلاثة أقوال : قال قوم : إنّ عروة لما قُتِلَ ألقى عليه رداءه رجلٌ من القوم فكفّنه به . وقال آخرون : بل الذى ألقى عليه الرجل هو خِرَاش ^(٣) . وذلك

(١) بعده فى إعراب الحماسة ١١١ : « فيقضى الفعل إليه فينصبه » .

(٢) ط فقط : « رداء » ، بدون هاء .

(٣) فى اللآلى ٦٠١ : « بل الذى ألقى عليه الرجل رداءه هو خِرَاش » .

أَنَّ رجلاً من ثُمالة ألقى عليه رداءه لِيَحْفَى عليهم ، وقد شُغل القوم بقتل عروة فقال : اهْرُبْ . وعطف القوم عليه فلم يروه . وقيل : بل ألقى رجلٌ عَلَى خراش رداءه لإجارةً له ؛ وكذلك كانوا يفعلون .

وهذا مثل قول بعضهم ^(١) يذكر رجلاً من عليه :

ولمَّا رأيت أَنَّهُ مُتَعَبِّطٌ

دعوتُ بنى بدر وألحفته بُردِي ^(٢)

انتهى .

وقد تقدّم هذا الأخير عن المبرد .

وقوله : « ولم يك مثلولج الفؤاد » إنخ قال القارى : أى لم يكن مثلولج الفؤاد ضعيفه ، أى بارد الفؤاد . والمثلولج : البارد . يقال للرجل إذا لم يكن ذا رأى وحزم : ما أبرد فؤاده وما أخلاه ! من ذاك . وقال التبريزى : كأنه أصاب فؤاده ثلج فبردت حرارته . والمهيج ، بفتح الموحدة المشددة بعدها جيم ، قال القارى : هو المثقل الكثير اللحم المنتفخ الوجه . وقال التبريزى : هو المرهل اللحم المتغير اللون . والرَّيْبِلَة ، بفتح الراء المهملة بعدها موحدة ، قال القارى : يقال إنها النعمة والخصب . وإنه لرَيْبِلُ اللَّحْمِ ، إذا كان رطب اللحم . وليس عندى كما قالوا ، لِيَبَيْتِ سمعته ، وهو :

(١) هو البهق الهذلى ، كما فى الآلىء . وانظر شرح أشعار الهذليين للسكرى ٧٥٤ .

(٢) المتعبط : المقتول على غير علة . وفى النسختين : « متغيظ » صوابه فى الآلى وشرح أشعار الهذليين . ورواية عجزه فى أشعار الهذليين :

* دعوت بنى زيد وألحفته جردى *

وقال : بنو زيد من هذيل . وقال أيضا : والجُرْدُ : الثوب الخلق .

رَبَّلْنَا عَلَى الْأَعْدَا لِنَبْتَغِيَ الْبَوَا

وَلَا مَنْ وَرَّزْنَا يُسْتَقَادُ وَتِيرُ (١)

فَالرَّبِيلَةُ : الكثرة والشدة . يقال رَبل بنو فلان إذا كثروا . والوتير : الموتور . والبواء : أن يُقتل الرجل بالرجل . اهـ

وقال التبريزي : الرَبِيلَةُ : الرطوبة والسَّمَن . يقال رجل رَبلٌ . ومعنى الشعر أنه رجع إلى صفة عروة فقال : كان ذكياً الفؤاد شهماً ، لم يكن ممن ضيَّع شبابه في صلاح البدن . وهذا أولى ، لشيئين : أحدهما قوله ولم يك ، لأنّه يدلُّ ظاهره على أنّه نعت فائتٍ . والآخر وصفه بأوصاف لا يُوصف بها من لا يعرف . ولا يعدل عن هذا الوجه ، وإن كان قد ذكر أنّه (٢) من صفات الذي أنجى خراشاً . اهـ

وَالْحَفْضُ : الدعة والراحة .

وقوله : « وَلَكِنَّهُ قَدْ نازَعْتَهُ » إلخ قال التبريزي : ويروى « وَلَكِنَّهُ قَدْ لَوَّحْتَهُ مَخَامِصٌ » . وَلَوَّحْتَهُ : غَيَّرْتَهُ . والمخامص : جمع مَحْمَصَةٍ ، وهي خلاء البطن من الطعام جوعاً . والمجاوع مثل المَخَامِص ، وإنما أثرت فيه المجاوع ، لأنّه إذا سافر آثر صحبه على نفسه بزياده وَيَجُوع (٣) . وقوله : « صَادِقُ النَّهْضِ » ، يعنى النهوض للمكارم والعلا ، لا يكذب فيها إذا نهض لها .

(١) البوا : مقصور البواء كسحاب ، وهو التساوى والتكافؤ في الأموال والأقدار والدماء . وفي ش : « على الأعداء نبتغي البوا » . ولا يستقيم به الوزن .

(٢) في النسختين : « بأنه » ، صوابه من التبريزي . وفي التبريزي : « من صفة » بالإفراد .

(٣) في التبريزي : « بزياده فيشبعهم ويجوع » .

هذا مأورده صاحبُ الحماسة وغيره ، وزاد أبو بكر القارى ، والمبرد
(فى الكامل) بعد هذا بيتين ، وهما :

(كأنهم يَشَبَّثُونَ يطائرٍ

خفيف المشاش عظمه غير ذى نخض)
قال القارى : يقول : هؤلاء الذى يَعدون خلف خراش كأنهم يتعلّقون
بطائر خفيف المشاش ، أى ليس بكثير اللحم . يقال لكل ما استُخِفَّ
وخفَّ : إنّه لخفيف المشاش ، بضم الميم . والطائر : العقاب . ثم قال :
« عظمه غير ذى نخض » أى هو خفيف ليس بمثقل . والنخض : اللحم .
اهـ . وهو بفتح النون وسكون الحاء المهملة . وَيَشَبَّثُونَ أصله يَتَشَبَّثُونَ .
وروى المبرد : « كأنهم يَسْعَوْنَ فى إثر طائر » . وهذا البيت يؤيد ما اختاره
التبريزى من أنّ الكلام فى وصف خراش
(يُبادر جُنَحَ الليل فهو مُهابذٌ

يُحُثُّ الجناحَ بالتبسُّط والقَبْضُ)
قال القارى : فهو مُهابذ ، يعنى الطائر . والمهابذ : السَّريع ، فهو جادٌ
ناج . وأصله من مرَّ يُهَذَّبُ إهذاباً ، ولكنه قلب . والقَبْضُ : أنَّ يَقْبِضَ
جناحيه . وقال لى الأصمعى : سمعتُ ابن أبى طرفة ينشد : « مُهابذ » وإنما أراد
مُهابذ ، فقلبه فقال : مُهابذ . يقال : مرَّ يُهَذَّبُ إهذاباً ، إذا عدا عدواً
شديداً . وقد سمعت غيره يقول : مُهابذ أى جاد . اهـ
قال المبرد : وقوله : فهو مهابد ، يقول : مجتهد . وهذيلٌ فيها سعىٌ
شديد وفى جماعةٍ من القبائل ^(١) التى تحلُّ بأكناف الحجاز .

(١) فى النسختين : « فيها سعى شديد فى جماعة القبائل » . ولا يزال النص من الكامل ٣٣٨ .

وأنشد بعده :

(إِنَّ مِنْ يَدْخُلِ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا

يَلْقَى فِيهَا جَاذِرًا وَظَبَاءً)

على أَنَّ اسمَ إِنَّ ضميرَ شأنٍ محذوف ، والجملة بعدها خبرها . وإنما لم يُجعل مَنْ اسمها لأنها شرطية ، بدليل جزمها الفعلين ، والشرط له الصدر في جملة ، فلا يعمل فيه ما قبله .

وقد تقدّم الكلامُ على هذا البيت في الشاهد الثامن والسبعين (١) .

١١٥ ١١٤ ١١٣

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد

سيبويه (٢) :

٤١٧ (إِنَّ مِنْ لَأَمٍ فِي بَنِي بَنِي حَسًّا

نَ أُمُّهُ وَأَعْصِيهِ فِي الْخَطُوبِ)

على أَنَّ اسمَ إِنَّ ضميرَ شأنٍ محذوف .

٤٦٤

قال سيبويه في باب ما يكون فيه الأسماء التي يجازى بها بمنزلة الذي ، وذلك قولك : إِنَّ مِنْ يَأْتِينِي آتِيهِ ، وكان مِنْ يَأْتِينِي آتِيهِ ، وليس مِنْ يَأْتِينِي آتِيهِ . وإنما أذهبتَ الجزاء هنا لأنك أعملتَ كانَ وَإِنَّ ، ولم يسعُ لك أن تدعَ كانَ وإشباهه معلقة لا تُعملها في شيء ، فلما أعملتَ ذهابَ الجزاء ولم يكن من مواضعه ألا ترى أنك لو جئتَ بِإِنَّ ومتى ، تريدَ إِنَّ إِنَّ وَإِنَّ متى

(١) الخزائن ١ : ٤٥٧ .

(٢) في كتابه ١ : ٤٣٩ . وانظر أمالي ابن الشجري ١ : ٢٩٥ والإنصاف ١٨٠ وابن يعيش ٣ :

١١٥ وترشح شواهد المغني ٣١٢ وديوان الأعشى ٢١٩ .

كان محالا . وإن شغلت هذه الحروف بشيء جازيت فمن ذلك قوله : إنه من يأتنا نأته ، وقال جل وعز : ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ^(١)﴾ ، وكنت من يأتني آته . وتقول : كان من يأتنا نعطه ، وليس من يأتنا نعطه إذا أضمرت الاسم في كان أو في ليس ، لأنه حينئذ بمنزلة لست وكنت . فإن لم تضمّر فالكلام على ما وصفنا . وقد جاء في الشعر : إن من يأتني آته . قال الأعشى :

إِنَّ مَنْ لَامَ فِي بَنِي بَنْتِ حَسًّا نَ ... البيت

فزعم الخليل أنه إنما جازى حيث أضمر الهاء ، فأراد : إنه . ولو لم يرد الهاء كان محالاً . اهـ

فعلم أن حذف اسم إن في هذا مخصوص بالضرورة .

وكذلك قال الأعلام : الشاهد في جعل من للجزاء مع إضمار منصوب إن ضرورة .

وقال النحاس : يقدره سببويه على حذف الهاء ، وهو قبيح . وفيما كتبه عن أبي إسحاق : لم يجوز إن من يأتني آته من جهتين ، لأن من إذا كانت شرطاً واستفهاماً لم يعمل فيها ما قبلها ، ولأن تقديرها تقدير إن في المجازاة ، فكما لا يجوز إن إن تأتينا نكرمك ، كذا لا يجوز هذا . فإذا جاء في الشعر فعلى إضمار الهاء . وقال أبو العباس (في الشرح^(٢)) : وأجاز الزيادة : إن من يأتنا نأته ، على غير ضمير في إن . وهذا لا يجوز ، لامتناع الجزاء من أن يعمل فيه ما قبله . اهـ .

(١) الآية ٧٤ من طه .

(٢) شرح أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، وهو الرد على سببويه .

و(لَمْ) فاعله ضمير مَن الشرطية ، والجملة في محل جزم لأنّه شرط ،
و(ألمه) مجزوم ، والأصل ألومه فحذفت الواو للساكن ، وهو جزاء الشرط ،
والهاء ضمير من . و(أعصه) معطوف على ألمه ، وأصله أعصيه ، فحذفت الياء
لما ذكرنا في ألمه . و(الخطوب) : جمع خطب ، وهو الأمر والشأن .

صاحب الشاهد

والبيت في ديوان الأعشى كذا :

من يلمنى على بنى بنت حسّا
ن إلخ
وعليه لاشاهد فيه .

وهو من قصيدة له مدح بها قيساً أبا الأشعث بن قيس الكندي .

أبيات الشاهد

وأولها :

(من ديار هضب كهضب القليب^(١))

فاض ماء الشؤون فيض الغروب

أخلفتنى بها قتيلة ميعا

دى وكانت للوعد غير كذوب^(٢)

إلى أن قال :

(من يلمنى على بنى بنت حسّا

ن ألمه وأعصه في الخطوب

إن قيساً قيسَ الفعّال أبا الأش

عث أمست أعداؤه لشعوب

(١) كذا . وفي الديوان ٢١٨ : « من ديار بالهضب هضب القليب » .

(٢) في النسختين : « وكان » ، صوابه من الديوان .

ذاكُمْ الماجدُ الجواد أبو الأشـ
عَثْ أَهْلُ النَّدى وَأَهْلُ السُّيُوبِ
كُلَّ عامٍ يُمَدُّنى بِجَمُومٍ
عندَ تركِ العِنانِ أو بنَجِيبٍ
تلكَ خيلى منه وتلكَ ركابى
هُنَّ صُفْرٌ أولادُها كالزَّيْبِ (

قوله : «من ديار» إنلخ من تعليلة . والهَضْبُ الأول : المطر ، يقال
هَضَبْتَهُم السَّماءُ ، أى مطرتهم . وهَضْبُ القَلِيبِ : ماء لبنى قنفذ^(١) من بنى
سُلَيْمٍ . كذا قال البكرى (فى معجم مااستعجم) . وهو فى الأصل جمع
هَضْبَةٍ ، وهو الجبل المنبسط على وجه الأرض . والقَلِيبِ : البئر ، لأنه قُلْبُ
تراها . والشَّوْنُ : جمع شَأْنٍ ، وهو مجرى الدَّمعِ فى العين . والغروب : جمع
عَرَبٌ بفتح المعجمة وسكون المهملة : الدلو العظيمة .

٤٦٥

وقُتِيلَةٌ بالتصغير : اسم امرأة . وقوله: بنى بنت حسان ، وحَسَّانُ أحد
تابعة اليمن .

وقوله : «إنَّ قيساً» إنلخ هو قيس بن معديكرب الكندى ، مات فى
الجاهليَّة . وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى بعد المائتين^(٢) ، وكان يكنى
بابنه الأشعث .

(١) قنفذ ، بالدال المهملة كما فى معجم مااستعجم طبعة وستنفذ ٥٤٧ . وفى طبعة السقا :
«قنفذ» بالدال المعجمة ، وكلاهما صحيح . وفى اللسان : «القنفذ : لغة فى القنفذ حكاه كراع عن
قطرب» .

(٢) الخزائن ٣ : ٢٣٩ .

قيس

والأشعث اسمه معديكرب ، كان أبداً أشعث الرأس ، فسُمِّيَ :
الأشعث . وهو من الصَّحابة ، وفد على النبي ﷺ سنة عشر وأسلم ، وكان
شريفاً مُطاعاً جواداً شجاعاً . وهو أوَّل من مشَّت الرجال في خدمته وهو
راكبٌ . وكان من أصحاب عليٍّ ، رضى الله عنه ، في وقعة صفين ، وقد قاتل
قتالاً شديداً حتى هجم على أصحاب معاوية ودفعهم عن ماء الفرات وأخذه
منهم ، بعد أن مُنع منه أصحابُ عليٍّ رضى الله عنه بليلة . وصلى عليه
الحسن بن عليٍّ رضى الله عنهما وله من العمر ثلاث وستون سنة .

والفَعَال بفتح الفاء : الكرم والجود . وشُعُوب ، بالفتح : علم للمنيّة .
والسُّيُوب : جمع سيب ، بفتح السين المهملة وسكون المثناة التحتية ،
وهو العطاء .

يُمَدُّني من الإمداد . والجموم ، بفتح الجيم : الفرس الكثير الجرى .
وقوله : « عند ترك العنان » أى عند تركك تحريكه في الجرى يعطيك ماعنته
من الجرى عفواً . والنجيب : الجمل الكريم .

وقوله : « تلك خيلي منه » ، أى من قيس . والركاب : الإبل ، لا واحد له
من لفظه ، وإنما يعبر عن واحد بالراحلة . وصُفِرَ : جمع أصفر بمعنى أسود .
وقد استشهد به البيضاوي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ صَفْرَاءُ فَاقَعُ لُونَهَا ﴾^(١)
من سورة البقرة . قال : عن الحسن البصري : صفراء : سوداء شديدة
السَّود ، وبه فسّر قوله تعالى : ﴿ جَمَالَاتٌ صُفْرٌ ﴾^(٢) . وقال الأعشى :
تلك خيلي منه وتلك ركابي البيت

(١) الآية ٦٩ من البقرة .

(٢) الآية ٣٣ من المرسلات . وهى قراءة الجمهور . وقرأ حمزة والكسائي وحفص وأبو عمرو :

« جمالة » بالافراد . تفسير أى حيّان ٨ : ٤٠٧ .

ولعله عبّر بالصفرة عن السّواد ، لأنها من مقدّماته ، أو لأنّ سواد الإبل يعلوه صفرة . وفيه نظر ، لأنّ الصفرة بهذا المعنى لا تؤكّد بالفقوع . انتهى . وهذا اعتراضٌ على تفسير الصفرة في الآية بالسواد . وأما البيت فسكت عنه .

واعترضه صاحب الكشف ^(١) من وجهين : الأوّل أنّ الزبيب الغالب عند العرب الطائفي ، وهو إلى الصفرة أقرب منه إلى الحمرة . والثاني جواز أن يراد : هُنَّ صُفْر وأولادها سود . وأجيب عن الأوّل بأن تشبيه الشيء بالزبيب صار علماً في الوصف بالسواد في لسان الفصحاء ، وكون بعض أفرادهم أصفر وأحمر لا يقدح في ذلك . وعن الثاني بأنّ الظاهر من العبارة كون أولادها فاعلاً لصفّر ، أو كون هُنَّ صفر جملةً وأولادها كالزبيب أخرى ، فبعد لا يتبادر إلى الفهم السليم .

وترجمة الأعشى قد تقدمت في الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب ^(٢) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الأربعمئة ، وهو من أبيات المفصّل ^(٣) :

(١) في النسختين : «صاحب الكشف» ، والوجه مأثبات ، وليس من المعقول أن يعترض الرّحشري المتوفى سنة ٥٣٨ على البيضاوي المتوفى سنة ٦٩١ . كما أن هذا الكلام لم يرد في تفسير الرّحشري إن فرض أنه اعتراض على القول لأعلى القائل . أما صاحب الكشف هذا فهو عمر بن عبد الرحمن الفارسي القزويني المتوفى سنة ٧٤٥ .

(٢) الخزنة ١ : ١٧٥ .

(٣) ابن يعيش ٨ : ٧١ ، ٧٣ . وانظر المنصف ٣ : ١٢٨ والإنصاف ٢٥٥ والمقرب ٢٠ وشرح شواهد المغني ٣٩ والعيني ٢ : ٣١١ والجمع ١ : ١٤٣ والأثموني ١ : ٢٩٠ .

٤٠٨ (فَلَوْ أَنَّكَ فِي يَوْمِ الرَّخَاءِ سَأَلْتَنِي)

تمامه :

(طَلَّكَ لَمْ أَبْخُلْ وَأَنْتَ صَدِيقُ)

على أنَّ إعمال أنَّ المخففة في الضمير البارز شاذٌّ. وفيه شذوذ آخر ، وهو كون الضمير غير ضمير الشأن ، لأنهم قالوا : إِنَّ أَنَّ إِذَا خَفَّفْتَ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ اسْمُهَا ضَمِيرًا غَائِبًا وَأَنْ يَكُونَ ضَمِيرَ شَأْنٍ . قال سيبويه في الباب السابق ، بعد قول الأعشى :

٤٦٦

فِي فِتْيَةِ كَسِيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عِلِمُوا
أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ

يريد معنى الهاء ^(١) ، ولا يخفف أنَّ إِلَّا عَلَيْهِ ، كما قال : قد علمت أنَّ لايقول ، أَيْ أَنَّهُ لَا يَقُولُ ، وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ لَا يَقُولُ ﴾ ^(٢) . وليس هذا بقويٍّ في الكلام كقوة أنَّ لايقولُ ، لأنَّ لا عوض من ذهاب العلامة . ألا ترى أنهم لا يكادون يتكلمون بغير الهاء فيقولون : قد علمت أنَّ عبد الله منطلق . انتهى .

وقال الفراء (في تفسيره ^(٣)) من سورة الحجر ، عند الكلام على حذف نون الوقاية : وقد خففت العرب النون من أنَّ الناصبة ثم أنفذوا لها عملها ، وهى أشدُّ من ذا . قال الشاعر :

(١) في سيبويه ١ : ٤٤٠ بولاق : « فهذا يريد معنى الهاء » .

(٢) الآية ٨٩ من سورة طه .

(٣) معاني الفراء ٢ : ٩٠ .

فلو أُنْكِ في يوم الرِّخاءِ سألْتِنِي
فِرَاقَكَ لم أُنْخَلْ وَأَنْتِ صَدِيقُ
فما رُدَّ تزويجٌ عليه شهادةٌ
ولا رُدَّ من بعدِ الحرَّارِ عتيقُ

وقال الآخر (١):

وقد علم الضَّيْفُ والمروءون
إذا اغبرَّ أفقٌ وهبَّتْ شَمالاً
بأنَّكَ ربيعٌ وغيثٌ مريعٌ
وقدماً هناك تكون الشمالاً

انتهى .

وظاهره أنها تعمل مطلقاً كالمثقلة . ونقل ابن المستوفى عنه (في شرح
أبيات للفصل) : لم يسمع من العرب تخفيف أن وإعمالها إلا مع المكنى ،
لأنه لا يتبين فيه الإعراب ، فأما مع الظاهر فلا . ولكن إذا خففوها رفعوا .
انتهى .

ومنه تعلم أن نقل ابن هشام (في المغنى) عن الكوفيَّين أنهم زعموا أنها
إذا خففت لاتعمل شيئاً غير صحيح . وتحريره أن اسمها إذا كان ظاهراً لاتعمل
شيئاً .

والبيت خطابٌ لزوجته في طلبها الطلاق ، ويريد بيوم الرِّخاءِ قبل إحكام
عقد النكاح ، بدليل البيت الثاني .

(١) هو جنوب أخت عمرو ذى الكلب ، كما سيأتى في الشاهد ٨٦٩ .

وبه يسقط قول الدماميني (في الحاشية الهندية على المغني) : إن الشاعر خاطب امرأته واصفاً نفسه بالجود . وقوله : «في يوم الرخاء» من التتميم . وكذا قوله : «وأنت صديق» ؛ لوقوع كل منهما في كلام لا يفيد خلاف المقصود مفيداً لثبوتها ، وهي المبالغة في الاتصاف بالجود . ويحتمل أن يكون مراده وصف نفسه بمحبته هذه المرأة ، وأنه قد يؤثر ما يجتاراه هو ، حرصاً على رضاها وحصول مرادها . انتهى .

وتبعه العيني فقال : إنه يصف نفسه بالجود حتى لو سأله الحبيب الفراق مع حبه لأجابه إلى ذلك وإن كان في الدعة والراحة ، كراهة ردّ السائل . وإنما خصّ يوم الرخاء لأن الإنسان ربما يفارق الأحباب في يوم الشدة . هذا كلامه . ونقل السيوطي (في شرح شواهد المغني) كلام العيني .

وزعم بعضهم أن الخطاب لمذكر ، وروى : «فراقك» بدل «طلاقك» . وهذا كله ناشئ من عدم الاطلاع على البيت الثاني . ويوم الرخاء متعلق بسألتني ، وطلاقك مفعوله الثاني ، والجملة خبر أن الخففة ، ولم أخل جواب لو ، وجملة أنت صديق حال من ضمير أخل .

فإن قلت : كان الواجب أن يقول وأنت صديقة ؟ قلت : قال الشارح المحقق (في شرح الشافية) عند الكلام على جمع الصفة جمع تكسير : وقد جاء شيء من فعيل بمعنى فاعل مستوياً فيه المذكر والمؤنث ، حملاً على فعيل بمعنى مفعول نحو : جديّد وسديس ، وريح خريق ، ورحمة الله قريب . ويلزم ذلك في سديس وخريق . انتهى .

وقال صاحب العباب : قد يقال للواحد والجمع والمؤنث ، قال الله تعالى : ﴿أَوْ صَدِيقُكُمْ﴾^(١) أي أصدقائكم . وقال :

٤٦٧

(١) الآية ٦١ من سورة النور .

نَصَبْنَ الهوى ثُمَّ ارْتَمَيْن قُلُوبَنَا

بَأَعْيُنٍ أَعْدَاءٍ وَهَنَّ صَدِيقُ (١)

وَأَنْشَدَ اللَّيْثُ (٢):

إِذَا النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ بَعْرَةٌ

وَإِذَا أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقٌ مَسَاعِفُ (٣)

انتهى . والحرار بفتح الحاء المهملة : مصدر حرَّ يَحْرُ ، من باب
تعب ، أى صار حُرّاً .

والبيتان أنشدتهما الفرّاء ولم يعزهما لأحد .

(١) لجرير في ديوانه ٣٩٨ واللسان (صدق ٦٣) ورواية الديوان : « دعون الهوى » .

(٢) ط : « وأنشد البيت » ، صوابه في ش .

(٣) لأوس بن حجر في ديوانه ٧٤ . وانظر اللسان والتاج (سعف) ونوادير المخطوطات ١ : ١٥٩ .

وفي النسختين : « إذا الناس » . صوابه من المراجع السابقة . والمعروف في الرواية : « بغرة » ، كما في اللسان
والنوادير .

اسم الاشارة

أنشد فيه ، وهو الشاهد التاسع بعد الأربعمئة ، وهو من أبيات
المفصل^(١):

٤٠٩ (دُمَّ المنازل بعد مَنزِلَةِ اللّوى

والعيشَ بعد أولئك الأيام)

على أن (أولاء) يشار به إلى جمع ، عاقلا كان أو غيره كما في البيت ؛
فإنّ أولاء أشير به إلى الأيام ، وهو جمعٌ لغير مَنْ يعقل . وكذا قوله تعالى :
﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢) .
وأورده صاحبُ الكشف عند هذه الآية أيضا .

قال ابن هشام (في شرح الشواهد) : ويروى : (الأقوام) بدل (الأيام)
فلا شاهد فيه . وزعم ابن عطية أنّ هذه الرواية هي الصواب ، وأنّ الطبريّ
غَلِطَ إذ أنشدته: «الأيام» ، وأنّ الزجاج تبعه في هذا الغلط . انتهى .

قلت : رواه محمد بن حبيب (في النقائض^(٣)) ، ومحمد بن المبارك (في
منتهى الطلب من أشعار العرب) : «الأقوام» كما قال ابن عطية .

(١) ابن عيش ٣ : ١٢٦ ، ١٣٣ / ٤ : ٣٦ ، ٩ : ١٢٧ ، ١٥٩ . وانظر المقتضب ١ :
١٨٥ وشرح شواهد الشافعية ١٦٧ والعينى ١ : ٤٠٨ والتصريح ١ : ١٢٨ والأشتموى ١ : ١٣٩ ، وديوان
جرير ٥٥١ .

(٢) الآية ٣٦ من الاسراء .

(٣) النقائض ٢٦٩ .

وهو من قصيدة لجريز بن الخطّفى ، هجا بها الفرزدق ، وعدّها ستة صاحب الشاهد
وعشرون بيتاً . ومطلعها :

(سَرَبِ الهمومُ فِتْنٌ غيرَ نيامٍ
وأخو الهموم يرومُ كلّ مَرامٍ
ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى ... البيت)
وقال بعد بيتين :

(فإذا وقفتُ على المنازل باللوى
فاضت دموعى غيرَ ذاتِ نظامٍ
طَرَقَتْ صائدةُ القلوب وليس ذا
حينَ الزيارة فارجمى بسلامٍ
تُجرى السَّوَاك على أغرَّ كَأَنَّهُ
بَرْدٌ تَحْدَرُ من متون غمامٍ
لولا مراقبةُ العيون أَرَيْنَا
مُقلّ المَهَا وسوَالف الآرامِ)
ثم بعد أن تغزّل بأبياتٍ شرعَ في هجو الفرزدق فقال :
(إنّ ابن آكلة النُّخالة قد جَنَى
حَرِيّاً عليه ثَقِيلَةَ الأجرامِ
خُلِقَ الفرزدقُ سَوْءاً فى مالِك
ولِخَلْفِ ضَبَّةٍ كان شرَّ غلامٍ^(١))

(١) فى النسختين : «خلق الفرزدق» ، صوابه من الديوان . وفى ط : «سورة فى مالك
والخلف» ، صوابه من ش والديوان .

مهلاً فرزدقُ إنَّ قومَكَ فيهِمْ
 خَوَّرَ القلوبَ وَخَفَّهَ الأحلامَ
 الظَّاعِنونَ عَلَى العَمَى بِجميعِهِمْ
 والتَّائِزِلونَ بِبشرِّ دارِ مُقامِ
 لو غيرُكُمْ عَلِقَ الرُّبُوبُ بِجبلِهِ
 أَدَّى الجَوَارَ إِلَى بنى العَوَامِ
 كان العِنانُ عَلَى أَيْكٍ محرَّماً
 والكَبِيرُ كانَ عَلَيْهِ غَيْرَ حرامِ)

٤٦٨

وبعده بيتان هما آخر القصيدة (١)

وقوله : (دُمَّ المنازل) إلخ قال ابن هشام : الأرجح فيه كسر الميم الذى هو واجبٌ إذا فك الإدغام على لغة الحجاز ، ودونه الفتح للتخفيف ، وهو لغة بنى أسد ، والضمُّ ضعيفٌ ووجهه إرادة الاتباع . والمنازل : جمع مَنْزِل أو منزلة ؛ فهو كالمساجد والمحامد (٢) . وهذا أولى ، لقوله : (منزلة اللوى) . و(بَعَدَ) إمَّا حالٌ من المنازل ، أو ظرف . و(العيش) عطف على المنازل . و(الأيام) صفةٌ لاسم الإشارة أو عطف بيان .

وقوله : «طَرَقَتْكَ صائِدةٌ» إلخ هذا التفاتٌ من التكلم إلى الخطاب . والطروق : الإتيانُ ليلاً . قال ابن هشام : قد عيب عليه طَرْدُ خيالِ محبوبته . وأجيب بأنه طَرَفَه فى حال السفر ، فأشفق عليه من الخطر .
 وقوله : «تَجَرى السُّؤَالُ عَلَى أغرٍّ» ، أى على ثغر أغرٍّ .

(١) الحق أن بعد هذا البيت سبعة أبيات لابيتين . الديوان ٥٥٣ .

(٢) اذ أن المساجد جمع مسجد ، والمحامد جمع حمدة .

وقوله : «لولا مراقبة العيون» أى الرقباء ، جمع عين وهو الجاسوس .
 وقوله : «إن ابن آكلة النخالة» يعنى البعيث . وأراد بآكلة النخالة
 الخنزيرة^(١) . والبعيث شاعرٌ من بنى مجاشع . والجرم بكسر الجيم : الجسد ،
 يقال رماه بأجرامه ، أى بجسده .

والخلف بسكون اللام : الردىء من الناس وغيرهم ، وبفتحها : الجيّد
 من الناس ومن كلّ شيء .

وقوله : «الظّاعنون» إلخ معناه أنّهم يركبون مالا ينالون غايته ، وينزلون
 شرّ البقاع لنذالتهم ، لا يميكنون من موضع جيّد .

وقوله : «لو غيركم علّق الزبير» إلخ الحبل هنا : الذمة . والجوار : المجاورة
 والذمة . وعلّق الشيء بكذا ، من باب تعب ، وتعلّق به ، إذا نشب به
 واستمسك . يريد أن قوم الفرزدق غدّروا بالزبير بن العوام فقتلوه . يقول : لو
 كان فى ذمة غيركم لأدّى ذمته إلى بنى العوام ولم يغدر به .

وملخص سبب قتله أن الزبير لما جاء مع عائشة فى وقعة الجمل ، ذكره على
 رضى الله عنه بقول النبى عليه الصلاة والسلام : «إنك ستحاربه وأنت ظالم له»
 فاسترجع وقال : أذكرتني شيئاً أنسانيه الدهر . ثم فارق المعركة آخذاً طريق مكة ؛
 فنزل على قوم من بنى تميم ، فقام إليه عمرو بن جرموز المجاشعى فأضافه ثم قال له :
 يابا عبد الله ، حدّثنى عن خصال أسألك عنها . قال : هات . قال : تحذّلك
 عثمان وبيعتك علياً ، وإخراجك أمّ المؤمنين ، وصلاتك خلف ابنك ، ورجوعك
 عن هذه الحرب ، فظنّنى كلّ شيء إلاّ الجبن ! فانصرف وهو يقول : والهى على
 ابن صفيّة ، أضرمها ناراً ثم أراد أن يلحق بأهله ، قتلنى الله إن لم أقتله .

(١) ط : «الخنزير» . صوابه فى ش .

ثم رجع إليه كالمستنصح . قال : يا أبا عبد الله ، دون أهلك فيافي ، فخذ نجيبى هذا وخلّ فرسك ودرعك فإنهما شاهدان عليك بما تكره . ولم يزل به حتى ترك عنده فرسه ودرعه ، وخرج معه إلى وادى السّباع ، وأراه أنه يريد مُسَايرته وموائسته ، فقتله غيلة وهو يصلى ، وأتى بسيفه إلى أمير المؤمنين وأخبره بقتله ، فبشّره علىّ بالنار . ثم خرج ابن جرموز علىّ مع أهل النهروان فقتل مع من قُتل هناك .

وهذا البيت أورده المبرد (فى الكامل) إلّا أنّه رواه بنصب «غيركم» قال : نُصِبَ بفعل مضمر يفسّره ما بعده ، لأنها للفعل ^(١) . وهو فى التمثيل : لو علق الزبير غيركم . انتهى . ٤٧٩

وأورده أيضاً أبو بكر بن السّراج (فى الأصول) فى باب أنّ المفتوحة ، قال : إن الأسماء تقع بعد لو على تقدير الفعل الذى بعدها . فمما وليها من الأسماء قول الله عز وجل : ﴿ لو أنتم تملكون ^(٢) ﴾ ، وقال جرير :
* لو غيركم علق الزبير بحبله *

البيت . انتهى .

والظاهر أن الرواية عنده بالرفع ، وهو الصحيح لأنّ علق لا يتعدّى إلى مفعول صريح .

وكذلك رواه ابن هشام (فى مغنى اللبيب) عند الكلام علىّ «لو غيركم» ^(٣)

(١) فى الكامل ١٥٨ : «لأنه للفعل» يعنى أن كلمة «لو» أو لفظها إما هو للفعل لاندخل إلا عليه .

(٢) الآية ١٠٠ من سورة الاسراء .

(٣) ط : «لو» فقط ، وتكملته من ش .

بالرفع . ويردُّ عليه أنَّ هذا لا يصحُّ ، لأنَّ المتعلق بالجليل الزبير لا غيركم . وقد يوجَّه بأنَّ التعلق من الطرفين : من الزبير بنزوله عندهم ، ومن الغير بحفظ الدمام . وفيه تعسُّف ، والظاهر أنَّ هذا مما حذف فيه كان الشائبة ، كقوله :
* لو في طُهَيَّة أحلامٌ لما عرضوا ^(١) .

وجملة «غيركم علق الزبير بحبله» من المبتدأ والخبر ، خبر كان الشائبة المحذوفة . أو يكون غيركم اسم كان المحذوفة الناقصة ، وجملة علق الزبير في محل نصب على أنَّه خبرها .

وإنما أُظهِر في شرح هذا البيت لأني لم أر أحداً وفى حقِّه من الشُّراح ، حتى إنَّ الدماميني مع جلالته ما فهم معناه ، قال (في الحاشية الهندية على المعنى) : والذى يظهر أنَّ غرض الشاعر ذمُّ مخاطبيهم بأنهم لا قوَّة لهم يحكمون بها من التجأ إلى جوارهم . يقول : لو تمسَّك الزبير بذمة غيركم لم يلتفت إلى جوار قومه واستمسك هؤلاء الذين استجار بهم ، لكونهم من الحماية له بحيث يفوقون عُصبة قومه . يعنى : وأما أنتم فلسستم بهذه المثابة ، فلا يعتدُّ الزبير باعتصامكم ، بل هو مستمسك بجوار قومه لا يردُّ عليهم ^(٢) لافتقاره إليه وضعفكم .

هذا كلامه على البيت بخلافه ، ولا يخفى أنَّ هذا لامساس له بالبيت ، ومنشؤه عدم الاطلاع على القصيدة وغرض الشاعر .

وقوله : «كان العنان على أهلك محرماً» إلخ أراد عنان الفرس . والكبير : كُور الحُدَّاد ^(٣) . يريد أنهم ليسوا بفُرسان ، وأنَّ أباه قَيْنٌ ، أى حُدَّاد . وقد عارضه الفرزدق بقصيدة ، منها هذه الأبيات :

(١) تمامه كما في المعنى ٢٦٨ : «دون الذى أنا أرميه ويرمى .»

(٢) أى لا يرد عليهم جوارهم ، بل يظل مستمسكاً به .

(٣) كذا في النسختين . وهو سهو من البغدادى ، فإنَّ الكبير هو مفناخه . وأما انكور فهو

الحجرة المبنية من الطين ونحوه .

- قال ابن صانعة الزروب لقوميه
 (١) لأستطيع رواسى الأعلام
 قالت تجاوبه المراجعة أمه
 (٢) قد رُمتَ ويل أبيك غير مرام
 ووجدت قومك فقنوا من لؤمهم
 عَيْنِكَ عند مكارم الأقوام
 صَغُرْتُ دِلَاؤُهُمْ فما ملُّوا بها
 (٣) حَوْضاً ولا شهدوا غداة زحام
 أشَبَّهْتَ أُمَّكَ إِذْ تَعَارَضُ دارِماً
 بِأَدِقَّةٍ مُتَقَاعِسِينَ لَمَامٍ
 وحسبت بحر بنى كليب مُصِيراً
 (٤) فَعَرِقتَ حين وقعت في القَمَمِ
 في لُجَّةٍ غمرت أباك بحورها
 في الجاهليَّة كان والإسلام
 إلى هنا كلام أم جرير له . ومن هنا شرع يفتخر فقال :
 إِنَّ الْأَقَارِعَ وَالْحُتَاتَ وَغَالِباً
 وأبا هُنَيْدَةَ دافَعُوا لِمَقَامِي (٥)

(١) ط : «صابغة» صوابه في ش مع أثر تصحيح والديوان ٨٤٩ والنقائض ٢٦٢ . والزروب واحدها زرب ، وهي حفرة تحتفر مثل البشر يبنى حولها فتصير كالخطيرة ، تحبس فيها الجداء والعنوق عن أمهاتها .
 (٢) في الديوان والنقائض : «كل مرام» .
 (٣) في الديوان والنقائض : «عراك زحام» .
 (٤) مصدرا ، أى يرتوى شارب فيه صدر عنه .
 (٥) أبو هنيذة هو صعصعة، وهنيذة هى بنته هند امرأة الزبرقان بن بدر. انظر النقائض والأغانى ٩٦: ١١/٥٠: ٢.

بمناكب سَبَقَتْ أباك صدورها
ومآثر ملتوجين كرام
إني وجدت أبا بني لي بيته
في دوحة الرؤساء والحكام
من كل أبيض من ذؤابة دارم
ملك إلى نضد الملوك همام
منا الذي جمع الملوك وبينهم
حرب يشب وقودها بضرام
خالي الذي ترك النجيع برمه
يوم النقا شرقاً على بسطام
وإني ابن صمصمة بن ليلى غالب
غلب الملوك ورهطه أعمام
ويأتى إن شاء الله شرح جميع هذا عند الكلام على قوله :
* في لجة غمرت أباك بحورها *

٤٧٠

فإنه من شواهد هذا الكتاب في باب الأفعال الناقصة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الأربعمئة (٢) :

٤١٠ (تجلد لايقُل هَولاءِ هذا
بكي لما بكي أسفاً وغَيْظاً)

(١) هو الشاهد ٧٢٩ .

(٢) ابن يعيش ٣ : ١٣٦ .

على أَنَّ (هَوْلَاءِ) بفتح الهاء وسكون الواو مخفف هَوْلَاءِ بحذف ألف ها
وقلب همزة أولاءِ واوا .

وقال ابن جنى (في الخطريّات) : الأصل هَوْلَاءِ ، فحذفت الألف ،
ثمَّ شَبَّهَ هَوْلُ بِعَضُدٍ فَسَكَّنَ ، ثمَّ أبدل الهمزة واواً وإنَّ كانت ساكنة بعد
فتحة ، تنبيهاً على حركتها الأصلية . ومثله في المعتل قول بعضهم في بش :
بَيْسَ بِيَاءٍ ساكنة بعد الباء . وأسهل من ذلك أن يقال : أبدل الهمزة من هَوْلَاءِ
واوا على غير قياس ، ثم استثقلت الضمة على الواو فأسكنت فحذفت الألف
لالتقاء الساكنين .

وقال الشلّولين (في حاشيته على المفصل) : كثر هَوْلَاءِ في كلامهم
حتى خففوه فقالوا هَوْلَاءِ . قال الشاعر :

تَجَلَّدَ لَا يَقْلُ هَوْلَاءِ هَذَا

بكى لما بكى أسفاً عليك

فالقافية في رواية الشلّولين كافية . ولم أدرِ أيُّ الروايتين صحيحة ، لأنّي
لم أقف على شيءٍ بأكثر من هذا . والله أعلم .

و(تَجَلَّدَ) : فعل أمرٍ من الجلادة ، وهو التحفظ من الجزع . وَيَقْلُ
مجزومٌ بلا الناهية .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الأربعمئة (١) :

٤١١ (فقلتُ له والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ

تَأْمَلُ خُفَافاً إِنْنِى أَنَا ذَلِكَا)

(١) الكامل ٥٦٩ ، ٥٤٣ والشعراء ٣٠ والإنصاف ٧٢٠ .

على أن الإشارة فيه من باب عظمة المشار إليه ، أى أنا ذلك الفارس الذى سمعت به . نَزَلَ بُعْدَ درجته ورفعة محله منزلة بُعْدِ المسافة . وكذا القول فى قوله عز وجل: ﴿ آلم » ذلك الكتابُ ﴿ ١ 》 . وقال المبرد (فى الكامل) نقلا عن ابن عباس ، وتبعه ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) قالوا : قد يأتى اسمُ الإشارة البعيدُ بمعنى القريب ، كما يكون «ذلك» بمعنى هذا . قال تعالى : (إلم » ذلك الكتابُ) . وقال خُفَاف بن ندبة :

« تَأْمَلْ خُفَافاً إِنْنِى أَنَا ذَلِكَا »

أى هذا . وأقره أبو الوليد الوَقْشِى (فى شرح الكامل) وقال : وأقرب مُتَأَوِّلاً من ذا وذلك فى قول خُفَاف وأولى بالتأويل ، أن يريد أى أنا خُفَاف ، فكفى عنه بقوله أنا ذلك ، كما يقول لك القائل : أنت زيد ؟ فتقول له : أنا ذلك الذى تريد . انتهى .

والبيت من أبيات لَخُفَاف بن نَدْبَةَ الصَّحَابِى ، وهى :

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(فإن تَك خيلى قد أصيبَ عميدُها

فإنى على عَمِدٍ تيممتُ مالِكا

نصبتُ له عَلَوَى وقد خامَ صُحْبَتِى

لأبْنَى مجداً أو لأثَارَ هَالِكا

لَدُنْ ذَرَّ قَرْنِ الشَّمْسِ حتى رأيتهم

سِراعاً على خيلى تَوُمُّ المسالكا

٤٧١

فلماً رأيتُ القومُ لا وُدَّ بينهم

شَرِيجِينَ شَتَّى منهمْ ومُؤَاثِكا

تيممتُ كبشَ القومِ لما رأيتُه

وجانبتُ شُبَّانَ الرِّجَالِ الصَّعَالكا

فجادت له يُمنى يدي بطعة
كسّت متنتيه أسود اللون حالكا
وقلت له والرّمح يطرّ متنه
تأمل خفافاً إتنى أنا ذلكا
أنا الفارس الحامي حقيقة والدى
به تدرك الأوتار قدماً كذلكا

قوله : « إن تلك خيلي » إلخ أراد بالخيّل هنا الفُرسان . والعميد : السيّد
الذى يُعمّد أى يقصد ، أى إن قُتل سيّد الفُرسان . وروى : « صميمها »
والصميم : الشريف والخالص . وأراد بهذا السيد الذى قُتل ابن عمّه ، وهو
معاوية بن عمرو بن الشريد ، وهو أخو صخر والخنساء الصحابية الشاعرة .
وتيمّمت : قصدت . ومالك ، هو ابن حمار ، وهو سيّد بنى شَمخ بن فزارة .
وكان من خبره أن خفاف بن ندبة غزا مع معاوية بن عمرو ، مُرة وفزارة ،
فعمد ابنا حرمة : دريد وهاشم المُرّيان ، عمّد معاوية ^(١) ، فاستطرد له أحدهما
فحمل عليه معاوية فطعنه فى عضده ، وحمل الآخر على معاوية فطعنه
متمكنا ، فلمّا نادوا : قُتل معاوية ! قال خفاف : قتلنى الله إن برحت مكانى
حتى أثأّر به ! فحمل على مالك المذكور فطعنه فقتله . وإنما تيمّمه لأنه عُدل
معاوية .

وقوله : « نصبت له علوى » إلخ ، ويروى : « وقفّت له علوى » ، وهو بفتح
المهملة وسكون اللام وبالقصر : اسم فرس خفاف ، أورده القالى (فى

(١) ط « المريان لمعاوية » ، وأثبت ما فى ش .

المقصود والممدود . ونخام ، بالخاء المعجمة ، بمعنى ارتدَّ . يقال أخام الرجل يدهُ عن الطعام ، إذا رفع يدهُ عنه . والصُّحبة : مصدر صحبه يصحبه . وأراد به الأصحاب . واجحد : الشرف . وأثَّار هالكاً ، أى آخذ بثأر هالك ، يعنى معاوية . وقوله : «لدن ذرَّ قرن» إلخ ، يقال ذرَّ قرن الشمس ذُروراً ، بالذال المعجمة ، من باب قعد (١) : طلعت . وقرنها : أول ما يظهر منها . ولدن : ظرف لقوله نصبت له علوى .

وقوله : « شريجين » : مثنى شريح : بفتح الشين المعجمة وكسر الراء وآخره جيم ، حال من القوم ، أى صينفين . وشئى ومواشكا : بدل من شريجين . وشئى : جمع شتيت ، كجرحى جمع جريح . ومواشك : اسم فاعل بمعنى مُسرع . يعنى رأيت القوم قسمين : فريق منهم رجع وتشتت عن معاوية قبل قتله كما يأتى فى خبر مقتله ، وفريق هارب مُسرع بعد قتله .

وقوله : « تيممتُ كبش » إلخ هو جواب لما . وكبشُ القوم : رئيسهم وسيدهم . وإنما جانب الشباب ولم يَقْتُل منهم لأنهم ليسوا بكفء لمعاوية . والصعالك : جمع صُعْلوك ، والقياس الصعاليك ، وهم الفقراء .

وقوله : « فجادت له » أى مالأك . والمتنة : مثل المتن ، كما جاء به فى البيت بعده . قال ابن فارس : المتنان : مُكْتَنفا الصلب من العصب واللحم . ومتنت الرجل متنا من بائى ضرب وقتل (٢) ، إذا ضربت متنه . وأراد بأسود اللون الدَّم . والحالك : الشديد السَّواد .

(١) ط : « فقد » ، صوابه فى ش .

(٢) فى هامش ش بخط الناسخ « صوابه من بائى ضرب ونصر » !

وقوله : (وقلت له) إنلح معطوف على جادت ، والعاطف هو الواو لا الفاء كما في الشرح . والضمير للملك ، وجملة (والرَّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ) حالٌ من الهاء ، وجملة (تَأْمَلُ خُفَافًا) مقول القول . ويأطِر : يحنو ويثنى ^(١) . يقال أطره أطرًا من باب ضرب ، إذا عطفه ، ومنه إطار المنخل . ومتنه مفعول يأطر ، أى يعطف ظهر مالك . و(تَأْمَلُ) فعل أمرٌ خطابٌ للملك ، من تأملت الشيء ، إذا تدبَّرتَه، وهو إعادتك النظرَ فيه مرَّةً بعد أخرى حتى تعرفه . و(خُفَاف) بضم الخاء المعجمة وفاءين كغراب : اسمُ الشاعر . وإنما قال له ذلك ليعرفه أنَّه هو الذى قتله . روى الأحفش (في شرح ديوان الحنساء) أنَّ خفافا لما قال له ذلك قال مالك : أنت ابن ندبة يريد أنت ابن جارية سوداء ، يعيره بذلك .

وقوله : (إننى أنا ذلك) ، استئنافٌ بيانيٌّ ، كآته قال له : هل أنت مما يتأملُ إنما أنت ابن ندبة . فقال له : إننى أنا ذلك الشجاع الذى سمعتَ به . وأنا إما تأكيدٌ للياء كما تقدم وجهه في الشرح في بابه ، وإما مبتدأٌ خبره لك والجملة خبر إننى ، والألف في ذلك للإطلاق ، وكذلك في جميع هذه القوافي .

٤٧٢

وقوله : «أنا الفارس» إنلح استئنافٌ نحوى ، وهو ابتداءٌ كلام لا علاقة له بما قبله معنى ، ابتداءً به للافتخار . وفي نهاية ابن الأثير : فلانٌ حامى الحقيقة إذا حمى ما يجب عليه حمايته . انتهى .

وحقيقة والده هنا : أخذُ ثار ابن أخيه ؛ لأنه يحقُّ على والده أن يأخذ ثار معاوية . قال عامر بن الطفيل قاتله الله :
لقد علمتُ عُليا هَوَازِنَ أُنْئى أنا الفارسُ الحامى حقيقةً جعفرِ

(١) يقال حنى الشيء يحنيه ويحنوه ، لغتان .

وجعفر هذا أبو جدّه ، لأنّه عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن
كلاب .

وقوله : « به تُدرِك الأوتار » إلخ أى إنما تُدرِك الأوتار بالحمى الدالّ عليه
الهامى ، لا بغيره . أو الضمير راجعٌ للهامى ، يقال حميت المكان من الناس
حمياً من باب رمى ، وحمية بالكسر ، إذا منعتهم . والحمية اسم منه .
وتدرِك بالبناء للمفعول . والأوتار : جمع وتر بالكسر ، وهو الثأر والذحل ، أى
الحقد . وقوله : « قدماً كذلك » ، أى كذلك تدرِك الأوتار قدماً ، بكسر
القاف . قال صاحب الصحاح : يقال قدماً كان كذا وكذا ، وهو اسمٌ من
القدّم جعل اسماً من أسماء الزمان .

وروى صاحب الأغاني كذا :

أنا الفارسُ الهامى الحقيقةً والذى

به أدركُ الأبطالُ قدماً لذلك (١)

وزاد بعده ، وهو :

وإنَّ ينجُ منها هاشمٌ فبطعنةٍ

كسّته نجيعاً من دم الجوف صائكا

قال : حَقَّق خفافٌ أنَّ الذى طعنه معاوية هو هاشم بن حرملة .

وخفاف بن نُدْبَة هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد بن رياح خفاف بن ندبة

ابن يَقْظَة بن عُصَيَّة بن خفاف بن امرئ القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم بن
منصور بن عكرمة بن خَصَفَة .

(١) الذى فى الأغاني ١٣ : ١٣٥ : «قدماً كذلك» .

وخفاف بضم الخاء المعجمة ، هو بمعنى الخفيف ، يقال رجلٌ خفاف وخفيف بمعنى ، كطوال وطويل . والخِف بالكسر بمعنى الخفيف أيضاً .

وعمير : مصغر عَمُرٍ . والشَّريد اسمه عمرو . ورياح بكسر الراء بعدها مثناة تحتية . وَيَقْظَة ، هو ضد النوم . وعُصَيَّة : مصغر عصاً . وبُهْثَة بضم الموحدة وسكون الهاء بعدها ثاء مثلثة . وسُلَيم بالتصغير .

وأما نُدْبَة فهو اسم أمه ، كان سبها الحارث بن الشَّريد حين أغار على بنى الحارث بن كعب ، فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافاً ، وكانت امرأةً سوداء . كذا في الأغاني .

وقال ابن الكلبي (في الأنساب) : نُدْبَة هي بنت الشَّيطان بن قَتان بن سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن كعب . انتهى .

وقال صاحب العباب : ندبة هذه كانت سوداء حبشية ، وهي بفتح النون وسكون الدال بعدها باء موحدة ، مأخوذ من قولهم : رجلٌ نَذْبٌ ، أى خفيفٌ في الحاجة ، وامرأة ندبة . وفرس نَذْب ، أى ماضي . ونَذْب ندابة مثل شَجَع شجاعة ، أى خَفَّ في العمل .

٤٧٣

والشَّيطان منقول من الشَّيطان الرجيم ، عليه الخزي .

وقَتان ، بفتح القاف بعدها نونان خفيفتان .

وخفاف بن نُدْبَة مخضرمٌ أدرك الجاهلية والإسلام، وشهد فتح مكة^(١)، وكان معه لواء بني سُليم، واللواء الآخر مع العباس بن مرداس. وشهد حُنينا والطائف، وثبت على إسلامه في الرِّدَّة، وبقي إلى زمن عمر بن الخطاب

(١) انظر الخزائن ٤ : ١٥ .

وكنيته أبو خُرَاشَة . وكان فى الجاهلية يُهاجى العباس بن مرداس ، وله يقول
العباس :

أبا خُرَاشَة أَمَا كُنْتَ ذَانِفِرَ فَإِنَّ قَوْمَى لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبْعُ
وتَقَدَّمَ الكلام عليه (١).

وخفاف هو أحد فرسان قيس وشعرائها المذكورين . قال الأصمعى :
خفاف ودريد بن الصمة أشعرُ الفرسان ، وهو أحد أغربة العرب ، أى
سُودَانِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَسْوَدَ حَالِكَا ؛ وَهُوَ الْقَائِلُ :
كَلَانَا يَسُودُهُ قَوْمُهُ عَلَى ذَلِكَ النَّسَبِ الْمُظْلَمِ
يعنى السُّودَانِ .

وأغربة العرب هم : عنترة بن شداد ، وسليك بن السُّلَكَة ، وأبو عمرو
ابن الحُبَاب ، وخفاف بن ندبة ، وهشام بن عقبة بن أبى مُعَيْط .
وأما معاوية المذكور فهو ابن عم خفاف ، وهو أخو الخنساء الصَّحَابِيَّة
وأخو صخر . وقد قتل معاوية وصخرُ فى الجاهلية . روى هشامُ عن أبيه قال :
كان عُمَيْرُ بْنُ الْحَارِثِ (٢) بن الشَّيْثِ يَأْخُذُ بِيَدِ ابْنَيْهِ صَخْرَ وَمُعَاوِيَةَ ، فِى
الْمَوْسَمِ فَيَقُولُ : أَنَا أَبُو خَيْرَى مُضَرٍّ ، فَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ فَلْيَغَيِّرْ ! فَمَا يَغَيِّرُ ذَلِكَ
عَلَيْهِ أَحَدٌ .

وهذا خبر مقتل معاوية :

خبر مقتل معاوية

روى صاحبُ الأغانى عن أبى عبيدة قال : إِنَّ مُعَاوِيَةَ وَافَى عَكَاطَ فِى
بن عُمَيْر

(١) فى الشاهد ٢٤٩ بالجزء الرابع ص ١٣ .

(٢) ط : «عمرو بن الحارث» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وانظر ماسبق فى النسب .

موسم من مواسم العرب ، فبينما هو يمشى بسوق عكاظ إذ لقي أسماء المريّة ، وكانت جميلة ، وزعم أنها كانت بغياً ، فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت : أما علمت أنى عند سيّد العرب هاشم بن حرملة ! فأغضبته (١) . فقال : أما والله لأقارعه عنك . قالت : شئتُك وشأنه . فرجعت إلى هاشم فأخبرته بما جرى فقال هاشم : لا نريمُ أبياتنا حتى ننظر ما يكون من جهده . قال : فلما خرج الشهرُ الحرام وتراجع الناسُ من عكاظ خرج معاوية غازياً يريد بنى مُرةً وبنى فزارة ، في فرسانٍ أصحابه من سليم ، حتى إذا كان بمكان يدعى الحوزة أو الجوزة — والشكُّ من أبنى عبدة — سَنَحَ له ظبيٌّ فتطير منه (٢) . ورجع في أصحابه ، فبلغ ذلك هاشمَ بن حرملة ، فقال : مامعه من الإقدام إلّا الجبن . فلما كان في السنة المقبلة غزاهم حتى إذا كان في ذلك المكان سَنَحَ له ظبيٌّ وغراب ، فتطير فرجع ، ومضى أصحابه ، وتخلّف في تسعة عشر فارساً منهم لا يريدون قتالا ، إنما تخلّف من عظم الجيوش راجعاً إلى بلاده ، فوردوا ماءً وإذا عليه بيتٌ شَعَر ، فصاحوا بأهله فخرجت إليهم (٣) امرأة فقالوا : من أنتِ ؟ قالت : امرأة من جُهينة ، أخلافُ لبني سهم بن مُرة بن غطفان . فوردوا الماء ، فانسلت فأتت هاشمَ بن حرملة فأخبرته أنهم غير بعيد ، وعرفته بعدتهم (٤) . وقالت : لا أرى إلّا معاوية في القوم ! فقال : يالكاع ، أمعاوية في تسعة عشر رجلاً !؟ شبهت وأبطلت ! قالت : بل قلتُ الحق ، وإن شئت لأصفنهم لك رجلاً رجلاً . قال : هاتى .

٤٧٤

قالت : رأيت فيهم شاباً عظيم الجُمّة ، جهته قد خرجت من تحت ومغفره

(١) في الأغاني ١٣ : ١٣٤ : « فأحفظته » .

(٢) في الأغاني : (دومت عليه ظير وسنح له ظبي فتطير منهما) .

(٣) ط : « اليه » ، صوابه من الأغاني ومن ش مع أثر تصحيح .

(٤) في النسختين : « أنهم غير بعيد وعدتهم » . وتكملته من الأغاني .

صبيح الوجه عظيم البطن ، على فرس غراء . قال : نعم هذه صفة معاوية وفسره السَّماء ^(١) . قالت : ورأيت رجلا شديداً الأذمة شاعراً ينشدهم . قال : ذلك خفاف بن ندبة . قالت : ورأيت رجلا ليس يبرح وسطهم ^(٢) إذا نادوه رفعوا له أصواتهم . قال : ذلك عباس الأصم . قالت : ورأيت رجلاً طويلاً يكنونه أبا حبيب ، ورأيتهم أشدَّ شيء له توقيراً . قال : ذاك بُيُشَّة بن حبيب ^(٣) . قالت : ورأيت شاباً جميلاً له وقرة حسنة . قال : ذلك العباس بن مرداس . قالت : ورأيت شيخاً له صغيرتان ، فسمعتة يقول لمعاوية : بأبى أنت ، أطلت الوقوف . قال : ذلك عبد العزى زوج الخنساء أخت معاوية .

قال : فنادى هاشم فى قومه وخرج ، وزعم أنَّ المرى لم يخرج إليهم إلّا فى عدتهم من بنى مرة . قال : فلم يشعر السُّلَمِيُّونَ حتى طلَعوا عليهم فناروا إليهم فلقوهم ، فقال لهم خفاف : لا تُنازلوهم رجلاً رجلاً ، فإنَّ خيلهم تثبت للطراد وتحمل ثقل السلاح ، وتحيلكم قد أنهكها العزو ، وأصابها الحفاء . قال : فاقتتلوا ساعة ، فانفرد هاشم ودريد ابنا حرملة لمعاوية ، فاستطرد له أحدهما ، فشَدَّ معاوية عليه وشغله ، واغتره الآخر فطعنه فقتله . واختلفوا أيُّهما استطرد له وأيُّهما قتله . وكان بالذى استطرد له طعنة طعنه إيّاها معاوية ، ويقال هو هاشم

(١) السماء ، من أسماء خيلهم ، كما فى القاموس ، وفى الأغاني والعقد ٥ : ١٦٣ : «السماء» ، تحريف ، وقد قيدها البغدادي فى آخر الشرح ، بأنها بلفظ السماء خلاف الأرض .

(٢) ليس يبرح وسطهم ، ساقط من ش ثابت فى ط والأغاني .

(٣) الكلام من «رجلا طويلا» إلى هنا ساقط من ش . وفى الأصل : «نبشة» ، صوابه فى الأغاني وجهرة ابن حزم ٢٦١ والاشتقاق ٣١١ . وقال ابن دريد : «نبشة : تصغير نبشة ، وكل شيء كشف عنه التراب فقد نبشته» .

(٤) الكلام بعده إلى آخره ، ساقط من ش .

وقال الآخرون : بل دريد أخو هاشم . قال : وشدّ خفاف بن ندبة على مالك بن حِمار ^(١) سيد بني شمع بن فزارة ، فقتله . ولما دخل الشهر الحرام من السنة المقبلة خرج صخر أخو معاوية حتى أتى بني مرة فوقف على ابني حرملة ، فإذا أحدهما به طعنة في عضده زعم خفاف في شعره أنه هاشم . فقال صخر : أيُّكما قتل أخي معاوية ؟ فسكتا . ثم قال الصحيح للجريح : مالك لا تجيبه ؟ فقال : وقفت له فطعنني هذه الطعنة في عضدي وشدّ أخي فقتله ، فأيتنا قتلت أدركت ثأرك ، إلا أنا لم نسلب أخاك . قال : فما فعلت فرسه السّماء ، قال : هاهي ، خذها . فأخذها فرجع ، فلما كان في العام المقبل غزاهم صخر وهو على فرسه السّماء ، فقال : أخاف أن يعرفوني ويعرفوا غرة السّماء فيتأهبوا . فحمّم غرّتها . فلما أشرف على الحيّ رأوها فقالت فتاة : هذه والله السّماء ! فنظر هاشم فقال : السماء غراء وهذه بهم . فلم يشعروا إلا والخيل عليهم ، فاقتتلوا ، فقتل صخر دريدا وأصاب بني مرة فقال :

ولقد قتلْتُكُمْ ثَنَاءً وَمَوْحِداً

وتركتُ مُرّةً مِثْلَ أُمسِ المدبرِ

ولقد دَفَعْتُ إلى دريد طعنةً

نَجلاءِ تُزْغِلُ مِثْلَ عَطِّ المنخِرِ ^(٢)

تُزْغِلُ : تخرج الدم قطعاً قطعاً . قال : والرُّغلة : الدُّفعة الواحدة من الدّم والبول .

(١) ط والأغاني : «حماد» ، صوابه بالراء كما في ش والاشتقاق ٢٨٣ ، ٣٩ ، والحيوان ١ : ٣٨٠ .

(٢) في ط والعقد ٥ : ١٦٥ : «عط المنخِر» ، صوابه من ش واللسان (دبر ، زغل) .

وقال صَحْرُ أيضاً فيمن قُتل من بنى مُرّة :

قتلتُ الخالدين به وبشراً

وعمرّاً يوم حَوْزَة وابنَ بشرٍ

ومن شَمْنَج قتلُ رجالِ صديقٍ

ومن بدرٍ فقد أوفيتُ نذرى

ومُرّة قد صَبَحناها المنايا

فروينا الأسنّة غير فخرٍ

ومن أفناءِ ثعلبةَ بنِ سعيدٍ ٤٧٥

قتلتُ ، وما أبيتهمُ بوترٍ

ولكنّا نريدُ هلاكَ قومٍ

فنقتلهمُ ونشريحهمُ بكسرٍ

وقال أبو عبيدة : ثم إنَّ هاشم بن حرملة خرج غازياً ، فلما كان ببلاد

جُشم بن بكر بن هوازن نزل منزلاً ، وخلا لحاجته بينَ شجر ، ورأى غفلته

قيسُ بن الأمرار الجُشميَّ ، فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية ، لائنَجُت نفسى إن

نجا (١) ! فلما قعد لحاجته تكمَّن له (٢) بين الشجر ، حتى إذا كان خلفه

أرسلَ عليه مِعبلةً (٣) فقتله . فقالت الخنساء فى ذلك :

فداءُ الفارسِ الجُشميَّ نفسى

وأفديه بمن لى . مِنْ حميمٍ

(١) فى الأغاني ١٣ : ١٤٠ والعقد ٥ : ١٦٦ : « لا وألت نفسى إن وأل » .

(٢) فى الأغاني : « تقتل له » ، وفى العقد : « كمن له عمرو بن قيس » .

(٣) المِعبلة ، بكسر الميم : نصل طويل عريض . والجمع معابل .

- خصصت بها أخوا الأمرار قيساً
 (١) فتى في بيت مكرمة كريم
 أفديه بكل بنى سليم
 (٢) بظاعنهم وبالأنس المقيم
 كما من هاشم أقررت عيني
 (٣) وكانت لاتنام ولا تُنيم

انتهى كلام الأغاني .

وروى الأخفش (في ديوان الخنساء) عن ابن الأعرابي ، أن قيساً كان رجلاً راعياً ، فأغار عليه هاشم بن حرملة فأخذهم وقال : أتيتكم بهذا الراعى وغنمه . فاغتفله الراعى فرماه فقتله .

وللخنساء مرات كثيرة في أخيها معاوية وصخر .
 والسَّماء التي هي اسم فرس معاوية، هي بلفظ السَّماءِ خلاف الأرض.
 وقد روى ابن عبد ربّه (في العقد الفريد) عن أئى عبيدة أيضاً خبر مقتل معاوية على غير هذا الوجه الذى نقلناه عن الأغاني ، تركناه لطوله ، ومن أراد الاطلاع عليه فلينظره في باب أيام العرب من العقد الفريد (٤) . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد الأربعماتة ، وهو من شواهد سيبويه (٥) :

- (١) ط : « حضضت » ، صوابه في ش .
 (٢) في الأغاني : « بجل بنى سليم » .
 (٣) في هذا البيت إقواء .
 (٤) العقد في يوم حوزة الأول ويومها الثانى ١٦٣:٥ — ١٦٦ .
 (٥) في كتابه ٢ : ١٤٥ ، ١٥٠ وانظر المقتضب ٢ : ٣٢٣ والجمع ٢ : ٧٦ وديوان زهير ١٨٢ .
 وسيعاد الشاهد في ٤ : ٢٠٤ ، ٤٧٨ بولاق .

٤١٢ (تَعْلَمَنَّ هَالْعَمُرُ اللَّهِ ذَا قِسْمًا)

هذا صدر ، وعجزه :

(فَاقْدُرْ بِذَرْعِكَ وَانْظُرْ أَيْنَ تَنْسَلِكُ)

على أن الفصل بين ها وبين ذا بغير إن وأخواته كالقسم قليل ، كما هنا .
قال سيبويه في باب ما يكون [ما] ^(١) قبل المحذوف به عوضاً من
اللفظ بالواو : قولك إى ها الله ذا ، يثبت ألفها ^(٢) ، لأن الذى بعدها
مدغم . ومن العرب من يقول : إى ها الله ذا ، فيحذف الألف التى بعد الهاء ، ولا
يكون فى المقسم ههنا إلا الجر ، لأن قولهم ها صار عوضاً من اللفظ بالواو ،
فحذفت تخفيفاً على اللسان . وأما قولهم ذا ، فزعم الخليل أنه المحذوف عليه كأنه
قال : إى والله للأمر هذا ، فحذف الأمر لكثرة استعمالهم هذا فى كلامهم ، وقدم
ها كما قدم قومٌ : ها هو ذا ، وها أنا ذا . وهذا قول الخليل . وقال زهير :

تَعْلَمَنَّ ها لعمرُ الله ذا قسما البيت . انتهى

قال النحاس : قال الخليل فى ذا : إنه المحذوف عليه ، فكأنه قال : إى
والله الأمر هذا ، فحذف الأمر وقدم ها كما قدم قومٌ : ها هو ذا . وعند غيره أن
المعنى : هذا ما أقسم به . وقسماً مصدرٌ فى القولين ، ومقبله يدل على الفعل .
انتهى .

وقال الأعلام : الشاهد فيه تقديم ها التى للتنبيه على ذا ، وقد حال بينهما
بقوله لعمر الله . والمعنى : لعمر الله هذا ما أقسم به ، ونصب قسماً على المصدر

(١) التكملة من ش وسبويه ٢ : ١٤٥ .

(٢) فى الكتاب : « ثبت ألف ها » .

المؤكد لما قبله ، لأنَّ معناه أقسم ، فكأنه قال : أقسم لعمر الله قسماً . ومعنى تَعْلَمُنْ اعلم ، ولا يستعمل إلا في الأمر .

٤٧٦

وقال أيضاً (في شرح الأشعار الستة) قوله : تَعْلَمُنْ أى اعلم ، وها : تنبيه . وأراد : هذا ما أقسم به . ففرَّق بين ذا وها بقوله لعمر الله ، ونصب قسماً على المصدر المؤكَّد به معنى اليمين .

وقال شارح ديوان زهير صَعُوداً (١) ، وكان ضعيفاً في النحو : وقوله تَعْلَمُنْها أى اعلمها ، والمعنى تَعْلَمُنْ هذا ، وصل ها بالنون من تعلمن ، وفرق بين ها وذا ، ونصب قسماً بتعلَّم ، يريد : يا هذا كما تقول : اعلم زيد (٣) ، أى زائرِك ، أى يازيد . قال الأصمعي : وقد رويت : «ذا قسَم» فذا حينئذ نصب على الحال ، وهى ذو التى تتصرَّف ، وتصرُّفها فى الإعراب نحو : ذو مال وذا ثوب وذى قوم . وبعضهم يقول : تَعْلَمُنْها لعمر الله ذا ، ثم ينصب قسماً على كلامين ، كأنه قال : تعلم قسماً ، فاقصد بذرعك ، أى اعرف قدرك . هذا كلامه ، وكله خلاف الصواب ، وإنما نقلناه للتعجُّب .

وقوله : (فَاقْدُرْ بذرعك) إلخ قال الأعلم (في شرح الأشعار الستة) : أى قَدَّر لخطوك . والدَّرْع : قَدَّر الخطو . وهذا مثلٌ ، والمعنى لا تكلف ما لا تطيق منى ؛ يتوعده بذلك . كذلك قوله : «وانظُرْ أين تنسلك» . والانسلak : الدُّخول فى الأمر ، وأصله من سُلوك الطريق . والمعنى لا تُدخِل نفسك فيما لا يُعْنِيكَ ولا يجدى عليك . اهـ .

(١) صعودا : لقب له ، واسمه محمد بن هبيرة الأسدي ، كان من أعيان الكوفة وعلمائها بالنحو واللغة وفنون الأدب ، قدم بغداد واختص بعبد الله بن المعتز ، كما كان مؤدباً لأولاد محمد بن يزيد وزير المؤمنين .

(٢) ط : «زيدا» ، صوابه فى ش .

والأحسن أن يكون اقدر من قَدَرْت قَدْرًا من بابى ضرب وقتل ، وقَدَرْتَه تقديرًا بمعنى . والاسم القَدَر بفتحيتين ، ومفعوله محذوف تقديره : فاقدُرْ خطوك بذَرْعِكَ . وذرع الإنسان : طاقته التى يبلغها . وروى : «فاقصِدْ بذرعك» من قَصَد فى الأمر قصداً من باب ضرب ، إذا توسَّط وطلب الأسد ، ولم يجاوز الحد . فالباء بمعنى فى . و(الدَّرْع) بمعنى الطاقة أيضا .

والبيت من قصيدة لزهير بن أبى سلمى ، عِدَّتْهَا ثلاثة وثلاثون بيتاً . صاحب الشاهد قال الأصمعى : ليس فى الأرض قصيدة على الكاف أجودَ من قصيدة زهير التى مطلعها :

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَمْ يَأْوُوا لِمَنْ تَرَكُوا
وَزَوْدُوكَ اسْتِيقَاً أَيْةً سَلَكَوا (١)

ومن قصيدة أوس بن حجر التى أولها :
زَعَمْتُمْ أَنَّ غَوْلًا وَالرَّجَامَ لَنَا
وَمَنْعَجًا فَاذْكُرُوا ، وَالْأَمْرُ مَشْتَرِكٌ

وهذه القصيدة هدَّد بها زهير الحارث بن ورقاء ، أخا بنى الصَّيْدَاء بن عمرو ابن قُعين الأسدى ، فإنه كان أغار على طائفة من بنى سُليم بن منصور ، فأصاب سَبِيًّا ثم انصرف راجعاً ، فوجد غلاماً لزهير حبشياً يقال له يسار ، فى إبل لزهير ، وهو آمنٌ فى ناحية أرضهم ، فسأله : لمن أنت ؟ قال : لزهير بن أبى سلمى . فاستاقه وهو لا يحرم ذلك عليه لحلف أسد وغطفان ، فبلغ ذلك زهيراً فبعث إليه : أن ردَّ ما أخذت . فأبى ، فقال زهيرٌ فى ذلك هذه القصيدة يهدِّده

(١) ط : «استبقا» ، صوابه فى ش والديوان ١٦٤ .

بأنه يهجوهم إن لم يُرسل ما أخذه . وهذا أوّل الكلام معه بعد التغزل :

(هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي الصَّيْدَاءِ كُلَّهُمْ

بَأَيِّ حَبْلِ جَوَارٍ كُنْتَ أَمْتَسِكُ

فَلَنْ يَقُولُوا: بِحَبْلِ وَاهِنٍ تَخْلُقُ

لَوْ كَانَ قَوْمُكَ فِي أَسْبَابِهِ هَلَكُوا

يَا حَارٍ لَا أُرْمِيَنَّ مِنْكُمْ بِدَاهِيَةٍ

لَمْ يَلْقَها سَوْقَةٌ قَبْلِي وَلَا مَلِكٌ (١)

أُرْدُدْ يَسَارًا وَلَا تَعْنُفْ عَلَيْهِ وَلَا

تَمَعَّكَ بِعَرْضِكَ إِنَّ الْغَادِرَ الْمِعْلُكُ

وَلَا تَكُونَنَّ كَأَقْوَامٍ عَلِمْتُهُمْ

يَلُؤُونَ مَا عِنْدَهُمْ حَتَّى إِذَا نُهِكُوا

طَابَتْ نَفُوسُهُمْ عَنْ حَقِّ خَصْمِهِمْ

٤٧٧

مَخَافَةَ الشَّرِّ فَارْتَدُّوا لَمَّا تَرَكُوا

تَعْلَمَنَّ هَا لِعَمْرُ اللَّهِ ذَا قِسْمًا ... البيت .

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوْ فِي بَنِي أَسَدٍ

فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَذَكَ

لِيَأْتِيَنَّكَ مِنِّي مَرِيطٌ قَدْ عَظُمَ

بَاقٍ كَمَا دَسَّ الْقُبْطِيَّةَ الْوَدُكُ

هذا آخر القصيدة :

قوله : «هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي الصَّيْدَاءِ» الخ بنو الصيديات : قوم من بني أسد، وهم

(١) ط : «لم يلقها»، وأثبت ما في ش والديوان ١٨٠ .

رَهْطُ الْحَارِثِ بْنِ وَرْقَاءَ . وَأَيُّ مَنْصُوبٍ بِأَمْتَسْكَ . وَالْحَبْلُ : الْعَهْدُ وَالْمِثَاقُ . قَالَ صَعُودَاءُ : إِنَّمَا يَعْنِي الْجِلْفَ الَّذِي بَيْنَ مُزِينَةِ وَغُطْفَانٍ ، وَصِهْرَهُ فِي بَنِي الْغَدِيرِ^(١) . وَالْوَاهِنُ : الضَّعِيفُ . وَالْخَلْقُ بِفَتْحَتَيْنِ : الذَّائِبُ . وَجَمَلَةٌ لَوْ كَانَ قَوْمُكَ إِخْلَجَ مِنَ الْمَقُولِ الْمَنْفَى . يَقُولُ : سَلِّمُهُمْ كَيْفَ كُنْتُ أَفْعَلُ لَوْ اسْتَجَرْتُ بِهِمْ فَإِنِّي كُنْتُ أَسْتَوْثِقُ وَلَا أَتَعَلَّقُ إِلَّا بِحَبْلِ مَتْنٍ .

وَقَوْلُهُ : «لَوْ كَانَ قَوْمُكَ» إِخْلَجَ أَيُّ فِي أَسْبَابِ ذَلِكَ الْحَبْلِ . يَقُولُ : هُوَ حَبْلٌ شَدِيدٌ مُحْكَمٌ ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَجَا ، وَلَيْسَ بِحَبْلِ ضَعِيفٍ مِّنْ تَعَلَّقَ بِأَسْبَابِهِ هَلَكَ .

وَقَوْلُهُ : «يَا حَارَّ» إِخْلَجَ هُوَ مَرْخَمُ الْحَارِثِ بْنِ وَرْقَاءَ . وَلَا نَاهِيَةً ، وَأُرْمِينَ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ مُؤَكَّدَ بِالنُّونِ الْخَفِيقَةِ . وَالسُّوقَةُ : الرَّعِيَّةُ . وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ عِلْمِ الْعُرُوضِ .

وَقَوْلُهُ : «ارْدُدْ يَسَارًا» إِخْلَجَ هُوَ عَبْدُ زَهِيرٍ ، كَانَ الْحَارِثُ أَسْرُهُ . وَتَعْنِفُ بَضْمِ النُّونِ ، مِنَ الْعَنْفِ ، وَهُوَ فَعْلُ الشَّيْءِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ وَالتَّجَاوُزُ فِيهِ . وَالْمَعْلُكُ : الْمَطْلُ ، وَمَاضِيهِ وَمُضَارَعُهُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ . وَالْمَعْلُكُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ : الَّذِي يَمَاطِلُ . يَقُولُ : مَا تَمُطِّلُنِي فَمُطِّلُكَ غَدَرٌ ، وَكَلِمَا مَطَّلْتَنِي لِحَقِّ ذَلِكَ بِعِزِّضِكَ . وَإِنَّمَا يَتَوَعَّدُهُ بِالْهَجْوِ .

وَقَوْلُهُ : «وَلَا تَكُونَنَّ كَأَقْوَامٍ» إِخْلَجَ يُقَالُ لَوَاهٍ يَلْوِيهِ لَئِيًّا وَلَئِيَانًا ، أَيْ مَظْلُوءًا . يَمُطِّلُونَ بِمَا عَلَيْهِمُ مِنَ الدَّيْنِ . وَمَعْنَى تُهَكُّوا شَتَمُوا وَبُلُغَ فِي هَجَائِهِمْ ؛ وَأَصْلُهُ مِنْ نَهَكَتَهُ الْحُمَى ، إِذَا بَلَغْتَ مِنْ جِسْمِهِ وَهَزَلْتَهُ .

(١) ط : «وَضَمِيرُهُ فِي بَنِي الْغَدِيرِ» ، صَوَابُهُ فِي شَرْحِ دِيْوَانِ زَهِيرٍ ٥٥ : «وَكَانَ أَبُو سَلَمَى تَزَوَّجَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ سَهْمِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ يُقَالُ لَهُ الْغَدِيرُ — وَالْغَدِيرُ هُوَ أَبُو بَشَامَةَ الشَّاعِرُ — فَوُلِدَتْ لَهُ زَهِيرًا وَأَوْسًا» .

وقوله : «فارتدوا لما تركوا» أى لَمَّا أَوْدُوا بالهجاء دَفَعُوا الحَقَّ إلى صاحبه وارتدُّوا إلى عطاء ما كانوا تركوه ومنعوه من الحق، مخافةً من الشر ، وإبقاءً على عرضهم .

وقوله : «لئن حللت بجو» البيتين اللام الأولى موطئة ، والثانية جواب القسم . جوّ بالجم : اسم وادٍ . ودين عمرو ، بالكسر : طاعته وسلطانة . وعمرو هو عمرو بن هند ملك العرب . وفَدَّكَ ، بفتح الفاء والذال ^(١) .

والقَدَح ، بفتح القاف والذال المعجمة : اسمٌ بمعنى السبِّ البليغ . يقال أقدع فلانٌ لفلان ، أى استقبله بكلام قبيح . وباق ، أى يبقَى على الدهر بجريانه على أفواه الناس . والقُبْطِيَّة ، بضم القاف وكسرهما : ثياب بيضٌ تصنع بالشام ، وقد يقع على كلِّ ثوب أبيض . والودَّك : الدَّسَم . يقول : لئن نزلت بحيث لا أدركك ليردَّن عليك هجوى ، ولأدُنَّسَنَ به عِرْضُكَ كما يدُنُّس الدسم الثياب البيض .

وقال أبو حاتم: فلما أتت القصيدة الحارث بن ورقاء لم يلتفت إليها ؛ فقال زهير :

تَعْلَمُ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ حَيٌّ	يُنَادِي فِي شِعَارِهِمْ يَسَارٌ
وَلَوْلا عَسْبُهُ لَرَدَدْتُمُوهُ	وَشَرُّ مَنِحَةٍ عَسْبٌ مُعَارٌ ^(٢)
إِذَا جَمَعَتْ نِسَاؤُكُمْ إِلَيْهِ	أَشْطَ ، كَأَنَّهُ مَسَدٌ مُعَارٌ
يُرِيرُ حِينَ يَعْدُو مِنْ بَعِيدٍ	إِلَيْهَا ، وَهُوَ قَبْقَابٌ قُطَارٌ
كَطْفَلٍ ظَلَّ يَهْدِجُ مِنْ بَعِيدٍ	ضَّئِيلِ الْجِسْمِ يَعْلُوهُ انْبِهَارٌ

(١) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة .

(٢) في ديوان زهير ٣٠١ : « أير معار » .

إذا أَبْرَثَ به يوماً أَهْلَتْ كما تُبْزَى الصَّعَائِدُ والعِشَارُ
فَأَبْلَغَ إِنْ عَرَضَتْ لَهُمْ رَسولاً بنى الصَّيْدَاءُ إِنْ نَفَعَ الْجَوَارُ^(١)
بَأَنَّ الشَّعْرَ لَيْسَ لَهُ مَرْدٌ إذا وَرَدَ المِياةَ به التَّجَارُ

وقوله : «تَعْلَمُ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ» إلخ الشعار: علامة القوم في سفرهم
وَعَزَّوهُمْ وحرَمَهُمْ ، نحو : يَا أَفْلَحَ ، وَيَا سَلَامَةَ ، فيصير كلُّ قومٍ إلى داعيهم . وكان
شعار رسول الله ﷺ يومَ حنين : يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ . فلما انهزم الناسُ صاح
العباس : يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ ، فرجع الناسُ وكان الفتحُ . وَيَسَارُ : عبد زهير .
والعَسْبُ : الضَّرْبُ والجماع . يقول : لولا حاجة نسائكُم إليه لرددتموه
على . والمنبيحة : العارية .

وجمحت : مالت . وأَشْطَ : قام متاعه وصُنِبَ واشتدَّ . والمسد :
الحبل . والمُعَار : الشديد القتل . يقال أَغْرَثَ الحبل ، أى فتلته محكما .
ويبرير: يصوِّت مثل بريرة الفحل إذا أراد الناقة ، والتيسر إذا أراد الشاة .
والقَبْقَاب : المصوِّت ، من القبقبة ، وهى هدير الفحل . والقَطَار ، بضم
القاف : القائم المنتصب الرأس يقطر إحليله من الشهوة .

والهَدْجَان : مقاربة الخطو في سرعة . والانبهار : علو النَّفْس عند
التعب . شَبَّهه في عَدُوهِ على أربع إليها عند إرادة الفاحشة وعلو نفسه من
الحرص والشهوة ، بطفل صغير يحبو بينهم لضعفه .

(١) في شرح ثعلب ٣٥ وشرح الشنمري ٤٩ : « إِنْ نَفَعَ الْجَوَار » ، بالجيم . ط : « يَقَع » ،

صوابه في ش والشرحين .

والإبزاء ، بالموحدة والزاء المعجمة ، من جميع الإناث : أن ترفع استنها إلى
الفحل . وأهلت : رفعت صوتها . والصعائد : جَمْع صَعُودٍ ، وهى الناقة التى
تُخْدِجُ على سبعة أشهر أو ثمانية ، فتعطف على ولدها التى ولدته فى العام الماضى
فتدُرُّ عليه . وقيل هى التى مات ولدها فَعُطِفَتْ على ولدها الأول . والعشار : جمع
عُشَرَاء ، وهى التى أتى عليها مذ حملت عشرة أشهر ، وربما بقى الاسم عليها بعد
ذلك . وعليه مخرج البيت ، لأنَّه شَبَّ النساء فى حاجتهن إلى الجماع وإبرازهن
أعجازهن وإهلالهنَّ عند ذلك ، باحتياج الصَّعَائِد التى أَلْقَتْ أولادها لغير التمام ،
والعشارِ التى وَلَدَتْ ثم حَنَّتْ إلى الفحل ، ولذلك وصفه بالبريرة والقبقة ، وهما
صوتُ الفحل عند الضَّرَاب . والحوار بكسر المهملة : المحاورة والمجاورة .

وقال أبو حاتم: فلما بلغتهم الأبيات قالوا للحارث بن ورقاء: اقتل يساراً. فأبى
عليهم وكساه وأحسن إليه، وردة مع الإبل إلى زهير، فمدحه زهير بعد ذلك^(١).
ولولا خوف الإطالة لأوردت جملةً مما قال فيه .

وترجمة زهير تقدّمت فى الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة^(٢) :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد الأربعمئة ، وهو من أبيات
المفصل^(٣) :

(١) بقصيدته الرائية فى الديوان ٣٥ ، ومطلعها :

أبلغ بنى نوفل عنى فقد بلغت منى الحفيظة لما جاءنى الخبر
وقصيدته اللامية التى مطلعها فى الديوان ٣٨ :

أبلغ لديك بنى الصيداء كلهم أن يسارا أثنانا غير مغلول

(٢) الخزنة ٢ : ٣٣٢ .

(٣) ابن يعيش ٨ : ١١٣ ، ١١٤ وشرح شواهد الشافية ٨٠ وديوان النابغة ٢٧ . وسيأتى أيضاً فى ٤ : ٤٨٧

٤١٣ (ها إن تا عذرة إن لم تكن نفعت)

هو صدر ، وعجزه :

(فإن صاحبها قد تاه في البلد)

على أن الفصل بين (ها) وبين (تا) بغير إن وأخواتها قليل ، سواء كان الفاصل قسماً كما تقدم ، أو غيره كما هنا ، فإن الفاصل هنا إن .

وتا . اسم إشارة لمؤنث بمعنى هذه . وروى : « ها إن ذى عذرة » . وروى أبو عبيدة : « وإن ها عذرة » ، فلا شاهد فيه على روايته .

وهذا البيت آخر قصيدة للناطقة الذبياني ، مدح بها النعمان بن المنذر ٤٧٩ ملك الحيرة ، واعتذر إليه فيها مما افتري عليه .

وقد بينا سبب اعتذاره في ترجمته في الشاهد الرابع بعد المائة (١) ، وتقدم شرح أبيات منها . وقبله :

(نُبْتُ أَنْ أبا قابوسَ أوعَدَنِي

وَلَا قَرَارَ عَلَيَّ زَائِرٍ مِنَ الْأَسَدِ)

ها إن تا عذرة البيت

نبت ، بالبناء للمفعول بمعنى أخبرت . وروى : « أنبت » . وأبو قابوس : كنية النعمان بن المنذر . وقابوس معرب كاوس ، على وزن طاوس : اسم ملك من ملوك العجم . وأوعد بالألف لا يكون إلا في الشر ، بمعنى هددني

وزار : مصدر زار الأسد بالهمز يزير ويزار زاراً ، إذا صوت بحنق . وهذا تمثيل لغضبه .
 وقوله : (ها إن تا) إلتخ ها للتنبيه ، وتا : اسم إشارة لما ذكره في قصيدته من
 يمينه على أنه لم يأت بشيء يكرهه ، وهى مبتدأ خبره عذرة . قال بعضهم : إن
 عذرتى هذه عذرة . وقال الخطيب التبريزى فى شرحه لهذه القصيدة : الإشارة
 للقصيدة ، أى إن هذه القصيدة ذات عذرة ^(١) . والعذرة بكسر العين اسم
 للعذر ، وبضمها قال صاحب الصحاح : يقال عذرتى فيما صنع أعذره
 عذراً ، و عذراً . والاسم المعذرة والعذرى . وكذلك العذرة ، وهى مثل الركبة
 والجلسة . وأنشد هذا البيت . وقال صاحب المصباح : عذرتى فيما صنع عذراً من
 باب ضرب : رفعت عنه اللوم ، فهو معذور ، أى غير ملوم . والاسم العذر ،
 وتضم الذال للإتباع وتسكن . وقوله : (إن لم تكن نفعت) روى أيضاً : «إلا
 تكن نفعت» .

وقوله : (إن صاحبها) أى صاحب العذرة ، ويعنى به نفسه . و(تاه)
 الإنسان فى المفازة يتيه تيهاً : ضل عن الطريق ؛ وتاه يئوه توهاً لغة . وقد تيهته
 وتوهته ، ومنه يستعار لمن رام أمراً فلم يصادف الصواب ، فيقال إنه تائه . كذا
 فى المصباح . و(البلد) : الأثر والأرض ، وقيل هنا بمعنى المفازة ، فإن من تحير
 فى المفازة يهلك . وقال شارح ديوانه : معناه لأفارق بلدك مادمت ساخطاً
 على . والمعنى عندى : إن لم تقبل عذرى وترضى على ^(٢) فإنى أحتل حتى إلتى
 أضل فى البلدة التى أنا فيها ، لما أنا فيه من عظم الدهشة الحاصلة لى من
 وعيدك . فتأمل .

(١) ط : «عذرة» ، وفى ش : «ذا عذرة» ، صوابهما ما أثبت .

(٢) ش : «وترضى عني» .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد الأربعمئة ، وهو من شواهد س^(١) :

٤١٤ (ونحن اقتسمنا المال نصفين بيننا

فقلت لهم : هذا لها ، ها وذا اليا)

على أن الفصل بالواو بين ها وذا قليل ، والأصل : وهذا ليا .

نقل بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) عن صدر الأفاضل : إنما جاز تقديم ها على الواو لأن هاتين ، والتنبيه قد يدخل على الواو إذا عطفت جملة على أخرى ، كقولك : ألا إن زيدا خارج ألا وإن عمراً مقيماً . اهـ

قال سيويه في (باب استعمالهم علامة الإضمار الذي لا يُوقع موقع ما يضمن في الفعل) ، قال : وكذلك ها أنا ذا ، وها نحن أولاء ، وها هو ذاك ، وها أنت ذا ، وها أنتم أولاء ، وها أنتن أولاء ، وإنما استعملت هذه الحروف هنا لأنك لا تقدر على شيء من الحروف التي تكون علامة في الفعل ، ولا على الإضمار الذي في فعل . وزعم الخليل أن هاهنا هي التي مع ذا إذا قلت هذا ، وإنما أرادوا أن يقولوا هذا أنت ، ولكنهم جعلوا أنت بين هاوذا ، وأرادوا أن يقولوا أنا هذا وهذا أنا ، فقدّموا «ها» وصارت أنا بينهما . وزعم أبو الخطّاب أن العرب الموثوق بهم تقول : أنا هذا ، وهذا أنا . ومثل ما قال الخليل في هذا قول الشاعر :

٤٨٠

ونحن اقتسمنا المال نصفين بيننا البيت

(١) وهو من شواهد س ، ساقط من ط . وانظر سيويه ١ : ٣٧٩ والمقتضب ٢ : ٣٢٣ وابن يعيش ٨ : ١١٤ والجمع ١ : ٧٦ وملحقات ديوان لبّيد ٣٦٠ . وسيعاد مرة أخرى في ٤ : ٤٧٨ .

(٢) ط : «بعد» ، صوابه في ش .

كأنه أراد أن يقول : وهذا لى ، فصيرّ الواو بين ها وذا . وزعم أن مثل ذلك : إى ها الله ذا ، أى إنما هو هذا . وقد تكون ها فى ها أنت ذا غير مقدّمة ، ولكنها تكون بمنزلتها فى هذا . ويدلك على هذا قوله عز وجل : ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ ، قلو كانت ها هنا هى التى تكون أولاً إذا قلت هؤلاء لم تعد « ها » ههنا بعد أنتم . وحدثنا يونس أيضاً تصديقاً لقول أبى الخطاب ^(١) أن العرب تقول : هذا أنت تقول كذا وكذا . ولم يرد بقوله هذا أنت أن يعرفه نفسه ، كأنه يريد أن يعلمه أنه ليس غيره . هذا محال ، ولكنه أراد أن ينبّه ، كأنه قال : الحاضر عندنا أنت ، إذ الحاضر ^(٢) القائل كذا وكذا أنت . وإن شئت لم تقدّم ها ^(٣) فى هذا الباب ، قال عز وجل : ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ ^(٤) . هذا نصّ سيبويه ، ونقلناه بطوله لكثرة فوائده .

قال الأعلام ^(٥) : الشاهد فى فصله بين ها وذا بالواو ، ونصب نصفين على الحال . وفى هذا حجة لما أجاز سيبويه من الحال فى قول ذى الرمة :
ترى تخلفها نصف قناة قومية

ونصف نقاً يرتج أو يتمرر

وأطال على المبرد فى إبطال جوازه ، فإنه قال ^(٦) : سيبويه رفع نصف ومابعده على القطع والابتداء ، ولو نصب على البدل أو على الحال لجاز .

(١) ط : «تصديقاً لأبى الخطاب» ، وأثبت ماى ش وسيبويه .

(٢) سيبويه : « والحاضر »

(٣) فى النسختين : « لم تقدمها » ، والوجه ما أثبت من سيبويه .

(٤) الآية ٨٥ من سورة البقرة .

(٥) انظر سيبويه ١ : ٢٢٣ بولاق .

(٦) الكلام التالى للأعلام فى موضع سابق للشاهد فى سيبويه ١ : ٢٢٣ بولاق يقابله ماسبق فى

وغلّطه المبرد وزعم أنّ نصفاً معرفة لأنه في نية الإضافة ، فكأنه قال : ترى خلّقها نصفه كذا ونصفه كذا . والحجة لسيبويه أنه نكرة وإن كان متضمناً لمعنى الإضافة ، وليس من باب كلّ وبعض ، لأنّ العرب قد أدخلت عليه الألف واللام وثبته وجمعته ، وليس شيء من ذلك في كلّ وبعض . وصّف امرأة فجعل أعلها في اللطافة كالقناة ، وأسفلها في امتلائه كالنقا المرتجّ المتمرر ، أى يجرى بعضه في بعض . انتهى .

ومعنى البيت الشاهد واضح .

ونسبه الأعلام إلى ليبد ؛ وكذلك نسبه الأندلسي (في شرح المفصل) صاحب الشاهد إليه . وأنا لم أره في ديوانه . وكذلك قال قبلى ابن المستوفى (في شرح أبيات المفصل) : إنه لم يره في ديوانه . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(حَنَّتْ نَوَارٍ وَلَاتِ هُنَّا حَنَّتِ)

هذا صدر ، وعجزه :

(وَبَدَا الَّذِي كَانَتْ نَوَارٍ أُجْنَتْ)

على أنّ هُنَّا بمعنى الزمان ، أى لات حين حَنَّتْ ؛ فهى ظرف زمان لإضافتها إلى الجملة .

قد تقدم الكلام عليه مفصلاً في الشاهد الثالث والثمانين بعد المائتين (١) .
والحين : نزاع النفس إلى شيء . ونَوَارٍ : اسم امرأة مبنية على الكسر في لغة الجمهور ، وعند تميم معرب لا ينصرف . وأُجْنَتْ ، بالجيم بمعنى أخفّت وسترّت ، وتاوّه وتاء حَنَّتِ مكسورتان للوزن .

باب الموصل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد الأربعمئة (١) :

٤١٥ (وَأَيُّ لَرَايَ نَظْرَةً قَبْلَ التِي

٤٨١

لَعَلِّي وَإِنْ شَطَّتْ نَوَاهَا أَزُورُهَا (٢)

على أن جملة (لعلّي) ملح صلة التي ، بتقدير القول ، أي التي أقول لعلّي أزورها. وإنما قدّر أقول (٣) لأنها إنشائية لا يصح وقوعها صلة ، فقدّر القول لتكون خبريّة. وينبغي أن يقول التي أقول فيها لعلّي، ليحصل عائد الموصل.

وهذا تخرّيج أي على الفارسيّ (في التذكرة القصرية) ، قال فيها : قول الفرزدق :

* وَأَيُّ لَرَايَ نَظْرَةً قَبْلَ التِي *

هو على غير الظاهر ، وتأويله الحكاية ، كأنه قال : التي أقول فيها هذا القول . وإضمار القول شائع كثير ، والحكاية مستعملة إذا كان عليها دليل . والدلالة هنا قائمة ، وهي أن الصلة إيضاح ، وماعدا الخبر لا يوضح .

وقال أيضاً (في إيضاح الشعر) : جاء في هذا البيت للفرزدق الصلة غير الخبر ، والصلة لا تكون إلاّ خبراً كما أن الصفة كذلك .

(١) ديوان الفرزدق ٦٦١ برواية : « وإن شقت على أناها » . وانظر شرح شواهد المغني ٢٧٤ والجمع ١ : ٩٥ والأخميني ١ : ٦٣ .

(٢) ويروي : « أناها » ، كما سبق في التخرّيج .

(٣) كلمة « قدر » ساقطة من ش .

فإن قلت : فقد جاء من الموصولة ^(١) مأوَّصل بغير الخبر ، نحو ماقالوه : كتبت إليه : أن قُم وبأن قُم ؟ قلت : ذلك وإن جاء في «أن» لا يستقيم في الذي ونحوه من الأسماء ، لأن الذي يقتضى الإيضاح بصلته ، وليست أن كذلك . ألا ترى أنَّها حرف ، وأنه لا يرجع إليها ذكر من الصلة . وهذا وإن جاء في البيت فإنَّ النحويين يجعلون لعلَّ كليتي ، في أن الفاء لا تدخل على خبرها ، فلا يجوزون : لعلَّ الذي في الدار فمنطلق كما لا يجوزون ذلك في ليت .

فإن قلت : أحمل لعلَّ على المعنى ، لأنه طمع كأنه قال : أطمع في زيارتها ؟ قيل لك : فصله أيضا بالتمنى ^(٢) وقل : المعنى الذي أتمنى ، وصله بالاستفهام والنداء ، وجميع ^(٣) مالم يكن خبراً ، وقل : المعنى الذي أنادى ، والذي أستفهم . فهذا لا يستقيم .

ويجوز فيه أن تقدّر قبل لعلّي فعلاً وتحذفه لطول الكلام ، فيكون الصلة الفعل الذي هو أقول فيها ، وهو خيرٌ لا إشكال فيه . وحسن الحذف لطول الكلام . اهـ

وأورده ابن هشام (في الجملة المعارضة من الباب الثاني من المغنى) على أنَّ جملة «وإن شطّ نواها» معترضة بين لعلّي وبين أزورها . وصلة التي قولٌ محذوف كما ذكرنا .

وذكره الخفاف (في شرح جمل الزجاجي) على أن أزورها صلة التي ، وفصل بينهما بلعلَّ وإن شطّ ^(٤) على وجه الاعتراض ، ويكون خبر لعلَّ

(١) ش : « من الموصولات » .

(٢) ش : « فصله أيضا بليت » .

(٣) ش : « أو جميع » .

(٤) ط : « وإن سقطت » .

محدوفاً تقديره : لعلّ أبلغ ذلك . والفصل بين الصلة والموصول بجملٍ جائز .
قال الشاعر :

« ذاك الذى وأبيك يعرف مالكاً ^(١) »

ففصل بالقسم بين الصلة والموصول .

وتبعه ابن هشام (فى المغنى) فقال : ويحتمل أن هذا البيت من قبيل الاعتراض بين الموصول وصلته على أن تقدير الصلة أزورها ، ويقدر خبر لعلّ محدوفاً ، أى لعلّ أفعل ذلك .

وهذا التخريج مأخوذ من كلام أبى على (فى إيضاح الشعر) ، وما ارتضى ظاهره ، بل وجهه فقال : فإن قلت أراد بأزورها التقديم ، كآته قال : التى أزورها ؟ قلنا: إن ذلك لا يستقيم ، لأنه واقع موقع الخبر ، وتقدير الخبر على لعلّ لا يستقيم . والوجه فيه أنه لما جرى أزورها خبراً للعلّ سدّ أزورها مسدّ الصلة التى يجب أن تكون خبراً ، فكأنه أراد التى أزورها ، فأغنى ذكر أزورها خبراً للعلّ عن ذكره لها قبل لعلّ ، والمعنى على التقديم . وأشبه هذا قولهم : لو أن زيداً جاءنى ، فى أن الفعل الجارى فى الصلة سدّ مسدّ الفعل الذى يقع قبل أن بعد لو ، ولولا هذا الفعل لم يجز . ألا ترى أنه لا يجوز : لو مجيئك . فكذلك سدّ ذكره بعد لعلّ مسدّ ذكره قبل لعلّ . فهذا وجهه . ولا ينبغي أن يقاس على هذا ولا يؤخذ به ، وكأنّ الذى حسنّ هذا طول الكلام وذكر الخبر فى الصلة ^(٢) . وقد رأيت طول الصلة يجوز فيه مالا يجوز إذا لم تطلّ . اهـ . ولم يكتب اللّمامينى ولا شارح شواهد المغنى على هذا البيت شيئاً .

٤٨٢

(١) الجريز فى ديوانه ٤٣٠ . وانظر معجم الشواهد . وقمّاه :

« والحق يدفعُ ترهاتِ الباطلِ »

(٢) ط : « وذكر الجزاء فى الصلة » ، صوابه فى ش .

هذا . وآخر البيت معيّر عن أصله ، والرواية الصحيحة :

« لعلّي وإن شقت على أنالها »

والبيت من قصيدة لامية كما يأتي بعضها . وحينئذ يأتي في أنالها ما قيل في أزورها ، بل يتحتم إضمار القول .

والقصيدة مدح بها الفرزدق بلال بن أوى بردة . وأولها : صاحب الشاهد

(وقاتلة لي لم يصبنى سهامها رمئني على سوداء قلبي بئالها^(١) أبيت الشاهد
وإني لرام رمية قبل التي لعلّي وإن شقت على أنالها
ألا ليت حظي من غلّة أتنى إذا نمت لا يسري إلى خيالها
فلا يلبث الليل الموكّل دونها عليه بتكرار الليالي زوالها)
وبعد هذا شرع في مدحه .

وقوله : (وقاتلة لي) إلخ هو من القتل ، يقول : ربّ امرأة قتلتني مع أنّها لم تصبنى بسهامها الحقيقية ، لكنها رمت سويداء قلبي بنبال غيونها فقتلتني .
وقوله : رمئني ، جواب ربّ .

وقوله : (وإني لرام) إلخ يقال رمى نظره نحو كذا ، أى توجه نحوه ،
ورمى نحوه رمية ، إذا قصده قصداً . ومنه الحديث : «ليس وراء الله رمى» أى مقصود ترمى إليه الآمال^(٢) ، ويوجه نحوه الرجاء . و (شطّ) من باى ضرب وقتل . يقال شطّ الدار أى بعثت . و (نواها) : فاعل شطّ .

(١) في الديوان : « وقائلة » ، وما هنا صوابه .

(٢) ط : « ترمى اليه الآمال » ، وأثبت ما فى ش .

والنوى مؤنثة لاغير ، وهى الوجه الذى ينويه المسافر من قُرب أو بُعد . ويجوز أن يكون فاعل شطَّت ضمير التى ، ونواها منصوب بتقدير فى . هذا على الرواية الأولى . وأما (شَقَّت) على الرواية الثانية ففاعلها ضمير رمية ، من شَقَّ الأمر عليه ، إذا اشتدَّ وثقل عليه . ومنه حديث : « لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتهم بالسَّواك عند كل صلاة » . و(أنالها) مضارع نال خيراً تَيْلاً ، أى أصابه .

وقوله : «فلا يلبث الليل» إلخ قال شارح ديوانه : يقول زالت فذهبت ، فزوالها يُهْدَى إلى خيالها كل ليلة ، وزوالها لا يحبس الليل عنى ، فلا يلبث زوالها أن يُعيدَ خيالها . وقال الجرمازى . يقول : ليت حظي منها أن لا يلبث الليل الموكَّل على زوالها بالترُّكُّر ، أى يكرَّر زوالها على الليل يجعل الليلة ليلاً . وهو مثل قوله :

كَأَنَّ اللَّيْلَ يَحْبِسُهُ عَلَيْنَا ضِرَارٌ أَوْ يَكُرُّ إِلَى نَذْوِرِ
أَي كَأَنَّهُ يَعُودُ كُلَّمَا كَادَ يَفْنَى . اهـ

وترجمة الفرزدق تقدمت فى الشاهد الثلاثين (١).

* * *

وأنشد بعده :

(جاءوا بمَذْقٍ هل رأيت الذئبَ قَطُّ)

على أن الجملة الاستفهامية وقعت صفة لمذق ، بتقدير : تقول عند رؤيته : هل رأيت ، إلخ . وقبلة :

(مازِلْتُ أَسْعَى مَعَهُمْ وَأَخْتَبِطُ حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطَ
جَاؤَا بِمَذْقِ إِنْخ . يقال خبطت فلاناً واختبطته أى سألته بغير وسيلة
ما . شكا قوماً وقال : لم أزل طولَ النهارِ أَسْعَى معهم وأسألُهُم شيئاً ، حتى إذا
٤٨٣ أظلم الليل واختلط الظلام جاءُونِي بلبَنٍ مخلوط بماءٍ كثيرٍ يضرب لونه لكثرة
مائه إلى لونِ الذئب ، فكلُّ من رآه يستفهم عن رؤيته الذئب ؛ لأنه بلونه
يحمل رأيته على السؤال عن الذئب . وإنما قال هذا لأن الذئب موصوفٌ
بالورقة ، واللبَنُ إذا كثُر مائه يصيرُ أَوْرق . والورقة بالضم : لونٌ أبيضٌ يخالطه
سواد .

وقد تقدم الكلامُ عليه مفصّلاً في الشاهد السادس والتسعين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(الحافظو عورة العشيرة)

هو بعض بيتٍ أصله :

(الحافظو عورة العشيرة لا يأتِيهم من ورائهم وكَفُ)

على أنه حذف بعضَ الصلة ^(٢) تخفيفاً ، وهو النون ، والأصل
الحافظون عورة العشيرة . فآل موصولٌ اسميٌّ بمعنى الذين ، والوصف المجموع
صلته ، وقد حذف بعضها وهو النون . وهذا على رواية نصب عورة ، وأما على رواية

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ .

(٢) كلمة « بعض » ساقطة من النسختين ، وإثباتها من نص الرضى ٢ : ٣٥ في قوله : « وتارة

يحذف الصلة ، إما الضمير أو نون المثني والمجموع نحو الحافظو عورة العشيرة » .

جرّها فحذف النون للإضافة . وقد تقدّم الكلام عليه مفصّلاً في الشاهد الثامن والتسعين بعد المائتين من باب الإضافة (١).

والعورة : المكان الذي يُخاف منه العدو . وقال ثعلب : كلُّ مُحْوِفٍ عورة. وقال كراع : عورة الرجل في الحرب : ظهره . والعشيرة : القبيلة . والوكف ، بفتح الواو والكاف ، ويروى بدله (نَطَف) بفتح النون والطاء المهملة ، وكلاهما بمعنى العيب . أي يحفظون العشيرة أن يصيبهم ما يُعابون به ولا يُضيقون ما استُحفظوا فيلحق العشيرة عيبٌ بذلك .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد الأربعمئة (٢):

٤١٦ (يسود نواصيها وحمّر أكفها

وصفّر تراقبها ويبضّ خدودها)

على أن رجوع الضمير من نواصيها على الموصوف بسود المقدر ، خاصٌّ بالضرورة ، والقياس بنساءٍ سودٍ نواصيها .

وهذا على رواية البيت كذا ، وأما على ماسياتي فمرجع الضمير وصفٌ مذكور في بيتٍ قبله .

والبيت من أبياتٍ للحُسَيْن بن مُطير ، أوردها أبو تمام في باب النسيب (من الحماسة) وهي :

صاحب الشاهد

(١) الخزائن ٤ : ٢٧٢ .

(٢) أمالي القالي ١ : ١٦٥ والمرتضى ١ : ٤٣٥ والعمدة ٢ : ١٠ والحماسة بشرح المرزوقي ١٢٣ .

أبيات الشاهد

(لقد كنتُ جلدًا قبل أن تُوقد النوى
على كبدى ناراً بطيئاً يُجمودها
وقد كنتُ أرجو أن تموت صبايتى
إذا قدّمت أياؤها وعهودها
فقد جعلتُ فى حبة القلب والحشا
عهاد الهوى تُولى بشوق يُعيدُها
بسود نواصيها البيت

مُحصَّرة الأوساط زانت عَقودها بأحسن ممّا زينتُها عقودها
يُمْنيننا حتى تَرِف قلوبنا رفيف الخزامى بات طلُّ يجمودها

قال أمين الدين الطبرسى (فى شرح الحماسة) تبعاً للخطيب التبريزى :
يقول : كنتُ حمولاً لحوادث الزمان صبوراً عليها ، حتى مُنيتُ بفراق الأحبة ،
وكنتُ أرجو أن تسكن صبايتى وتنصرم إذا مال عليها الدهر وتقادمت أياؤها ،
أى أيام الصباة . والعُهود : جمع عهد ، وهو اللقاء ههنا . والعهاد : جمع
٤٨٤ عهد ، وهو المطر فى أوّل السنة ، وروى بالنصب والرفع ، فالنصب على أنه
مفعول أوّل لجعلتُ ، وتولى بشوق فى موضع المفعول الثانى ، ويُعيدُها صفة
شوق . ومعنى تولى : ثُمطرَ الولى . والولى : المطر بعد الوسمى . أى صيرت فى
حبة القلب وأحشائه أمطارَ الهوى تتجدد وتُتبع بولٍ من الشوق يرُدُّها كما
كانت . والضمير فى يعيدها يرجع إلى عهاد . يريد أن الشوق لا ينقضى . والرفع
على أن يكون جعلتُ بمعنى طِفقتُ ^(١) وأقبلتُ ، فيكون غير متعَدِّ

(١) ط : «بمعنى خففت» ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، وشرح الحماسة للمرزوقى ١٢٢٩ .

ويرتفع عهاد الهوى به . وىروى : «يولى» بالياء (١) . و«بَعِيدُهَا» بالباء فاعل (يولى) (٢) . أى فقد طففت أوائل هواها يُمَطَّرُ أبعدها بشوقٍ يَجْدُّهَا .

والباء فى قوله : (بسود) يجوز أن يتعلق بقوله تموت صبايتى ، ويجوز أن يتعلق بجعلت ، إذا ارتفعت عهاد الهوى به . يريد جعلت العهادُ تفعل ذلك بسبب نساء هذه الصفات «محصرة الأوساط» ، أى دقيقة الخصور ، وقلائدهن (٣) تكتسب من التزيّن بهنّ إذا علقت عليهن أكثر مما يكتسبن منها إذا تحلّين بها . اهـ

والأقرب أن تتعلق الباء فى «بسود» بقوله يُعيدُها ، وهو الأنسب من جهة المعنى .

وقال الخطيب التبريزى : وإنما جاز أن يجمع حُمر وسود وغيرهما ، وإن ارتفع مابعدُها بها ، لأن هذه الجموع لها نظائر فى الأسماء المفردة ، ولو كانت مالا نظير له فى الواحد لما جاز جمعه ، تقول : مررت برجالٍ ظُرَافٍ آباؤهم ، ولو قلت : برجالٍ ظريفين آباؤهم لم يجوز .

وقوله : «يُمَيِّنُنَا» يصف حُسن مواعيدهنّ وتقريبهنّ أمر الوصال . «حتى ترفّ قلوبنا» أى تهتّز نشاطاً وترتاح وتفرح . والخزامى ، بضم أوله والقصر : حيرى البرّ . ورفيفها : اهتزازها . والطلّ : أثر الندى فى الأرض من المطر . وإنما جعل الطلّ يجود جوداً لأنه يفعل فى رى الخزامى ونعمتها مايفعل الجودُ فى نبات الأرض . يقال رفّ يرفّ ، إذا اهتّز نعمةً ونضارة .

(١) ط : « يولى بالياء » ، صوابه ما أثبت من ش .

(٢) ط : « يولى » ش « تولى » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) ش : « قلائدهن » بدون واو .

وقد أورد هذه الأبيات بأكثر من هذا مع بعض تغيير السيد المرتضى
(في أماليه) قال : أخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال : أنشدنا علي بن سليمان
الأخفش قال : أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب ، للحسين بن مطير :

(لقد كنت جلدًا قبل أن يُوقد الهوى على كبدى ناراً بطيئاً خمودها أبيات الشاهد
ولو تركت نار الهوى لتضرمت ولكن شوقاً كل يوم يزيدها
وقد كنت أرجو أن تموت صبايتي إذا قدمت أيامها وعهودها
فقد جعلت في حبة القلب والحشا عهد الهوى ثلوى بشوق يعيدها ^(١)
بمرتجة الأرداف هيف خصوصها عذاب ثناياها عجاف قيودها
وصفر تراقبها وحمر أكفها وسود نواصيها وبيض خدودها
يمينا حتى ترف قلوبنا رفيف الخزامى بات طل يجودها) اهـ
وكذا روى هذه الأبيات القائل (في أماليه) عن ابن دريد وعن ابن
الأعرابي .

وكتب الشريف المرتضى على قوله « بمرتجة الأرداف » ... البيت : يعنى
أنها عجاف اللثات . وأصول الأسنان ^(٢) هي قيودها . قال أبو العباس
ثعلب : خفض عجاف لحن ، لأنه ليس من صفة النساء ، وسبيله أن يكون
نصباً لأنه حال من الثنايا . اهـ

أقول : إنما قال ثعلب ذلك لأن الضمير في قيودها للثنايا . وهذا
عجب منه، فإن باب جرّيان الصفة على غير من هي له واسع .

(١) في أمالي المرتضى : « تولى بشوق » .

(٢) ط : « وأصل » ، صوابه في ث وأمالي المرتضى .

والباء في قوله: بمرتجة متعلقة بقوله: يعيدها ، ويجوز أن تتعلق بجعلت أو بتموت . ومرتجة الأرداف هو مرجع الضمائر الآتية بعده ، فلا يرد مأوردُهُ الشارح المحقق ، في البيت الشاهد .

وقوله : «مُخَصَّرَةُ الْأَوْسَاطِ» بالجر ، ويجوز النصب والرفع على المدح . وكذلك قوله : « وصفر تراقبها » . والبيت مأخوذٌ من قول مالك بن أسماء بن خارجة :

وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطَّيِّبِ طَبِيباً أَنْ تَمْسِيَهُ أَيْنَ مِثْلُكِ أَيْنَا^(١)
وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجْهِهِ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكِ زَيْنَا

وقوله: « وصُفَرُ تَرَاقِبِهَا » بالتنوين في المواضع الأربعة ، وتراقبها فاعل صُفَرُ ، وكذلك أَكْفُفُهَا ونواصبها . والتَّرَاقِي : جمع تَرْقُوة ، وهي أعلى الصدر . وصفها بالصُّفْرَةِ من الطَّيِّبِ كالزَّعْفَرَانِ . وأراد بِحُمْرَةِ أَكْفُفِهَا الخُضَابَ .

وهذا البيت أورده ابن رشيقي (في العمدة) في باب المطابقة ، قال : أنشد غير واحدٍ من العلماء : بسُودِ نَوَاصِبِهَا ، البيت . ورواه ابن الأعرابي في نَسَقِ أبيات : «وصُفَرُ تَرَاقِبِهَا وَحُمْرُ أَكْفُفِهَا» ... إلخ . وهذه الرواية أشكل في الصنعة .

وروى أبو تمام (في الحماسة) للحسين بن مُطِيرٍ أيضاً ، ويشبه أن يكون الجميعُ من قصيدة واحدة :

وَكُنْتُ أَذُودُ الْعَيْنَ أَنْ تَرِدَ الْبُكََا

فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا

خليلٌ ما بالعيش عيبٌ لو أننا

وجَدنا لأيام الصِّبا من يُعيدها

وروى أبو تمام أيضاً لغيره ، وبعضُ الرواة يرونها لابن مطير أيضاً :

ولى نظرةً بعد الصدود من الجوى

كنظرة ثكلى قد أُصيبَ وليدها (١)

هل الله عافٍ عن ذنوبٍ تسَلَفَتْ

أم الله إن لم يعف عنها مُعيدها (٢)

وحسين بن مطير هو (كما قال في الأغاني) حُسَيْنُ بنِ مطير بنِ حسين بن مطير

مكَّمَل ، مولى لبنى أسد بن خزيمة ثم لبنى سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُوْدَانَ بنِ أسد . وكان جدُّه مكَّمَل عبداً ، فأعتقه مولاة ، وقيل بل كاتبه فسعى في مكاتبته حتَّى أداها وأعتق .

وحسينٌ من مخضرمى الدولتين الأمويَّة والعباسيَّة . شاعرٌ متفدِّمٌ في القصيد والرجز ، فصيح ، قد مدح بنى أمية وبنى العباس ، وكان زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية ، ووفد على معن بن زائدة لمَّا ولي اليمن ، فلما دخل عليه أنشده :

(١) ورد هذان البيتان في الحماسة ١٣٦٠ بشرح المرزوقي مفصولين عن بيتين آخرين للحسين بن

مطير مسبوقين بقول المرزوقي : « وقال آخر » . لكنهما مع سابقيهما في الحماسة بشرح التبريزي ٣ : ٣٣ مقطوعة واحدة للحسين بن مطير .

(٢) في رواية التبريزي : « يعيدها » .

أَتَيْتُكَ إِذْ لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ جَابِرٌ

وَلَا وَاهِبٌ يَعْطِي اللَّهَى وَالرَّغَائِبَا ^(١)

فقال له معن : يَا أَخَا بَنِي أَسَدَ ، لَيْسَ هَذَا بِمَدْحٍ ، إِنَّمَا الْمَدْحُ قَوْلُ تَهَارِ
بَنِ تَوْسِيعَةَ فِي مِسْمَعِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ :

قَلَّدَتْهُ عَرَى الْأُمُورِ نَزَارٌ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكَ السَّرَاةُ الْبَحُورُ ^(٢)
قال : وَأَوَّلُ هَذَا الشَّعْرُ :

أَظْعَنِي مِنْ هَرَاةٍ قَدْ مَرَّ فِيهَا أَظْعَنِي نَحْوَ مِسْمَعٍ تَجْدِيدِهِ ^(٣)
جَجَجٌ مَذَّ سَكَنْتُهَا وَشَهْوَرُ نَعَمْ ذَا الْمَنْشَى وَنَعَمْ الْمَزُورُ ^(٤)
سَوْفَ يَكْفِيكَ إِنْ ثَبَّتْ بِكَ أَرْضُ بَخْرَاسَانَ إِذْ جَفَاكَ أَمِيرُ
مَنْ بَنَى الْحِصْنَ عَامِرُ بْنُ بَرِيحٍ لَاقِلِيلُ الْندَى وَلَا مَنْزُورُ ^(٥)
وَالَّذِي يَفْزَعُ الْكِمَاةُ إِلَيْهِ حِينَ تَدْمَى مِنَ الطَّعَانِ النَّحُورُ
فَاصْطَنَعَ يَا ابْنَ مَالِكِ آلَ بَكْرِ وَاجْبُرُ الْعَظَمَ إِنَّهُ مَكْسُورُ

٤٨٦

فَعَدَا إِلَيْهِ بِأَرْجُوزِهِ الَّتِي مَدَحَ بِهَا ، مِنْهَا :

(١) فِي الْأَغَانِي ١٤ : ١١١ : «لَمَّا بَقِيَ» ، وَمَا هُنَا صَوَابُهُ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : «الْمَجُور» ، صَوَابُهُ مَا هُنَا .

(٣) ط : «قَدْ سَكَنْتُهَا» ، صَوَابُهُ فِي شِ وَالْأَغَانِي .

(٤) فِي النُّسخَتَيْنِ : «نَعَمْ ذِي الْمَنْشَى» ، تَحْرِيفٌ . أَيْ نَعَمْ هَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي يَنْشَى إِلَيْهِ
الْمَادِحُونَ وَالرَّغَائِبُونَ .

(٥) الْحِصْنُ هَذَا هُوَ ثَعْلَبَةُ بْنُ عَكَابَةَ بْنِ صَعْبٍ . وَفِي الْأَغَانِي أَنَّ مِسْمَعَ بْنَ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ بْنِ
ثَعْلَبَةَ . وَهُمْ بَنُو تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَكَابَةَ بْنِ صَعْبٍ ، كَمَا فِي جَهْمَةَ ابْنِ حَزْمٍ ٣١٤ . وَفِي النُّسخَتَيْنِ :
«عَامِلُ بْنُ بَرِيحٍ» ، وَاثْبَتَ مَا فِي الْأَغَانِي .

سَلَّ سِيوفا مُحَدَّثاً صِقَالُهَا صَابَ عَلَى أَعْدَائِهِ وَبِأُهَا
* وَعِنْدَ مَعْنَى ذِي النَّدَى أُمَثَالُهَا *

فاستحسنها وأجزل صلته .

قال المفضل الضبيُّ : كنت يوماً محتاجاً إلى درهم ^(١) ، وعلى عشرة
آلاف درهم ، إذ جاءني رسول المهديُّ فقال : أجب أمير المؤمنين ! فتخوفته
لأنني كنتُ خرجتُ عليه مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، فتطهرتُ وليسْتُ
ثوبين نظيفين ، وصيرتُ إليه ، فلما مثلتُ بين يديه سلّمت ، فردَّ علي وأمرني
بالجلوس ، فلما سكّن جأشي قال لي : يامفضل ، أئى بيت قالته العرب
أفخر ؟ فتشكّكت ساعة ثم قلت : بيت الخنساء . وكان مستلقياً فاستوى
جالساً ثم قال : وأئى بيت هو ؟ قلت : قولها :

وإنَّ صَحْراً لتأتُم الهداةُ به كَأَنَّهُ عَلمٌ في رأسه نارٌ

فأوماً إلى إسحاق بن بزيع ثم قال : قد قلتُ له ذلك فأبى . فقلت :
الصَّوابُ ما قاله أمير المؤمنين . ثم قال : يامفضل ، أسهرنى الباردة قول ابن
مطير الأسدي :

وقد تَعْدِرُ الدُّنيا فيُضحى فقيرُها غنياً ويَغنى بعد بؤس فقيرُها
فلا تقربِ الأمرَ الحرامَ فإنّه حلاوته تفتى ويبقى مَريرُها

ثم قال : ألهذين البيتين ثالث ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين :

(١) في الأغاني ١٤ : ١١٢ : «كنت جالسا على باى وأنا محتاج إلى درهم » .

وكم قد رأينا من تغير عيشة
وأخرى صفًا بعد اكدرار غدِيرُها^(١)

وكان المهدي رقيقاً ، فاستعبر ثم قال : يا مفضل ، كيف حالك ؟
قلت : كيف تكون حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم ! فأمر لي
بثلاثين ألف درهم .

ودخل ابن مطير يوماً على المهدي فأنشده :
لو يعبد الناس يامهدي أفضلهم
ماكان في الناس إلا أنت معبود
أضحت يمينك من جود مصورة
لا بل يمينك منها صور الجود
من حسن وجهك تبدو الأرض مشرقة
ومن بتائك يجرى الماء في العود^(٢)
لو أن من نوره مثقال خردلة
في السود طراً إذا لبيضت السود
فأمر له لكل بيت بألف درهم .

والبيت الثالث رأيته مجروراً كما هو .

ومن قصيدة له في مدح المهدي :

إذا شاهد القواد سار أمامهم
جرىء على مايتقون وثوب

(١) ط : «صفاء» ، صوابه في ش والأغاني .

(٢) هذا البيت لم يرد في الأغاني . وفيه إقواء .

٤٨٧

وإن غاب عنهم شاهدتهم مهابة
 بها يقهر الأعداء حين يغيب (١)
 يعف ويستحي إذا كان خالياً
 كما عف واستحيا بحيث رقيب
 ومن شعره المشهور في رثاء مَعْن بن زائدة :
 أماً بمعني ثم قولاً لقبره
 سقيت الغوادي مريعاً ثم مريعاً
 أيا قبر مَعْن كنت أول حُفرة
 من الأرض حُطت للمكارم مضجعا
 أيا قبر مَعْن كيف وارت جوده
 وقد كان منه البر والبحر مُترعا
 بلى ، قد وسعت الجود والجود ميت
 ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
 أبى ذكر مَعْن أن تموت فعاله
 وإن كان قد لاقى جماماً ومصرعا
 هذا ماالتخيته من الأغاني .

وروى السيّد المرتضى (في أماليه) بسنده عن محمد بن حميد قال : كنّا
 عند الأصمعيّ ، فأنشده رجل أبيات دُغِيل :
 أين الشباب وأية سلكا لا أين يُطلب ضلّ بل هلكا (٢)

(١) ش : «بما يقهر» ، صوابه في ط والأغاني .

(٢) هذا البيت ساقط من أمالي المرتضى ١ : ٤٣٨ .

لا تعجبي ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي
 ياسلم مبالشيب منقصة لا سوقة يُبقى ولا مِلْكا
 قصّر العواية عن هوى قمر وجد السبيل إليه مُشتركا
 ياليت شعري كيف نوؤكما ياصاحبي إذا دمي سفكا
 لاتأخذا بظلامتي أحدا قلبي وطرفي في دمي اشتركا
 فاستحسنها كل من كان حاضرا في المجلس ، وأكثروا التعجب
 من قوله :

* ضحك المشيب برأسه فبكي *

قال الأصمعي : إنما أخذ هذا من قول ابن مطير الأسدي :
 أين أهل القباب بالدّهناء أين جيراننا على الأحساء
 جاورونا والأرض ملبسة نو ر الأفاجي تُجاد بالأنواء
 كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء
 ذهب حيث ماذهبننا ، ودُر حيث دُرنا ، وفضة في الفضاء^(١)
 وقد أخذه مسلم في قوله :
 مُستعبر يكي على دمنة ورأسه يضحك منه المشيب^(٢)

قال السيّد المرتضى قدس الله روحه : ولأبي الحجناء نصيب الأصغر
 مثل هذا المعنى :

فبكي الغمام به فأصبح روضه
 جدلان يضحك بالجميم ويزهر

(١) ديوان مسلم ٣٣١ عن الوساطة للجرجاني ٤٢ وزهر الآداب ٩٨١ ومعاهد النصيب ١ :

ولابن المعتز مثله :

الْحَثُّ عَلَيْهِ كُلُّ طَخِيَاءٍ دِيمَةٍ
إِذَا مَا بَكَتْ أَجْفَانُهَا ضَحِكَ الزَّهْرُ

ولابن دريد مثله :

تَبَسَّمَ الْمَرْءُ وَانْهَلَتْ مَدَامُوعُهُ
فَأَضْحَكَ الرَّوْضَ جَفْنُ الضَّاحِكِ الْبَاكِي
وَعَاذِلَ الشَّمْسَ نَوْرٌ ظَلَّ يَلْحَظُهَا
بَعِينٌ مُسْتَعْبِرٌ بِالْدَّمْعِ ضَحَّاكٍ

٤٨٨

وروى عن أبي العباس المبرّد (١) أنّه قال : أَخَذَ ابْنُ مُطَيْرٍ قَوْلَهُ :
« تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بَكَاءِ السَّمَاءِ »

من قول دُكَيْنِ الرّاجز :

جُنَّ النَّبَاتُ فِي ذُرَاهَا وَزَكَا وَضَحِكَ الْمَرْءُ بِهِ حَتَّى بَكَى
الْتَهَى مَا أَوْرَدَهُ السَّيِّدُ فِي أَمَالِيهِ .

وهذا الخبر المسند إلى الأصمعي رواه (صاحب الأغاني) بسنده إلى أبي
المثنى أحمد بن يعقوب ابن أخت أبي بكر الأصم . وإنما اخترنا رواية السيّد
لأنها اشتملت على فوائد . ولم يحك صاحب الأغاني في روايته إلا قوله :

لا تعجبي ياسلم من رجل ... البيت

(١) في النسختين : «وروى أبو العباس» ، والوجه مأثبات من أمالي المرتضى .

مع أبيات ابن مُطِير (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد الأربعمئة (٢) :

٤١٧ (وقد يُخْرِجُ اليربوعُ مِن نافقائه

ومن جُحرِهِ بالشَّيْخَةِ الَّتِي تَقْصَعُ

يَقُولُ الْخَنَى ، وَأَبْغَضُ الْعُجْمِ نَاطِقاً

إِلَى رَيْنَا صَوْتُ الْحَمَارِ الْيُجَدِّعُ)

على أن أَل الموصولة قد وصلت بالمضارع في ضرورة الشعر ، كما في
الْيُتْقَصَعُ وَالْيُجَدِّعُ ، بينهما للمفعول .

صاحب الشاهد

وهما من مقطوعة هي سبعة أبيات لذى الخِرَق الطُّهَوَّى قد شرحناها
في أول شاهد من شواهد الشرح . والبيت الثاني هو ثلثي الأبيات ، والأول هو
خامسها . وكأنه نقل البيتين من (سر الصناعة لابن جني) ، فإنهما كذا وقعا
فيه ، والصواب أيضاً: «فيستخرج اليربوع» بالفاء كما مر .

وقد ذكر الشارح المحقق هنا أن حق الإعراب في نحو الضارب
والمضروب إنما هو لأل الموصولة ، لكن لما كانت في صورة الحرف نقل إعرابها
إلى صلتها عارضة كما في إلا بمعنى غير . وَحَقَّقَ أَنَّ أَصْلَهُمَا الضَّرْبَ وَالضَّرِبَ ،
فكروها إدخال اللام الاسمية المشابهة للحرفية لفظاً ومعنى على صورة الفعل .
فظاهر هذا الكلام أن إعرابها ينقل أيضاً إلى صلتها إذا كان فعلاً، لأنَّ علّة

(١) انظر الأغاني ١٤ : ١١١ .

(٢) نوادر أبي زيد ٦٧ والإنصاف ١٥١ ، ٣١٦ ، ٥٢٢ وابن يعيش ٣ : ١٤٤ وشرح شواهد

المغنى ٥٩ والمغنى ١ : ٤٦٧ والجمع ١ : ٨٥ .

النقل موجودة ، بل ولو كانت الصلة جملة اسمية . وعليه فجملة يُجَدِّع
وَيُتَقَصُّع في محل جرٍّ على الوصفية للحمار .

فإن قلت : أل مبنية والبناء يقابل الإعراب ، فأى إعراب نقل منها إلى
مابعداها ؟ قلت : أراد أنها في محلٍّ لو كان بداها معربٌ لظهر إعرابه ، فأعرابها
مَحَلِّي . وقد صرح ابن هشام (في تذكرته) أن الجملة الواقعة صلةً لالمحلِّ لها
من الإعراب تطرد فيما عدا نحو قوله :

* إني لك اليُنْذِرُ من نيرانها فاصْطَلِ (١) *

وقوله :

* مِنَ الْقَوْمِ الرَّسُولُ اللَّهِ مِنْهُمْ *

لأنها في هذه حالة محلِّ المفرد المعرب (٢) من قولك: الضارب والمضروب .
ويبحث مثله الدماميني (في شرح التسهيل) فقال : أطلقوا القول بأن جملة
الصلة لالمحلِّ لها من الإعراب ، وينبغي أن يستثنى من ذلك الجملة التي تقع صلة
لأل ، لأنها واقعة موقع المفرد .

وتعقبه الشُّمْنِيُّ (٣) بأننا لانسلم أن كل جملة واقعة موقع المفرد لها محلٌّ من
الإعراب، وإنما ذلك للواقعة موقع المفرد بالأصالة، والواقع بعد أل ليس مفرداً بطريق
الأصالة ، لأنهم قالوا : إن صلة أل فعلٌ في صورة الاسم ، ولهذا يعمل

(١) البيت بتمامه كما في الضرائر ٢٨٨ ، وانظر معجم الشواهد :

لَا تَبْعَثَنَّ الْحَرْبَ إِنِّي لَكَ الْـ يُنْذِرُ من نيرانها فاصْطَلِ

(٢) ط : « محل المعرفة من المعرب » صوابه في ش .

(٣) أحمد بن محمد بن محمد حسن ، شيخ الإمام السيوطي . ترجم له في البغية ترجمة مستفيضة .

وكانت حياته مابين سنتي ٨٠١ — ٨٧٢ . منسوب إلى مزرعة أو قرية ببعض بلاد المغرب ، كما في الضوء اللامع .

بمعنى الماضي ، ولو سُلِّمَ فإنما ذلك للواقعة موقع المفرد الذى له محلٌّ ، والمفرد الذى هو صلة آل لاحتلَّ له ، والإعراب الذى فيه بطريق العارئة من آل ، فإنها لما كانت فى صورة الحرف نقل إعرابها إلى صلتها بطريق العارئة . انتهى . وعلى هذا الكلام أيضاً يردُّ أنَّ علَّةَ النقل موجودةٌ .

وقد خَطَرَ لى بتوفيق الله تعالى ما أرجو أن يكون سديداً ، وهو أنَّ آل لما كانت مبنية وكان الوصف بعدها من جنسها وهو الاسمية ، وكان صالحاً لظهور الإعراب فيه حيث كان غير مشغول بإعراب عامل من حيث كونه صلةً ، وكان الغرض ظهور إعرابها المحلى ، نقل إعرابها إلى الوصف على سبيل العارئة ، وفى اليجدع [لما^(١)] كان الفعل مخالفا لها فى جنسها وكان مشغولاً بإعراب عامله وهو التجرد ، كان غير صالح لظهور إعراب آخر فيه . ولو نُقل إعرابها إلى الجملة لما كان يظهر لفظاً ، لكونه غير صالح له . ولو نقلوه إلى محلها لنأفى الغرض ، وكان نقل إعراب مما لا يظهر فيه إلى ما لا يظهر فيه ، وهذا لاوجه له . فظهر الفرق بين نقل إعرابها إلى الوصف دون المضارع والجملة . والله الحمدُ والمنة ، والله أعلم بالصواب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد الأربعمئة (٢) :

٤١٨ (لعمري لأنَّ البيتَ أكرمُ أهله

وأقعدُ فى أفيائه بالأصائل (٣)

(١) تكملة ليست فى الأصل .

(٢) الإنصاف ٧٢٣ والمجمع ١ : ٨٥ وشروح سقط الزند ٢٠٣ ، ١٦٢٠ وديوان المهديين ١ : ١٤١

واللسان (فيأ) . وسيأتى بعد فى الشاهد ٤٥٠ ص ٥٦٤ بولاق فى الجزء السادس .

(٣) ط : «أفئائه» ، صوابه فى ش وسائر المراجع وما سيأتى فى الشرح .

على أن الكوفيّين جَوَّزُوا أن يكون الاسمُ الجامدُ المعروف باللام موصولاً كما قالوا في هذا : إِنَّ التقديرَ لأنْتَ الذي أكرمَ أهلهُ ، لكنه موصولٌ غيرُ مبهم كسائر الأسماء الموصولة . وعند البصريين اللام غير مقصودٍ قصدهُ ، والمضارع صفة له . وفيه أمور :

الأول : كان ينبغي أن يقول : لأنْتَ البيت الذي أكرمَ أهلهُ ؛ فإنَّ صنيعةَ يوهم أنَّ البيت عند الكوفيّين بمعنى الذي ، وهو باطلٌ لم يقل به أحد ، وإنما الموصول مفهومٌ من اسم الجنس المعروف باللام إذا وقع بعده فعل أو ظرف أو مجرور .

الثاني : قوله لكنه موصول غير مبهم ، لم ينقله أحدٌ عنهم ، ولو كان قولهم لما ردَّ به البصريون عليهم كما يأتي .

الثالث : كون الجواب عند البصريين بجعل اللام للجنس والجملة المضارعية صفة للبيت ، غير منحصر فيه عندهم كما يأتي أيضاً .

قال ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) : ذهب الكوفيون إلى أنَّ الاسم المعروف باللام يُوصل كالذي ، واستدلُّوا بقوله :

« لعمري لأنْتَ البيتُ أكرمُ أهلهُ »

فأنت مبتدأ والبيت خبره ، وأكرم صلة الخبر الذي هو البيت . وردَّ البصريون عليهم بأنه لا يجوز ذلك ، لأنَّ الاسم الظاهر يدلُّ على معنى مخصوص في نفسه ، وليس كالذي ؛ لأنه لا يدلُّ على معنى مخصوص إلاَّ بصلته توضُّحه ، لأنَّه مُبْهَمٌ ، وإذا لم يكن في معناه فلا يجوز أن يقام مقامه .

وأما البيت المذكور فلا حجة لهم فيه من وجهين :
 أحدهما: أن يكون البيت خبر المبتدأ الذى هو أنت، وأكرم خبراً آخر .
 والثانى : أن يكون البيت مُبهماً لا يدُلُّ على معهود ، وأكرم وصفاً له
 فكأنه قال : لأنت بيتٌ أكرم أهله كما تقول : إئى لأمرُ بالرجل غيرك ومثلك
 ونخير منك . انتهى .

واقصر الخفاف (فى شرح الجمل) على الخبرية فقال : لاحجة لهم
 فيه لاحتمال أن يكون خبراً ثانياً لأنت ، ويكون قوله أنت البيت تعظيماً له ،
 أى البيت المعظم ، بمنزلة قولك : أنت الرجل ، أى الرجل العظيم . ٤٩٠

وقال ابن السَّيِّد (فى شرح سقط الزند) : أكرم أهله عند الكوفيين صلة
 للبيت ، وعند البصريين جملة فى موضع الحال ، أو فى موضع خبر مبتدأ
 مضمر ، كأنه قال : أنا أكرم أهله ، ولو ظهر النصب فى هذه الحال لقلت
 مكرماً أهله أنا؛ لأنها تصير حالاً على غير من هى له ، فيلزم ظهور الفاعل
 المضمر ، والعامل فى هذه الحال ما فى قوله : لأنت البيت ، من معنى التعظيم ،
 كما أن العامل فى جارة من بيت الأعشى :

* يا جارتا ماأنتِ جاره (١)*

ما فى قوله : «ماأنتِ» من معنى التعظيم . انتهى .
 وأجاز ابن الأنبارى أن يكون أكرم أهله صلة لموصول محذوف لالبيت ،
 كأنه قال: لأنت البيت الذى أكرم أهله، لكن الموصول حذف ضرورة.

(١) صدره كما سبق فى ٣ : ٣٠٨ :

* بانت لتحنننا عفاره *

وهذا الوجه جارٍ على مذهب الكوفيين ، إذ يجوز حذف الموصول دون صلته في غير ضرورة ، وهذا يأباه البصريون .

قال أبو علي (في إيضاح الشعر) : لا يجوز أن تحذف الموصول وتدع الصلة ، لأنها تُذكر للتخصيص والإيضاح للموصول . ونظيره : أجمعون في التوكيد ، لا يجوز أن تذكره وتحذف المؤكّد . فإن قلت : لم لا يكون كالصفة والموصوف في جواز حذف الموصوف وذكر الصفة ؟ قيل : لم تكن الصلة كالوصف إذا كان مفرداً ، ألا ترى أن الوصف إذا كان مفرداً كان كالوصوف في الأفراد ، وإذا كان مثله جاز وقوعه مواقع الموصوف من حيث كان مفرداً مثله مع استقباح لذلك . فأما الصلة فلا تقع مواقع المفرد من حيث كانت جملاً ، كما لم يجز أن تُبدل الجملة من المفرد من حيث كان البدل في تقدير تكرير العامل ، والعامل في المفرد لا يعمل في لفظ الجملة . فأما من تأوّل قوله : لعمرى لأنت البيت أكرم أهله ، على تقدير لأنت البيت الذي أكرم أهله وحذف الموصول ، فليس في البيت دلالة على هذا الذي تأوّل ، وذلك أنه يجوز أن يكون أكرم أهله جملةً مستأنفة معطوفة على الأولى ، ولم يُحتج إلى حرف العطف لما في الثانية من ذكر ما في الأولى ، كقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢) . ويجوز أن يكون قوله : لأنت البيت ، على جهة التعظيم ، فأجرى عليه اسم الجنس لهذا ، كما تقول : أنت الرجل ، تريد به الكمال والجلد ، فكذلك يكون المراد بالبيت . ألا ترى أنهم قد يقولون : له بيتٌ وشرف ! وإذا كان كذلك جاز أن يكون أكرم أهله في موضع حال مما في البيت من معنى الفعل ، كما أن علماً في قولك : أنت الرجل علماً وفهماً ،

(١) انظر شرح سقط الزند ١٦٢٠ .

(٢) الآية ٣٩ ، ٢٧٥ من البقرة و ٣٦ من الأعراف و ٢٧ من يونس و ١٧ من المجادلة . كما

وردت مسبوقه بالفاء والواو في آيات أخر .

ينتصب عما في الرجل من معنى الكمال . وكذا أنَّ جارةً في قوله :

« يا جارتنا ما أنت جارة »

ينتصب عماً في ما أنت ^(١) من معنى التعظيم ، كأنه قال : كَمَلْتُ في جال علمك وبذك غيرك . فإن قلت : فهل يجوز أن يكون البيت بدلاً من أنت ، ويكون أكرم في موضع خبر المبتدأ ، كأنه قال ، إذا أبدل البيت من أنت : أنت أكرم أهله ، أو البيت أكرم أهله ؟ قلت : إنَّ قياس قول سيبويه عندى إنَّه لا يجوز هذا . ألا ترى أنَّه لم يجر في قولهم : « بئى المسكين كان الأمر ^(٢) » بدل المسكين من الياء . وإنَّما لم يجر ذلك لأنَّ البدل إنَّما يذكر لضرب من التبيين ، فإذا لم يفد ذلك لم يُستجز . والمتكلم في غاية التخصيص والتبيين ، فلم يحتج لذلك فيه إلى بدل ، وإذا كان كذلك فال مخاطب في هذا كالتكلم .

٤٩١

انتهى كلام أبى على ، ولكثرة فوائده نقلناه بجملة.

وقوله : (لعمرى) اللام للابتداء وعمرى مبتدأ وخبره محذوف تقديره: قسمى . أقسم بعمره . وجملة (لأنت البيت) إلخ جواب القسم . و(أكرم) فعل مضارع ، و(أهله) مفعول .

(١) ش مع أثر تغيير : « ينتصب مما في ما أنت » .

(٢) في النسختين : « في المسكين كان الأمر » ، صوابه من سيبويه ٢ : ٧٦ س ١٥ — ١٦ من تحقيق كاتبه . ويعنى سيبويه أن إلتاع « المسكين » على الإبدال من ياء التكلم ، وكذلك من كاف المخاطب في قولك : « بك المسكين مررت » لا يجوز ، وعلة بقوله : « لأنك إذا عنيت المخاطب أو نفسك فلا يجوز أن يكون لا يدرى من تعنى ، لأنك لست تحدث عن غائب » .

وكتب بعض من عاصرناه ^(١) (في حاشيته على شرح القطر للفاكهى): كأنَّ الداعى للكوفيين على جعل البيت اسماً موصولاً أنه لا يصح الإخبار به عن أنت على الظاهر ، بجعله اسماً معرفاً بأل . ويمكن أن يجاب بأنَّه على حذف مضاف ، أى أنت صاحب البيت ، ونحوه .

وقوله : (أكريم) فعل مضارع ، لأنَّ الصلة لا تكون إلا جملة . فما في بعض النسخ من ضبطه على صيغة أفعل التفضيل وإضافته إلى أهله ، ليس كما ينبغي . هذا كلامه . وهو من ضيق العطن وعدم الاطلاع على المعنى ، فإنَّ البيت مستعملٌ في حقيقته ، والخطاب له ، فإنَّ الشاعر — وهو أبو ذؤيب الهذلى ، وتقدّمت ترجمته في الشاهد السابع والستين ^(٢) — بعد أن تغزّل بأبياتٍ خاطب دارَ حبيبته . قال الإمام المروزقى (في شرح أشعار الهذليين) : قوله : لعمري لأنت البيت إلخ ، هذا رجوعٌ من أبى ذؤيب إلى ذكر البيت لتعظيم شأن أهله . وأشار بقوله وأقعد في أفيائه ، إلى ما كان يناله منهم فيدومُ لذلك ملازمته له وجهه وإكرامه لسكّانه . قال: ويروى «وأجلسُ في أفيائه» . ولافضل ^(٣) بين أقعد وأجلسُ في المعنى ، وإن كان لكل منهما من التصرف ما يستبدُّ به دون صاحبه . ألا ترى أنَّه لا يقال مع القيام إلا القعود ، وأنَّه يقال للزمن : هو مُقعدٌ وبه قُعادٌ ، ولاينى له من الجلوس مثل

(١) كتب مصحح المطبوعة الأولى : «قوله بعض من عاصرناه ، لعله يعنى ياسين . اهـ من هامش الأصل» . وقال الميمنى في الإقليد ٨٣ معقبا على ذلك : «هذا خطأ ، فإنه لم يذكر يس الحمصى إلا بلفظ شبخنا . انظر حاشيته على التصريح ، وشرح الألفية له ، في الخزانة» .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ .

(٣) كذا وردت «فضل» بالضاد المعجمة في النسختين ، وهى صحيحة .

ذلك ، وأنه حُكِيَ عن أعرابيٍّ يصف رجلاً : «هو كريم النَّحَّاس ، جميل الجُلَّاس». ويقال فلان الجليس بمعنى النديم ، وهم جُلَّساء الملك . ولم يكثر لهذا المعنى مثل هذا البناء من القعود ، وإن كان الخليل قد حَكى : قعيد الرجل : جلسه . ونظائر هذا في اللغة كثيرة .

أبيات الشاهد

والبيت من قصيدةٍ عِدَّتْهَا أربعةٌ وعشرون بيتاً ، فلا بأس أن تُشْرَحَ فإنَّ فيها شواهدً ، وهى هذه :

(أَسَاءَلْتُ رَسَمَ الدَّارِ أُمَ لَمْ تُسَائِلِ
عَنِ السَّكَنِ أُمَ عَنْ عَهْدِهِ بِالْأَوَائِلِ
لَمَنْ طَلَّلَ بِالْمُنْتَضَى غَيْرَ حَائِلِ
عفا بعد عهدٍ من قطارٍ ووايلٍ (١)
عفا بعد عهد الحى منهم وقد يُرى
به دَغَسَ آثارٍ ومَبَرَكَ جَامِلِ
عفا غيرَ نَوَى الدَّارِ مَا إِنْ تُبَيَّنُهُ
وَأَقْطَاعَ طُفَى قَدْ عَفَّتْ فِي الْمَعَاوِلِ (٢)
وإنَّ حَدِيثاً مِنْكَ لَوْ تَبَذَّلْتَهُ
جَنَى النَحْلِ فِي أَلْبَانِ عُوْذٍ مَطَافِلِ
مَطَافِيلِ أَبْكَارٍ حَدِيثٍ نَتَاجُهَا
يَشَابُ بِمَاءٍ مِثْلِ مَاءِ الْمَفَاصِلِ

(١) ط : «بالمُنْتَضَى» بالصاد المهملة ، وهما لغتان ، كما سيأتى فى الشرح ، وهى فى ديوان الهذليين ١ : ١٤٠ بالضاد المعجمة .

(٢) فى الديوان : « ما أن أبينه » .

رآها الفؤاد فاستُضِلَّ ضلاله
 نيفاً من البيض الحسان العطابيل
 فإن وصلت حبل الصفاء فدم لها
 وإن صرته فانصرف عن تجاميل^(١)
 لعمري لأنت البيث أكرم أهله البيت .
 وما ضرب بيضاء ياوى مليكها
 إلى طنيف أعياء يراق ونازل
 ثهال العقاب أن تمر برؤده
 وترمى ذروء دونه بالأجاديل
 تنمى بها العسوب حتى أقرها ٤٩٢
 إلى مألّف رحب المباءة عاسل
 فلو كان حبلاً من ثمانين قامه
 وتسعين باعاً نالها بالأنايل^(٢)
 تدلى عليها بالحبال مؤثقا
 شديد الوصاة نابل وابن نابل
 إذا لسعته النحل لم يرج لسعها
 وحالفها في بيت نوب عواميل^(٣)

(١) في الديوان : « فانصرم » بالميم . وفي ش : « عن تحامل » ، صوابه في ط والديوان .

(٢) في الديوان : « فلو كان حبل » بالرفع .

(٣) في الديوان : « وحالفها » بالخاء المعجمة ، وهما روايتان نص عليهما البغدادى .

فحطَّ عليها والضُّلوعُ كأنها
 من الخوف أمثال السُّهام النواصِل
 فشرَّجها من نُطفةٍ رَجَبِيَّةٍ
 سُلَّاسِلَةٍ من ماءٍ لَصْبٍ سُلَّاسِلٍ^(١)
 بماءِ شُنَانٍ زَعَزَعَتْ مَتْنَهُ الصَّبَا
 وجادت عليه دِيْمَةٌ بعدَ وابلٍ
 بأطيبَ من فيها إذا جثُّ طارقاً
 وأشهى إذا نامت كلابُ الأسافلِ
 ويأشِبُنِي فيها الأُلَاءُ يَلُونَهَا
 ولو عَلِمُوا لم يَأشِبُونِي بَطَائِلِ
 ولو أَنَّ مَاعِنْدَ ابْنِ بُجْرَةَ عِنْدَهَا
 من الخمر لم تَبْلُلْ لَهَا قِي بِنَاطِلِ
 فتلك التي لا يَرُحُ القلبُ حُبُّهَا
 ولا ذِكْرُهَا مَأْرَزَمَتْ أُمُّ حَائِلِ
 وَحَتَّى يُوُوبَ الْقَارِظَانِ كِلَاهُمَا
 وَيُنْشَرَّ فِي الْهَلَكَى كَلِيبُ لَوَائِلِ

قوله : «أساءلت رسم الدار» إلخ المساءلة : مفاعلة تكون من اثنين ،
 وهذا اتِّساع على عادتهم. والسُّكْنُ : جمع ساكن ، مثل تاجر وتجر . وتقديره :
 أساءلت رسم الدار عن السُّكْنِ أُم عن عهده بالأوائل أُم لم تسائل ، إذا جعلت
 عن السكن متعلِّقة بالفعل الأوَّل . خاطب نفسه على طريق التَحْزُنِ والتَوَجُّعِ

(١) ش : « رحيبة » بالخاء المهملة ، تحريف .

فقال : أباحت رسم الدار لما وقفت عليها عن أخبار سكانها كيف انتقلوا ، وإلى أين صاروا ، أو عن مدة عهده بهم ، ومذ كم ارتحلوا ، ومتى ساروا ، أولاً ؟ والسؤال عن السكن أنفسهم غير السؤال عن مدة العهد بهم ، فهذا فرق . والأوائل هم السكن ، ولكن فحتم شأنهم بأن أعاد اسمهم الظاهر ولم يقل عن عهده بهم . ودعته القافية إليه أيضا . وحسن ذلك ، لما لم يهجنه التكرير ، اختلافاً . ويجوز أن يريد بالسكن الوحش التي استبدلتها من قطانها قبل ، وتلك الحالة من الدار مما يزيد في جزع الوقف عليها ، ويستمد السؤال على جهة التلطف لها ، كما قال :

يعز على أن يرى عوض الدمي بحافاته هام ووم وهجرس

وقوله : « لمن طلل » إلخ هذا وجه آخر من التحزن ، كأنه استنكر أن تكون دارهم بالحالة التي رآها ، فجعل سؤاله سؤال من لا يثبتها ، تعظيماً للأمر . والمنتضى : ملقى الوادين حيث يناصر أحدهما صاحبه . وقال الباهلي : المنتضى : موضع . وروى أبو عمرو : « المنتضى » بالضاد معجمة ، وقال : هو موضع . وقوله : « غير حائل » قال الباهلي : أراد عفا بعد عهد من قطار وابل ، ولم يمر به حول . والمشهور أن يقال أحال الشيء إذا أتى عليه حول ، إلا أن بعضهم حكى أن حال لغة فيه . ويجوز أن يكون حائل بمعنى متغير ، يقال حال الشيء واحتال إذا تغير ، كأنه كان دارس البعض باقى البعض ، فلم يعد ذلك تغيراً كاملاً ، ومتى كانت الرسوم بهذه الصفة ذكرت العهود أشد ، وجددت الغموم أجداً . ولذلك تمنى بعض الشعراء شمول الدروس عليها ليستريح منها فقال :

ألا ليت المنازل قد بلينا فلا يرمين عن شرن حرينا^(١)

(١) البيت لابن أحرر في اللسان والمقاييس (شرن) وشرح السبع الطوال ٢٠ .

وقوله : «بعد عهد» يجوز أن يريد بعد إمام ، ويجوز أن يكون مصدر عُهِدَت الروضة ، إذا أتى عليها العهد ، وهو كلُّ مطر بعد مطر ؛ وجمعه عِهاد . وإنَّما قال من قطار ووايل ، لأنَّ الوايل المطر المُرَوِي ، والقطار : جمع قَطَر ، وهو لما دُوِّنَه .

وقوله : «عفا بعد عهد الحى» إلخ ابتداءً يبيِّن كيف عفا ، والمعنى عفا الطلل والمكان بعد أن كان للحى فيه عهدٌ . والعهد : المنزل الذى لايزالون إذا بُعدوا عنه يرجعون إليه ، كأثَّهَم تركوا النزولَ به وفارقوه فعفا ، يريد عفا منهم بعد عَهْدِهِمْ ، أى بعد أن كانوا يعهدونه ، وقد بقى من آثارهم ومبارك إبلهم ما يُسْتَدَلُّ به على أنَّه ربُّعهم . والدَّعَس : شِدَّة الوطء . وقال أبو نصر : هو تتابع الآثار . والجامل : اسمٌ للجمع يقع ^(١) على الذكور والإناث ، كالإبل ، وإن كان من لفظ الجمل .

وقوله : «عفا غير نوى» إلخ يقول : عفت آثارُ الدار وانمحت إلَّا نوىاً لا يُستَبان منها ، وأقطاعاً من حُوص المُقْل تَمَزَّقت لِقَدَمِها ، فتفرَّقت فى الساحات وكثُرت بترديد الرِّياح لها . والنوى : حاجزٌ يُمنع به السَّيْل عن البيت . والطَّفَى واحدها طُفْية . ومعنى عفا درس . وعَفْتُ فى المعازل : كثُرت . وهذا من الأضداد ، يقال عفا المكان ، إذا درس ، عَفَاءً وَعُفُوًّا ، وعفته الرياح عَفَاءً وَعُفُوًّا : كَثُرَ ، وعفوته أنا . والمعازل : جمع المَعِيز ، وهو ههنا المنزل الذى نَزَلوه وَحَفِظُوا مَالَهُمْ فيه . والعقل : الحفظ .

وقوله : «وإنَّ حديثاً منك» إلخ ترك وصف الدار ودروسها وعطف إلى خطابها يغازلها . يقول : إنَّ حلاوة حَدِيثِكَ لو تَفَضَّلْتَ به حلاوة العسل مشوباً

(١) ط : « يقال » ، صوابه فى ش .

باللبن . والجَنَى أصله الثمر المجتنى ، فاستعاره . والعُودُ : الحديثات النَّتاج ، واحداها عائد . ومَاطِل : جمع مُطِفِل ، وهى التى معها طِفْلُهَا . وإنَّما نَكَّرَ قوله حديثاً منك ، ليبين أنَّ موقع كلامها منه على كل وجهٍ ذلك الموقع . ودلَّ بقوله «لو تبدلني» على تمَنُّعها وتعذُّر ذلك من جهتها .

وقوله: «مطافيلُ أبكار» إلخ مطافيل بدل من قوله عودِ مطافل ، وأشبع في الفاء للزومها فحدثت الياء . والأبكار : التى وضعت بطناً واحداً ، لأنَّ ذلك أول نتاجها ، فهى أبكارٌ وأولادها أبكار ، ولبنها أطيب وأشهى ، فلذلك خصَّه وجعله مزاجاً . ويُشَاب صفة لألبان ، أى مشوبة بماءٍ مُتَنَاءٍ فى الصَّفَاء . وقيل فى المفاصل إنَّها المواضع التى ينفصل فيها السَّهْل من الجبل حيث يكون الرُّضراض ، فينقطع الماء به ويَصْفُو^(١) إذا جرى فيه . وهذا قولُ الأصمعيِّ وأبى عمرو . واعتُرِضَ عليه فقيل : هلا قال بماءٍ من مياه المفاصل ، وماله يشبَّه به ولا يجعله منه ؟ فقيل : هذا كما يقال : مثلُ فلان لايفعل كذا ، والمراد أنَّه فى نفسه لايفعل ، لأنه أثبت له مثل ينتفى ذلك عنه . ألا ترى أنَّه لو جعل ذلك لنظيره لكان المدح لايعَلِّق به ، وقد علِم أنَّ القصد إلى مدحه . وعلى هذا قد حُمِلَ قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء﴾^(٢) . وقال أبو نصر : أراد بالمفاصل مفاصل الجبل حيث يقطرُ الوَشَل ، وذلك أصفى من مياه المناقع والعيون . وقيل أراد يشاب بماءٍ كالدمع صفاء ، فالمفاصل شؤون الرأس ، وهى تسمَّى مفاصل ومواصل ، والدمع منها يخرج . وهذا كما يقال : جئتكَ بخمرةٍ كإبر العين وأصفى من الدمع ، فالتشبيه حاصلٌ فى هذا الوجه ، وهو عندى حسن . والمراد بماء

٤٩٤

(١) ط : «وتصفو» ، وأثبت ما فى ش .

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى .

العين الدَّمْعُ لاغير . وقال أبو سعيد : ماء المفاصل الدم ، وأراد بالماء الحمر وشبهها به . وقال ابن الأعرابي : ماء المفاصل ماء اللحم التي شبه حمرة بحمرته . وعهدة هذين القولين عليهما .

وقوله : « رآها الفؤاد » اُلخ أضاف الرؤية إلى الفؤاد تحقيقاً للأمر ، لأن العين رائد القلب ، فكأنها أدركت بالعين أولاً ، ثم تَوَلَّت بالفكر في محاسنها ثانياً ، فتمكَّن الحب بإعادة النظر وبسط الفكر . قوله : « فاستُضِلَّ ضلاله » ، قال الأصمعي : هو كما يقال جُنَّ جُنونه . وكشُف هذا : أن للنفس شهوة في المستحسنات قد تضلُّ بها عندها ، فتسمَّى تلك الشهوة ضلالاً لكونها سبباً فيه ، ثم إذا غلب عليها شيء يستتبع تلك الشهوة قيل استُضِلَّ ضلالاً فلان ، أى طلب منه أن يضلَّ فضل . وقال بعضهم : أراد استزید ضلاله ، أى زيد ضلاله ضلالاً ؛ كأنه لما تفكر في محاسنها وتقصَّأها ازداد بها ولوعاً ، فجعل ذلك استضلالاً للضلال . وقال الأخفش : هذا كما يقال : خرجت خوارجه ، والمعنى دواخله ، فسمَّأها بما آلت به ، فكذلك أراد استُضِلَّ رشأه ، فقال ضلاله ، لرجوعه إليه . ومثله :

* يُدْعَوْنَ حُمْساً ولم يَرْتَعْ لَهُم فَرْع *

أى لم يَرْتَعْ أُمْنُهُمْ . وهذا كثير . وقوله : نيافاً، نصبٌ على الحال . والنياف : الطويلة المشرفة ^(١) ، ومنه أناف على كذا، أى أشرف . والعطابل : جمع عُطْبُول بحذف الزيادة منه ، كأنه كان عُطْبُلًا ، وهى الطويلة الأعناق .

وقوله : « فَإِنْ وَصَلْتَ حَبْلَ » اُلخ يُسأل عن موقع هذا الكلام ممَّا قبله ، وعن زهده المسرف في هذا البيت بعد ضلاله المفرط في البيت المتقدم ، وكيف

(١) ط : « المترفة » ، صوابه في ش وشرح السكري .

وجهُ التثامهما على تقاربهما ، وهل يجوز أن يتجلَّد في هذا ثم يقول بعقبه :

« لعمري لأنَّ البيتَ أكرمُ أهله ».

والجواب أنَّ هذا وَفَق ماتقَدَّمه ، وغير مخالف له ، لكنَّه أظهر الاستسلام لها ولرأيها ، فإن وصلت حبله دام على مصافاتها لا يشرك أحداً في وُدِّها ، وإن صرمت وُدَّه وقف عند محدودِّها في الانصراف ومرسومها ، لا يستعمل منكراً ولا يتعاطى رَفْناً ولا هُجْراً . وهذا من الآداب المحمودَّة فيما يجري عليه المتحابَّان . ويدلُّ على ماقلنا أنَّ أبا ذؤيب أمرَ نفسه بالدَّوام إن رأت الوصل — والدَّوام على الوصل زيادةٌ عليه وثباتٌ فيه — وبالنصراف عنها على أَجْمَلِه إن رأت الصَّرم إلى أن ترى غيره . وإذا كان الأمر كذلك فما أظهر زهداً فيها .

وقوله : « وماضَرَبَ بيضاء » إلخ عاودَ وصفَ المرأة . والضَّرَبُ: الشُّهْدَةُ ، ويقال استَضَرَبَ العسل ، إذا خَثُرَ فَصَّلُبَ . وهو ضَرَبٌ وضريب . والعَسَلُ في لغتهم مؤنَّثٌ ، فلذلك قال بيضاء . وقوله: « ياؤى مَلِيكُها » أراد به اليسوب ، وهو قائد النحل ، وأضاف المليك إلى العسل توسُّعا ، وإنَّما هو ملك النحل المعسلة. والظَّنْفُ ، بفتح الطاء وضمها: حَيْذٌ نادرٌ من الجبل ، والمعنى ما عسلَّ بيضاء ياؤى نَحْلُها إلى أنْفٍ من الجبل يُعْمَى الراقى إليه والنازل منه .

وقوله : « ثَهال العقاب » إلخ . قال الباهلي : الرِّيدُ : شمراخٌ في الجبل . وقال أبو نصر: الرِّيدُ مانتاً من الجبل فخرج منه حرف . والدُّرْو: جمع الدَّره وهو الحَيْذُ يدفع ما يلاقيه. ومنه تدارأ الرجالان، إذا تدافعا . وقال الأصمعي: هو الأنف المعوج . والمعنى أنَّ ذلك الجبل ثهاب العقاب من المرور بحرفه ، لإشرافه وعُلُوِّه واعوجاج أطرافه وأنوفه .

وقوله : « تنمى بها اليعسوب » إلخ ضمير بها للنحل ولم يجر لها ذكر ، لأنه يستدل عليها بالقصة . يعنى أن اليعسوب يرتفع بالنحل حتى يسكنها في مجمع لها ألفتة واسع ذى عسل . وإنما قال هذا لأن النحل تتبع قائدها فتطير بطيرانه وترجع برجوعه . والمباعدة : مرجع الإبل ومبيتها الذى تنبؤا فيه وتأوى إليه ، فاستعاره ههنا . وقوله : « أقرها إلى مألِف » عذاه بإلى ، لأنه في معنى آواها وألجأها ، وهم يحملون النظر في التعدية على النظر ، والنقيض على النقيض كثيراً .

وقوله : « فلو كان حبلاً من ثمانين » البيتين الضمير المؤنث في نالها وعليها للخليّة المفهومة من المقام ، وفاعل نالها : شديد الوصاة ، وجملة تدلّى : حالٌ بتقدير قد ، والتقدير : نالها بالأنامل شديد الوصاة نابلٌ وابنُ نابلٍ متدلّياً عليها بالحبال . ويكون مؤثّقاً حالاً^(١) من الضمير في تدلّى . ويجوز أن تكون جملة تدلّى اعتراضاً بين الفعل والفاعل ، ويحسن الاعتراض أنه تفسيرٌ لنيل المشتار للعسل كيف كان ، وعلى أى وجه توصّل . وروى تقديم بيت تدلّى عليها ، على بيت فلو كان حبلاً ، وبه يحسن الانتظام ، ويصير قوله فلو كان^(٢) حبلاً من ثمانين قامة واقعاً في موقعه ، وبياناً لحذق المشتار وحسن تأثيه^(٣) فيما يعانیه ، حتى لا يمتنع عليه شائى منيع . وعليه يكون شديد الوصاة فاعل تدلّى ، وموثّقاً حال . قال الأصمعى : أراد بشديد الوصاة الشديد الحفظ بما أوصى به . قال أبو نصر : بيانه : شديد عند الوصاة لا يسترخى فيها ولا يتجوز . وقال أبو عبيدة : أى يوصى أصحابه بالحبل ويشدّد فى الأمر ، يقول : أمسكوه واستوثّقوا منه . وقوله : نابلٌ وابن

(١) ط : « حال » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « ولو » ، صوابه في ش .

(٣) ط : « تأثيه » ، صوابه في ش .

نابل ، أى حاذق وابن حاذق ، يعنى أنه ورث صناعته عن أسلافه ، ثم نشأ عليها وبرع فيها .

وقوله : «فلو كان حبلاً» تقديره : لو كان الحبل الذى تدلّى به حبلاً طوله ثمانون قامة وتسعون باعاً . والمعنى تدلّى عليها ، ولو كانت أشقّ منها مطلباً وأبعد منالاً لاحتمال فيها حتى ينالها بيده ^(١).

وقوله : «إذا لسعته النحل» إلخ يُروى «إذا لسعته الدبّ» وهو كالنحل وزناً ومعنى . يقول : إذا لسعت النحل هذا المشتار لم يخف لسعها ، ولم يُبال بها ، ولا زَمَها فى بيتها حتّى قضى وطره من مُعسلّها . ومعنى لم يرج : لم يخف ، من قول الله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً﴾ ^(٢) . وكما وضعوا الرجاء موضع الخوف وضعوا الخوف موضع الرجاء . وقوله : «وخالفها» قال الأصمعى : أى صار حليفها فى بيتها وهى تُوب . ولم يرد : خالفها فى بيت غيرها . وروى أبو عمرو : «وخالفها» بالخاء معجمة قال : يريد جاء إلى عسلها من ورائها لما سرحت فى المراعى . والتوب : النحل ، ولا واحد له . وقال ابن الأعرابى : هو جمع نوبى ، سمّوها بذلك لسوادها . وقال الأصمعى : هو جمع نائب ، كعائذ وعوذ . يريد أنّها تختلف وتجيء وتذهب ، أى تتناب المراعى ثم تعود . وعوامل ، أى تعمل العسل .

وقوله : «فحطّ عليها» إلخ يقول : انحدر المشتار على الخلية والقلب يجب والأحشاء تضطرب ، خوفاً مما يكابده فى التدلّى ، حتّى كأنّ ضلوعه سهام لانصال لها ، رُمى بها فطاشت وقَلقت . والسهم الناصل : الذى سقط نصله أو قَلِق ^(٣).

(١) ش : «حتى نالها بيده» .

(٢) الآية ٢٧ من سورة النبأ .

(٣) ط : «فلق» ، صوابه بقافين ، كما فى ش .

يقال : نَصَلَت السهم ، إذا رَكَّبْتَ عليه النصل ، وأنصلته فنَصَل ، إذا نَزَعْتَ نَصْلَهُ .

٤٩٦

وقوله : «فَشَرَّجَهَا مِنْ» إلخ أى جعل العسل شريجين ، أى خليطين ، بالمزاج الذى صَبَّه عليها ، وكل واحد من الخليطين شريح . والنطفة : الماء . وإنما نسبها إلى رجب لأنَّ رجبَ وجمادى كانا فى زمانهم من شهور الشتاء . والسَّلاسلُ ، بالضم : التى تتسلسل فى الحلق لصفائها وعذوبتها وسهولة صفاء مدخلها . وجعلها من ماء لَصَب بكسر اللام ، وهو شَقٌّ فى الجبل ، ليدلَّ على أنها من ماء المطر ، وأنه تنقَّل فى مضائق الطرق وتقطع بمدراج الشقوق والثَّقَر ، فتزيل الكدورة عنه ، وتَسْلَسِل فى جريه ومروره حتَّى تنهى فى مَقَرِّهِ ورَيْد بالريِّح^(١) فى مستنقعه . فقلوه : سلاسل صفة ماء لَصَب ، وأراد به رِقَّتَهُ وسرعة مَرَوْ فى مجاريه من المساليل والمناقع .

وقوله : «بماء شُنَان» إلخ رواية الأصمعى بتنوين ماء وإجراء شنان وصفا له . قال أبو نصر : وهو أحبُّ إلى . والشُّنَان بضم المعجمة : البارد ينشَن من الجبل انشنانا . ومنه شَنُّ عليه الغارة . وروى أبو سعيد : «بماء شِنَان» على الإضافة ، قال : والشُّنَان ، بكسر المعجمة : جمع الشَّئَةِ ، وهى القربة الحَلَق ، والماء فيها أبرد . وقوله : «زَعَزَعْتُ مِثْنَهُ» أى أعلاه . وقوله : «وجدت عليه» إلخ القصد فيه إلى تكثير الماء حتى يكون أصفى .

وقوله : «بأطيب من فيها» إلخ هذا خبر «ما» من قوله : وماضربٌ بيضاء . وإذا جئتَ ظرفَ لطارقاً ، وإذا نامتَ ظرفَ لأشهى . والمراد : وأشهى من فيها إذا نامت . والمشار إليه بإذا نامت غير المشار إليه بإذا جئت ، يدلُّك

(١) ش : « وريد الريح » ، صوابه فى ط . وريد : أقام .

أنَّ الوقت الذى يجيئ فيه طارق ^(١) يجوز أن يكون من أول الليل ، ومن أوسطه ، وآخره ، فإنَّ الوقت الذى ينام فيه كلابُ الأسافل يكون معلوماً متميِّزاً عن ساعات الليل . وقد اختلِفَ فيه ، فقال بعضهم : هو أولُ الصبح ، لأنَّ الكلابَ إذا تحرَّك الناس تنام وتسكن . ومثله قول أبنى ذؤيب فى أخرى :

بأطيب من مُقبِّلها إذا ما دنا العيوق واكتتم التُّبوح
وقيل الأسافل مراد به أسافل الحيِّ ، لأنَّ مواشيهم لاتبيت بل لها مباءةٌ على جِدة ، فرُعَاتها لاينامون إلا آخرَ من ينام ، لأنَّ منهم من يربُّق ، ومنهم من يحلبُ ، وكلابهم تحرس معهم ، فلا تنام إلا آخر الليل .
وقال الباهلى : الجِواء يكون فيه الوجوه ، والأسافل يكون فيه الرُّعاء .
وهذا كالبيان للأوّل .

وقال أبو سعيد : الأسافل: سَفَلَةُ الناس ، ويعنى بهم هنا الرعاة ، وليس يراد به أسافل البيوت .

وقال الأنخفش : الرواية « كلاب المسافل » ، يعنى المواضع التى تسفل الناسُ فيها . يقال أتيَت المسفلُ من مكة وأتيَت المغلَى منها ، وهى مسافلها ومعالها . والمعنى على جميع هذه الوجوه أنَّ فمها أشهى مما وصفه إذا تحلَّفت الأفواه وتغيَّرت .

وقوله : «ياشُبْنى فيها» إلخ ياشبْنى : يَلطُخْنى ويقذفنى . يقال : أشبَّه بشيءٍ، إذا قذفه به. والألاء ^(٢) : اسم موصول بمعنى الذين. وعليم هنا بمعنى عَرَفَ

(١) ش : « طارقا » ، وكلاهما صحيح .

(٢) ش : « والأوّل » ، صوابه فى ط ، وهو المطابق لنص الشعر .

يقول : لو عرفوا قصتي معها مع تمنعها لم يقولوا إني أصبت منها طائلا .
والطائل : ماله فضل وقدر . وروى : « بباطل » ، والمعنى : لتخرجوا من قذفي
بالباطل . ويُلونها : يقرّبونها . وروى : « الألى لا يُلونها » أى الغرباء دون أهل
بيتها .

وقوله : « ولو أن ما عند » إلخ ، ابن بُجْرة بضم الموحدة وسكون الجيم :
تَحْمَارٌ معروف كان بالطائف . والناتل ، هنا : جُرْعَةٌ من ماءٍ أو لبن أو نبيذ ،
ويأتى بمعنى المكيال للخمر ، وليس مراداً هنا . وأبلغ من هذا : ٤٩٧

وكيف طلابي وصل من لو سألته
قَدَى العين لم يُنعم وذاك زهيد^(١)

وقوله : « فتلك التى لا يبرح » إلخ ، مامصدرية ظرفية ، وأرزمت بتقديم
المهملة : حَتَّت . والحائل : الأنثى من أولاد الإبل . والسَّقْب : الذكر .
والمعنى : تلك المرأة التى وصفتها هى التى لايفارقتى حبُّها وذكرها أبداً .
وقوله : « حتى يؤوب القارطان » إلخ ، المعنى : لايفارقتى حبُّها حتى
يكون مالا يكون .

القارطان

القارطان أحدهما القارظ العَنزى ، وهو يذكر بن عَنزة بن أسد بن ربيعة ،
كان يعيش [ابنته^(٢)] فاطمة ، خزيمة بن نهد ، فطلبها من أبيها فلم يزوجه ، ثم
خرج يذكر وخزيمة يطلبان القَرظ — وهو ورق تدبغ به الجلود الطائفية —

(١) أنعم : أجاز بنعم . وذاك ، أى الإجابة بنعم .

(٢) ابنته ، ساقطة من ش .

ومراً بقليبٍ فاستقيا ، فسقطت [الدلو^(١)] فنزل يذُكر ليُخرجها ، فلما صار في البئر منعه الحبْل وقال : زوِّجني فاطمة . فقال : أمّا على هذه الحالة اقتساراً فلا أفعل ، ولكنْ أخرجني حتّى أزوّجك . فامتنع ، وجعل يسأله ويأبى حتّى هلك فيها .

والقارظ الثاني : رجلٌ من النّمرِ بن قاسط ، خرج يبغي قرظاً فأبعد ، فهشنته حيةٌ فقتلته ، فضرَب المثلُ برجوعه فيما لا يكون . قال عُمارة بن عقيل :
لأجزرَ لحمي كلبَ تَبْهان كالذي
دعا القاسطيَّ حتفه وهو نازحُ

كذا ذكر المبرد أنّ القاسطيَّ أحد القارظين . هذا لخصته من شرح أشعار الهذليين للإمام المرزوقي .

وقال الرّخشري (في مستقصى الأمثال) : القارظ الثاني : اسمه هُميم ، وقيل عُقبة ، وكان يتصيدُ الوعول ويدبغ^(٢) جلودها بالقرظ ، فعرض له في بعض الجبال ثعبانٌ فنفضه نفخةً فوقع منها ميتا . انتهى .

وأما الميدانيّ (في مجمع أمثاله) فقد قال : القارظ الثاني ليس له حديث غير أنه فُقد في طلب القرظ ، واسمه هُميم . والله أعلم بالصواب .

وأنشد بعده :

(ولقد أمرُّ على اللّثيم يسبني)

(١) كلمة « الدلو » ساقطة من ش .

(٢) يقال دبغ الجلد يدبغه ويدبغه ، مثلث الباء في المضارع .

وتقدم الكلام عليه في الشاهد الخامس والخمسين من باب المبتدأ والخبر^(١).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد الأربعمئة^(٢):

٤١٩ (وليسَ المألُ فاعلمه بمالٍ وإنْ أغناكَ إلَّا للذِّى

يُريدُ بهِ العَلَاءُ ويَصْطَفِيهِ لأقربِ أَقْرِيهِ وللْقَصَى)

على أن كسرة الياء المشددة من (الذى) كسرة بناء .

والبيتان كذا رواهما ابن الشجرى (في المجلس الرابع والسبعين من أماليه) . وقوله : (بمال) خبر ليس ، والباء زائدة ، وجملة (فاعلمه) معترضة ، وكذلك جملة (وإنْ أغناكَ) معترضة ، وإنْ وصلية ، ونقل شارح شواهد الموشح عن بعضهم أنَّها نافية ، والمستثنى منه محذوف ، تقديره لأحد . وجملة (يريد) بفاعله المستتر صلة الذى . وروى بدله : (ينال به) . ويصطفيه معطوف على يريد . و(العَلَاء) بفتح العين والمد : مفعول يريد ، وهو بمعنى الرفعة والشرف . ويصطفيه بمعنى يختاره . وقوله : (لأقرب) متعلق بيصطفيه . وإضافة أقرب إلى أقربه كقولهم : أعلمُ الأعلمين . والقصى : البعيد . يقول : ليس المال فى الحقيقة مالا لأحد إلا للذى يريد بسببه علو الدرجة فى المجد ، ويختاره للقريب والبعيد .

٤٩٨

وروى البيت الثانى الخفاف (فى شرح الجمل) كذا :

(١) الخزانة ١ : ٣٥٧ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٠٥ والإنصاف ٦٧٥ والمجمع ١ : ٨٢ ويس ١ : ١٨١ واللسان

(ضمن ١٢٨ لذا ١١١) .

تحوُّز به العلاء وتَصْطَفِيهِ لأَقْرَبِ أَقْرَبِكَ وَلِلصَّفَى
بالخطاب في المواضع الثلاثة .

وروى ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) البيتين كذا :
وليس المالُ فاعلمه بمالٍ من الأقوامِ إلا للذِي
يُرِيدُ به العلاء ويمتِنُّه لأَقْرَبِ أَقْرَبِهِ وَلِلْقَصَى
وعليها فجزم يمتِنُّه ضرورة ، وهو من امتنَّه الشيءَ بمعنى أهنته
وَحَقَّرْتَهُ .

والبيتانِ لا علم لى بقائلهما . والله أعلم .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد الأربعمئة (١) :

٤٢٠ (وَالَّذِ لو شاءَ لَكُنْتَ صَخْرًا
أو جِبلاً أَشَمَّ مَشْمُخراً)

على أن حذف الياء من (الذى) والاكتفاء بكسر الذال لغة .
و (الأشَمُّ) من الشَّمَم ، و [هو] الارتفاع . و (المَشْمُخَر) : العالى المتناول ،
وقيل الراسخ . وهذا مارواه الخفاف وغيره . ورواه ابنُ الشَّجَرى (في أماليه)
وابن الأنباري (في مسائل الخلاف) :

وَالَّذِ لو شاءَ لَكَانَتْ بَرًّا أو جِبلاً أَصَمَّ مَشْمُخراً

(١) أمالي ابن الشجرى ٢ : ٣٥٥ والإنصاف ٦٧٦ والمجمع ١ : ٨٢ .

قال شارح (شواهد الموشح) : ضمير كانت للدنيا أو الأرض .
والبرُّ : خلاف البحر . والمعنى : هو الذى لو شاء أن يكون براً لكان براً ،
ولو شاء أن يكون جبلاً^(١) . انتهى .

والأصم من الصَّم ، أراد به المصمَّت الذى لاجوف له .
ولأعلم قائل هذا البيت أيضاً ، وعلمه عند الله .

نهاية الجزء الخامس من تقسيم محققه

(١) كذا بإغفال جواب الشرط هنا لوجود مايدل عليه ، أى لكان جبلاً .

الفحص

(أ) فهرس التراجم

٢٤٣	حُميد بن حُرَيْث	١٧	معقّر بن أوس
٢٥٣	المَرَار بن منقذ	٢٢	مضرّس بن رِئعىّ
٢٥٦	من يقال لهم المَرَار	٣٠	قَوَال الطائى
٢٦٤	المُحَلَّب الهلالى	٢٦٣، ٣٥	العُجَير السلولى
٢٧٧	يعلّى الأحول الأزدى	٥٥	خِرْنَق بنت بدر بن هِفَّان
٢٨٤	ذو الإصْبَع العُدَوانى	٦٤	حَكِيم بن مُعَيَّة
٣٠١	عُبَيْدة بن ربيعة	٩٣	أبو الغريب النَّصرى
٣١١	مُعَلِّس بن لقيط	١٠٦	الأمين المحلّى
٣٥٠	عِمْران بن حِطَّان	١١٢	ابن زِيَّابة
٣٧٩	زيد الخليل	١٣٤	القُحيف العُقيلى
٣٩٥	حُميد الأرقط	١٥٦	عبد الله بن كَيْسَبَة
٤٠٦	أبو خِرَاش الهذلى	١٦٣	طُفيل الحارثى
٤٢٤	الأشعث بن قيس	١٧٣	مُسافِع بن حذيفة العبسى
٤٤٥	خُفاف بن ثَدْبَة	١٧٨	مالك بن خالد الخُناعى
٤٧٥	حُسَيْن بن مُطير	١٨٢	شُمير بن الحارث الضَّببى
٥٠٢	القارظان	١٩٠	العُدِيل بن الفُرخ
		٢٢١	كثيرة عَزَة

(ب) فهرس الشواهد

التوابع

باب النعت

ص	الشاهد
٣	٣٣٢ رَبَّاءَ شَمَاءَ لَا يَأْوِي لِقُلَّتْهَا إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْأَوْبُ وَالسَّبَلُ
١٥	٣٣٣ وَذُبْيَانِيَّةٍ أَوْصَتْ بَنِيهَا بِأَنْ كَذَبَ الْقِرَاطُفُ وَالْقُطُوفُ
	٣٣٤ وَلَيْلٍ يَقُولُ النَّاسُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ الْعِيُونِ وَعُورُهَا
١٨	كَأَنَّ لَنَا مِنْهُ بَيْوتًا حَصِينَةً مُسَوَّحًا أَعَالِيهَا وَسَاجًا كَسُورُهَا
٢٤	٣٣٥ وَنَظَرَنَ مِنْ حَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ مَرَضَى مُخَالِطِهَا السَّقَامُ صَحَاحُ
٢٦	٣٣٦ حَمِينَ الْعِرَاقِيبِ الْعَصَا وَتَرَكْنُهُ بِهِ نَفْسٌ عَالٍ مَخَالِطُهُ بُهْرُ
٢٨	٣٣٧ قُولُوا لِهَذَا الْمَرءِ ذُو جَاءَ سَاعِيًا هَلَمْ فَإِنَّ الْمَشْرِفَى الْفَرَائِضُ
٣٤	٣٣٨ وَلَا تَجْعَلِ ضَيْفِي ضَيْفٌ مُقَرَّبٌ وَآخِرُ مَعزُولٌ عَنِ الْبَيْتِ جَانِبُ
٣٦	٣٣٩ فَأَصْبَحَ فِي حَيْثُ التَّقِينَا شَرِيدُهُمْ طَلِيقٌ وَمَكْتُوفُ الْيَدَيْنِ وَمُزْعَفُ
٣٩	٣٤٠ كَأَنَّ حَمُولَهُمْ لَمَّا اسْتَقَلَّتْ ثَلَاثَةُ أَكْلِبٍ مَتَطَارِدَانِ
	٣٤١ لَا يَتَعَدَّنَ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزُرِ
٤١	النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ
٥٥	٣٤٢ وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ
٥٩	٣٤٣ وَكَلَّمْتُهَا ثَنِينَ كَالْمَاءِ مِنْهُمَا وَأُخْرَى عَلَى لَوْحٍ أَحَرٍّ مِنَ الْجَمْرِ

- ٣٣٤ لو قُلْتَ: مافي قومها لم تَيْئِمَ يَفْضُلُها في حَسَبٍ وميسم ٦٢
- ٣٤٥ مالكَ عِنْدِي غَيْرُ سَهْمٍ وحَجَرٍ وَغَيْرُ كِبْدَاءٍ شَدِيدَةٍ الوترُ ٦٥
- ٣٤٦ كَأَنَّكَ من جِمالِ بَنِي أَفَيْشٍ يَقْعَقُ حَلْفَ رِجْلِيهِ بَشَنٌ ٦٧
- ٣٤٧ والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيْرِ يَمْسَحُها رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ والسُّنْدِ ٧١
- ٣٤٨ أَلَا أَيُّها الطَّيْرُ الْمُرِيَّةُ بالضُّحَى على خالِدٍ لَقْدَ وَقَعَتْ على لَحْمٍ ٧٥
- ٣٤٩ فَإِيَّاكُمْ وَحَيَّةَ بَطْنِ وَادٍ هَمُوزَ النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بَسِيٌّ ٨٦
- ٣٥٠ كَانَ ثَبِيرًا في عَرَانِيْنِ وَبِلِهِ كَبِيرُ أَناسِي في بِجَادٍ مَرْمِلٍ ٩٨

باب العطف

- ٣٥١ يالْهَفَ زِيَّابَةَ لِلْحَارِثِ الـ صابِحِ فالْغائمِ فالْآيِبِ ١٠٧
- ٣٥٢ وَلَسْتُ بِنازِلٍ إِلَّا الْمَثَّ بَرَحْلِي أَوْ خِيَالَتْهَا الكَذُوبُ ١١٩
- ٣٥٣ فالْيَوْمَ قَرَيْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتَمُنَا فاذهبِ فَمَا بَكَ وَالْأَيَّامُ من عَجَبِ ١٢٣
- ٣٥٤ أَتَعْرِفُ أَمْ لَا رَسَمَ دَارٍ مُعْطَلًا من العامِ يَغْشَاهُ ومن عامٍ أَوَّلًا ١٣١
- ٣٥٥ وَكَانَ سَيَّانٍ أَنْ لَا يَسْرَحُوا نَعْمًا أَوْ يَسْرَحُوهُ بِهَا وَاعْبَرْتَ السُّوْحُ ١٣٤
- ٣٥٦ باتَ يَعْشِيْهَا بَعْضِ بَاتِرٍ يَقْصِدُ في أَسْوَقِها وَجَائِرِ ١٤٠
- ٣٥٧ وَعَضُّ زَمَانٍ يَا بَنَ مِرْوانَ لَمْ يَدْعُ من المَالِ إِلَّا مَسْحَتًا أَوْ مَجْلَفُ ١٤٤

باب التوكيد

- ٣٥٨ أقسم بالله أبو حفص عمر ١٥٤
- ٣٥٩ فأين إلى أين التجاء ببلغتى أذاك أذاك اللاحقون احبس احبس ١٥٨
- ٣٦٠ لا لا أبوح بحب بشة إنَّها أخذت على موثقا وعهودا ١٥٩
- ٣٦١ تراكيها من إيل تراكيها ١٦٠
- ٣٦٢ أقبلن من ثهلان أو وادي خيم على قلاص مثل خيطان السلم ١٦٣
- ٣٦٣ ياليتنى كنت صيباً مرضعاً تحملنى الدلفاء حولاً أكتعا ١٦٨
- ٣٦٤ أولاك بنو خير وشير كليهما جميعاً ومعروف ألم ومُنكر ١٧١
- ٣٦٥ يامى إن تفقدى قوماً ولدتيهم أو تخلصيهم فإن الدهر خلاص ١٧١
- عمر وعبد مناف والذى عهدت بطن عرعر : آي الظلم عباس ١٧٤
- ٣٦٦ فلا وأبيك خير منك إتنى ليؤذنى التمححم والصهيل ١٧٩
- ٣٦٧ إنا وجدنا بنى جلان كلهم كساعد الضب لاطول ولا قصر ١٨٣
- ٣٦٨ أوعدنى بالسجن والأداهم رجل رجل وشنة المناسيم ١٨٨
- ٣٦٩ ذرينى إن حكمتك لن يطاعا وما ألفتينى حلمي مضاعا ١٩١
- ٣٧٠ وكأنه لهُ السرّة كأنه ماحجيه معين بسواد ١٩٧
- ٣٧١ إن السيوف غدوها ورواحها تركت هوازن مثل قرن الأعضب ١٩٩
- ٣٧٢ إن على الله أن ثبايعاً تؤخذ كرهاً أو تحب طاعا ٢٠٣
- ٣٧٣ وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت ٢١١

المبنيات

المضمر

- ٣٧٤ إذا زُجِر السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ
٣٧٥ ولو أَنَّ الْأَطْبَاءَ كَانَ حَوْلِي
٣٧٦ وَلَكِنْ دِيَّافِي أَبُوهُ وَأُمُّهُ
٣٧٧ إِنْ كُنْتُ أَدْرِ فَعَلْتُ بِدَنَّةٍ
٣٧٨ أَنَا سَيْفُ الْعَشِيرَةِ فَاعْرِفُونِي
٣٧٩ فَقُمْتُ لِلطَّيِّفِ مُرْتَاعًا فَارْقَنِي
٣٨٠ فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ :
٣٨١ وَإِنَّ لِسَانِي شَهْدَةٌ يُشْتَفَى بِهَا
٣٨٢ رَمِيَّتِهِ فَأَقْصَدْتُ
٣٨٣ فَبْتُ لَدَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أُرِيغُهُ
٣٨٤ وَمَا ثَبَالِي إِذَا مَا كُنْتُ جَارَتُنَا
٣٨٥ كَأَنَّا يَوْمَ قُرَى إِيَّاهُ
٣٨٦ بِالْبَاعِثِ الْوَارِثِ الْأَمْوَاتِ قَدْ ضَمِنَتْ
٣٨٧ وَإِنَّ أَمْرًا أَسْرَى إِلَيْكَ وَدَوْنَهُ
لِحَقُوقَةٍ أَنْ تَسْتَجِيبَ لَصَوْتِهِ
٣٨٨ فَلَا تَطْمَعُ أَيْتَ اللَّعْنِ فِيهَا
٣٨٩ وَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي تَطِيبُ لِضَغْمَةٍ
٣٩٠ لَنْ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا
٣٩١ لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ شَهْرًا
- وخالَفَ وَالسَّفِيهُ إِلَى خِلَافٍ ٢٢٦
وكان مع الْأَطْبَاءِ الْأَسَاءَةُ ٢٢٩
بَحْورَانَ يَعْصِرْنَ السَّلِيطَ أَقَارِبُهُ ٢٣٤
مِنْ كَثْرَةِ التَّخْلِيطِ أَلَى مِنْ أَنَّهُ ٢٤١
حُمِيدًا قَدْ تَذَرَيْتُ السَّنَامَا ٢٤٢
فَقُلْتُ : أَهْنَى سَرَتْ أَمْ عَادَى حُلُمُ ٢٤٤
لَمْ نَجْمَلْ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَحِيبُ ٢٥٧
وَهُوَ عَلَى مَنْ صَبَّهَ اللَّهُ عَلَقَمَ ٢٦٦
وَمَا أَخْطَأَتِ الرَّمِيَّةُ ٢٦٨
وَمِطْوَايَ مُشْتَقَانِ لَهْ أَرْقَانِ ٢٦٩
أَنْ لَا يُجَاوِرَنَا إِلَّا لِكَ ذِمَّارُ ٢٧٨
مَا نَقْتُلُ إِيَّانَا ٢٨٠
إِيَاهُمْ الْأَرْضُ فِي دَهْرِ الدَّهَابِ ٢٨٨
مَنْ الْأَرْضُ مَوْمَاةٌ وَبِيدَاءُ سَمْلَقُ
وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمَعَانَ مُوَفَّقُ ٢٩١
وَمَنْعُهَا بِشَيْءٍ يُسْتَطَاعُ ٢٩٧
لِضَغْمِهَا يَقْرَعُ الْعَظْمَ نَابُهَا ٣٠١
عَنِ الْعَهْدِ ، وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ ٣١٢
لَا تَرَى فِيهِ عَرِيْبًا ٣٢٢

- ٣٩١ لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ شَهْرٌ لَا تَرَى فِيهِ غَرِيْبًا
لَيْسَ إِسَاءَى وَإِيَّاكَ وَلَا نَحْشَى رَقِيْبًا
- ٣٩٢ عَدَدْتُ قَوْمِي كَعَدِيدِ الطَّيْسِ إِذْ ذَهَبَ الْقَوْمُ الْكَرَامُ لَيْسِي
- ٣٩٣ فَإِنْ لَا يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهَا فَإِنَّهُ أَخُوهَا غَدَتْهُ أُمُّهُ بِلَبَائِهَا
- ٣٩٤ لَوْلَاكَ فِي ذَا الْعَامِ لَمْ أَحْجِجْ
- ٣٩٥ وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طَحَتْ كَمَا هَوَى بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّبْقِ مُنْهَوَى
- ٣٩٦ لَعَنَتْكَ يَوْمًا أَنْ تُلِمَ مُلَمَّةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللَّائِي يَدْعُوكَ أَجْدَعَا
- ٣٩٧ وَلِي نَفْسٌ أَقُولُ لَهَا إِذَا مَا تُنَازَعْنِي : لَعَلِّي أَوْ عَسَانِي
- ٣٩٨ يَا أَبَتَا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكَ
- ٣٩٩ هَلْ تُبْلَغُنِي دَارَهَا شَدَائِيَّةٌ لَعِنْتُ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصْرَمٌ
- ٤٠٠ تَرَاهُ كَالثَّغَامِ يُعَلُّ مِسْكَ يَسُوءُ الْفَالِيَاثَ إِذَا فَلَّيْنِي
- ٤٠١ كَمْنِيَّةِ جَابِرٍ إِذْ قَالَ لَيْتِي أَصَادَفَهُ وَأَفْقَدُ جُلَّ مَالِي
- ٤٠٢ أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْهُمْ وَعَنِي لَسْتُ مِنْ قَيْسٍ وَلَا قَيْسُ مِنْي
- ٤٠٣ قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْحُبِّيِّينَ قَدِي لَيْسَ الْإِمَامُ بِالشَّحِيحِ الْمُلْحِدِ
- ٤٠٤ وَكَأَنَّ بِالْأَبَاطِحِ مِنْ صَدِيقٍ يَرَانِي لَوْ أُصِيبْتُ هُوَ الْمُصَابَا
- ٤٠٥ هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْحَرَائِقُ وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ مِنْ أَفَارِقُ
- ٤٠٦ عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومَ وَإِنَّمَا تُوكَلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي
- ٤٠٧ إِنَّ مَنْ لَمْ فِي بَنِي بَنِي حَسًّا نَ أَلَمُهُ وَأَعْصِيهِ فِي الْخُطُوبِ
- ٤٠٨ فَلَوْ أُنْثِيَ فِي يَوْمِ الرِّخَاءِ سَأَلْتَنِي طَلَاقَكَ لَمْ أَجْلُ وَأَنْتَ صَدِيقُ

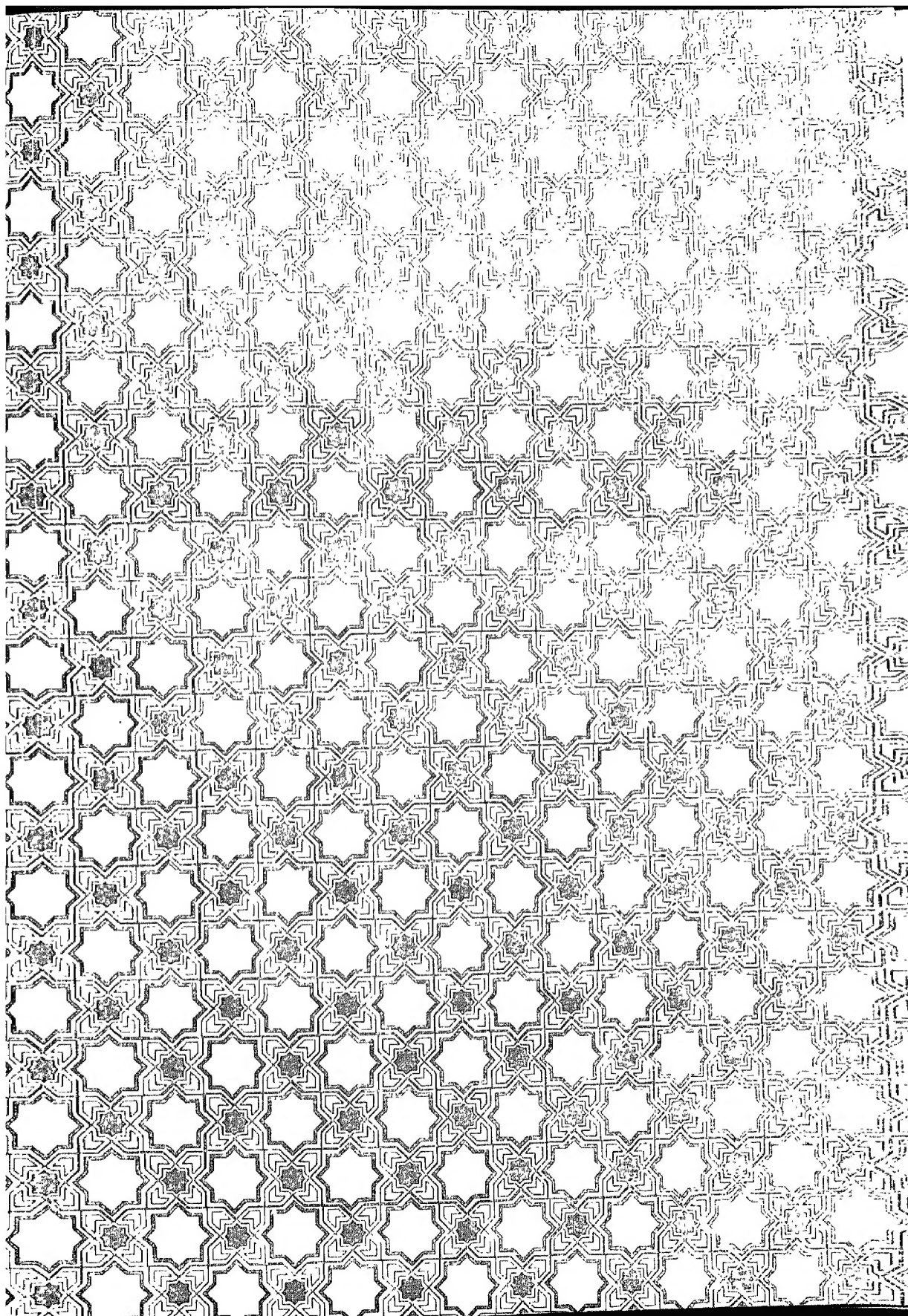
اسم الإشارة

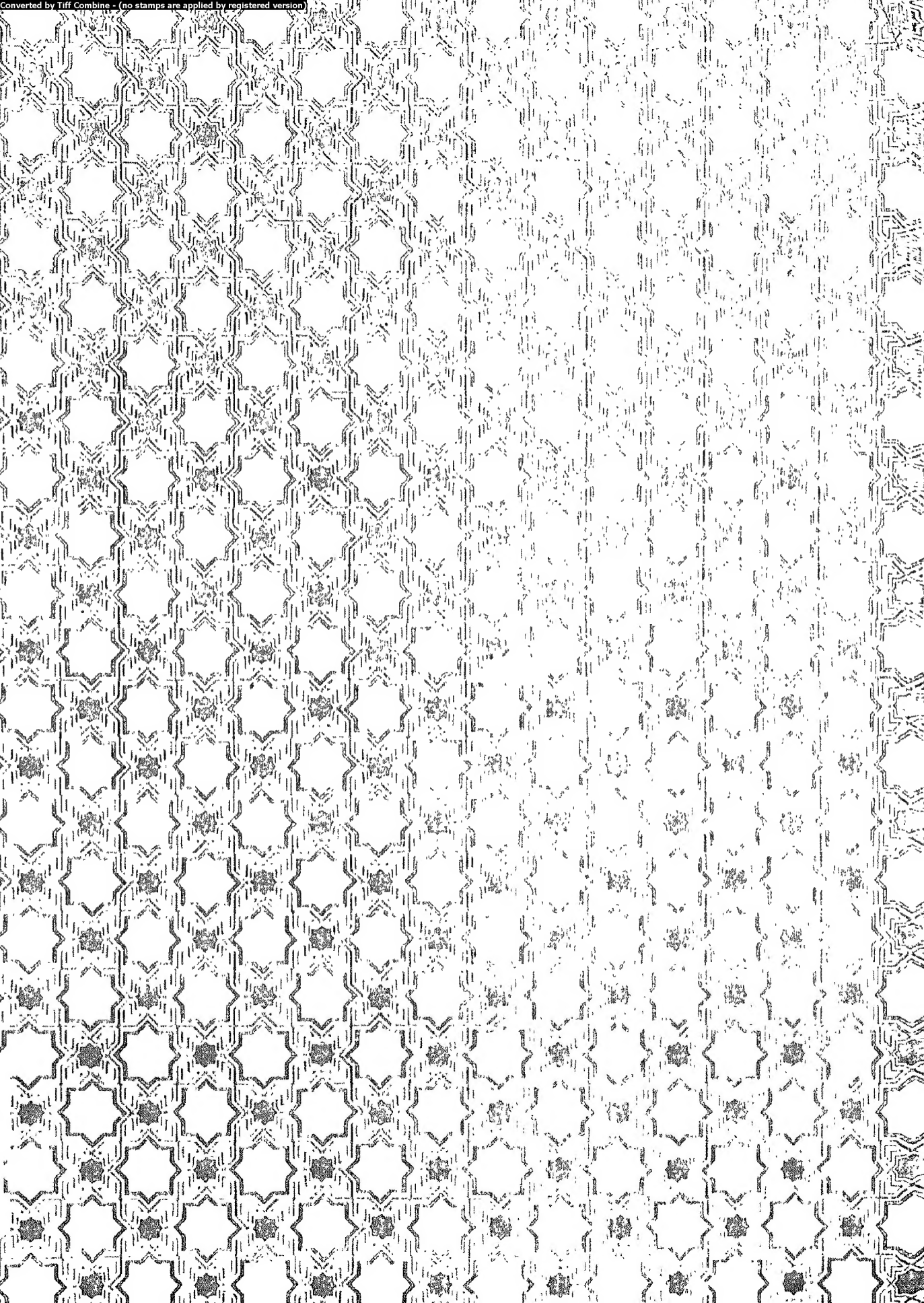
- ٤٠٩ دُمَّ المنازلُ بعد منزلة اللوى والعيشَ بعد أولئك الأيام ٤٣٠
 ٤١٠ تجلَّد لا يقلُّ هؤلاء: هذا بكى لما بكى أسفاً وغيظاً ٤٣٧
 ٤١١ فقلت له والريح يَأْطِر مَتْنُهُ: تأمَّلْ خُفَافاً إِنِّى أنا ذلِكَ ٤٣٨
 ٤١٢ تَعَلَّمَنْ هَا لَعَمْرُ اللَّهِ ذَا قِسْماً فاقْدُرْ بِذَرْعِكَ وانظُرْ أَيْنَ تَنْسَلِكُ ٤٥١
 ٤١٣ هَا إِنَّ تَا عِذْرَةَ إِنْ لَمْ تَكُنْ نَفَعْتُ فَإِنَّ صَاحِبَهَا قَدْ تَاَ فِي الْبَلَدِ ٤٥٩
 ٤١٤ وَنَحْنُ اقْتَسَمْنَا الْمَالَ نَصْفَيْنِ بَيْنَا فقلت لهم: هذا لها ها وذالِيا ٤٦١

الموصول

- ٤١٥ وَإِنِّى لِرَاجِ نَظْرَةٍ قَبْلَ التِّى لعلِّى وَإِنْ شَطَطَتْ نَوَاهَا أَزُورُهَا ٤٦٤
 ٤١٦ بَسُوهُ نَوَاصِيهَا وَحَمِيرَ أَكْفُفِهَا وصفرٍ تراقبها ويضيُّ حُدُودَهَا ٤٧٠
 ٤١٧ وَقَدْ يُخْرِجُ الْيَرْبُوعَ مِنْ نَافِقَائِهِ وَمِنْ جُحْرِهِ بِالشَّيْحَةِ الْيَتَقَصَّعُ ٤٨٢
 ٤١٨ يَقُولُ الْخَنَى وَأَبْغَضُ الْعَجَمِ نَاطِقًا إِلَى رَبَّنَا صَوْتَ الْحَمَارِ الْيُجَدِّعُ ٤٨٢
 ٤١٩ لَعَمْرِى لَأَنْتَ الْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلِهِ وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَائِهِ بِالْأَصَائِلِ ٤٨٤
 ٤٢٠ وَلَيْسَ الْمَالُ فَاعِلُهُ بِمَالٍ وَإِنْ أَغْنَاكَ إِلَّا لِلَّذِى وَإِنْ أَغْنَاكَ إِلَّا لِلَّذِى ٤٨٤
 ٥٠٤ يَرِيدُ بِهِ الْعِلَاءَ وَيَصْطَفِيهِ لِأَقْرَبِ أَقْرَبِهِ وَلِلْقَصَى ٥٠٤
 ٥٠٥ وَاللِّدُّ لَوْ شَاءَ لَكُنْتُ صَخْرًا أَوْ جَبَلًا أَشَمَّ مُشْمِجْرًا ٥٠٥

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٧/١٦٨٤





C
75
182
10